محبة الله ورسوله ﷺ

في الكتاب والسنة

تأليف

الدكتور غسان أحمد عبد الرحمن

دار ابن حزم

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

هذا الكتاب أصله رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٠هـ وحصلت على تقدير ممتاز

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

محبة الله ورسوله ﷺ

في الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وتقديـــر

أحـمـد الله عـزّ وجـلّ وأشـكـره ـ أولاً وأخيـراً ـ عـلـى نـعـمـه الـتي لا تحصى، وعلى هدايته وتوفيقه لي للتمسك بالعروة الوثقى، وعلى اختياره وتوفيقه لي بكتابة هذا الموضوع وإتمامه، فله الحمد كله وإليه يعود الفضل والخير كله وبعد:

فاعترافاً بالفضل لأهله وعملاً بالأدب الإسلامي الرفيع بشكر المحسن على إحسانه، أتقدم بخالص شكري وعظيم تقديري وامتناني لكل من كان له دور وفضل في مساعدتي في كتابة هذه الرسالة العلمية. وأخص بالشكر فضيلة شيخنا الدكتور محمد أمان بن علي الجامي ـ رحمه الله ـ الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، والمدرّس بالمسجد النبويّ الشريف الذي أشرف على هذه الرسالة في السنتين الأولتين منها، والذي لم يدّخر جهداً في إبداء توجيهاته القيّمة وملاحظاته السديدة، ورعايته الأبوية المخلصة وقد فتح لي صدره الرحب ومنحني من وقته الكثير فجزاه الله خير الجزاء. ونفعنا بعلمه.

ثم أشكر فضيلة والدنا وشيخنا الكريم عبدالكريم مراد الأثري الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا الذي تولى مشكوراً الإشراف بعده، والذي حرص ـ حفظه الله ـ كل الحرص على إبداء ملاحظاته القيمة وإرشاداته الصائبة، ثم أكمل ما تبقّى من الرسالة مما لم يطّلع عليه المشرف السابق، فكان نعم الموجّه والمرشد، فقد أسدى إليَّ من النصح والتوجيه وبذل لي من الجهد والوقت الشيء الكثير، كل ذلك في حلم وأناة ورحابة صدر

وحنان مما أمكنني ـ بعد عون الله تعالى ـ من إنجاز هذا البحث ـ المتواضع ـ فجزاه الله كل خير وبارك في عمره ونفعنا بعلمه إنه سميع مجيب.

ثم أشكر فضيلة شيخنا الفاضل عبدالله بن محمد الغنيمان ـ حفظه الله ـ رئيس قسم الدراسات العليا والأستاذ المشارك فيها الذي أشار علينا عند تدريسه لنا في السنة المنهجية بالكتابة في هذا الموضوع الذي كانت لي رغبة قديمة في نفسي لبحثه فاستعنت بالله واخترته، فجزى الله عنا شيخنا خير الجزاء.

ثم أشكر كل من أعانني على إنجاز هذا البحث من زملائي وإخواني الكرام بإعارة كتاب أو إسداء نصيحة أو غير ذلك... سائلاً المولى الكريم أن يمنن عليهم بالتوفيق والفلاح في الدارين وأن يجزيهم عني خير الجزاء.

ولا يفوتني في هذا المجال أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الجامعة الإسلامية التي كان لي شرف الانتساب إليها والنهل من معينها العذب العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح الذي لم تشوبه شائبة. فجزى الله القائمين والعاملين عليها كل خير لما يبذلونه في سبيل الدعوة الإسلامية ورفع راية التوحيد ـ القائمة على التمسك بمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم ـ ولما يقدمونه لأبناء المسلمين من رعاية وتعليم، آخذة بأيديهم دائماً لما يحبه ويرضاه ووفق الله الجميع لطاعته ومحبته إنه سميع مجيب.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه متاب.

المقـدّمـة

وتشمـل:

١ ـ أهمية الموضوع.

٢ ـ أسباب اختيار الموضوع.

٣ ـ منهجي في البحث.

٤ ـ خطة البحث.

محبة الله ورسوله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تبارك وتعالى ذاماً المشركين الذين شركوا بينه وبين أندادهم في المحبة فلم يخلصوها له تعالى، ومادحاً عباده الموحدين الذين هم أشد

حباً له ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فأخبر سبحانه أن المشركين يحبون أندادهم كما يحبون الله، وأن المؤمنين أشد حباً لله من كل شيء. وذلك لأن قلوبهم ملأى ومعمورة بحب ربهم وخالقهم جلّ في علاه ليس فيها مكان لغير ما يحبه منهم عزّ وجلّ فهم إذا أحبوا فللّه وأن كرهوا فللّه، فلم يشاركوا في محبته أحداً سواه. وهكذا هي حال قلوبهم معرفة بالله تعالى وإجلال وتوحيد ومحبة له، وذكر له. ومحبة أيضاً لرسوله ﷺ الذي محبته من محبته - فهي في حالة انقياد لما جاء به من عند الله سبحانه - فيا لها من قلوب طيبة وأفئدة موفقة علمت ما يجب أن تكون عليه حالها ووفقها الله للسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

أولاً: أهمية الموضوع:

إنّ لمحبة الله ورسوله ﷺ أهمية عظمى ومكانة سامية جليلة لا يدانيها غيرها من قواعد الدين وفروعه إذ هي أصل الأعمال الدينية كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله ﷺ، فالتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان - الذي هو قول وعمل واعتقاد - لذلك كانت أهم وأعظم الفرائض على كل عبد بل الغاية من خلق الجن والإنس؛ لأنه تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره عزّ وجلّ والمستلزمة لمحبة رسوله ﷺ وأتباعه، لذا بيّن عزّ وجلّ أن طاعته ﷺ فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه، وحسن متابعة خليله محمد ﷺ دليل وعلامة على صدق العبد في محبته له عزّ وجلّ قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] فجعل عزّ وجلّ اتباع رسوله ﷺ مشروطاً بمحبة عباده له تعالى وشرطاً لمحبة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه، فعلم أن متابعته ﷺ هي حب الله ورسوله وطاعة الله ورسوله ولا يكفي هذا وحده في تحقيق العبودية لله حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما جاء في الحديث المتفق عليه.

لذا كانت محبة الله ورسوله ﷺ من أعظم المقامات التي تسابق إليها العابدون ومن أعظم الدرجات التي حرص على بلوغها المؤمنون الصادقون، لعلمهم أن الله إنما خلق الخلق لمحبته وطاعته وأنزل الكتاب وأرسل الرسل لهداية عباده وإرشادهم لهذه المحبة والطاعة، وخلق الجنة ولم يجعل لها طريقاً إلا طريق محبته وطاعته ومحبة رسوله ﷺ ومتابعته، وخلق النار وجعلها لمن تكبّر على هذه المحبة وعلى هذه الطاعة وسلك غير السبيل الذي جاءت به رسله واتبع غير سبيل المحبين من المؤمنين. لذا أحب المؤمنون الله خالقهم الحب كله وعظموه التعظيم كله وأحبوا رسوله ﷺ حباً عظيماً لأنه هو الدال على محبة الله ورضوانه ولأن محبته من محبة الله تعالى فكان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما، فامتلأت قلوبهم بحب الله ورسوله فأعانتهم هذه المحبة على الانقياد والتسليم لمحبوبهم فأحسوا بطعم الإيمان وذاقوا حلاوته وحلاوة الطاعة لله ولرسوله ﷺ فعاشوا في نعيم وسرور في هذه الدنيا لا يعرف طعمه غيرهم قبل أن يتمتعوا بالنعيم الخالد الذي لا ينقطع في الآخرة بسبب تحقيقهم لهذه المحبة.

ثانياً: أسباب اختياري لهذا الموضوع:

لقد آثرت الكتابة في هذا الموضوع (محبة الله ورسوله ﷺ في الكتاب والسنّة) لعدة أسباب تتلخص في الآتي:

١ ـ لأن المحبة من أهم المسائل المتعلقة بالعبد المؤمن في حياته وسلوكه واعتقاده. حيث إنها من أعظم مسائل أصول الدين لأنها أحد أنواع توحيد الألوهية ـ أو العبادة ـ التي لا نجاة للعبد إلا بتحقيقها.

٢ ـ لأنه قد انقسم الناس في معناها ومفهومها وتحقيقها بين الغلو والتقصير أو الإفراط والتفريط فظن قوم أن محبة الله ورسوله ﷺ تعني التصديق فقط دون ما تستلزمه من الامتثال والانقياد والطاعة وترك المعصية، بينما ظن آخرون أنها تكون بالخروج عن الطاعة والابتداع في الدين والغلو به والوقوع في الشرك بالله والغلو في رسوله ﷺ وإطلاق ألفاظ العشق والسكر. . . الخ في حق الله ورسوله ﷺ، بل بلغ الحد عند بعضهم فأسقط

الأمر والنهي عن نفسه بحجة أنه قد بلغ في المحبة غايتها. فأحببت أن أوضح معناها الصحيح ومقتضياتها ومستلزماتها على ضوء الكتاب والسنّة وفهم السلف الصالح رضي الله عنهم لها.

٣ ـ أن هذا الموضوع لم يسبق بحثه ـ فيما أعلم من قبل ـ اللّهم إلا ما كتبه أحد الباحثين في محبة رسول الله ﷺ بين الإفراط والتفريط في جامعة أم القرى كما أخبرني بذلك بعض الأخوة ولكن لم يقدر الله أن أطلع على رسالته أو على خطة بحثه، بل لم ألتق به رغم حرصي على ذلك.

ثم وجدت رسالته مطبوعة، وقد اطلعت عليها فألفيتها جيدة للغاية في موضوعها.

٤ ـ رغبتي في معايشة الكتاب والسنّة واختيار موضوع من صميم العقيدة إذ إن الكتابة في هذه المواضيع تقوّي إيمان العبد وترسّخ في قلبه تحقيق العبودية لله تعالى وتجلب لصاحبها من الأجر والثواب العظيم ما لا يعلمه إلا الله بقراءة نصوص الكتاب والسنّة وفهم معانيهما للعمل بذلك.

٥ ـ رغبتي في إضافة هذا العمل ـ المتواضع ـ للمكتبة الإسلامية لعل الله أن ينفع به أحداً من الناس فيكون لي ذخراً وأجراً بعد أن ألقى الله سبحانه وتعالى.

لهذه الأسباب توكلت على الله تعالى وعزمت على أن أكتب هذا البحث سائلاً المولى الكريم أن يعصمني من الإخلال والنقص فيه وأن يلهمني السداد والرشاد في بيان الحق فيما أقول وأكتب وفي الرد على من خالف الحق والمنهج القويم إنه سميع مجيب.

ثالثاً: منهجي في البحث:

أما عن المنهج الذي سلكته في إعداد هذا البحث فيتلخص فيما يلي:

أولاً: قمت بالاستدلال على ما أكتبه بنصوص الكتاب والسنّة وأقوال علماء السلف رحمهم الله ومن سار على نهجهم بإحسان.

ثانياً: قمت بالرد على من خالف الحق مدعماً قولي بالنصوص الشرعية الثابتة وأقوال العلماء المعتمدين.

ثالثاً: اجتهدت أن لا أنسب رأياً أو قولاً أو مذهباً لأحد حتى آتي بما يدعم ما أقوله من كتب القوم أنفسهم للأمانة العلمية ولئلا يظن أحد بأننا نفتري على المخالفين للمنهج السلفي.

رابعاً: قمت بعزو الآيات القرآنية الشريفة الواردة في الرسالة إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر السورة ورقم الآية.

خامساً: قمت بتخرج الأحاديث النبويّة ناقلاً حكم العلماء عليها في كثير من الأحيان إلا إذا جاء الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فأكتفي بعزوه، واكتفيت عند تخريجي للأحاديث بتخريجها من الصحيحين فقط في كثير من الأحيان إذا وردت في غيرهما وذلك لإطباق الأمة على الأخذ بما ورد فيهما.

سادساً: اجتهدت في بيان معنى الألفاظ والعبارات الغريبة أو الصعبة الواردة في الرسالة بذكر معانيها.

سابعاً: علقت في الهامش أحياناً على ما رأيت أنه يحتاج إلى تعليق أو توضيح.

ثامناً: ترجمت للأعلام الذين نقلت عنهم أقوالاً.

أما الأعلام المشهورون من الصحابة رضي الله عنهم فلم أترجم لهم لغناهم عن التعريف. كما قمت بترجمة لكثير من الأعلام الذين لم أنقل عنهم نصوصاً لما رأيت من الحاجة إلى ترجمتهم وخاصة أصحاب السنن والمسانيد حتى أعرّف بهم وأبيّن بعض ما خدموا به السنّة النبويّة المطهرة.

تاسعاً: أنهيت البحث بخاتمة سجّلت فيها أهم النتائج التي توصّلت إليها في البحث.

عاشراً: قمت بعمل فهارس متنوعة لهذا البحث ليسهل الانتفاع به والاستفادة منه. وهي تشمل: فهارس الأحاديث النبويّة، والآثار، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

خطـة البحـث:

أما عن خطة البحث فقد قسمت الموضوع إلى أربعة أبواب في كل باب عدة فصول:

البـاب الأول: معاني ومفهوم ومنزلة محبة الله ورسوله في الكتاب والسنّة وعند السلف. وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: في اشتقاق المحبة وتعريفها وأقسامها. وفيها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسماء المحبة وأصل اشتقاقها:

أ ـ أسماء المحبة.

ب ـ أصل اشتقاق المحبة.

المبحث الثاني: تعريف المحبة:

أ ـ تعريف المحبة في اللغة.

ب ـ تعريف المحبة في الاصطلاح.

المبحث الثالث: أقسام ودرجات المحبة:

أ ـ تقسيمها من حيث العموم.

ب ـ تقسيم المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها.

جـ ـ درجات المحبة النافعة.

الفصل الثاني: مفهوم محبة الله ورسوله في الكتاب والسنّة وعند السلف. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم محبة الله ورسوله في الكتاب والسنّة:

أ ـ مفهوم محبة الله.

ب ـ مفهوم محبة رسول الله ﷺ.

الفصل الأول: إفراد الله بالعبادة. وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: حاجة العبد وفقره إلى عبادة ربه.

المبحث الثاني: تعريف العبادة وبيان أهمية المحبة فيها لله عزّ وجلّ.

المبحث الثالث: مكانة العبادة في الإسلام.

المبحث الرابع: تقسيم العبودية إلى عامة وخاصة.

المبحث الخامس: الفرق بين العامة والخاصة.

المبحث السادس: أنواع التوحيد.

المبحث السابع: شبهة من أنكر هذا التقسيم والرد عليها.

المبحث الثامن: معاني أنواع التوحيد الثلاثة وأنواع الشرك بكل منها.

١ ـ **النوع الأول**: توحيد الربوبية:

أ ـ معناه.

ب ـ الشرك فيه.

٢ ـ **النوع الثاني**: توحيد الألوهية.

أ ـ معناه.

ب ـ مكانته من العقيدة الإسلامية.

جـ ـ أنواع الشرك فيه.

د ـ شروط صحة العبادة.

٣ ـ **النوع الثالث**: توحيد الأسماء والصفات:

أ ـ مفهومه الصحيح عند أهل السنّة والجماعة ومذهبهم فيه.

ب ـ مفهومه الفاسد عند غيرهم من الضالين المخالفين من أهل الكلام ومذاهبهم فيه.

جـ ـ أنواع الشرك فيه.

الفصل الثاني: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ. مفهومها وما يناقصها:

أولاً: مفهومها. وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: وجوب محبة الرسول ﷺ.

المبحث الثاني: وجوب التسليم لرسول الله ﷺ والانقياد لأمره.

المبحث الثالث: وجوب الاقتداء برسول الله ﷺ والمحافظة على سنته والترهيب من تركها وارتكاب البدع.

المبحث الرابع: واجب المسلمين نحو رسولهم ﷺ.

ثانياً: ما يناقض تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: البدع. وتحته عدة نقاط:

أ ـ تعريف البدعة لغة واصطلاحاً.
ب ـ أقسام البدع.
جـ ـ حكمها وسوء منقلب أصحابها.
د ـ مفاسدها.
هـ ـ نهي السلف عنها.

المبحث الثاني: رفض التحاكم إلى الكتاب والسنّة عند الخلاف وبيان خطر ذلك.

المبحث الثالث: تقديم رأي أحد أو مذهبه على السنّة والتعصب له. وتحته عدة نقاط:

أ ـ خطر ذلك على إيمان العبد لأنه دليل النفاق.
ب ـ نهي الأئمة عن تقليدهم وأمرهم باتباع السنّة فقط.
جـ ـ خطر التقليد والتعصب المذهبي على الدين الإسلامي.

المبحث الرابع: الغلو في رسول الله ﷺ وخطره.

الفصل الثالث: تحرير الولاء لأهل الإيمان والبراء من أهل الشرك والعصيان وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الولاء لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف البراء لغة واصطلاحاً.

المبحث الثالث: الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد:

أ ـ شرح معنى هذه الكلمة.

ب ـ شروط هذه الكلمة.

المبحث الرابع: عقيدة أهل السنّة في الولاء والبراء.

المبحث الخامس: عقيدة الخوارج في الولاء والبراء والرد عليهم. وتحته عدة نقاط:

أ ـ تعريفهم.

ب ـ عقيدتهم في الولاء والبراء مع ذكر بعض شبههم والرد عليهم.

المبحث السادس: عقيدة الرافضة في الولاء والبراء والرد عليهم:

أ ـ تعريفهم.

ب ـ سبب تسميتهم بهذا الاسم.

جـ ـ عقيدتهم في الولاء والبراء.

د ـ الرد عليهم في ذلك.

المبحث السابع: من مقتضيات الولاء والبراء. وتحته عدة نقاط:

أ ـ حقوق المسلم على المسلم.

ب ـ الجهاد في سبيل الله.

جـ ـ هجر أصحاب البدع والأهواء.

د ـ حرمة التشبه بالكفار.

الفصل الرابع: الجهاد في سبيل الله بجميع أنواعه. وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الجهاد.

المبحث الخامس: التزام التقوى.

المبحث السادس: دراسة السيرة النبويّة الشريفة والتأثر بها.

المبحث السابع: متابعة النبيّ ﷺ.

المبحث الثامن: دوام ذكر الله تعالى باللسان والقلب والعمل والحال.

المبحث التاسع: الزهد في الدنيا.

المبحث العاشر: البعد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله.

المبحث الحادي عشر: انكسار القلب بكليته بين يدي الله عزّ وجلّ والتذلل له.

المبحث الثاني عشر: مجالسة المحبين الصالحين ودراسة سيرهم وتاريخهم الطيب.

المبحث الثالث عشر: إيثار ما يحبه الله ورسوله على ما يحبه العبد ويؤثره.

المبحث الرابع عشر: الخلوة بالله تعالى وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كتابه والتوبة إليه واستغفاره والتأدب بأدب العبودية بين يديه.

الفصل الثاني: علامات محبة العبد لربه ولرسوله ﷺ. وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: الإكثار من ذكر الله وذكر رسوله ﷺ والصلاة عليه.

المبحث الثاني: الانقياد والاستسلام لأمر الله ورسوله.

المبحث الثالث: التعلق بكل ما ينسب إلى المحبوب والإقبال عليه.

المبحث الرابع: السعي في إرضاء المحبوب وإيثاره على غيره.

المبحث الخامس: الأنس بالله وبمناجاته وتلاوة كتابه.

المبحث السادس: الغيرة لله ولرسوله ﷺ.

المبحث الثاني: في نشأة الصوفية وأطوارهم:
أ ـ نشأتهم.
ب ـ أطوارهم.
الفصل الثاني: حقيقة محبة الله ورسوله عنه الصوفية. وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: حقيقة محبة الله عند الصوفية وفيه:
أ ـ تفسير هذه المحبة كما يراها الصوفية.
ب ـ أقسام المحبة ومتعلقاتها عند الصوفية.
جـ ـ أنواع محبة الله عند الصوفية والرد عليهم في ذلك.
د ـ مقامات محبة الله كما يراها الصوفيون والرد على بعض منها.
المبحث الثاني: حقيقة محبة الرسول ﷺ عند الصوفية وفيه:
أ ـ الحقيقة المحمدية عندهم.
ب ـ استغاثتهم وتوسلهم به ﷺ وادعاؤهم أنه يعلم الغيب.
جـ ـ شدهم الرحال إلى قبره الشريف بدعوى أن ذلك من أقرب القربات إلى الله.
د ـ احتفالهم بمولده ﷺ وإنشاد الأناشيد المحظورة فيه مع آلات اللهو والطرب والرقص.
المبحث الثالث: الشرك في المحبة والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله.
الخاتمة.
الفهارس.
١ ـ فهرس الأحاديث النبويّة.
٢ ـ فهرس المصادر والمراجع.
٣ ـ فهرس الموضوعات.

الباب الأول

مفهوم ومنزلة محبة الله ورسوله في الكتاب والسنّة وعند السلف

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: في اشتقاق المحبة وتعريفها وأقسامها.

الفصل الثاني: مفهوم محبة الله ورسوله في الكتاب والسنّة وعند السلف.

الفصل الثالث: منزلة ومكانة محبة الله ورسوله ﷺ.

الفصل الرابع: الخصال والأعيان التي يحبها الله ورسوله.

الفصل الخامس: علامات محبة الله للعبد.

الفصل الأول

في اشتقاق المحبة وتعريفها وأقسامها

المبحث الأول: أسماء المحبة وأصل اشتقاقها.

(أ) أسماء المحبة.

(ب) أصل اشتقاق المحبة.

المبحث الثاني: تعريف المحبة.

(أ) تعريف المحبة في اللغة.

(ب) تعريف المحبة في الاصطلاح.

المبحث الثالث: أقسام المحبة.

(أ) تقسيمها من حيث العموم.

(ب) تقسيم المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها.

(ج) درجات المحبة النافعة.

المبحث الأول

أسماء المحبة وأصل اشتقاقها

أ ـ **أسماء المحبة**: كلما كان الشيء شديد الأهمية وكان القلب كبير التعلق به وكثير الذكر له كانت أسماؤه أكثر، وذلك تعظيماً له واهتماماً به، أو محبة له، وقد اجتمعت هذه الأشياء كلها في المحبة. فوضع الناس لها ما يقرب من ستين اسماً كما قال الإمام العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى[(١)].

من هذه الأسماء[(٢)]: المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والمقه، والوجد، والكلف، والتتيم، والجوى، والشجو، والشوق، والخلابة، والبلابل، والتباريح، والسدم، والغمرات، والوهل، والشجن، واللاعج، والاكتئاب، والوصب، والكمد، واللذع، والحُرَق، والسهد، والأرق، واللهف والحنين، والاستكانة، والتبالة، واللوعة، والفتون، والجنون، واللمم، والخبل، والرسيس، والداء المخامر، والود،

---

(١) هو الإمام شمس الدين أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر ابن أيوب الدمشقي الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي الأصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية صاحب التصانيف الكثيرة ولد سنة (٦٩١هـ) وتوفي سنة (٧٥١هـ) انظر ترجمته الوافي للوفيات (٢/٢٧١)، والبداية والنهاية (١٤/٢٣٤)، وطبقات المفسرين للداوردي (٢/٩٠ ـ ٩٣).

(٢) انظر روضة المحبين، ص١٦.

والخلة، والخِلم، والغرام، والهيام، والتدلية، والوله، والتعبد، إلى غير ذلك من الأسماء الكثيرة.

هذا ولا يجوز أن تطلق محبة الله تعالى ورسوله على كل هذه الأسماء إذ فيها ما هو خاص بالزوجين كالعشق والغرام والجنون وغير ذلك، فلا يليق بالله تعالى ولا برسوله ولا يجوز أن يوصف الله ورسوله بها، وإنما ذكرتها هنا لتبيان أسماء المحبة بمدلولها العام لا غير.

ب ـ **اشتقاق المحبة**: اختلف الناس في أصل اشتقاق هذه المادة، فقيل:

(أ) إن أصلها الصفاء، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبَبَ الأسنان[١].

(ب) وقيل: مأخوذة من الحَباب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد، وعلى هذا فالمحبة غليان القلب وثورانه عند الاحتياج إلى لقاء المحبوب[٢].

(ج) وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات ومنه أحب البعير إذا برك فلم يقم فكأنما المحب قد لزم قلبه محبوبه فلم يرم عنه انتقالا[٣].

(د) وقيل: هي مأخوذة من القلق والاضطراب ومنه سمي القُرْط[٤] حِبا لقلقه واضطرابه في الأذن[٥].

(هـ) وقيل: مأخوذة من الحَبّ جمع حبة وهو لباب الشيء وخالصه وأصله، فإن الحب أصل النبات والشجر[٦].

---

(١) المرجع السابق، ص١٧.
(٢) المرجع السابق ومدارج السالكين (٣/١٠).
(٣) المرجع السابق، وانظر لسان العرب (١/٢٩٣).
(٤) القرط جمع أقراط وهو ما يعلق في شحمة الأذن من دُرّ أو ذهب أو فضة أو نحوها، المعجم الأوسط، ص٧٢٧.
(٥) روضة المحبين ص١٧، ومدراج السالكين (٣/١٠).
(٦) المرجع السابق.

(و) وقيل: مأخوذة من الحُبِّ الذي هو إناء واسع يوضع فيه الشيء فيمتلىء به بحيث لا يسع غيره، وكذلك قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه[١].

(ز) وقيل: مأخوذ من الحُبِّ الذي وهو الخشبات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع عليها من جرة أو غيرها فسمي الحب بذلك لأن المحب يتحمل لأجل محبوبه الأثقال، كما تتحمل الخشبات ثقل ما يوضع عليها[٢].

(ح) وقيل: مأخوذة من حبة القلب وهي سويداؤه ويقال: ثمرته، فسميت المحبة بذلك لوصولها إلى حبة القلب، وذلك قريب من قولهم: «ظهره إذا أصاب ظهره، وبطنه إذا أصاب بطنه، ورأسه إذا أصاب رأسه»[٣]... الخ.

ولعل الراجح ـ والله أعلم ـ من هذه الأقوال هو القول الأخير: وهو أن المحبة مأخوذة من حبة القلب وهي سويداؤه لوصولها إلى حبة القلب.

---

(١) المرجع السابق، ولسان العرب (١/٢٩٤).
(٢) المرجع السابق، ولسان العرب (١/٢٩٥).
(٣) المرجع السابق.

المبحث الثاني

تعريف المحبة

(أ) في اللغة: يقول ابن منظور رحمه الله[1] في لسان العرب[2]: (الحب نقيض البغض والحب الوداد والمحبة وكذلك الحب بالكسر، والمحبة اسم للحب).

وقال الجوهري[3]: (الحب بالضم والحب بالكسر يعني المحبة والحب بالكسر يعني الحبيب وتحبب إليه أي تودد إليه)[4].

وقال الزبيدي[5] (الحب بالضم نقيض البغض وهو الوداد والمحبة، والحب بالكسر الحبيب)[6].

---

(١) هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإمام اللغوي الحجة من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري ولد سنة (٦٣٠هـ). وتوفي سنة (٧١١هـ) انظر ترجمته الأعلام للزركلي (١٠٨/٧).

(٢) لسان العرب (٢٨٩/١ - ٢٩٠).

(٣) هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر، أول من حاول الطيران ومات في سبيله وهو لغوي من الأئمة. توفي سنة (٣٩٣هـ). انظر ترجمته السير (٨٠/١٧)، والأعلام (٣١٣/١) ومعجم الأدباء (٢٦٩/٣).

(٤) الصحاح (١٠٥/١).

(٥) هو محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين أصله من واسط في العراق ومولده في الهند ومنشؤه في زبيد باليمن، ولد سنة (١١٤٥هـ) وتوفي سنة (١٢٠٥هـ). انظر ترجمته آداب اللغة (٢٨٨/٣)، والأعلام (٧٠/٧).

(٦) تاج العروس (٢١٢/٢).

وقال صاحب محيط المحيط[1] حبه يحبه حباً بالكسر وحباً بالضم أي: وده فهو محبوب وأحب فلاناً فهو يحبه، وأحب أكثر استعمالاً من حب، وقولهم حب بفلان بضم الحاء وفتح الباء معناه ما أحبه ومنه قولهم: حبذا زيد وهو من أفعال المدح أي: هو حبيب. وأصله حبب، وحابه محابة وحباباً واده وتحبب إليه تحبباً أي: أظهر له المحبة وتودد إليه، واستحبه استحباباً أحبه واستحسنه، والحباب بالضم الحب والمحابة، والحب بالكسر مصدر بمعنى المحب تقول: هو حبي أي: محبوبي، ويقال: هي حبتي أي: محبوبتي قال الشاعر:

من رأى مثل حبتي ... تخجل البدر إذا بدا

والحب بالضم مصدر بمعنى محب تقول: هي حبي بمعنى محبوبي ومنه الحبيب وهو المحب والمحبوب يقال: هو حبيبي وأنا حبيبكم أي: محبكم جمع أحبة وأحباء وأحباب[2].

والمحبة: ميل الطبع إلى الشيء الملذ السار ويقابلها البغض وهو نفور الطبع من المؤلم المتعب، وقيل المحبة ترادف الإرادة[3] قلت: وفيه نظر لأن كلاً من المحبة والإرادة صفة مستقلة فالقول بالترادف غير مقبول.

وقد وضعوا لمعنى المحبة ـ كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله[4] ـ حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة (الحاء) التي هي من أقصى الحلق (والباء) الشفوية التي هي نهايته فللحاء الابتداء، وللباء الانتهاء، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه. وأعطوا (الحب)

(١) هو المعلم بطرس بن بولس بن عبدالله البستاني، صاحب دائرة المعارف العربية، عالم واسع الاطلاع ولد ونشأ في الدبية من قرى لبنان وتعلم بها وبيروت آداب العربية واللغات السريانية والإيطالية ثم العبرانية واليونانية ولد سنة (١٢٣٤هـ ١٨١٩م) وتوفي سنة (١٣٠٠هـ ١٨٨٣م). انظر ترجمته الأعلام (٥٨/٢).

(٢) محيط المحيط، ص١٢١ ـ ١٤٢.

(٣) محيط المحيط، ص١٢١ ـ ١٤٢.

(٤) انظر مدارج السالكين (٩/٣ ـ ١١).

حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها، وأعطوا (الحب) وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها عن الضمة وخفة المحبوب وخفة ذكره على قلوبهم وألسنتهم، فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة، وأن لها شأناً ليس لسائر اللغات.

(ب) **تعريف المحبة في الاصطلاح**: يستعمل الناس ـ عادة ـ التعريفات والحدود للدلالة على ماهية الشيء المراد بيانها وتوضيحها ولإزالة اللبس الذي قد يرد على الشيء لسبب من الأسباب، أو عند حدوث بعضِ الإشكالات في إدراك حقيقة الشيء المراد بيانه، أو حصول نوع استعجام على العقول والأفهام لغموض ذلك الاسم على السامعين أو بعضهم أو لغرابته عنهم، ويشترط في الألفاظ والعبارات المستعملة في التعريفات أن تكون سهلة واضحة المعنى لا غموض فيها ولا تعقيد ولا استعجام.

وتتنوع الأشياء التي تحتاج إلى تعريف واحد، فإما أن تكون اصطلاحات علمية يصطلح عليها أهل فن من الفنون، أو علم من العلوم، وهذه تعرف المراد من الجملة، أو الكلمة بأنه كذا وكذا. وإما أن تكون أشياء غريبة لم يعهدها السامع أو المتعلم وهي محسوسة تدرك بإحدى الحواس، وإدراك هذه وتعريفها سهل. ويكون بذكر صفاتها وحقيقتها، وإما أن تكون أشياء معنوية ذوقية لا تدرك بالحس وإنما تدرك بالوجدان والذوق، وهذه إما أن تكون من الأمور التي قد لا يجدها الإنسان ولا يعرفها جميع الناس لكونها غير مجسدة في قلوبهم ولا يشعرون بها في نفوسهم، كلفظ الحسد لكونه لا يجده كل الناس، فتعرف مثل هذه الألفاظ حينئذٍ ويقال: إن معناها وتعريفها مثلاً تمني زوال النعمة من شخص وانتقالها إلى شخص المتمني. وكلفظ الذهن مثلاً فإنه قد لا ينتبه إليه كل الناس بأنه الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر. وهكذا.

وإما أن تكون الأشياء المراد تعريفها من الأمور التي يجدها الإنسان ويحس بها عامة الناس في نفوسهم ومشاعرهم ولا يفتقر أحد من الناس إلى

فهم معناها وحقيقتها كالجوع والخوف مثلاً، لأن كل واحد من الخلق يعرف مدلول هذه الأسماء، لأنه يحسها في وجدانه ويجدها في نفسه ويذوقها في قلبه وقالبه، بل إنه ربما لم يخطر بباله يوماً السؤال عن حقيقة معانيها. . والمحبة والحب من هذا القبيل، فإنها من الأمور الذوقية الوجدانية المعنوية التي يجدها كل الناس ـ بل كل الخلق ـ لأن الله فطر الخلق عليها، فبها تتعاقب المخلوقات وتتناسل، وتستمر الحياة. فهي لا تحتاج إلى تعريف لأنها ليست غريبة على أحد، ولم يستعجم إنسان فهم كنهها وإدراك حقيقتها لأنه يجدها في حياته كل لحظة وكل يوم ويتذوقها[1]. ومثل هذه الأمور التي في حال الناس وحياتهم لا تحتاج إلى حدود وكلمات وعبارات في بيانها وتفسيرها، لأنها لا تحد، ولأن الحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله[2].

فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من (المحبة).

وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات بحسب إدراك الشخص ومقامه، وحاله وملكه للعبارة.

لذا وقع الاختلاف الشديد بين الناس في تعريبها وحدها، وتباينت آراؤهم وعباراتهم في ذلك، وذلك راجع لأسباب التفاوت في مقدار المحبة عندهم. ونظراً لكثرة الأقوال والتعريفات لها فإنني سأقتصر على ذكر عدد قليل ليكون فيه حجة في الاستدلال على ما ذكرنا من الاختلاف الكبير حولها.

فقيل فيها: المحبة في الميل الدائم بالقلب الهائم.

وقيل: إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

---

(١) هذا الكلام استقيته من رسالة الماجستير للأخ الدكتور فلاح إسماعيل بعنوان (الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ص١٦) بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) في مدارج السالكين (١٠/٣).

وقيل: موافقه الحبيب في المشهد والمغيب.

وقيل: اتحاد مراد المحب ومراد المحبوب.

وقيل: إيثار مراد المحبوب على مراد المحب.

وقيل: إقامة الخدمة مع القيام بالحرمة.

وقيل: استقلال الكثير منك لمحبوبك واستكثار القليل منه إليك.

وقيل: استيلاء ذكر المحبوب على قلب المحب.

وقيل: حقيقتها أن تهب كلك لمن أحببته فلا يبقي لك منه شيء.

وقيل: أن تمحو من قلبك ما سوى المحبوب.

وقيل: هي الغيرة للمحبوب أن تنقص حرمته، والغيرة للقلب أن يكون فيه سواه.

وقيل: الإرادة التي لا تنتقص بالجفاء ولا تزيد بالبر.

وقيل: هي حفظ الحدود، فليس بصادق من لم يحفظ حدوده ـ إن ادعى محبته ـ.

وقيل: هي قيامك للمحبوب بكل ما يحبه منك.

وقيل: هي نار تحرق من القلب ما سوى المحبوب.

وقيل: ذكر المحبوب على عدد الأنفاس.

وقيل: ميلك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبه.

وقيل: بذل المجهود بما يرضي الحبيب.

وقيل: صدق المجاهدة في أوامر الله وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

وقيل: إرادة غرست أغصانها في القلب فأثمرت الموافقة والطاعة.

وقيل: المحبة سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره

على الدوام لأن سفر القلب هو السفر إلى لقائه ولهج اللسان بذكره لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

ومن أجمع ما قيل فيها ـ كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله[1] ـ ما قاله الجنيد[2] فقد ذكر أبو بكر الكتابي أنه جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله أيام موسم الحج فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي؟.

فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: المحب عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله وأن نطق فعن الله وأن تحرك فبأمر الله وأن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله[3].

وأحب أن أنبه ههنا على كلام الجنيد ـ رحمه الله ـ فأقول: لا ينبغي لأحد أن يفهم كلامه هذا ويحمله على غير ما قصد به صاحبه، كأن يفهم منه عقيدة الوحدة أو الاتحاد التي يقول بها بعض الصوفية، فإن الجنيد رحمه الله، وإن كان يعتبر من المتصوفة لكنه متصوف معتدل ولم تكن هذه العقائد قد ظهرت في عصره فلم يقل بها أو يؤمن بها هو، ولذا أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم في أكثر من موضع، وما ذكر ابن القيم رحمه الله لقوله ههنا وصفه إياه بأنه من أجمع الأقوال إلا دليلاً على ما نقول، كيف وقد كان الجنيد رحمه الله صغير السن عندما قال هذا الكلام فلم يعرف هذه العقائد الضالة.

---

(١) في مدارج السالكين (١٧/٣).

(٢) هو الجنيد بن محمد بن البغدادي الخزاز، أبو القاسم، وهو صوفي من العلماء بالدين مولده ونشأته ووفاته ببغداد وقد عده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة وتوفي سنة (٢٩٧هـ). انظر ترجمة حلية الأولياء (٢٥٥/١٠)، والأعلام (١٤٠/٢).

(٣) ذكر هذه الأقوال وغيرها الإمام ابن القيم في روضة المحبين، ص١٩ ـ ٢١، ومدارج السالكين (١٢/٣ ـ ١٧).

فمراده رحمه الله بقوله هذا، هو أن العبد يعبد الله وكأنه يراه وهو مقام الإحسان فإن لم يكن يراه فإنه يراه، فهو - أي العبد - يراقب ربه سراً وجهراً يمتثل أمره وينتهي عن نهيه وهذه هي صفات المحب الصادق.

فهذه بعض الأقوال التي قيلت في تعريف المحبة، ومجموعها يدل على كونها شيئاً عظيماً، أو صفة غرست في قلب المحب مستلزمة تعظيم المحبوب وتقديمه على كل ما سواه وطاعته وحب ما يحبه وإيثاره على ما يحبه مع المحب، والاطمئنان والراحة والسرور عند سماع اسمه والإكثار من ذكره والثناء عليه وموالاة أوليائه، وأحبابه، وبغض ومجاهدة أعدائه.

وهذا ما يمكن أن تعرف به محبة الله ورسوله - إن صح التعبير -.

المبحث الثالث
أقسام المحبة

(أ) تقسيمها من حيث العموم:

قسم العلماء رحمهم الله تعالى المحبة من حيث العموم إلى قسمين مشتركة وخاصة.

القسم الأول: المشتركة: وهي التي تصلح للمخلوقات ولا يراد منها التعظيم وهي ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة طبيعية، كمحبة الجائع للطعام ومحبة الظمآن للماء ونحو ذلك. وهذه تتبع نية صاحبها وقصده. بفعل ما يحبه، فإن نوى بها القوة على طاعته لله، كانت قربة، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يثب ولم يعاقب، ولكنها يفوته درجة من فعل ذلك متقرباً إلى الله تعالى بذلك. وهذه المحبة لا تستلزم التعظيم.

ثانيها: محبة رحمة وإشفاق: كمحبة الوالد لولده الصغير، وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم.

ثالثها: محبة أنس وألفة: وهي كمحبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر بعضهم بعضاً، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً.

فهذه الأنواع الثلاثة التي تصلح للخلق بعضهم مع بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله ولهذا كان النبيّ ﷺ يحب الحلواء

والعسل ولبس القميص ويحب نساءه رضي الله عنهن جميعهن، وكانت الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها أحبهن إليه، كما كان يحب أصحابه وكان الصديق أبو بكر أحبهم إليه - رضي الله عنهم أجمعين -.

القسم الثاني: المحبة الخاصة: وهي المحبة التي لا تصلح ولا تجوز إلا للخالق جلّ في علاه، فمتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله إلا بالتوبة، وهي محبة العبودية المستلزمة للفقر والذل والخضوع وكمال الطاعة وإيثاره عزّ وجلّ على غيره. وهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً[1].

(ب) تقسيم المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها:

تنقسم المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها إلى قسمين أيضاً: نافعة محمودة، وضارة مذمومة.

القسم الأول: المحبة النافعة المحمودة: وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة وهي ثلاثة أنواع: محبة الله، ومحبة في الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله واجتناب معصيته.

فمحبة الله: تكون بحب الله تعالى حباً لا يشاركه فيه أحد ويكون تعالى هو المحبوب المراد الذي لا يحب لذاته ولا يراد لذاته إلا هو، وهو عزّ وجلّ المحبوب الأعلى الذي لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور له إلا بأن يكون عزّ وجلّ هو محبوبه ومراده وغايته مطلوبه، وتكون هذه المحبة مستلزمة لما يتبعها من عبادته تعالى وخضوعه له وتعظيمه إياه.

والمحبة في الله: تكون بأن يحب المؤمن أحباب الله من المؤمنين لا يحبهم إلا لله ويكون هواه وحبه تبعاً لحب الله ورضاه فلا يحب إلا ما يحب الله تعالى.

ومحبة ما يعين على طاعة الله، أنواع كثيرة تندرج تحتها جميع

---

(١) راجع إغاثة اللهفان لابن القيم (١٣٣/٢) وتيسير العزيز الحميد، ص٤٦٧ - ٤٦٨.

العبادات، ومن هذه المحبة النافعة محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل فإنها معينة على ما شرع الله من النكاح وملك اليمين من إعفاف الرجل نفسه وزوجته، فلا تطمح نفسه إلى سواها من الحرام، ويعفها هو أيضاً فلا تطمح نفسها إلى سواه. وكلما كانت المحبة أتم وأقوى كان المقصود أتم وأكمل. قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] وفي الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه سئل من أحب الناس إليك قال: **«عائشة»** قيل: من الرجال؟ قال: **«أبوها»** قيل: ثم من؟ قال: **«عمر»** فعد رجالاً. متفق عليه[(١)]. ولهذا كان مسروق[(٢)] رحمه الله يقول إذا حدث عنها: (حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات) وصح عنه ﷺ قوله: **«حُبِّب إليّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[(٣)]، فلا عيب على الرجل في محبته لزوجته وعشقه لها ما لم يشغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له من محبة الله ورسوله وما لم يزاحم هذا الحب حب الله تعالى ورسوله بحيث تضعفها أو تنقصها، فتصبح حينئذٍ مذمومة. وإن أعانت على محبة الله ورسوله وكانت من أسباب قوتها فهي محمودة نافعة ومطلوبة[(٤)].

القسم الثاني: المحبة المذمومة الضارة: وهي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء. وهي ثلاثة أنواع أيضاً: المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها.

---

(١) البخاري ك المغازي باب غزوة ذات السلاسل (٧٤/٨) حديث (٤٣٥٨). ومسلم ك فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر (١٨٥٦/٤) حديث (٨) والترمذي ك المناقب باب فضل عائشة (٧٠٦/٥) حديث (٣٨٨٥) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) هو الإمام القدوة العلم أبو عائشة الوادعي الهمداني الكوفي مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية، عداده من كبار التابعين ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبيّ ﷺ توفي سنة (٦٢هـ) وقيل: (٦٣هـ) وله (٦٣) ثلاث وستون سنة. انظر ترجمة السير (٦٣/٤)، وتهذيب التهذيب (١٠٩/١٠)، وطبقات الحفاظ ص١٤.

(٣) رواه النسائي ك عشرة النساء باب حب النساء (٦٢/٧) حديث (٣٩٤٠)، وأحمد (١٢٨/٣ و١٩٩).

(٤) راجع جامع الرسائل (٢٠٢/٢ ـ ٢٠٣)، وإغاثة اللهفان (١٣٦/٢ ـ ١٤٠).

فمن النوع الأول: محبة المشركين آلهتهم كحب الله.

ومن النوع الثاني: محبة الفواحش والمنكرات، والتي هي من مبغوضات الله.

ومن النوع الثالث: عشق النساء الذي يزيد عن حده، حتى يضيع للمرء الأوامر ويدخله في النواهي، قلت وفي مقدمة ذلك عشق الفاسقات الفاجرات العاهرات من المطربات والممثلات والفنانات ـ كما يسمونهن ـ وكذا محبة الولدان، كما هي حال أهل الفسوق والعصيان ـ نسأل الله السلامة ـ. فهذه ستة أنواع عليها مدار محاب الخلق، فأصل المحاب المحمودة محبة الله تعالى بل في أصل الإيمان والتوحيد والآخران تبع لها. كما أن المحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة والنوعان الآخرن تبع لها. كما وضح ذلك شيخ الإسلام(١) وابن القيم رحمهما الله(٢).

(ج) درجات المحبة النافعة:

وحيث إن موضوعنا في المحبة الخاصة المحمودة. ـ وهي محبة الله تعالى ورسوله ـ فإنه ينبغي التنبيه إلى أن هذه المحبة العظيمة درجتان كما قال ذلك شيخ الإسلام(٣) ابن تيمية رضي الله تعالى عنه(٤).

الأولى واجبة، والثانية مستحبة.

فالواجبة: وهي درجة المقتصدين، وتقتضي بأن يكون الله ورسوله

---

(١) هو شيخ الإسلام الإمام العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، بل المجتهد المطلق، كان آية في التفسير والأصول والفقه الخ. فصيح اللسان برز في جميع العلوم وجاهد المنحرفين عن الدين بقلمه ولسانه وسيفه ولد سنة (٦٦١هـ) وتوفي سنة (٧٢٨هـ). انظر ترجمة تذكرة الحفاظ (١٤٩٦/٤)، وطبقات الحفاظ ص٥١٦، والبداية والنهاية (١٦٣/١٤)، والنجوم الزاهرة (٢٧١/٩).

(٢) راجع جامع الرسائل لشيخ الإسلام (٢٠٢/٢، ٢٠٣)، وإغاثة اللهفان (١٤٠/٢ ـ ١٤١).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) انظر جامع الرسائل (٢٧٧/٢ ـ ٢٧٨).

أحب إلى المرء مما سواهما بحيث لا يحب شيئاً يبغضه الله ورسوله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ...﴾ [المجادلة: ٢٢] وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه تعالى وبغض جميع ما حرمه عزّ وجلّ.

إذ إن هذا واجب فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى الله عنها ورسوله. وذلك مستلزم لبغضها التام. فيجب على كل مسلم ومسلمة محبة ما أحبه الله ورسوله وبغض ما أبغضه الله ورسوله قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الرعد: ٣٦].

أما المحبة المستحبة: وهي محبة السابقين، فهي أن يحب المرء ما أحبه الله تعالى من النوافل والفضائل محبة تامة. وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه.

فكمال الدين إذاً هو أداء الواجبات وترك المحرمات، والفعل والترك أصلهما الحب والبغض، فإذا ترك مأموراً أو فعل محظوراً فإنما هو لنقصان إيمانه وحب ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله.

ومما ينبغي أن يعلم أن المحبوبات على قسمين ـ كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمه الله(١) ـ قسم يحب لذاته ولنفسه، وقسم يحب لغيره. إذ لا بدّ من محبوب يحب لنفسه، ولم يشرع شيء يحب لذاته إلا الله عزّ وجلّ، وكذا

---

(١) انظر جامع الرسائل (٢/٢٨٧).

التعظيم لذاته ولغيره، فتارة يعظم الشيء لذاته وتارة لغيره وليس هناك شيء يستحق التعظيم لذاته إلا الله تعالى وحده. وكل ما أمر الله تعالى أن يحب ويعظم فإنما محبته وتعظيمه عبادة لله، فالله هو المحبوب المعظم في المحبة والتعظيم المقصود المستقر الذي إليه المنتهى. وأما ما سوى ذلك فيحب لأجل الله ـ أي لأجل محبة العبد لله ـ يحب ما أحبه الله. لأن من تمام محبة الشيء وشروطه إذ يحب محبوب المحبوب ويبغض بغيضه يشهد لذلك قول الرسول ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»(١).

وفي السنن عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»(٢). فمن أحب شيئاً لذاته أو عظمه لذاته غير الله فقد أشرك به سبحانه وإن أحبه ليتوصل به إلى محبوب آخر وتعظيم آخر سوى الله فهو من فروع هذا، لأنه سبحانه وتعالى لم يشرع أن يعبد الإنسان شيئاً من دونه أو يتخذ إلهاً يتوصل بعبادته إليه قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١]. فالحب التام منا مستلزم للإرادة التامة الموجبة للفعل مع القدرة. والبغض التام منا مستلزم للكراهة التامة المانعة للقدرة. فإذا كان العبد قادراً على محبات الحق ولا يفعلها فلضعف محبتها في قلبه، أو وجود ما يعارض الحق، مثل محبته لأهله وماله.. الخ. فإن ذلك قد يمنعه من فعل محبوب الحق. فنسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا إنه سميع مجيب.

---

(١) رواه أحمد مع اختلاف في بعض الألفاظ (٢٨٦/٤) عن البراء بن عازب وحسن الحديث الألباني في صحيح الجامع (١٨١/٢) حديث (٢٠٠٥).

(٢) رواه أبو داود ك السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٦٠/٥) حديث (٤٦٨١) والترمذي ك صفة يوم القيامة باب منه (٦٧٠/٤) حديث (٢٥٢١) وزاد (وأنكح لله) وقال هذا حديث حسن، وأحمد (٤٣٨/٣ و٤٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٩/٥) حديث (٥٨٤١).

الفصـــل الثانـــي

مفهوم محبة الله ورسوله
في الكتاب والسنّة وعند السلف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم محبة الله ورسوله في الكتاب والسنّة.

(أ) مفهوم محبة الله.

(ب) مفهوم محبة النبيّ ﷺ.

المبحث الثاني: محبة الله ورسوله كما فهمها السلف ـ أهل السنّة والجماعة ـ وكما ضل فيها الخلف ـ أهل البدعة والمعصية ـ.

(أ) أهل الإفراط.

(ب) أهل التفريط.

(ج) أهل الحق الذين توسطوا بين الإفراط والتفريط.

المبحث الأول

مفهوم محبة الله ورسوله في الكتاب والسنّة

(أ) **مفهوم محبة الله تعالى:** إن محبة الله عزّ وجلّ ورسوله ـ كما هو معلوم ـ من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله ومن أوجب العبادات المناطة بالقلب لأنه لا بدّ في إيمان القلب من حب الله ورسوله ﷺ بل وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**» متفق عليه[(1)].

ومعنى الحديث ظاهر في أن من لم يتصف بهذه الصفات الطيبة والتي أولها وأهمها محبة الله ورسوله فوق كل شيء لا يجد حلاوة الإيمان. ذلك لأن جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة والتي أصلها محبة الله عزّ وجلّ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[(2)].

(1) البخاري ك الإيمان باب حلاوة الإيمان (٦٠/١) حديث (١٦) وباب من كره أن يعود في الكفر (٧٢/٢) حديث (٢١) ومسلم ك الإيمان باب خصال الإيمان (٦٦/١) حديث (٦٧).

(2) مجموع الفتاوى (٤٨/١٠ ـ ٤٩).

غير أن هذه المحبة ـ محبة الله تعالى ـ ليست مجرد أماني وأحلام أو دعوى تنال بالكلام.. بل حقيقتها ومفهومها إخلاص العبادة له عزّ وجلّ وإفراده بها وحده لأنه لا يستحقها أحد سواه.

وعبادته عزّ وجلّ إنما تكون بغاية الحب مع غاية الذل له، فكل عبادة هي محبوبه له ومرضية له، فمن أشرك فيها أحداً غيره فقد اتخذه معه شريكاً ونداً ووقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله أبداً إلا بالتوبة.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] ولذلك أخبر عزّ وجلّ عن المشركين أنهم اتخذوا أندادهم شركاء مع الله لكونهم أحبوهم كحب الله خالقهم ورازقهم ومربيهم وأخبر أن المؤمنين أشد حباً لله من هؤلاء لله ولأندادهم لأنهم عرفوا ربهم فأمنوا به وعلموا ما يجب له عليهم. قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] فيجب أن يقدم حب الله ورسوله ﷺ على محبة كل شيء مهما كان.

وقد توعد عزّ وجلّ في كتابه العزيز من يقدم شيئاً أو أحداً على محبته وطاعته ومحبة رسوله ﷺ وطاعته والجهاد في سبيل الله وحكم عليه بالفسق والخروج عن الصراط السوي فقال: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة: ٢٤].

ومحبة الله عزّ وجلّ تعني أيضاً الإيمان به سبحانه وتعالى ووصفه بصفات الكمال والجلال والعظمة وتنزيهه عن كل نقص وهي تقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والطاعة له والانقياد لشرعه ظاهراً وباطناً وتقتضي أيضاً الإيمان والاقتداء برسوله الكريم محمد ﷺ وطاعته واتباعه، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١] وقد زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية كما قال بعض السلف[(١)].

وإنما كانت محبة النبيّ ﷺ واتباعه شرطاً ومقتضى من مقتضيات محبة الله عزّ وجلّ لأنه عليه الصلاة والسلام هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله عزّ وجلّ فما من شيء يحبه الله إلا والرسول يدعو إليه، وما من شيء يدعو إليه ﷺ إلا والله يحبه، فصار محبوب الرب سبحانه ومدعو الرسول ﷺ متلازمين بل هذا هو هذا في ذاته وإن تنوعت الصفات، فكل من ادعى محبة الله ولم يتبع رسوله وخليله محمداً ﷺ فقد كذب، وليست محبته لله وحده، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول ﷺ، فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين. وهكذا أهل البدع والأهواء، فمن قال إنه من المريدين المحبين له وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة. فإن البدع التي ليست مشروعة ـ بل مذمومة ـ وليست مما دعا إليه الرسول ﷺ لا يحبها الله فإنه ﷺ دعا إلى كل ما يحبه فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر[(٢)].

ومحبة الله تعالى تعني وتقتضي أيضاً موالاة أوليائه المؤمنين ومحبتهم ونصرهم والذلة لهم وخفض الجانب، كما تقتضي المعاداة والبراءة من أعدائه الكافرين والمشركين وبغضهم ومحاربتهم وجهادهم، والعزة عليهم قال سبحانه وتعالى في وصف المؤمنين الذين يحبهم ويحبونه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٨/٣١٥) وتفسير ابن كثير (١/٣٥٨).

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٨/٣٦٠ ـ ٣٦١).

وقال سبحانه وتعالى آمراً المؤمنين بالاقتداء بخليه إبراهيم والذين آمنوا معه الذين تبرأوا من قومهم المشركين ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] وهكذا يجب على كل مسلم أن يتبرأ من المشركين والكفرة ولو كانوا أقرب المقربين إليه. قال سبحانه مادحاً عبادة المؤمنين الذي حققوا هذه المتطلبات ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] فيا لها من صفات عظيمة هذه التي تحلّى بها هؤلاء المؤمنون فنالوا بها الإيمان والتأييد ورضي رب العالمين والموفق من وفقه الله.

ومحبة الله تعالى تقتضي كذلك محبة ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله من الأعيان والخصال لأن من شرط المحبة أن تحب ما يحب حبيبك وتبغض ما يبغض، فكل ما أمرنا الله به ورسوله فهو محبوب له سبحانه فيجب العمل به ومحبته وكل ما نهانا الله عنه ورسوله فهو مبغوض له، فيجب بغضه والانتهاء عنه. ومن أهم ما يدخل في ذلك الحب في الله والبغض في الله وهو أوثق عرى الإيمان كما جاء في الحديث قال ﷺ: **«أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله»**(١) وقال ﷺ: **«من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الإيمان»**(٢).

(ب) مفهوم محبة النبيّ ﷺ: تقدم معنا أن محبة الله ورسوله ﷺ من أوجب الواجبات على العبد ومن أعظم وأكبر أصول الإيمان ومن العبادات المناطة بالقلب.

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٦٩/١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٣/٢) حديث (٢٥٣٦).

(٢) أبو داود ك السنّة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٦٠/٥) حديث (٤٦٨١) والترمذي ك صفة يوم القيامة باب ٦٠ حديث (٢٥٢١) وقال حديث حسن، وأحمد (٤٣٨/٣) وهو صحيح كما قال الألباني صحيح الجامع (٢٢٩/٥) حديث (٥٨٤١).

ومحبته عليه الصلاة والسلام من أهم وأول الحقوق له على أمته، وهذه المحبة الواجبة له - بأبي هو وأمي - إنما هي من محبة الله عزّ وجلّ فهي حب لله وفي الله، ذلك لأن محبته عزّ وجلّ توجب وتقتضي - كما أسلفت - محبة ما يحبه الله. والله يحب رسوله وخليله ﷺ فوجب بذلك محبته، والأدلة على وجوب المحبة كثيرة جداً سيأتي بعض منها في الباب الثاني إن شاء الله، فمحبته عليه الصلاة والسلام متفرعة عن محبة الله وتابعة لها واقتران ذكرها مع محبة الله تعالى في الكتاب والسنّة إنما يدل على عظم منزلتها عند الله وعلى أهميتها في العقيدة الإسلامية.

والمفهوم الصحيح لمحبته ﷺ يقتضي الإيمان به وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وتقديم محبته على النفس والولد والأهل والمال والناس أجمعين قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١) متفق عليه.

كما تقتضي محبته ﷺ وجوب موافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض والعمل بالجوارح بمقتضى هذا الحب والبغض ووجوب محبته والاقتداء به وتجريد المتابعة له عليه الصلاة والسلام وعدم تقديم قول أحد ومذهبه كائناً من كان على سنته قال الله جلّ في علاه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] وهذه الآية كما يقول الإمام ابن كثير رحمه الله(٢) (حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبويّ في جميع أقواله وأفعاله ولهذا قال

---

(١) البخاري ك الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (٥٨/١) حديث (١٥) ومسلم ك الإيمان باب وجوب محبة الرسول أكثر من الأهل (٦٧/١) حديث (٧٠).

(٢) هو الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، القيسي البصري الدمشقي، حافظ مؤرخ فقيه صاحب كتاب تفسير القرآن العظيم الذي لم يؤلف على نمطه مثله، ولد سنة (٧٠٠هـ) وتوفي سنة (٧٧٤هـ). انظر ترجمته طبقات الحفاظ ص٥٢٩، وذيل تذكرة الحفاظ ص٥٧ و٣٦١، وشذرات الذهب (٢٣١/٦).

تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء ليس الشأن أن تُحِبَّ إنما الشأن أن تُحَبَّ)[1] كما تقتضي محبته ﷺ وجوب التحاكم إلى شريعته في كل الأمور والرضا بحكم الله ورسوله لأن عدم الرضا بذلك دليل النفاق ـ والعياذ بالله ـ قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥] فقد أقسم سبحانه وتعالى بنفسه المقدسة الكريمة ـ وهو أصدق القائلين ـ أنه لا يؤمن الخلق حتى يحكموه ﷺ فيما يختلفون فيه وحتى يرضوا بحكمه بينهم دون أدنى حرج أو ضيق ويسلموا له تسليماً. وهذه الآية تفضح كل من يدّعي الإيمان ومحبة الله ورسوله ولا يسلم لله ولرسوله. كما تقتضي محبته ﷺ توقيره وتعزيزه ﷺ واحترامه حياً وميتاً وعدم الغلو فيه وعدم الانتقاص من حقه وعدم الخلط بين ماله بما لله سبحانه وتعالى من حقوق وصفات، كما أن من شروط محبته ومستلزماتها محبة زوجاته الطاهرات الكريمات أمهات المؤمنين وتوقيرهن ومحبة أصحابه الأخيار رضي الله عنهم أجمعين وعدم ذكرهم إلا بالخير والترضي عليهم والبعد عن إيذائهم بأي شكل من الأشكال ذلك لأن محبتهم من محبته ﷺ وبغضهم من بغضه.

هذا باختصار المفهوم الصحيح لمحبته ﷺ وسيأتي تفضيل لذلك في الباب الثاني.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٣٨٥).

مَحبَّةُ اللهِ وَرَسُولِه

المبحـــث الثانـــي

محبة الله ورسوله كما فهمها السلف
ـ أهل السنّة والجماعة ـ

وكما ضل فيها الخلف ـ أهل البدعة والمعصية ـ

يحسن بي أن أنبّه ـ بعد تبييني للمفهوم الصحيح لمحبة الله ورسوله ﷺ ـ على اختلاف الناس في فهمهم وتطبيقهم لهذه المحبة العظيمة، بأنهم قد اختلفوا وانقسموا في فهمهم وتطبيقهم لهذه المحبة العظيمة، بأنهم قد اختلفوا وانقسموا في فهمهم لها إلى ثلاثة أقسام، قسمان ضلا فيها وهم أهل الإفراط وأهل التفريط، والقسم الثالث أصاب ووفقه الله لذلك وهم الذين توسطوا بين الإفراط والتفريط.

(أ) **فالقسم الأول: أهل الإفراط ـ أو الغلو** ـ وهم الصوفية ومن شاكلهم فقد ظنوا أن محبة الله ورسوله تكون بالغلو في الدين والبعد عن التمتع بما أباح الله وأهل من الطيبات وبشرع أو ابتداع أمور لم يشرعها الله ورسوله من الأذكار والأوراد والأفعال والصفات التي توصل بزعمهم إلى الفوز الأكبر ورضا الله ومحبته ومحبة رسوله ﷺ. فلم يحققوا شروط ومستلزمات محبة الله ورسوله من تحقيق العبودية لله وحده وإخلاص الدين له والمتابعة لرسوله ﷺ وموالاة أولياء الله المؤمنين ومعاداة أعدائه ومحاربتهم إلى آخر ما هناك مما سبق ذكره بل على العكس، فقد وقعوا في خلاف ذلك من المحاذير والمنهيات والموبقات، كوقوعهم في الشرك الأكبر

حيث صرفوا بعض أنواع العبادة لغير الله كدعائهم رسول الله ﷺ أو أحد أوليائهم أو مشايخهم والاستغاثة بهم وطلب العون والمدد منهم فيما لا يقدر عليه إلا الله، وكطوافهم بقبر رسول الله ﷺ أو غيره من محبيهم إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تجوز أن تصرف إلا لله وحده. ومن تلك البدع والمنهيات أيضاً مبالغتهم وغلوّهم في مدحه ﷺ ووصفه بأمور لا يجوز أن يوصف بها إلا الباري جلت قدرته، كقول بعضهم مخاطباً رسول الله ﷺ:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلّة القدم

وقوله أيضاً:

فإن من جُودك الدنيا وضرّتها وإن من علومك علم اللوح والقلم[1]

فيا سبحان الله أليس لهذا القائل يوم القيامة إلا رسول الله يطلب منه ويحميه من هول ذلك اليوم؟ إذاً فأين أرحم الراحمين الذي هو أرحم بنا من أنفسنا ولا ينفع عنده مال ولا بنون إلا من أتاه بقلب سليم، ثم إذا كانت الدنيا والآخرة من جود رسول الله ﷺ وإذا كان علم اللوح والقلم من بعض علومه لأن (من) للتبعيض فماذا بقي للخالق جلت قدرته سبحانه وتعالى؟

إن هذا لهو الضلال والغلو برسول الله والذي هو عند هؤلاء علامة وعنوان المحبة لرسول الله ﷺ. ولم يقتصر الأمر على هذا بل زادوا ـ أو بعضهم ـ على الوقوع بالشرك والغلو فيه ﷺ، الابتداع في الدين وجعلوه أحب إلى الله بزعمهم من بعض الواجبات أو المستحبات وفي مقدمة ذلك استحبابهم أو إيجابهم الاحتفال بمولده والفرح به والدعوة إليه وقد حاربوا كل من يخالفهم فيه واتهموه بالعظائم وبالكره لرسول الله ﷺ وألّفوا في هذه الكتب والرسائل الكثيرة، بل أصبح مجرد الاحتفال بمولده ﷺ والإكثار من

(١) ديوان البوصيري، ص٢٣٨.

مدحه بالقصائد والأشعار المقترنة بالغلو والإطراء الزائد الذي حذر منه ﷺ في قوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»(١)(٢) أصبح هو غاية القوم وحظ أكثر أصحاب هذا القسم مع وقوعهم في الضلال وعصيانهم له في كثير من أمره ونهيه فهل هكذا تكون المحبة الصحيحة لله ورسوله؟ لا وكلا.

إن محبة الله ورسوله ﷺ لا ولن تكون بمخالفة شرع الله والابتداع في دينه ولا بتحريم ما أحلّ وتحليل ما حرم ولا ببغض الموحدين وحب المبتدعين والضالين ـ كما هي حال هؤلاء القوم الذين يظنون مع وقوعهم في هذه المخالفات كلها ـ، أنهم قد فازوا بالمحبة العظمى ووصلوا إلى ما لم يصل إليه غيرهم من المؤمنين والموحدين.. بل المحبة الصادقة لله ولرسوله ﷺ تكون بتوحيد الله وحده والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبالموالاة للمؤمنين والبغض والمعاداة للكافرين كما قررناه ونقرّه فيما بعد إن شاء الله. هذا وسنفصل القول على المحبة الكاذبة عند هذا القسم ـ أهل الإفراط من الصوفية ـ في الباب الرابع بإذن الله.

(ب) **أما القسم الثاني:** من الناس الذين ضلوا في فهمهم لمحبة الله ورسوله **فهم أهل التفريط أو أهل التقصير** الذين فرّطوا في جنب الله وقصروا في تحقيق العبودية لله تعالى والمتابعة لرسول الله ﷺ فلم يراعوا حق الله ورسوله في وجوب تقديم محبتهما على محبة النفس والأهل والمال والناس أجمعين ولم يقدموا طاعتهما على ما تهواه أنفسهم وشهواتهم، كما لم يراعوا ما لرسول الله ﷺ من حقوق كتعزيره وتوقيره وإجلاله. وطاعته واتباع سنته وغير ذلك من الواجبات عليهم نحو ربهم وتجاه رسولهم ﷺ

---

(١) رواه البخاري ك الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ (٤٧٨/٦) حديث (٣٤٤٥)، وأحمد (٢٣/١ و٤٧ و٥٥).

(٢) راجع غلوّ هؤلاء القوم في رسول الله ﷺ في صفحة **٢٣٣** وما بعدها من هذا البحث ففيه الكفاية لذلك.

ولعل السبب في هذا التقصير يعود إلى أحد هذه الأمور الآتية أو لها مجتمعة.

١ - إعراض هؤلاء عن فهم الكتاب والسنّة والعمل بما فيهما من طاعة لله ولرسوله ﷺ وإتباع شرعه وذلك بسبب انغماسهم ووقوعهم فيما حرم الله عليهم ورسوله من المعاصي والمنكرات وانغماسهم في تقديم شهوات أنفسهم وأهوائهم على ما جاء به الشرع الحنيف من الأوامر والنواهي.

٢ - اعتقاد الكثير منهم أن مجرد التصديق يكفي في تحقيقه الإيمان وإن هذا هو القدر الواجب عليهم، ولذلك يكتفون بالتصديق بالله وبنبوّة رسوله ﷺ دون تحقيق ما يستلزم ذلك من تحقيق العبودية له عزّ وجلّ والمتابعة الصادقة لرسوله ﷺ وغير ذلك مما تستلزمه كلمة التوحيد. وهذا هو حال المرجئة الذين يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان ويقولون إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط أو تصديق بالقلب وإقرار باللسان.

٣ - جهل كثير منهم بأمور دينهم الضروري منها التي لا يعذر أحد بجهلها وجهلهم أيضاً بالواجبات الشرعية الكثيرة والتي أولها محبة الله ورسوله ﷺ وطاعته عزّ وجلّ وطاعة نبيّه عليه الصلاة والسلام... حتى أن كثيراً من المسلمين قد أصبحوا لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فالواجب على هؤلاء أن يعودوا إلى رشدهم وأن يقلعوا عن غيهم وضلالهم وما هم فيه من الذنوب والمعاصي والتي هي سبب في نقصان إيمانهم وضعف محبتهم لله ورسوله وبعدهم عما يقربهم إلى الله وينجيهم من عذابه.

كما يجب عليهم أن يعلموا أن الأعمال الصالحة من الإيمان وشرط من شروطه وأن مجرد التصديق لا يسمى إيماناً، كما يعتقدون بل الإيمان -

كما هو معتقد أهل السنّة والجماعة فيه ـ قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان(١).

فلا يجوز أن يخرج العمل الصالح من مسمى الإيمان. فيجب على كل مسلم طاعة الله ورسوله والاقتداء برسول الله ﷺ واتباعه، فإن اتباعه دليل على صدق الإيمان ومحبته عزّ وجلّ ومحبته ﷺ كما أن عدم اتباعه دليل على عدم أو نقص ذلك. كما يجب على كل مسلم ـ وخاصة هذا القسم من الناس الذين نتكلم عنهم ـ أن يتعلموا أمور دينهم وخاصة الضروريات والواجب منها وما يجب عليهم وما يحرم، ومن أهم ذلك علم التوحيد وما يضاده وأمور العبادة. ومنها أيضاً حقوق المصطفى ﷺ فقد ذم الله في كتابه أناساً لم يعرفوا ما لنبيّه ﷺ من الحق في خفض الصوت عنده والتأدب في مناداته ووصفهم بأنهم لا يعقلون، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات: ٤] في حين أثنى عزّ وجلّ في نفس السورة على أولئك الذين عرفوا حق الله وحق رسوله ﷺ وبشّرهم بالمغفرة والأجر العظيم.

فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: ٣] لأنه لا يستوي من علم ومن جهل، وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] وقد أمر عليه الصلاة والسلام بطلب العلم فقال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(٢). وليعلم كل مسلم أنه لا يتحقق له إيمان ومحبة لله ورسوله إلا بطاعته عزّ وجلّ وطاعة رسوله واتباعه ﷺ والسير على نهجه وتحكيمه والرضا بحكمه والتسليم له وعدم تقديم قول أحد أو مذهبه على سنته ﷺ قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص٣١٣.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٩٠/٤) عن أبي سعيد، والطبراني في الأوسط عن ابن عباس، والكبير عن ابن مسعود، وهو حديث صحيح كما قال العلامة الألباني حفظه الله، انظر صحيح الجامع (١٠/٤) حديث (٣٨٠٨).

﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] فنسأل الله الهداية للجميع وأن يأخذ بأيدينا للعمل بكتابه وسنة نبيّه وحبه وحب نبيّه ﷺ وأن يجعلنا من عباده الصالحين إنه سميع مجيب.

(ج) **أما القسم الثالث**: من أقسام الناس في المحبة فهم **الذين توسطوا بين الطرفين السابقين** أهل الإفراط وأهل التفريط، وأصحاب هذا القسم هم أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان الذين آمنوا بواجب محبة الله ورسوله حكماً وقاموا بمقتضاها ومستلزماتها اعتقاداً وقولاً وعملاً، فأحبوا الله ورسوله بكل قلوبهم وأكثر من نفوسهم وأهليهم والناس أجمعين، وبينوا أن محبته عزّ وجلّ ومحبة رسوله تستلزم إفراده بالعبودية جل في علاه فعبدوه سبحانه وحده ولم يشركوا به شيئاً ولم يعرفوا أي نوع من أنواع العبادة لغيره كما فعل أهل الإفراط الذين صرفوا بعضها لرسول الله ﷺ ولغيره من الناس، كما حذروا من الشرك وبينوا مخاطره وألغوا في ذلك الكتب والرسائل كما ألغوا في الرد على أهل الأهواء والبدع الذين لم يفهموا التوحيد جيداً ولم يحققوه وبينوا المعتقد الصحيح المستمد من الكتاب والسنّة ـ وكتبهم في هذا لا يكاد يبلغها الحصر قديماً وحديثاً ـ كردهم عى بدعة الجهمية منكري الصفات وعلى المعتزلة والرافضة والمرجئة والقدرية والأشاعرة والصوفية وغيرهم من الفرق الضالة، وقد حاربوهم بألسنتهم وأيديهم وأقلامهم وجاهدوا أعداء الله من المشركين والكافرين وأذلوهم وأهانوهم وتبرأوا منهم وأحبوا أولياء الله من المؤمنين ووالوهم وخفضوا لهم جانبهم ورحموهم كيف وقد وصف الله خيارهم من أصحاب نبيّه ﷺ بذلك فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩]. كما قاموا بمقتضى محبة رسول الله ﷺ فآمنوا به وصدقوا بما جاء به من عند الله وقاموا بحسب استطاعتهم بما يلزمهم به من طاعته والانقياد له لأن طاعته من طاعة الله كما تأسوا واقتدوا به وجردوا له المتابعة ﷺ وقاموا بما يجب عليهم نحوه

من حقوق وواجبات كتعزيزه وتوقيره واحترامه حياً وميتاً. وخاطبوه بما يليق به وتأدبوا معه في الخطاب والمعاملة ولم يقدموا على سنته قول أو مذهب أحد، لأن ذلك مما يتنافى ومحبته ويناقضها، وامتثلوا أمر بربهم أيضاً بالصلاة والسلام عليه كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. كما أحبوا أصحابه وآل بيته وأزواجه ووالوهم وترضوا عليهم وسكتوا عما شجر بينهم وحرموا الوقوع أو الطعن فيهم - كما يفعل الرافضة والخوارج - وتبرأوا ممن يعمل ذلك. ذلك لأن حبهم إيمان ومن حبه ﷺ وبغضهم كفر وفسوق وعصيان، بل ومن أبغضهم فقد أبغضه ﷺ. وبالجملة فقد قاموا بما تستلزمه محبته عزّ وجلّ ومحبته ﷺ - كما قررناه في المبحث السابق وكما سيأتي تفصيله فيما بعد -. وهم مع قيامهم بهذه الأمور إلا أنهم لم يفعلوا ما يتنافى معها أو يناقضها كارتكاب البدع وإحداثها ولم يغالوا أو يبالغوا في زعم حبه ﷺ - كما فعل أهل الإفراط - الذين وصفوه ﷺ بأمور لا تنبغي إلا لله وحده كوصفه بعلم الغيب والتصرف في الكون وكصرف بعض أمور العبادة له ﷺ كالدعاء والاستغاثة والطواف بقبره وغير ذلك كما يفعل كثير من غلاة الصوفية. بل هم مؤمنون بأن ما أكرم الله به رسوله ﷺ من النبوّة والرسالة والرفعة وعظم القدر وشرف المنزلة... الخ، كل ذلك لا يجيز أو يوجب خروجه عن بشريته ﷺ وعبوديته لله قال سبحانه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣] قال سبحانه أيضاً: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨] فكل غلوّ في حقه ﷺ ليس من محبته في شيء بل يعد مخالفة لما أمر به فيجب الابتعاد عنه والحذر من عقوبته قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] كما أن التقصير في حق الله ورسوله يعد نقصاً في الإيمان والمحبة فيجب الابتعاد عنه والتمسك بكتاب الله وسنّة رسوله لأن التمسك بهما دليل المحبة وترك ذلك دليل كذبها.

وقد يظن بعض الناس بأن السير على منهج أهل الوسط ـ أهل السنّة والجماعة ـ فيه انتقاص من قدره ﷺ وغمط لحقه ـ كما يدّعي ذلك كثير من المبتدعة الضالين ـ ولكن الأمر ولله الحمد بخلاف ذلك فالذي يعتقده أهل السنّة والجماعة هو الحق إذ الواجب أن يثني على رسول الله ﷺ بما هو أهله من الخصائص الثابتة له في الكتاب والسنّة التي خصه الله بها والفضائل التي شرفه الله بها والصفات الخلقية والخلقية التي كان عليها، وذلك لتعريف الناس بمكانته وفضله وعظيم قدره عند الله وعند خلقه حتى يتأسى ويقتدى به في جميع أفعاله وأقواله، لأنه هو الأسوة الحسنة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] ولأنه سيد المتوكلين وإمام العابدين لله عزّ وجلّ والمحبين له فمن أحبه واقتدى به واتبعه أحبه الله وصدق في حبه لله.

كما أن من صميم محبته ﷺ الاشتغال بمعرفة سيرته العطرة بقصد التأسي والاقتداء به وكذا معرفة شمائله ودلائل نبوّته التي تعمّق إيمان المسلم بصدق نبوّته وتزيد في محبته له ﷺ وتوقيره.

ولقد اهتم السلف رحمهم الله بهذه الجوانب وأولوها اهتمامهم ورعايتهم فاعتنوا بتأليف المؤلفات التي أوضحت هذه الجوانب وأبرزتها، فقد ألفت لهذا الغرض كتب الشمائل التي عنيت بذكر صفاته ﷺ وأحواله في عبادته وهديه ومعاملاته من تلك الكتب كتاب الشمائل النبويّة للإمام الترمذي، وكتاب الشمائل للإمام ابن كثير، وغيرهما، كما ألفت كتب دلائل النبوّة التي عنيت بدلائل نبوّته وعلاماتها ككتاب دلائل النبوّة للإمام أبي نعيم الأصبهاني ودلائل النبوّة للبيهقي وغيرهما وبالإضافة إلى كتب الشمائل ودلائل النبوّة فقد اهتم أهل السنّة والجماعة بسنته المطهرة ﷺ والتي هي الأصل في كل هذه الأمور فدونوا سنته في كتب السنّة الكثيرة كما دونوا سيرته الشريفة التي اعتنت بحياته منذ ولادته إلى حين وفاته والتي فيها الهدى والقدوة لكل من أراد الحق ونجاة نفسه والاقتداء بإمام المجاهدين وعبد الله ورسوله ﷺ.

وبهذا يعلم أن أهل السنّة والجماعة ـ أهل التوسط ـ لم ينتقصوا حقه ﷺ ولم يغالوا فيه فكانوا بحق الفرقة الناجية فمن أراد نجاة نفسه فعليه بأن يعتقد معتقدهم ويسير على منهجهم المستمد من هدى الكتاب والسنّة لأنه لا فلاح ولا فوز إلا بذلك.

الفصل الثالث

منزلة ومكانة محبة الله ورسوله ﷺ في الإسلام

الفصــل الثالــث
منزلة ومكانة محبة الله ورسوله من توحيد العبادة

إن لمحبة الله ورسوله ﷺ مكانة عظيمة لا يدانيها غيرها من قواعد الدين وفروعه ـ كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1] ـ إذ هي أصل الأعمال الدينية كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله فالتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان، وهو قول وعمل، لأن الحب أصل كل عمل من حق وباطل وأصل الأعمال جميعها دينية كانت أو دنيوية. وقوة المحبة لكل محبوب يتفاوت فيها الناس تفاوتاً عظيماً، بل وقد يتفاوت حال الشخص الواحد في محبته الشيء الواحد بحيث يقوى الحب تارة ويضعف تارة. بل قد يتبدل أقوى الحب بأقوى البغض وبالعكس ا.هـ.

وقد تشرف المؤمنون الموحدون بأن كان حبهم لربهم عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ أعظم المحبات قال في مدحهم وذاماً لمن يناقضهم في ذلك من المشركين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وكذلك كانت محبة الله عزّ وجلّ لهم عظيمة جداً إذ ليس الشأن أو الغاية أو يحب المؤمن ربه فقط، بل

(١) جامع الرسائل (٢/٢٨٨ ـ ٢٩٠).

الشأن والغاية أن يحبه ربه تعالى أيضاً، وهذا يحصل للعبد بحبه لربه ولرسوله ﷺ أكثر من النفس والمال والأهل والناس أجمعين وبطاعته تعالى وطاعة رسوله وإخلاص العبادة له عزّ وجلّ وتجريد المتابعة والقدوة لرسوله ﷺ والموالاة للموحدين المؤمنين والبراءة من المشركين والكافرين وجهادهم بالمال والنفس، وبالتقرب أيضاً إلى الله تعالى بالطاعة من النوافل والمستحبات بعد أداء الواجبات لما روى البخاري[1] رحمه الله في صحيحه بسنده عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: «**من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه... الخ**»[2].

وإنما نال المؤمن هذه المنقبة العظيمة ألا وهي ولاية الله ومحبته عزّ وجلّ بكمال توحيده له عزّ وجلّ وتقربه إليه بالطاعة وبالنوافل بعد الواجبات حتى صار مؤيداً من قبل الله عزّ وجلّ ومسدداً في أعماله كلها فلا يفعل إلا الخير والطاعة لأنه ولي الله المحبوب الموفق الذي لا يعمل إلا ما يرضي ربه عزّ وجلّ، وليس المراد من الحديث السابق أن الله عزّ وجلّ يحل في العبد أو يتحد به حتى يصير نفسه وسمعه الخ ـ كما يعتقد الضالون المضلون من أهل الحلول والاتحاد قبّحهم الله ـ وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، لأنه عزّ وجلّ فوق سمواته، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وإنما المعنى المراد من

---

(١) هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم البخاري صاحب التصانيف والتي أشهرها (الصحيح) الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ولد سنة (١٩٤هـ) وتوفي سنة (١٥٦هـ). انظر ترجمته تذكرة الحفاظ (٥٥٥/٢) والسير (٢٩١/١٢)، وتهذيب التهذيب (٤٧/٩).

(٢) البخاري ك الرقائق باب التواضع (٣٤١/١١) حديث (٦٥٠٢) وأحمد في مسنده (٢٥٦/٦) (ط الحلبي).

الحديث الجليل كما يقول العلامة ابن رجب رحمه الله[1]: (أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب وصارت النفس حينئذٍ مطمئنة بإرادة مولاها عن مرادها وهواها، يا هذا!! أعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه، فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف إن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يرد صاحبها إلا ما يريد مولاه، وفي بعض الكتب السالفة من أحب الله لم يكن شيء عنده أثر من رضاه، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده أثر من هوى نفسه)[2].

فيا لها من نعمة ـ أعني رضا الله ومحبته للعبد ـ يجدر بنا التنافس للوصول إليها بالليل والنهار.

وقد أجاد الإمام الكبير ابن القيم رحمه الله في وصف منزلة ومكانة محبة الله عزّ وجلّ حيث يقول بما نصه (إنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها فهو معبودها ووليها وربها ومدبرها ورازقها، فمحبته نعيم النفوس وحياة الأرواح وسرور النفوس وقوت القلوب ونور العقول وقرة العيون)[3] وبيّن رحمه الله أنها من (منازل إياك نعبد وإياك نستعين) فقال: (وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروّح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظهر

---

(١) هو الإمام العالم العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي أبو الفرج زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، من كتبه شرح جامع الترمذي وجامع العلوم والحكم ولد سنة (٧٠٢هـ) ببغداد وتوفي بدمشق سنة (٧٩٥هـ). انظر ترجمته شذرات الذهب (٦/٣٣٩).

(٢) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ص٣٥.

(٣) مدارج السالكين (٣/٦ ـ ٩).

بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال، والتي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً واصليها، وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائماً إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله ـ يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ـ أن المرء مع من أحب، فيا لها من نعمته على المحبين سابغة)(١). وأضاف رحمه الله في وصف خيرها ومنزلتها فقال: (إذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب ﷺ أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى لا يزال سعي المحب صاعداً إلى حبيبه لا يحجبه دونه شيء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٢) [فاطر: ١٠].

ولا عجب في رفعة منزلتها إلى هذا القدر إذا كان الله عزّ وجلّ إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لآمره، وهل أصل العبادة إلا محبته تعالى وإفراده بالعبادة المتضمنة للمحبة بأن يكون الحب كله له عزّ وجلّ فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياؤه ورسله وملائكته وأولياؤه فمحبتنا لهم من تمام محبته ومن مستلزماتها وليست معه محبة كمحبة المشركين الذين يتخذون من دونه عزّ وجلّ أنداداً يحبونهم كحبه. ولا تتحقق هذه المحبة له عزّ وجلّ ـ والتي هي حقيقة عبوديته وسرها ـ إلا باتباع أمره واجتناب نهيه لأنه لا تتبين حقيقة العبودية والمحبة إلا باتباع الأوامر واجتناب النواهي، ولهذا جعل عزّ وجلّ اتباع رسوله ﷺ علماً عليها وشاهداً لمن ادعاها قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ

(١) المرجع السابق وطريق الهجرتين، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.
(٢) مدراج السالكين (٩/٣).

﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] فجعل تعالى اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله وشرطاً لمحبة الله لهم. ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة، فعلم أن متابعته ﷺ هي حب الله ورسوله وطاعة أمره ولا يكفي ذلك في تحقيق العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»**(١) متفق عليه.

وقال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»**(٢) متفق عليه، فأي سمو فوق هذا السمو وأي فضل فوق هذا الفضل لهذه المحبة العظيمة!؟ من هنا ندرك سر تعليمه ﷺ لأمته دعاء الله عزّ وجلّ بأن يرزقه هذه المحبة كما روى ذلك الترمذي(٣) رحمه الله أن رسول الله ﷺ كأن يدعو فيقول: **«اللّهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك، اللّهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللّهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب»**(٤). وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ **«كان من دعاء داود يقول: اللّهم أني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللّهم اجعل حبك أحب إليّ من**

---

(١) البخاري ك الإيمان باب حب الرسول من الإيمان (١/٥٨) حديث (١٥)، ومسلم ك الإيمان باب وجوب محبة الرسول (١/٦٧) حديث (٦٩ ـ ٧٠).

(٢) البخاري ك الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١/٦٠) حديث (١٦) ومسلم ك الإيمان، باب خصال الإيمان (١/٦٦) حديث (٦٧ ـ ٦٨).

(٣) هو الحافظ العلم الإمام البارع محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الضرير مصنف (الجامع) وكتاب العلل ولد في حدود سنة (٢١٠هـ) وتوفي سنة (٢٧٩هـ) بترمذ. انظر ترجمة السير (١٣/٢٧٠) تذكرة الحفاظ (٢/٦٣٣)، وتهذيب التهذيب (٩/٣٨٧)، وطبقات الحفاظ، ص٢٧٨.

(٤) الترمذي ك الدعوات (٥/٥٢٣) حديث (٣٤٩١) وقال حديث حسن غريب.

نفسي وأهلي ومن الماء البارد» قال: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يحدث عنه قال: **«كان أعبد البشر»** رواه الترمذي[١].

إذ أي قيمة للعبد إذا لم يكن قلبه ممتلأً بحب ربه عزّ وجلّ؟ الذي خلقه ورزقه وجعله في أكمل صورة وكرمه على العالمين، لا إله إلا هو سبحانه وتعالى صاحب الجود والفضل واللطف والرحمة وواهب النعم التي لا تحصى، أفلا يستحق سبحانه أن يحب لذاته وأن يعبد فلا يعصى وأن يشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى؟! وأن يكون عمل الإنسان وطاعته لله عزّ وجلّ خالصة لوجهه الكريم ونابعة من صميم قلبه الممتلىء حباً له عزّ وجلّ وعلى وفق سنّة نبيّه ﷺ الذي جعله الله تعالى نوراً وهدى وطريقاً إلى محبته وجنته ورضوانه؟!.

نسأل الله الكريم أن يأخذ بنواصينا لما فيه رضاه، وأن يملأ قلوبنا بمحبته ومحبة رسوله ﷺ، وأن يجعلنا ممن يحبهم ويحبونه، أولئك الذين اهتدوا وأولئك هم الفائزون.

---

(١) الترمذي ك الدعوات (٥/٥٢٢) حديث (٣٤٩٠) وقال حديث حسن.

الفصـــل الرابـــع

الخصال والأعمال والأعيان
التي يحبها الله ورسوله

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخصال والأعمال والأعيان التي يحبها الله.

(أ) الخصال والأعمال التي يحبها الله.

(ب) الأعيان والذوات التي يحبها الله.

المبحث الثاني: الخصال والأعمال والأعيان التي يحبها رسول الله ﷺ

(أ) الخصال والأعمال التي يحبها رسول الله.

(ب) الأعيان والذوات التي يحبها رسول الله.

تمهيد

أرى من الضروري للغاية ـ بعد أن وضحت المفهوم الصحيح لمحبة الله ورسوله ـ أن أذكر الأعيان والأعمال والخصال التي يحبها الله ورسوله، وذلك لما يترتب على معرفتها من أهمية بالغة على المسلم. لأنه كما هو معروف يجب في صدق المحبة للحبيب أن يحب المرء ما يحب حبيبه من الأعيان والصفات والأعمال فيحبها ويحب ويوالي محبوب الحبيب ويعمل ويتخلق بما يرضاه حبيبه من الأمور حتى يكون حبه صادقاً له فيرضى عنه...

وإذا كان هذا الأمر مطلوباً ولازماً في حب البشر ـ أو الخلق ـ بعضهم بعضاً فهو أشد لزوماً وأوجب ديناً مع قيوم السموات والأرض واهب النعم والآلاء والمتفضل على عباده بالإيمان والرزق والخير والإحسان لا إله إلا هو جل في علاه. وألزم أيضاً مع رسوله الكريم وخليله المصطفى ﷺ الرحمة المهداة والنور المبين الذي رحم الله به عباده وأنقذهم بإرساله إليهم من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان... وأنه لا يمكن أن يطبق المؤمن هذا أو يعمل به حتى يعلم ما يحبه الله ورسوله إذ كيف يعمل بما لا يعلم أو بما لا يعرف من هذه الأمور؟!.

ولقد مَنّ الله علينا فبين لنا ما يحب سبحانه في كتابه العزيز، كما بيّن لنا رسوله الكريم ﷺ ما يحب الله وما يحب هو ـ فداه آباؤنا وأمهاتنا ـ في سنته المطهرة.

وقبل أن أذكر هذه المحبوبات لله ورسوله أحب أن أشير إلى أنه يجب على المؤمن أن يثبت ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله الله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت في نصوص الكتاب والسنّة على ظاهرها المراد منها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل كما بين ذلك أهل الحق وهم أهل السنّة والجماعة ـ من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ـ وكما هو مذكور في كتبهم وكما سنبينه بشيء من التفصيل في الباب الثاني إن شاء الله وإن صفة المحبة لله عزّ وجلّ من جملة هذه الصفات الكريمة التي يجب على كل مؤمن أن يثبتها للباري جلت قدرته على المعنى اللائق به سبحانه وتعالى من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف لها كما يفعل ذلك كثير ممن ينتسب إلى الإسلام. وصفة المحبة لله عزّ وجلّ من الصفات الذاتية العظيمة التي اتصف الله بها جلّ في علاه، والتي وفق الله أهل السنّة والجماعة لإثباتها له كما أثبتوا جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنّة. وما ذلك إلا بسبب حب الله لهم وتوفيقه إياهم، فنخشى أن يحرم منها من أوّلها أو عطّلها أو حرّف معناها فلم يثبتها للباري جلت قدرته، ونحمده على توفيقه إيانا إلى الحق ونسأله الهداية للجميع.

هذا وسأذكر ما ييسر الله لي من الأمور والأعيان المحبوبة لله ولرسوله في الكتاب والسنّة مستعيناً بالله ثم بما وجدته في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ الشريف بالإضافة إلى كتب السنّة التي ذكرت هذه المحبوبات سائلاً المولى جلّ في علاه أن يتفضل علينا بحبه لنا وأن يوفقنا للعمل بما يحبه ورسوله وأن يرزقنا حب من يحبه ورسوله، إنه سميع مجيب.

المبحـــث الأول

الخصال والأعمال التي يحبها الله عزّ وجلّ

(أ) الخصال والأعمال التي يحبها الله تعالى: هناك أمور وخصال كثيرة جداً يحبها الله تعالى، وقد بينها رسول الله ﷺ في سنته المطهرة، ومن المعلوم أن الله عزّ وجلّ يحب كل خير وكل طاعة وعبادة فما من شيء أمرنا به أو رغبنا فيه إلا وهو محبوب لديه، وما من شيء نهانا عنه أو كرهه لنا ولم يرضه إلا وكان مبغوضاً لديه وغير محبوب. وأحب أن أذكر الأمور والخصال التي يحبها الله مما جاءت به النصوص الشريفة هنا على وجه التفصيل ليعلمها المؤمن الراجي محبة الله ورسوله فيعمل بها ويتخلق بخصالها لينالها ويكون من أهل السعادة في الدنيا والآخرة. وهاكم هذه الأمور والخصال:

(١) الحنيفية السمحة: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأديان إلى الله تعالى الحنيفية السمحة**» رواه البخاري تعليقاً وأحمد وغيره[١]. ومعنى (الأديان): الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتنسخ و(الحنيفية) ملة إبراهيم عليه السلام، والحنيف من كان على ملة إبراهيم وسمي الخليل عليه السلام حنيفاً لميله عن الباطل إلى الحق لأن أصل الحنف الميل، و(السمحة) السهلة أي

---

(١) البخاري ك الإيمان باب الدين يسر وقول النبيّ ﷺ أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة فتح (٩٣/١)، وأحمد (٢٣٦/١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦/١) (ح١٥٨).

أنها مبنية على السهولة لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1] [الحج: ٧٨].

(٢) **الرفق**: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله**» فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «**قد قلت وعليكم**» متفق عليه[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**» رواه مسلم[3].

والرفق بكسر الراء وسكون الفاء هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف[4].

(٣) **الحياء والستر**: عن يعلى بن أمية[5] رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز[6] فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**إن الله عزّ وجلّ حليم حييّ ستير يحب الحياء والستر فإذا**

---

(١) فتح الباري (٩٤/١).
(٢) البخاري ك الأدب باب الرفق في الأمر كله (٤٤٩/١٠) حديث (٦٠٢٤) ومسلم ك السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام (١٧٠٦/٤) حديث (١٠) والترمذي ك الاستئذان باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة (٦٠/٥) حديث (٢٧٠١).
(٣) مسلم ك البر والصلة، باب فضل الرفق (٢٠٠٤/٤) حديث (٧٧).
(٤) المعجم الوسيط (٣٦٢/١) وفتح الباري (٤٤٩/١٠).
(٥) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة واسمه عبيد ويقال زيد بن همام بن الحارث المكي الثقفي أحد بني حنظلة أمه منية وهو الذي يقال له يعلى بن منية وفاته رضي الله عنه بعد صفين انظر ترجمته مشاهير علماء الأنصار ص٣٤، وتهذيب التهذيب (٣٩٩/١١).
(٦) البراز هو اسم للفضاء الواسع الذي لا جدران عليه ولا حوائش أو أستار المعجم الوسيط (٤٩/١).

اغتسل أحدكم فليستتر»[1]، فالحياء شعبة من شعب الإيمان وخصلة طيبة ينبغي أن يتصف بها المسلم وكذا الستر لأن الله يحبهما وفيهما من الخير ما لا يخفى على عاقل.

(٤) الوتر: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر»**[2] متفق عليه.

الوتر بفتح الواو وكسرها: الفرد والمعنى أنه عزّ وجلّ فرد أحد يحب من الأذكار والطاعات ما هو على عدد الوتر ويثيب عليه لاشتماله على الفردية[3]. والمراد بالحفظ دعاء الله بها والقيام بحقها والعمل به إضافة إلى حفظها عن ظهر قلب.

(٥) الجمال: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»** فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ فقال: رسول الله ﷺ: **«إن الله جميل يحب الجمال الكِبْرُ بَطَرَ الحق**[4] **وغَمْطُ**[5] **الناس»**[6] وجماله سبحانه على أربع مراتب كما قال ابن القيم رحمه الله: جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال وجمال الأسماء[7].

---

(١) رواه أحمد ٢٢٤/٤ والنسائي ك الغسل والتيمم باب الاستتار عن الاغتسال (٢٠٠/١) وأبو داود ك الحمام باب النهي عن التعري (٣٠٢/٤) حديث (٤٠١٢).

(٢) البخاري ك الدعوات باب لله مائة اسم (٢١٤/١١) حديث (٦٤١٠) ومسلم ك الذكر والدعاء باب في أسماء الله (٢٠٦٢/٤ ـ ٢٠٦٣) حديث (٥ ـ ٦) وابن ماجه ك الدعاء باب أسماء الله (١٢٦٩/٢) حديث (٣٨٠٦١).

(٣) سنن ابن ماجه (١٢٦٩/٢).

(٤) بطر الحق أي: دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً. المعجم الوسيط (٦٠/١).

(٥) يعني احتقارهم واستصغارهم المعجم الوسيط (٦٦٣/١).

(٦) مسلم ك الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١) حديث (١٤٧) وأحمد بنحوه (١٣٣/٤ ـ ١٣٤ و١٥١/٤).

(٧) الفوائد، ص٢٣٥.

(٦) **التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الواجبات**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذ أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه**»[١] ومعنى الحديث واضح في أن الله عزّ وجلّ يحب من يتقرب إليه سبحانه بالنوافل وهي الأمور الزائدة على الواجبات أو المستحبة ومتى أحب الله العبد ألهمه التوفيق والرشد والسداد في القول والفعل وإن سأله أعطاه وإن استعاذ به أعاذه لأنه حبيبه المطيع.

وليس معنى أن يكون الله سمعه وبصره.. الخ على ظاهرها بمعنى أن الله عزّ وجلّ قد حلَّ بالمخلوقات كما هو قول أهل الحلول والاتخاذ - والعياذ بالله - بل المراد التوفيق والسداد والرضا عما يعمل هذا العبد المؤمن الذي أحبه الله كما فسره آخر الحديث.

(٧) **الصلاة على وقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله**: فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبيّ ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال: «**الصلاة على وقتها**، قلت: ثم أي؟ قال: **برّ الوالدين**، قلت: ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**» قال حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني. متفق عليه[٢].

(٨) **العفو**: عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت: يا رسول الله إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»[٣].

---

(١) البخاري ك الرفاق باب التواضع (٣٤٠/١١) حديث (٦٥٠٢) وأحمد (٢٥٦/٦).

(٢) البخاري ك الإيمان باب فضل الصلاة لوقتها (٩/٢) حديث (٥٢٧) - ومسلم ك الإيمان باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٩/١) حديث (١٣٩).

(٣) رواه أحمد (١٧١/٦ و١٨٢ و١٨٣)، والترمذي ك الدعوات (٥٣٥/٥) حديث (٣٥١٣) وقال هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه ك الدعاء باب الدعاء بالعفو والعافية (١٢٦٥/٢) حديث (٣٨٥٠).

فالعفو اسم من أسمائه سبحانه وتعالى، ومعناه المتجاوز عن سيئات عباده الماحي لآثارها عنهم، وهو عزّ وجلّ عفو يحب العفو ويحب أن يعفو عن عباده كما يحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفى بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه لأن عفوه أحب إليه من عقوبته. فينبغي على المسلم أن يكثر من هذا الدعاء لعل الله أن يعفو عنه.

(٩) الأعمال الصالحة الدائمة وإن قَلّت: فقد سُئل النبيّ ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**أدومها وإن قل**. وقال: **أكلفوا من الأعمال ما تطيقون**» رواه البخاري[١] ومعنى (أكلفوا) بفتح اللام وضمها المراد به الإبلاغ بالشيء إلى غايته يقال كلفت بالشيء إذا أولعت به، قال بعض العلماء: الكلف بالشيء التولع به فاستعير للعمل اللازم والملابسة والحكمة من ذلك أن المديم للخدمة والعبادة يلازم الطاعة والعمل الصالح الذي يقربه إلى الله ولا يقطعه والمراد بالأعمال هنا العبادات من صلاة وصوم وغيرها من العبادات[٢].

(١٠) الموت على ذكر الله: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**»[٣]، وإنما كان ذكر الله والموت عليه أحب الأعمال إلى الله لأنه قوت القلب وشفاء الأمراض والسقام ويدخل في ذكر الله كل عمل صالح يتقرب به العبد إلى الله من صلاة وصوم وغير ذلك.

(١١) الحلم والأناة: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة**»[٤].

---

(١) البخاري ك الرقاق باب القصد والمداومة على العمل (١١/٢٩٤) حديث (٦٤٦٥).

(٢) انظر فتح الباري (١١/٢٩٩).

(٣) صحيح ابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان وهو حديث حسن كما قال الألباني في صحيح الجامع (١/١٠٧) حديث (١٥٣).

(٤) مسلم ك الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله (١/٤٨) حديث (٢٥، ٢٦)، والبخاري في الأدب المفرد ص١١٩، وأبو داود ك الأدب (٥/٣٨٣) حديث (٥٢٢٥)، والترمذي ك البر والصلة باب ما جاء في التأني والعجلة (٤/٣٦٦) حديث (٢٠١١)، وابن ماجه ك الزهد باب الحلم (٢/١٤٠١) حديث (٤١٨٨).

الحلم: هو الأناة وضبط النفس والتعقل. والأناة: التأني وعدم العجلة.

(١٢) كلمة حق تقال لإمام جائر: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر**»[١]، وإنما كانت كلمة الحق التي تقال للإمام الجائر أحب الجهاد إلى الله لأن صاحبها أو قائلها لم يخف في الله لومة لائم، فلم يخفه بطش السلطان وظلمه عن تبيين الحق ونصحه وإقامة الحجة عليه مستصغراً وغير مبال بما سيحدث له أو سيناله من هذا السلطان ابتغاء وجه الله، وإنها لقوة إيمان ورجاء فيما عند الله لا يبلغها إلا القليل من الناس.

(١٣) الأخذ والعمل بالرخص: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**» رواه أحمد بسند صحيح[٢] وإنما كان الأخذ والعمل بالرخص مما يرضاه الله ويحبه لأنها رحمة من الله وتخفيف على عباده فهو سبحانه يحب أن يأخذوا بهذه الرحمة والتخفيف كما يجب أن يأخذوا ويعملوا بالعزيمة بدون تخفيف فعلى المرء أن يأخذ برخص ربه له لأنها مما يحب.

(١٤) العطاس: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العطاس ويكره** - أو: **يبغض - التثاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله. وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فيرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان**»[٣] والعطاس مصدر عطس يعطس عطاساً وهو اندفاع الهواء من

---

(١) رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامة وهو حديث حسن انظر صحيح الجامع (١/١٠٨) حديث (١٦٦) وصحيح الترغيب (٣/١٦٨).

(٢) رواه أحمد (٢/١٠٨).

(٣) رواه البخاري ك الأدب باب إذا تثاءب (١٠/٦١١) حديث (٦٢٢٦) أحمد (٢/٢٦٥ و٤٢٨ و٥١٧) والترمذي ك الأدب باب ما جاء أن الله يحب العطاس (٥/٨٦) حديث (٢٧٤٦) وأبو داود كتاب الأدب باب ما جاء في التثاؤب (٥/٢٨٧) حديث (٥٠٢٨).

أنف الإنسان بعنف لعارض وله صوت[١]. وإنما أحبه الله عزّ وجلّ وشرع الحمد للعطاس لما له من فائدة تعود على الإنسان فإنه يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء فناسب أن يحمد الله على هذه النعمة العظيمة التي تحصل بالعطس لما في ذلك من الإقرار له عزّ وجلّ بالخلق القدرة وإضافة الخلق إليه إلى الطبائع ـ ولما في العطاس أيضاً من الإغاظة للشيطان والأجر للعاطس على حمده لله وللمسلمين الذين يشمتونه فيدعون له بالرحمة فهو من محاب الله ومما يحزن الشيطان فلذلك أحبه الله[٢].

أما التثاؤب وهو فتح الفم الناشىء عن التكاسل والتراخي والنعس والتوسع في المأكل فهو مما يبغضه الله ويكرهه لأنه من الشيطان وإنما أضيف إليه لأنه يدعو إلى الشهوات إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه فهو يحب أن يرى الإنسان متثائباً لأنها حالة تتغير فيها صورة الإنسان فيضحك منه فلذا أمرنا أن نرده ما استطعنا، ومن ذلك وضع اليد على الفم أثناءه[٣].

(١٥) صلاة داود وصيامه: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه**» متفق عليه[٤].

(١٦) الحمد: قال رسول الله ﷺ: «**التأني من الله والعجلة من الشيطان وما من أحد أكثر معاذير من الله وما من شيء أحب إلى الله من الحمد**»[٥] ولذلك حمد الله عزّ وجلّ نفسه في كتابه، وكانت أول سورة في

---

(١) فتح الباري (٦٠٢/١٠)، والمعجم الوسيط (٦٠٨/٢).

(٢) انظر فتح الباري (٦٠٢/١٠) وزاد المعاد (٤٣٨/٢ ـ ٤٣٩).

(٣) انظر فتح الباري (٦١٢/١٠).

(٤) البخاري ك التهجد باب من نام عند السحر (١٦/٣) ح (١١٣١) ومسلم ك الصيام باب النهي عن صوم الدهر (٨١٦/٢) حديث (١٨٩).

(٥) رواه البيهقي (١٠٤/١٠) بسند حسن وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧/٣) حديث (٣٠٠٨).

القرآن وهي الفاتحة ـ أو الحمد ـ قد بدأت بحمد الله نفسه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وهو سبحانه أهل لأن يحمد، بل الحمد له كله وحده سبحانه وتعالى. فعلى المؤمن أن يكثر من حمده لله تعالى، ولذا أمرنا بالحمد عند الشبع من الطعام والشراب وعند لبس ثوب جديد ونحوه شكراً لله تعالى وحمداً له على آلائه ونعمه التي لا تحصى.

(١٧) حب سورة الإخلاص وقراءتها: فعن عائشة رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ بعث رجلاً على سرية[١] وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبيّ ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبيّ ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**» متفق عليه[٢]. فعلى المؤمن أن يكثر من قراءتها وأن يحبها ويحب القرآن الكريم لينال محبة الله له.

(١٨) الإيمان بالله ثم صلة الرحم ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فعن رجل من خثعم رضي الله عنه قال: أتيت النبيّ ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: «**نعم**»، قلت: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**الإيمان بالله**» قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: «**ثم صلة الرحم**» قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: «**ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» قلت: يا رسول الله أي الأعمال الأبغض إلى الله تعالى؟ قال: «**الإشراك بالله**» قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: «**ثم قطيعة الرحم**» قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: «**ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**»[٣].

(١٩) أثر النعمة على العبد: فعن أبي الأحوص أن أباه أتى النبيّ ﷺ

---

(١) السرية قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو هي من الخيل نحو أربعمائة المعجم الوسيط (٤٢٩/١).

(٢) البخاري ك التوحيد (٣٤٧/١٣ ـ ٣٤٨) حديث (٣٨٧٥). ومسلم ك صلاة المسافرين باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (٥٥٧/١) حديث (٢٦٣).

(٣) رواه أبو يعلى بإسناد جيد كما في الترغيب والترهيب (٣٣٦/٣) وهو حديث حسن قال الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٨/١) حديث (١٦٤).

وهو أشعث سيىء الهيئة فقال له رسول الله ﷺ: «**أليس لك مال؟**» قال: من كل المال قد آتاني الله عزّ وجلّ فقال له النبيّ ﷺ: «**فإن الله عزّ وجلّ إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن تُرى عليه**» رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم(١). وله شاهد عند الترمذي أيضاً بلفظ: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»(٢).

فالله سبحانه وتعالى جميل يحب الجمال، فيحب أن يرى أثر نعمته على عبده لأن ذلك من الجمال الذي يحب، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال باطن فيحب تعالى أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها. ولمحبته عزّ وجلّ للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تُجمّل ظواهرهم وتقوّي وتُجمّل ظواهرهم وتقوّي وتُجمّل بواطنهم فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦] وقال تعالى في أهل الجنة: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ١١، ١٢] فجمّل سبحانه وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير، وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، فإنه يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة، فيحب الجمال وأهله ويبغض القبيح وأهله(٣).

(٢٠) **قطرة دموع لله وقطرة دم في سبيل الله**: قال رسول الله ﷺ: «**ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهرق في سبيل الله. وأما الأثران، فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى**»(٤) رواه الترمذي.

---

(١) أحمد (٣/٤٧٣ ـ ٤٧٤).

(٢) الترمذي ك الأدب باب ما جاء أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥/١٢٤) حديث (٢٨١٩) وقال حديث حسن.

(٣) الفوائد لابن القيم ص ٢٣٨.

(٤) سنن الترمذي ك فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل المرابط (٤/١٩٠) حديث (١٦٦٩) وقال حديث حسن غريب.

(٢١) مدحه عزّ وجلّ والاعتذار إليه: فعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«ليس أحد أحب إليه المدح من الله عزّ وجلّ من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل»** متفق عليه[١]. فالله سبحانه وتعالى يحب المدح لأنه رب العالمين الذي بيده كل شيء وهو واهب النعم وكل خير لعباده، فيجب عليهم مدحه وهو تعالى يحب منهم ذلك، وهذا المدح هو في الحقيقة مصلحة لهم - كما يقول الإمام النووي[٢] رحمه الله - لأنهم يثنون عليه سبحانه وتعالى فيثيبهم فينتفعون وهو عزّ وجلّ غني عن العالمين لا ينفعه مدحهم ولا يضره تركهم ذلك، وفيه تنبيه على فضل الثناء على الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار[٣]، كما أنه تعالى ليس أحد أغير منه من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهو تعالى ليس أحد أحب إليه العذر، والمراد به - والله أعلم - اعتذار العباد إليه من تقصيرهم وتوبتهم من معاصيهم فيغفر لهم كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٤] [الشورى: ٢٥] قال ابن القيم رحمه الله[٥]: (فجمع تعالى في هذا الحديث بين الغيرة التي أصلها كراهة القبائح وبغضها، وبين محبة العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والإحسان.

فإنه سبحانه وتعالى مع شدة غيرته يحب أن يعتذر إليه عبده ويقبل

---

(١) رواه البخاري ك التفسير باب إنما حرم ربي الفواحش (٣٠١/٨) حديث (٤٦٣٧) ومسلم ك التوبة باب غيرة الله (٢١١٤/٤) حديث (٣٥).

(٢) هو الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام عالم الأولياء محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحوراني الشافعي، صاحب التصانيف الكثيرة التي أشهرها شرح صحيح مسلم، والمنهاج، ورياض الصالحين، وغيرها ولد سنة (٦٣١هـ) وتوفي سنة (٦٧٦هـ) انظر ترجمته تذكرة الحفاظ (١٤٧٠/٤) والبداية والنهاية (٣٧٨/١٣) وطبقات الحفاظ ص٥١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٧٧/١٧ - ٧٨).

(٤) المرجع السابق.

(٥) تقدمت ترجمته.

عذر من اعتذر إليه وهو سبحانه وتعالى لا يؤاخذ عبيده بارتكاب ما يغار من ارتكابه حتى يعذر إليهم، ولأجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه إعذاراً وإنذاراً ورحمة وهذا غاية المجد والإحسان ونهاية الكمال)[١].

(٢٢) الحب لله والزيارة في الله: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: «**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد[٢] الله له على مدرجته[٣] مَلَكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها[٤]؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عزّ وجلّ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**» رواه مسلم[٥].

إن الحب في الله عزّ وجلّ والزيارة في الله عظيم شأنها، وكبير أجرها، وحسبها أنها من أوثق عرى الإيمان. وقد رأينا في هذا الحديث الجليل كيف أن الله تعالى قد أحب هذا الذي أحب أخاه في الله وزاره لا لغرض دنيوي أو لمصلحة شخصية، وكيف أن الله أرسل إليه ملكاً يبّشره بحب الله له. ولذلك فإن الله عزّ وجلّ يُظل المتحابين فيه في ظله العظيم في الموقف العظيم يوم القيامة كما أخبر عن ذلك رسول الله ﷺ حيث قال فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: «**إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي[٦] اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**» رواه مسلم[٧].

(٢٣) العمل الصالح في العشر الأول من محرم: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن**

---

(١) الجواب الكافي ص ٧٦ ـ ٧٧.
(٢) أقعده يرقبه المعجم الوسيط (٣٤٨/١).
(٣) المدرجة هي الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي: يمضون ويمشون المعجم الوسيط (٢٧٨/١).
(٤) أي: تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك انظر المعجم الوسيط (٣٢٠/١).
(٥) ك البر والصلة باب في فضل الحب في الله (١٩٨٨/٤) حديث (٣٨).
(٦) أي بعظمتي وطاعتي ومن أجلي لا للدنيا.
(٧) ك البر والصلة باب في فضل الحب في الله (١٩٨٨/٤) ح (٣٧).

أحب إلى الله من هذه العشر» فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»**[(١)].

(٢٤) الكرم ومعالي الأخلاق: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزّ وجلّ كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويبغض سفسافها»**[(٢)(٣)] وفي رواية: **«إن الله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها»**[(٤)].

(٢٥) القلوب المؤمنة الصالحة الألين والأرقّ: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله آنية في الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقُّها»**[(٥)] فأحب القلوب الصالحة إليه هي الألين والأرق ومعناها كما قال الإمام النووي رحمه الله أنها ذات خشية واستكانة سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكر سالمة من الغلط والشدة والقسوة[(٦)].

(٢٦) سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: **«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**[(٧)]

---

(١) رواه البخاري في ك العيدين باب فضل العمل في أيام التشريق (٢/٤٥٧) حديث (٩٦٩) وأحمد (١/٣٦٤) والترمذي ك الصوم (٣/١٢١) حديث (٧٥٧) وأبو داود ك الصوم باب في صوم العشر (٢/٤١٥) حديث (٢٤٣٨).

(٢) السفساف الرديء الحقير من كل شيء وعمل. المعجم الوسيط (١/٤٣٣).

(٣) رواه الحاكم (١/٤٨) وأبو نعيم في الحلية (٣/٢٥٥، ٨/١٣٣) وقال الحاكم صحيح الإسناد.

(٤) المرجع السابق، والحديث صحيح كما قال العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢/١٠٥) حديث (١٧٤٠).

(٥) رواه الطبراني في الكبير كما قال الألباني في صحيح الجامع (٢/٢٣٠) حديث (٢١٥٩).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٣٤).

(٧) رواه البخاري الدعوات باب فضل التسبيح (١١/٢٠٦) حديث (٦٤٠٦) ومسلم ك الذكر باب فضل التهليل (٤/٢٠٧٢) حديث (٣١).

متفق عليه. ففي هذا الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر وتحريض كبير على ملازمته لأن جميع التكاليف شاقة على النفس، وهذا سهل مع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة فلا ينبغي التفريط فيه[١].

(٢٧) سبحانك اللّهم وبحمدك وتبارك اسمك... الخ: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد سبحانك اللّهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك[٢] ولا إله غيرك**»[٣].

(٢٨) سبحان ربي وبحمده: عن أبي ذرّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاده وأن أبا ذرّ عاد رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أي الكلام أحب إلى الله؟ فقال: «**ما اصطفاه الله لملائكته سبحان ربي وبحمده سبحان ربي وبحمده**»[٤].

(٢٩) سبحان الله وبحمده: عن أبي ذَر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟**» قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال: «**إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده**» رواه مسلم وأحمد[٥].

(٣٠) سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا يضرك بأيهن بدأت**»[٦]، فعلى المؤمن المحب لربه أن

---

(١) فتح الباري (٢٠٨/١١).

(٢) أي: شأنك.

(٣) حديث صحيح رواه ابن منده في كتاب التوحيد كما في إرواء الغليل للألباني (٥٣/٢).

(٤) رواه الترمذي ك الدعوات باب أي الكلام أحب إلى الله (٥٧٦/٥) حديث (٣٥٩٣) وقال حديث حسن صحيح والحكام (٥٠١/١) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٥) رواه مسلم ك الذكر باب فضل سبحان الله وبحمده (٢٠٩٤/٤) حديث (٨٥) وأحمد (١٦١/٥).

(٦) رواه مسلم ك الآدب باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة (١٦٨٥/٣) حديث (١١)، وأحمد (١٠/٥، ١١، ١٢) وابن ماجه ك الأدب باب فضل التسبيح (١٢٥٣/٢) حديث (٣٨١١).

يكثر من هذه الأذكار الطيبة التي يحبها الله ليفوز بمحبة ربه له، ولأن بذكره تطيب القلوب فعليه أن يبقى لسانه دائماً رطباً بذكر الله.

(٣١) أنفع الناس للخلق وسرور تدخله على مسلم: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم[١] غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخُلُق ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسلَ**»[٢].

(٣٢) كثرة السجود لله تعالى: فعن معدان بن طلحة اليعمري[٣] قال: لقيت ثوبان[٤] مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة أو قلت: بأحب الأعمال إلى الله، فسكت ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**عليك بكثرة السجود فإنه لا تسجد لله سجده إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**» قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء[٥]

---

(١) أي: أمسك عما في نفسه من الغضب والكره صافحاً وحاباً نفسه عن الانتقام انظر المعجم الوسيط (٧٩/٢).

(٢) رواه الطبراني عن ابن عمر قال الألباني حديث حسن، انظر صحيح الجامع (١١٠/١). حديث (١٧٤) وانظر الأحاديث الصحيحة (٩٠٣).

(٣) هو معدان بن أبي طلحة الكناني اليعمري، وثقه ابن سعد والعجلي وذكره ابن حبان في الثقات، وذكره ابن سعد ومسلم وخليفة في الطبقة الأولى من أهل الشام انظر ترجمته، تهذيب التهذيب (٢٢٨/١٠).

(٤) هو ثوبان بن يحدد الهاشمي مولى رسول الله ﷺ أبو عبدالرحمن أصله من اليمن أصابه سبا (أي سبي) فاشتراه النبيّ ﷺ فأعتقه توفي سنة (٥٤هـ) انظر ترجمته الاستيعاب (٢١٨/١) والإصابة (٢٩/٢).

(٥) هو: أبو الدرداء عويمر بن عامر بن زيد الأنصاي الخزرجي، صحابي جليل مات سنة (٣٢هـ) انظر ترجمته الاستيعاب (١٦٤٦/٤) والإصابة (١٨٢/٧).

رضي الله عنه (فسألته فقال لي مثل ما قال لي ثوبان)[1].

(٣٣) الطعام الذي كثرت عليه الأيدي: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي**» رواه أبو يعلى[2] في مسنده وابن حبان[3] في صحيحه والبيهقي[4] في شعب الإيمان عن جابر[5].

(ب) الأعيان والذوات التي يحبها الله: إن الله عزّ وجلّ يحب أسمائه الحسنى وصفاته العلى ويحب المتعبدين له بها المتصفين بآثار صفاته الذين يعرفونها فيدعونه بها ويعقلونها ويثنون عليه بها ويحمدونه ويمدحونه بها كما جاء في الصحيح عن النبيّ ﷺ: «**ليس أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك أثنى على نفسه، ولا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**»[6]. وهو سبحانه وتعالى يحب رسله وعباده المؤمنين ويحبونه بل لا شيء أحب إليهم منه ولا يشتاقون لشيء كما

---

(١) رواه مسلم في ك الصلاة باب فضل السجود (٣٥٣/١) حديث (٢٢٥) وأحمد (٢٧٦/٥) والترمذي ك أبواب الصلاة (٢٣١/٢) حديث (٣٨٨) وابن ماجه ك إقامة الصلاة باب ما جاء في كثرة السجود (٤٥٧/١) حديث (١٤٢٣) والنسائي ك التطبيق (٢٢٨/٢) حديث (١١٣٩).

(٢) هو الحافظ الثقة محدث الجزيرة أحمد بن علي بن المثنى التميمي، صاحب المسند الكبير، ولد سنة (٢١٠هـ) وتوفي سنة (٣٠٧هـ) انظر ترجمة تذكرة الحفاظ (٧٠٧/٢).

(٣) ابن حبان: هو الإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي أبو حاتم. كان إماماً حافظاً ثبتاً حجة من أئمة زمانه ومن أوعية العلم والحديث والفقه واللغة والوعظ وغير ذلك وحتى الطب والكلام والنجوم، وهو صاحب التصانيف الكثيرة ومن أشهرها كتاب الصحيح وكتاب الجرح ولد سنة (٢٧٠هـ) تقريباً وتوفي سنة (٣٥٤هـ) انظر ترجمته شذرات الذهب (١٦/٣) وميزان الاعتدال (٥٠٦/٣) والإعلام ٧٨/٦.

(٤) هو الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي بن موسى الجارودي صاحب التصانيف والتي من أشهرها السنن الكبرى والاعتقاد والأسماء والصفات وغيرها. ولد سنة (٣٨٤هـ) وتوفي سنة (٤٥٨هـ) انظر ترجمته تذكرة الحفاظ (١١٣٢/٣).

(٥) صحيح الجامع (١٠٩/١) حديث (١٦٩) والصحيحة حديث (٨٩٢). والحديث حسن.

(٦) تقدم تخريجه.

يشتاقون لقائه ولا أقر لعيونهم من رؤيته ولا أحظى عندهم من قربه[1].

فهو سبحانه وتعالى محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، جميل يحب الجمال وأهله، طيب يحب الطيبين ويحب كل طيب، نظيف يحب المتطهرين ويحب النظافة وأهلها، وصبور يحب الصابرين، جواد يحب الجود وأهله، رحيم يحب الرحماء، وتر يحب الوتر، بر يحب الأبرار، عدل يحب أهل العدل حيي ستير يحب الحياء والستر والمتصفين بذلك ويحب المتقين ويحب الذاكرين ويحب المتصدقين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وهو سبحانه عليم يحب العلماء من عباده، كريم يحب الكرماء، قوي، والمؤمن القوي خير وأحب إليه من المؤمن الضعيف، عفو غفور يحب من يعفو من عباده ويغفر لهم، وصادق يحب الصادقين، رفيق يحب الرفق وأهله[2]. وهو سبحانه حليم يحب أهل الحلم، مقسط يحب المقسطين حميد يحب الحامدين، . . .

ولمحبته عزّ وجلّ لأسمائه وصفاته أمر عباده المؤمنين بموجبها ومقتضاها فأمرهم بالعدل والإحسان والبرّ والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأناة. . . الخ. ولما كان سبحانه وتعالى يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من أنصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والجبروت والعظمة لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها عن ربقة العبودية لله عزّ وجلّ، ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحده، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر. . الخ. فإنها لا تنافي العبودية، بل على العكس من ذلك فإن اتصاف العبد بها من كمال عبوديته لله عزّ وجلّ، إذاً المتصف من العبيد لم

(١) انظر طريق الهجرتين ص١٢٨، ١٢٩ وعدة الصابرين ص٦٣.
(٢) المرجع السابق.

يتعد طوره، ولم يخرج بها من دائرة العبودية[1].

هذا وقد تظافرت نصوص الكتاب والسنّة بذكر من يحبه الله عزّ وجلّ من عباده المؤمنين وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم.

وفي ذلك كما لا يخفى الحث على التخلق بالخصال التي يحبها الله من عباده لينالوا صحبته. ونبدأ أولاً بذكر من يحبهم الله كما جاء ذلك في الكتاب العزيز.

(أ) الأعيان الذين يحبهم الله كما ورد ذكرهم في الكتاب العزيز:

لقد ورد في الكتاب الكريم ذكر كثير ممن يحبهم الله عزّ وجلّ لما هم فيه من خير وهداية وتخلق بأخلاق كريمة وخصال طيبة محببة إليه عزّ وجلّ فكان ذلك سبباً في قبولهم عنده، وتشرّفهم بحبه عزّ وجلّ لهم ولنبدأ بذكرهم كلاً على حده.

(١) المتقين: قال سبحانه وتعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧] والتقوى صفة جليلة. خلق طيب اتصف به المؤمنون فنالوا محبة ربهم، وهي - أي التقوى - أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، وذلك بفعل ما أمر عزّ وجلّ ورسوله ﷺ وترك ما نهى عنه ورسوله، وقد فسرها بعض السلف رحمهم الله كما يروى ذلك عن أبي السبطين علي رضي الله عنه بقوله: (التقوى هي العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل).

(٢) المحسنين: قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقال أيضاً: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. الإحسان كما جاء في الحديث الصحيح «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[2] والإحسان يشمل كل خلق طيب من طيب في القول والعمل ومساعدة للفقراء والمحتاجين وغير ذلك.

---

(١) طريق الهجريتين، ص١٢٩، ١٣٠.

(٢) رواه مسلم ك الإيمان باب بيان الإيمان (٣٦/١) حديث (٨).

(٣ ـ ٤) **التوابين والمتطهرين**: قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والتوابون: هم كثيروا التوبة والرجوع إلى الله فإذا أخطأوا أو عصوا أنابوا إلى ربهم وعادوا إليه فاستغفروه وتابوا مما فعلوا فغفر لهم وهو يحب عباده التائبين. **والمتطهرون**: هم الذين يتنظفون من الخبث والنجاسة الظاهرة الحسية والباطنية المعنوية. والمراد بهم ههنا الأنصار رضي الله عنهم فإنه لما نزلت هذه الآية ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الأنصار أن الله قد أثنى عليكم في الطهور خيراً فما طهوركم هذا؟**» قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجي بالماء، قال: «**هو ذاك فعليكم به**»(١).

(٥) **الصابرين**: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] **والصبر**: هو التجلّد وحسن الاحتمال وحبس النفس عما تهواه.

وهو أنواع ثلاثة: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله وهؤلاء المحبوبون من قبل الله عزّ وجلّ قاموا بهذه الأنواع جميعها فكان جزاؤهم أن رضي الله عنهم فأحبهم وأحبوه.

(٦) **المتوكلين**: قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

التوكل: هو تفويض الأمر إلى الله والتسليم له بعد الأخذ بالأسباب في أي عمل من الأعمال، كما قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] فأمرهم بالسعي والمشي في أطراف الأرض قبل أن يأمرهم بالأكل من رزقه، وهذا أخذ بالسبب وليس التوكل بترك الأسباب كما

---

(١) رواه ابن ماجه في ك الطهارة باب الاستنجاء بالماء (١٢٧/١) حديث (٣٥٥) والحاكم (٣٣٥/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

يتوهم ذلك الكسالى من الناس من الصوفية وغيرهم لأن ذلك هو تواكل وليس توكلاً على الله.

(٧) **المقسطين**: قال عزّ من قائل: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

والمقسطون: هم العادلون في أحكامهم ومعاملاتهم سواء كان ذلك مع القريب أم البعيد، لذلك كان أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ. وقد بشر الله على لسان نبيه المقسطين ببشرى عظيمة علاوة على محبة الله لهم ألا وهي دخول الجنة والقرب من الله فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما والوا**»(١) رواه مسلم.

(٨) **الذين يتبعون رسوله ﷺ**: قال الله عزّ وجلّ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

فقد جعل الله عزّ وجلّ اتباع رسوله ﷺ شرطاً من شروط محبته ولازماً من لوازمها، وجعل نتيجة ذلك محبته عزّ وجلّ لمتبعي رسوله ﷺ والمعنى إن كنتم تحبون الله فاتبعوا رسوله يحصل لكم فوق ما ترجون وهو محبته تعالى لكم.

وهذا أهم وأعظم من الأول إذا ليس الشأن أن تُحِب ـ كما قال بعض السلف ـ بل الشأن والغاية أن تُحَبَّ.

(٩) **الذين يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**: قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤].

(١٠) **المؤمنين الأذلة على إخوانهم الأعزة على الكافرين المجاهدين**

---

(١) رواه مسلم ك الإمارة باب فضيلة الإمام العادل (١٤٥٨/٣) حديث (١٨).

في سبيل الله الذين لا يخافون فيه لومة لائم: قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤] فوصف الله عزّ وجلّ في هذه الآية المحبين له الذين يحبهم بأربعة أوصاف:

الأول: الذلة على المؤمنين. والمراد بذلك لين الجانب وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥] وقال أيضاً في وصف صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩]. وذلك لأن المؤمنين يحبون أحباب الله وأخوانهم فيرحمونهم ويعطفون عليهم ويحسنون إليهم ويتوددون إليهم.

الثاني: العزة على الكافرين والمراد بذلك الشدة والغلظة عليهم والبراءة منهم كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وكما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التحريم: ٩] وذلك لأن بغض أعداء الحبيب والبراءة منهم من لوازم محبته عزّ وجلّ.

الثالث: الجهاد في سبيل الله وهو أيضاً من لوازم محبته عزّ وجلّ وهو السبيل الأكبر في المفاصلة بين حزب الله أحبابه المؤمنين وبين حزب الشيطان أعدائه الكافرين ويكون جهادهم باللسان والنفس والمال وغيره، كما قال ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[1] وهو أنواع كثيرة سيأتي الحديث عنها في الباب الثاني إن شاء الله. (وأيضاً فالجهاد في سبيل الله دعاء للمعرضين عن الله إلى الرجوع إليه بالسيف والسنان بعد دعائهم إليه بالحجة والبرهان، فالمحب لله يحب اجتلاب الخلق كلهم

---

(١) رواه أحمد (٣/١٢٤ و١٥٣) وأبو داود ك الجهاد باب كراهية ترك الجهاد (٣/٢٢) حديث (٢٥٠٤) وابن حبان حديث (١٦١٨) وصححه والحاكم (٢/٨١) وصححه النووي في رياض الصالحين ص٥١٦.

إلى الله، فمن لم يجد الدعوة معه باللين والرفق احتاج بالدعوة إلى الشدة والعنف)[1].

الرابع: أنهم لا يخافون لومة لائم: والمعنى أنهم يجتهدون فيما يرضي ربهم ومحبوبهم من الأعمال والأقوال والصفات ولا يبالون بلومة من لامهم في شيء منه إذا كان في ذلك رضا ربهم، وهذا من علامات المحبة الصادقة إذ المحب يعمل ويشتغل في ما يحبه الله ويرضاه ولا يهمه مهما قيل عنه أو لامه الخلق من أجل ذلك، بل يستوي عنده الحمد والذم إذا كان الله راضياً عنه، ويا لها من منقبة قَلَّ من يتصف بها. (فكل محب يأخذه اللوم عن محبوبه فليس بمحب على الحقيقة)[2].

(ب) الأعيان الذين يحبهم الله كما جاءت بذلك السنّة الشريفة:

(١١) **عليّ بن أبي طالب**: فقد قال رسول الله ﷺ يوم خيبر فيه: **«لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**، فبات الناس يدوكون[3] ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: **«أين عليّ بن أبي طالب؟»** فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ[4]، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية ففتح الله عليه. متفق عليه واللفظ لمسلم[5]. وهذا الحديث يدل على منقبة عظيمة لعليّ رضي الله عنه ولكن لا يعني ذلك أنه أفضل من الخلفاء الثلاثة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وذي النورين عثمان لأنهم رضي الله عنهم أفضل منه وأحب إلى الله ورسوله، وأفضليتهم رضي الله

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٣٤١ ط دار الفكر.
(٢) مدارج السالكين (٢٢/٣).
(٣) أي: يتحدثون ويخوضون في ذلك.
(٤) أي: شفي.
(٥) رواه البخاري في ك فضائل الصحابة باب مناقب علي (٧٠/٦) حديث (٣٧٠١ ـ ٣٧٠٢) ومسلم ك فضائل الصحابة باب فضائل علي (١٨٧٢/٤) حديث (٣٢ و٣٤ و٣٥).

عنهم كما ذكرنا بالترتيب مما أجمعت عليه الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً خلافاً لبعض الضالين المضلين الذين لا يُعتَدُّ بقولهم من الرافضة والخوارج وغيرهم من المبتدعة هداهم الله.

(١٢) الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما: فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبيّ ﷺ وهو يقول: «**اللّهم أني أحبه فأحبه**» متفق عليه[١]، وقال رسول الله ﷺ للحسن رضي الله عنه: «**اللّهم إني أحبه فأحبه واحبب من يحبه**» متفق عليه واللفظ لمسلم[٢].

(١٣) الحسين بن علي رضي الله عنهما: فقد قال رسول الله ﷺ: «**حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط**»[٣].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أبصر حسناً وحسيناً فقال: «**اللّهم إني أحبهما فأحبهما**»[٤]. وهنا ينبغي أن نشير إلى أن كل من يكفر الصحابة رضي الله عنهم أو يطعن فيهم ويدّعي كذباً وزوراً حب عليّ رضي الله عنه وابنيه السبطين الحسن والحسين وأهل البيت فهو كاذب في حبه لهم، إذ لو أحبهم لأحب أحبابهم أصحاب رسول الله ﷺ وترّحم عليهم وترضّى عليهم، وبالتالي فإن الله عزّ وجلّ لا يحب من يبغض أحبابه وخيرة خلقه بعد الأنبياء وهم صحابة خليله وحبيبه محمد ﷺ وفي مقدمة ذلك الصديق والفاروق وذو النورين رضي الله عن الجميع. فعلى

---

(١) البخاري ك فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين (٩٤/٧) حديث (٣٧٤٩) ومسلم ك فضائل الصحابة باب فضائل الحسن والحسين (١٨٨٢/٤) حديث (٥٨).

(٢) رواه مسلم ك فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين (١٨٨٢/٤) حديث (٥٦ و٥٧) والبخاري ك البيوع باب ما ذكر في الأسواق (٣٣٩/٤) حديث (٢١٢١).

(٣) رواه الترمذي ك المناقب باب مناقب الحسن والحسين (٦٥٨/٥ ـ ٦٥٩) حديث (٣٧٧٥) وحسنه وابن ماجه المقدمة (٥١/١) وسنده حسن كما قال في الفوائد.

(٤) رواه الترمذي كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين (٦٦١/٥) حديث (٣٧٨٢) وقال هذا حديث حسن صحيح.

المؤمن أن يحب صحابة رسوله وآل بيته الطاهرين رضي الله عنهم أجمعين لأن حبهم من حبه، وبغضهم من بغضه، فمن أحبهم أحبه الله ورسوله ﷺ، ومن أبغضهم أبغضه الله ورسوله.

(١٤) أسامة بن زيد رضي الله عنه: فقد روى البخاري عنه أن رسول الله ﷺ كان يأخذه والحسن ويقول: «**اللّهم إني أحبهما فأحبهما**» أو كما قال[١].

(١٥، ١٦، ١٧) أبو ذر والمقداد وسلمان: فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم**»[٢] قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**علي منهم يقول تلك ثلاثاً وأبو ذرّ وسلمان والمقداد**»[٣]. وهم أبو ذرّ الغفاري والمقداد بن عمر وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين وهم من أجلاء الصحابة الكرام.

(١٨) الأنصار رضي الله عنهم: فعن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**» رواه البخاري وغيره[٤]. وقال ﷺ عنهم أيضاً: «**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار**»[٥] فكفى بهذين الحديثين رداً على أدعياء الإيمان من الرافضة الذين يبغضون الصحابة ويكفرونهم والأنصار داخلون في ذلك ضمناً ونصاً.

(١٩) العبد التقي الغني الخَفي: فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**» رواه مسلم[٦].

---

(١) البخاري ك فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين (٩٤/٧) حديث (٣٧٤٧).

(٢) رواه ابن ماجه المقدمة (٥٣/١) حديث (١٤٩).

(٣) البخاري ك مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان (١١٣/٧) حديث (٣٧٨٣) والترمذي ك المناقب باب فضل الأنصار (٧١٢/٥) حديث (٣٩٠٠) وابن ماجه المقدمة (٥٧/١) حديث (١٦٣).

(٤) رواه البخاري ك مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان (١١٣/٧) حديث (٣٧٨٤) والترمذي بنحوه ك المناقب باب فضل الأنصار (٧١٥/٥) حديث (٣٩٠٦).

(٥) مسلم كتاب الزهد (٢٧٧/٤) حديث (١١).

(٦) رواه مسلم في ك الزهد (٢٢٧٧/٤) حديث (١١).

التقي: هو الذي يعمل بالواجبات ويتجنب المحرمات الذي يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية.

الغني: المراد بالغني غنى النفس إذ هو خير غنى عند المرء، وإن قال بعض العلماء إن الغني هنا هو الغني بالمال، ولكن الراجح الأول بدليل قوله ﷺ: «**ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غنى النفس**» متفق عليه[١] ومعنى الحديث أن الغنى المحمود. إنما هو غنى النفس وشبعها وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة من متاع الدنيا، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى[٢].

الخفي: بالخاء المعجمة، كما هو المعروف في الروايات الموجود في النسخ فمعناه الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه. أما معناها بالحاء المهملة (الحفي) كما روى ذلك بعض رواة مسلم فالمراد به المؤمن الوصول للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء، والصحيح روايتها بالمعجمة (الخفي) وفي هذا الحديث حجة لمن يقول إن الاعتزال أفضل من الاختلاط وفي المسألة خلاف، والراجح فيها أفضلية الاختلاط لأنها سنّة الأنبياء والمرسلين وأكثر الصالحين، ولما يترتب عليه من شهود الخير من جمعة وجماعة وغير ذلك[٣].

(٢٠) أحسن العباد خُلُقاً: عن أسامة بن شريك[٤] قال: كنا جلوساً عند النبيّ ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه ناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: «**أحسنهم خُلقاً**»[٥]. و(معنى حسن

---

(١) البخاري ك الرفاق باب الغني غني النفس (١١/٢٧١) حديث (٦٤٤٦) ومسلم ك الزكاة باب ليس الغني عن كثر العرض (٢/٧٢٦) حديث (١٢٠) وأحمد (٢/٢٤٣، ٢٦١، ٣١٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/١٤٠).

(٣) المرجع السابق (١٨/١٠٠ ـ ١٠١).

(٤) هو أسامة بن شريك الثعلبي من بني ثعلبة بن يربوع، وقيل بني ثعلبة بن سعد وقيل غير ذلك، وهو كوفي له صحبة ورواية انظر ترجمته الاستيعاب (١/٧٨) والإصابة (١/٤٦).

(٥) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد (٨/٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/١١١) حديث (١٧٧) والصحيحة حديث (٤٣٢).

الخُلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه والتواضع، وقد تضمن هذا الخبر عظيم الحث عليه حيث علق به حكم الأحبية إليه ـ تعالى ـ فحق لكل مسلم أن يرغب في ذلك كمال الرغبة)[١].

(٢١) العبد المؤمن السمح البيع والسمح الشراء والسمح القضاء: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء**»[٢] وإنما أحب الله عبده السمح في بيعه وشرائه ومعاملته، لشرف نفسه وحسن خُلُقه بما قطع من علاقة قلبه بالمال الذي هو معنى الدنيا، ولتفضله على الخلق ونفعه لهم وهذه الصفات الطيبة نال بها رضى الله ومحبته[٣].

وفي هذا الحديث حث على التسامح والسهولة في البيع والشراء والمعاملة وبيان على أنها سبب لاستحقاق العبد لمحبة الله عزّ وجلّ العظيمة ورحمته، وفيه أيضاً فضل المسامحة في الاقتضاء وعدم احتقار شيء من عمل الخير التي قد تكون سبباً في حب الله لعبده وفوزه بالسعادة الأبدية في الآخرة[٤] وقد دعا رسول الله ﷺ للعبد السمح فقال: «**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**» رواه البخاري[٥].

(٢٢) انفع العباد للعباد: قال رسول الله ﷺ: «**أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله**»[٦] أي أنفعهم لعيال نفسه، لأن خير مَنْ أحسنت إليهم وأحق الناس بالإحسان هم الأقربون في مقدمتهم العيال لأن نفعهم والإحسان إليهم صدقة وصلة.

---

(١) فيض القدير للمناوي (١/١٧٤).

(٢) رواه الترمذي في كتاب البيوع (٣/٦٠٠) حديث (١٣١٩) والحاكم (٢/٥٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) انظر فيض القدير (٢/٩٤).

(٤) فيض القدير (١/١٧٥).

(٥) البخاري كتاب البيوع باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع (٤/٣٠٦) حديث (٢٠٧٦).

(٦) حديث حسن كما قال الألباني في صحيح الجامع (١/١٠٩) حديث (١٧٠).

(٢٣) العبد الحيي العفيف المتعفف: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزّ وجلّ إذا أنعم على عبده نعمه يحب أن يرى أثر النعمة عليه ويكره البؤس والتباؤس ويبغض السائل الملحف ويحب الحيي العفيف المتعفف»**(١) البؤس: المشقة، والفقر والتباؤس: التظاهر بالبؤس(٢)، السائل الملحف أي الفقير الذي يلح في المسألة أو الذي شمل بالمسألة وهو مستغن عنها وفي التنزيل الكريم: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾(٣) [البقرة: ٢٧٣].

الحيي: أي كثير الحياء. العفيف: الذي يكف عما لا يحل له ولا يجمل من قول أو فعل(٤). المتعفف: الذي عف أو تكلف العفة(٥).

(٢٤) المساجد: قال رسول الله ﷺ: **«أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»** رواه مسلم(٦).

لقد كانت المساجد أحب الأماكن والبلاد إلى الله، لأنها بيوته التي بنيت لذكره وعبادته من صلاة واعتكاف وغير ذلك. ولم تبن من أجل متاع الدنيا الزائلة. لذلك كان عمارها وروادها هم المؤمنون قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]. بخلاف الأسواق فإنها إنما بنيت للبيع والشراء ونحو ذلك مما هو من المصالح الدنيوية ففيها من الفتن ما لا يخفى على عاقل، كفتنة الدنيا والنساء والمال والغش وغيرها لذا كانت أبغض الأماكن والبلاد إلى الله تعالى، وما ذاك إلا لأنها مما يلهي عن الله وعن الدار الآخرة... فعلى المرء من أن يحب

---

(١) حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان كما قال الألباني في صحيح الجامع (٩٢/٢) حديث (١٧٠٧).
(٢) المعجم الوسيط (٣٦/١).
(٣) المرجع السابق (٨١٨/٢).
(٤) المرجع السابق (٦١١/٣).
(٥) المرجع السابق.
(٦) مسلم كتاب المساجد باب فضل الجلوس في مصلاه وفضل المساجد (٤٦٤/١) حديث (٢٨٨).

المساجد بيوت الله وأن يكثر لبثه فيها ما استطاع لأنها مما يحبه الله، وعليه أن يقلل ما استطاع من النزول إلى الأسواق وأن لا يضيع أوقاته فيها لأنها مما يبغضه الله عزّ وجلّ.

(٢٥) مؤمن مجاهد ومؤمن متزوج حسناء متهجد ومؤمن مسافر متعبد: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم، الذي إذا انكشفت[١] فئة قاتل وراءها بنفسه لله عزّ وجلّ، فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟ والذي له امرأة حسناء وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر[٢] شهوته ويذكرني ولو شاء رقد[٣]، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا[٤] فقام من السحر في ضراء وسراء**»[٥].

ففي هذا الحديث إثبات صفتي المحبة والضحك لله عزّ وجلّ على ما يليق بجلاله دون تحريف أو تأويل أو تشبيه أو تمثيل كما هو مذهب السلف رحمهم الله.

(٢٦) المتحابين في الله والمتجالسين فيه والمتزاورين فيه والمتباذلين فيه: فعن أبي إدريس الخولاني[٦] رحمه الله قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا[٧] وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوا

---

(١) أي: ظهرت، المعجم الوسيط (٧٨٩/٢).

(٢) أي: يترك.

(٣) أي: نام.

(٤) أي: ناموا.

(٥) رواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء بإسناد حسن كما قال في الترغيب (٤٣٥/١).

(٦) هو عائذ الله بن عبدالله بن عمرو، ويقال عبدالله بن إدريس بن عائذ الله بن عبدالله أبو إدريس الخولاني، كان عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء رضي الله عنه مولده عام حنين وليست له صحبة، وسكن الشام وولاه عبد الملك بن مروان القضاء بدمشق وقد توفي بها رحمه الله عام (٨٠هـ) انظر ترجمته مشاهير علماء الأمصار ص١١٢، وتهذيب التهذيب (٨٥/٥ ـ ٨٧).

(٧) أراد بذلك مدح معاذ رضي الله عنه حيث وصف وجهه بالبشر والطلاقة لأنه كان إذا ضحك لمعت ثناياه أي ثغره من الجمال.

إليه[1] وصدروا عن قوله، فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل. فلما كان الغد هجرت[2] فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي قال: فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت: والله إني لأحبك. فقال الله؟ فقلت الله، فقال الله فقلت: الله فقال: الله فقلت الله فأخذ بحبوة[3] ردائي فجبذني[4] إليه وقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ**»[5]. وفي حديث آخر قال النبيّ ﷺ يرفعه إلى الرب عزّ وجلّ: «**حقّت محبتي للمتحابين فيّ وحقّت محبتي للمتزاورين فيّ وحقّت محبتي للمتباذلين في وحقّت محبتي للمتواصلين فيّ**»[6] لقد نال محبة الله عزّ وجلّ من كانت جميع حركاته وسكناته في مرضاة الله عزّ وجلّ فمحبته ليست لمطامع الدنيا الزائلة، بل لله وفي الله، وكذا وصله وقطعه كله في ذات الباري جلت قدرته، وكذا بذله وعطاؤه لا يريد بذلك سوى مرضاة ربه ومولاه عزّ وجلّ عنه، فلنحرص على أن تكون محبتنا لله وحده وأعمالنا كلها لله وحده في جميع أنواعها من زيارة وإعطاء وإنفاق وصلة وصداقة، ويا لها من صفات طيبة عظيمة يحبها الله عزّ وجلّ ويحب أهلها، وقد قلّت أو ندرت في هذه الأزمان. فليُصلح كلٌ نفسه وليحسِّن نيته لله عزّ وجلّ وليتحلَّ بما يحبه الله من الصفات ليفوز بمحبته ورضاه.

(٢٧) إمام عادل: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال

---

(١) أي صعدوا إليه بمعنى أنهم يقفون عند قوله، الموطأ (٩٥٤/٢).

(٢) التهجير هو التكبير إلى الصلاة في أول وقتها بالمضي إليها، جامع الأصول (٥٥٢/٦) والموطأ (٩٥٤/٢).

(٣) الحبوة هي الاحتباء أو ما يحتبى به من ثوب وغيره المعجم الوسيط (١٥٤/١).

(٤) جبذني أي جذبني إليه المعجم الوسيط (١٠٤/١).

(٥) رواه مالك في الموطأ (٩٥٣/٢) كتاب الشعر حديث ١٦ بسند صحيح وأحمد (٢٢٩/٥ و٢٣٣ و٢٤٧) بسند جيد وابن حبان كما في الموارد حديث (٢٥١٠) والحاكم (١٦٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) رواه أحمد (٢٣٩/٥) بسند جيد.

رسول الله ﷺ: **«إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً أمام جائر»**(1) وإنما كان الإمام العادل أحب الناس إلى الله تعالى لأن خيره وعدله يعم الناس في الدنيا ولأن جهاده لنفسه وشيطانه ولأهل الباطل أعظم من جهاد غيره ولقيامه بواجب الرعية وعدم اغتراره بالمنصب والجاه الذي صار إليه وكذا حصول السمع والطاعة من الرعية. بل إنه مع هذا كله خاف الله واتقاه وقام بالأمانة التي أوكله الله إليها حق القيام فعمل وحكم بما يحب الله من العدل والخير ولم يظلم أو يميل عن الحق رغم وجود أسباب ذلك بطرقه المسيرة، فاستحق لهذا كله محبة الله عزّ وجلّ العادل وقربه منه والإظلال في ظل عرشه عزّ وجلّ يوم لا ظل إلا ظله كما جاءت بذلك النصوص الصحيحة.

(٢٨) المؤمن القوي: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء لا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قُل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**(2) يقول الإمام النووي رحمه الله المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأكثر خروجاً إليه وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله وأرغب في الصلاة والصوم والإذكاء وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ولحافظة عليها ونحو ذلك، وأما قوله ﷺ: **«وفي كل خير»** فمعناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات وقوله ﷺ: **«احرص على ما ينفعك**

---

(١) رواه الترمذي كتاب الأحكام باب ما جاء في الإمام العادل (٦٠٨/٣) حديث (١٣٢٩) وقال حديث حسن.

(٢) رواه مسلم كتاب القدر باب الأمر بالقوة وترك العجز (٢٠٥٢/٤) حديث (٣٤) وأحمد (٣٦٦/٢ و٣٧٠) وابن ماجه في المقدمة (٣١/١) حديث (٧٩).

واستعن بالله ولا تعجز» فمعناه إحرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة منه تعالى على ذلك. ولا تكسل ولا تعجز عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة أما قول ﷺ **«ولا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا.. الخ»** فمعناه النهي عن قول (لو) لأنها تفتح عمل الشيطان، وخاصة على الأمور الماضية التي لا ينفع عليها الندم إلا ما كان من ندم على تقصير في طاعة الله فإنه لا بأس به(١). وقد تضمن هذا الحديث العظيم أموراً جليلة وأصولاً عظيمة من أصول الإسلام لا مجال لذكرها في هذه العجالة. وقد ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفذ (شفاء العليل)(٢).

(٢٩) أشد المتحابين في الله حباً لصاحبه: فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه»**(٣).

(٣٠) العامل المحسن: قال رسول الله ﷺ: **«يحب الله العامل إذا عمل أن يحسن»**(٤). إن إحسان العمل من صفات المؤمن لأنه لا يعرف الغش ولا الخديعة ولا السيء في العمل والمعاملة، بل جوهرة في قلبه وقالبه لا يعرف إلا الطهر والحسن والنقاء، فما يصدر منه لا يكون إلا حسناً لأنه يحب الله تعالى والله يحبه.

(٣١ ـ ٣٢) اسمي عبدالله وعبدالرحمن: فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدالرحمن»**(٥).

(٣٣) اسم الحارث: وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢١٥ ـ ٢١٦).

(٢) شفاء العليل، ص١٨، ١٩.

(٣) رواه الطبراني بإسناد جيد قوي كما قال في الترغيب (٤/١٧).

(٤) رواه الطبراني في الكبير عن كليب بن شهاب وهو حديث حسن كما قال العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦/٣٢٦) حديث (٧٨٩٣).

(٥) رواه مسلم كتاب الأدب باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء (٣/١٦٨٢) حديث (٣) والترمذي ك الأدب باب ما يستحب من الأسماء (٥/١٣٢) حديث (٢٨٣٣ ـ ٢٨٣٤).

«أحب الأسماء إلى الله عبدالرحمن والحارث»[(١)] فعلى المؤمن المحب لربه أن يحب هذه الأسماء لأنها محبوبة لله وأن يحرص على تسمية أبنائه ومن يحب بهذه الأسماء، ولأن اسمي عبدالله وعبدالرحمن يتضمنان وصفاً عظيماً ثابتاً لله عزّ وجلّ ووصفاً لازماً للعبد وهو العبودية لله تعالى بأسمائه وصفاته. أما الحارث فإنه يتضمن الحرث وفيه معنى البركة والخير وهو مما يحمل على التفائل. لأن الله يحب الأسماء الطيبة الدالة على الخير ويبغض الأسماء القبيحة التي لا تحمل معنى الخير والتفاؤل.

(٣٤) المؤمن المتدين: فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عزّ وجلّ يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه**، قالوا: وما بوائقه يا نبيّ الله؟ قال: **غشمه وظلمه، ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله عزّ وجلّ لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»**[(٢)]. ويؤيد هذا الحديث ما رواه الترمذي وأحمد أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء»**[(٣)]. فنحمد الله على نعمة الإسلام والتي لا يعادلها نعمة على الإطلاق ونسأله تعالى الثبات عليه حتى نلقاه. فالواجب على أحباب الله المؤمنين الشكر على هذه النعمة والدعوة إليها بكل حماس ورغبة لإنقاذ العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ظلام الجاهلية إلى نور الدين الإسلامي الحنيف.

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده كما قال العلامة الألباني، وهو حديث صحيح انظر صحيح الجامع (١٠٧/١) حديث (١٦٠).

(٢) رواه أحمد (٣٨٧/١) والحاكم (٣٣/١ ـ ٣٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) الترمذي ك الطب باب ما جاء في الحمية (٣٨١/٤) حديث (٢٠٣٦) وحسنه، وأحمد (٤٢٧/٥) بنحوه والحاكم (٢٠٨/٤) وصححه.

المبحث الثاني

الخصال والأعمال والأعيان التي يحبها رسول الله ﷺ

إن رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وما ذاك إلا لأنه ﷺ رحمة الله المهداة لخلقه كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، لذا لم يدع عليه الصلاة والسلام خيراً إلا ودلنا عليه ورغبنا فيه، ولم يدع شراً إلا وحذرنا منه ونهانا عنه. ولقد كان ﷺ القدوة العملية لنا في التطبيق الحي لأوامر الله تعالى والعمل بها ومحبة كل ما يحبه ويقرب إليه من أعمال وخصال وأعيان. وكان أيضاً ﷺ القدوة العملية في البعد عما حرم الله تعالى ونهى عنه، وفي بغضه وبغض كل ما يبغضه الله عزّ وجلّ من أعمال وصفات وأعيان.. فما من شيء أحبه الله منا ولنا إلا وأحبه، وما من شيء أبغضه الله إلا وأبغضه وكرهه ﷺ لأنه هو المبلّغ عن ربه وهو القدوة للخلق، فاتباعه والسير على نهجه هو السبيل الوحيد الموصل للسعادة الأبدية والفوز برضا الله ومحبته والفوز بجنته والنجاة من عذابه.

هذا وقد ورد في السنّة النبويّة المطهرة ذكر بعض ما كان يحبه ﷺ من أعمال وخصال وأعيان وهي وإن كان عددها قليلاً، إلا أن ذلك لا يعني أنه لم يكن ﷺ يحب غيرها، لأنه إنما ذكرت هذه المحبوبات على سبيل

المثال لا الحصر، ولأنه كان ﷺ كان يحب ـ كما أسلفت ـ كل ما يحبه الله من الأعمال والأعيان، فهو مثلاً كان يحب أصحابه جميعهم رضي الله عنهم وإن كان لم يرد إلا ذكر بعضهم ممن يحبه، كما كان يحب الجهاد والزكاة والصيام والعفو. . . الخ وغيرها من الواجبات والمستحبات والمباحات وإن كان لم يرد إلا ذكر بعضها فقط. ومع هذا فإنني أحب أن أذكر ما ورد في هذا المجال لنحب ما يحب ﷺ ونعمل به ونتقرب إلى الله بذلك.

(أ) الخصال والأعمال التي يحبها رسول الله ﷺ:

(١) **الصلاة**: فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[١].

الصلاة هي قرة عيون الموحدين المحبين لله تعالى ولرسوله في هذه الدنيا، لما فيها من مناجاة لله تعالى الذي لا تقر العيون إلا به ولا تطمئن ولا تسكن النفوس إلا إليه، ولما فيها من التنعم بذكره سبحانه والابتهاج بمناجاته والوقوف بين يديه، والتلذذ بالخضوع له والقرب منه، ولا سيما في حالة السجود والتي يكون فيها العبد أقرب ما يكون من ربه تعالى قال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء**»[٢]، فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألذ لقلبه ولا أنعم لعيشه من الصلاة، لأنها قرة عينه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها فالمحبون يقولون نصلي فنستريح بصلاتنا كما كان يقول إمامهم وسيدهم ونبيّهم وحبيبهم ﷺ إذا حزبه أمر «**يا بلال أرحنا بالصلاة**»[٣]، ولم يقل أرحنا منها وقال ﷺ: «**وجعلت قرة عيني**

(١) رواه النسائي كتاب عشرة النساء باب حب النساء (٦/٦٢ ـ ٦٣) حديث (٣٩٤٠) وأحمد (٣/١٢٨ و١٩٩ و٢٨٥).

(٢) رواه مسلم ك الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (١/٢٤٠) حديث (٢١٧)، وأبو داود ك الصلاة باب في الدعاء في الركوع والسجود (١/٥٤٥) حديث (٨٧٥).

(٣) رواه أحمد (٥/٣٦٤ و٣٧١)، وأبو داود ك الأدب باب في صلاة العتمة (٥/٢٦٢) حديث (٤٩٨٥ ـ ٤٩٨٦) بسند حسن.

في الصلاة» وقرة العين فوق المحبة فأخبر ﷺ أن قرة عينه التي يطمئن القلب بالوصول إليها ومحض لذته وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه وحضور بين يديه واقتراب منه، فكيف لا تكون قرة العين وكيف تقر عين المحب بسواها؟!.

فأين هذا ممن يقول: نصلي ونستريح من الصلاة، وما ذاك إلا لكونه غافلاً ومعرضاً عن عظم الصلاة فليس له نصيب منها بل هي ـ الصلاة ـ كبيرة وشاقة عليه إذا قام فكأنه قام على الجمر حتى يتخلص من واجب الصلاة وعجلها وأسرع فيها، فهو ليس له فيها قرة عين ولا لقلبه راحة بها(١). فهي كبيرة على الغافل ولذة وقرة عين وراحة للمؤمن الصادق فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المؤمنين الصادقين الذين تطمئن قلوبهم بذكره وتقر أعينهم بعبادته ومناجاته إنه سميع مجيب.

(٢) الصوم في شعبان: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصوم شعبان بل كان يصله برمضان)(٢) وفي رواية لأحمد رضي الله عنه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يصوم فلا يفطر، حتى نقول: ما في نفس رسول الله ﷺ أن يفطر العام، ثم يفطر فلا يصوم، حتى نقول ما في نفسه أن يصوم العام، وكان أحب الصوم إليه في شعبان)(٣) لقد كان ﷺ كثير الصيام لله عزّ وجلّ وكان أكثر ما يصوم في شعبان وذلك استعداداً وتهيئة لرمضان فكان يصوم أكثره ليعلِّم المسلمين هذه القربة العظيمة ـ ألا وهي الصوم ـ ويهيأهم لاستقبال شهر الرحمة والخير رمضان المبارك فعلينا بالاقتداء به ﷺ فإن ذلك طريق الفلاح.

(٣) العمل الصالح الدائم: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن

---

(١) انظر طريق الهجرتين ص٤٠ و٣٠٧، ورسالة إلى كل مسلم ص٣٣، ٣٤، والوابل الصيب ص٣٧، للإمام ابن القيم رحمه الله.

(٢) رواه النسائي ك الصوم باب صوم النبيّ ﷺ (١٩٩/٤) حديث (٢٣٥٨) وأحمد (١٨٨/٦).

(٣) أحمد (٢٣٠/٣).

رجلاً قال لها: حدثيني بأحب العمل إلى رسول الله ﷺ، قالت: (كان أحب العمل إليه الذي يدوم عليه الرجل وإن كان يسيراً)[١]. وعنها رضي الله عنها أنها سئلت أي الأعمال أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: (الدائم، قيل فأي الليل كان يقوم؟ قالت: إذا سمع الصارخ)[٢] رواه النسائي[٣][٤].

فلنحرص على المداومة على العمل الصالح وإن كان يسيراً فإنه مما يحبه الله ورسوله ﷺ ولأن العمل القليل المستمر خير من العمل الكثير المنقطع، لأن المستمر على العمل ولو كان يسيراً ما زال في خير أما المنقطع عن العمل فهو في بعد عن الخير فلنحذر التقصير والتسويف فإنه من خزعبلات ووساوس الشيطان الرجيم.

(٤) ذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**» رواه مسلم[٥].

(٥) الصلاة التي يداوم عليها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان أحب الصلاة إلى رسول الله ﷺ ما داوم عليها) وفي رواية (ما دووم عليها) وإن قل وكان إذا صلّى يداوم عليها[٦]. إن المداومة على الصلاة وعلى أي عمل يحبه الله تعالى مما يبعد الشيطان عن المسلم ويجعله دائم الصلة بالله عزّ وجلّ وهذا يؤذي الشيطان ويغيظه، فعلى المؤمن أن يطرد الشيطان وأن

---

(١) أحمد (١١٣/٦ و٢٥٠ و٦١/٦) بنحوه.

(٢) الصارخ: هو الديك كما قال الإمام النووي باتفاق العلماء وسمي بذلك لكثرة صياحه انظر سنن النسائي (٢٠٨/٣ ـ ٢٠٩).

(٣) النسائي هو الإمام شيخ الإسلام أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني القاضي صاحب السنن، ولد سنة (٢١٥هـ) وتوفي سنة (٣٠٣هـ). انظر ترجمته تذكره الحفاظ ط (٦٩٨/٢).

(٤) النسائي ك قيام الليل باب وقت الصيام (٢٠٨/٣) حديث (١٦١٦).

(٥) مسلم ك الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤) حديث (٣٢).

(٦) رواه أحمد (٨٤/٦ و١٢٨ و١٨٩).

يبعده عنه بالإكثار من عبادة الله من ذكر وصلاة وصوم وغير ذلك ليقوي إيمانه وتزاد محبته لله تعالى لأنه متى ازداد الإيمان وقويت المحبة ضعف العدو والعكس بالعكس.

(ب) الأعيان والذوات التي يحبها رسول الله ﷺ:

(١ ـ ٢ ـ ٣) عائشة وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم: فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» قلت من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت ثم من؟ قال: «**عمر**» فعد رجالاً[1]. لقد كانت الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أحب الناس إليه ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وعلي والعشرة المبشرون بالجنة.. الخ فعلى المؤمن أن يحب أحباب الرسول ﷺ لأن حبهم من حبه وبغضهم من بغضه. وإن المرء لن يذوق طعم الإيمان والمحبة ما دام يبغض ما يحب الله ورسوله ﷺ، ويحب ما يبغض الله ورسوله. فمن هنا يتضح ما عليه الرافضة من ضلال لبغضهم لصحابة رسول الله وتكفيرهم إياهم وخاصة الشيخين أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة... الخ فهل لهؤلاء إيمان ومحبة لله ولرسوله إذا كانوا يكفّرون ويبغضون من يحبه الله ورسوله؟ كلا وربي. هذا وفضائل هؤلاء الثلاثة ـ الصديق والفاروق وعائشة رضي الله عنهم ـ ومناقبهم مشهورة معروفة لا مجال لذكرها ههنا.

(٤) علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فقد قال فيه ﷺ «**لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله...**» الحديث[2].

(٥ ـ ٦) الحسن والحسين بن علي رضي الله عنهم: فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أبصر رسول الله ﷺ حسناً وحسيناً فقال: «**اللّهم**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

إني أحبهما فأحبهما» رواه الترمذي[1] وقال ﷺ: **«اللّهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه»** متفق عليه[2].

(٧) أسامة بن زيد: فقد روي البخاري عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يأخذه والحسن يقول: **«اللّهم إني أحبهما فأحبهما»**[3].

(٨) زيد بن حارثة: وابنه أسامة: عن ابن عمر رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً[4] وأمّر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمرته[5] فقام رسول الله ﷺ فقال: **«إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً[6] للإمرة وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»** وفي رواية **«وأيم الله إن كان لأحب الناس إليّ وأيم الله، إن هذا لخليق** - يعني أسامة بن زيد - **وأيم الله إن كان لأحبهم إليّ من بعده فأوصيكم به فإنه من صالحيكم»** روى الحديثين مسلم رحمه الله[7].

(٩) خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على نساء النبيّ ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: **«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»** قالت فأغضبته يوماً فقلت خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أني قد رزقت حبها»** رواه مسلم[8].

لقد كان يحبها ﷺ حباً جماً. كيف لا وهي أول زوجة تزوجها ولم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أي: أرسل جماعة للجهاد في سبيل الله.

(٥) الإمرة الولاية وكذا الإمارة.

(٦) أي: جديراً وحقيقاً بها.

(٧) مسلم ك فضائل الصحابة باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد (١٨٨٤/٤) حديث (٦٣ - ٦٤).

(٨) مسلم ك فضائل الصحابة باب فضائل خديجة بنت خويلد (١٨٨٨/٤) حديث (٧٥).

يتزوج عليها حتى ماتت، وفضائلها ومناقبها كثيرة جداً رضي الله عنها، ويكفيها فخراً أنها كانت له نصيراً ووزيراً في دعوته ﷺ إلى الناس وهي أم أولاده، فحري بها هذا الحب النبويّ الذي رزقه الله إياه وهنيئاً لها جنات النعيم رضي الله عنها وأرضاها وجزاها عن الإسلام كل خير. لذا كان ﷺ يحبها ويودها حتى بعد موتها ويذكرها بالخير ويصل أصدقاءها وفاءاً لها حتى غارت من ذلك الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها والغيرة من طبيعة النساء.

(١٠) **الأنصار رضي الله عنهم**: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي فكلمها رسول الله ﷺ فقال: «**والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إليّ**» مرتين وفي رواية مسلم ثلاث مرات متفق عليه[١]. وقال ﷺ لهم أيضاً: «**اللّهم أنتم من أحب الناس إليّ قالها ثلاث مرات**» متفق عليه[٢]. وإنما استحقوا هذا الحب النبويّ الكريم لنصرهم لرسوله وإخوانهم المؤمنين المهاجرين وقد أثنى عليهم الله عزّ وجلّ الثناء العطر في كتابه الكريم من ذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] كما أثنى عليهم رسوله ﷺ في أحاديث كثيرة جداً ودعا لهم وبيّن أن حبهم إيمان وبغضهم نفاق - والعياذ بالله - بل تمنى أن يكون امرءاً منهم فقال: «**لو أن الأنصار سلكوا وادياً - أو: شعباً - لسلكت وادي الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار**» قال أبو هريرة ما ظلم - بأبي وأمي - آووه ونصروه[٣]. وقال: «**اللّهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء**

---

(١) رواه البخاري ك مناقب الأنصار باب قول النبيّ للأنصار: «**أنتم أحب الناس إليّ**» (١١٢/٧) حديث (٣٧٨٦) ومسلم ك فضائل الصحابة باب من فضل الأنصار (١٩٤٨/٤) حديث (١٧٥).

(٢) البخاري ك مناقب الأنصار (١١٣/٧ - ١١٤) حديث (٣٧٨٥) ومسلم ك فضائل الصحابة باب من فضائل الأنصار (١٩٤٨/٤) حديث (١٧٤).

(٣) رواه البخاري ك مناقب الأنصار باب قول النبيّ ﷺ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار (١١٢/٧) حديث (٣٧٧٩).

الأنصار»[1] فعلى المؤمن أن يحبهم وأن يترضى عليهم وأن يبغض من يبغضهم لأن بغضهم نفاق فكيف بمن يكفرهم والعياذ بالله إنه لا شك في كفر من يعتقد ذلك.

(١١ ـ ١٢) النساء والطيب: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«حُبّب إليّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة»**[2]. وإنما حُبّب إليه ﷺ النساء لينقلن عنه ما لا يطلع عليه الرجال من أحواله ويستحيا من ذكره، وقيل حُبّب إليه ذلك زيادة في الابتلاء في حقه حتى لا يلهو بما حبب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة فيكون ذلك أكثر لمشاقه وأعظم لأجره وقيل غير ذلك[3]. وأما حبه ﷺ للطيب فلأنه يناجي الملائكة وهم يحبون الطيب، وأيضاً هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج وكمال الخلقة وهو ﷺ أشد اعتدالاً من حيث المزاج وأكمل خلقه من البشر[4]. وإضافة إلى ذلك فقد أحب النبيّ ﷺ الطيب ورغّب فيه لأنه القدوة للخلق، فحبه له ووصفه إياه فيه حثّ للمسلمين على الاقتداء به، لتكون رائحتهم عطرة تفوح منها رائحة الطيب كما يفوح من قلوبهم وأعضائهم روائح الأعمال الطيبة الصالحة، فهم نظيفون باطناً وظاهراً. وهكذا يجب أن يكون المؤمن المحب.

(١٣) ثياب الحِبَرة: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أحب الثياب إلى النبيّ ﷺ أن يلبسها الحبرة[5] متفق عليه[6]، وفي رواية أن

---

(١) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل الأنصار (١٩٤٨/٤) حديث (١٧٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) هامش سنن النسائي (٦١/٧).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الحبرة بكسر الحاء وفتح الباء ثياب من كتاب أو قطن محبرة وهي من برود اليمن وهي أشرف الثياب عندهم، والتحبير: التزين والتحسين، فتح الباري (٢٧٧/١٠)، وشرح صحيح مسلم (٥٦/١٤).

(٦) البخاري ك اللباس باب البرود والحبر والشملة (٢٧٦/١٠) حديث (٥٨١٢) ومسلم ك اللباس باب فضل لباس ثياب الحبرة (١٦٤٨/٣) حديث (٣٣).

أنس بن مالك رضي الله عنه سئل أي الثياب كان أحب إلى النبيّ ﷺ؟ قال: الحبرة[1] متفق عليه. لقد كان ﷺ يحب اللباس الجميل، لأن الله جميل ويحب الجمال، واللباس الجميل مما يحبه الله ورسوله وهو عليه الصلاة والسلام إنما يعلِّم أمته بل والبشرية جمعاء النظافة والجمال بفعله وحبه لذلك، لأن المسلم بين الناس كالشامة والوردة، فلنحرص على لبس الجميل بدون خيلاء ولا تكبر ولا إسراف، ولنحسن لبس ثيابنا فإنه من الجمال الذي يحبه الله ورسوله.

(١٤) **الخيل**: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل[2] وإنما كان حبه ﷺ للخيل كبيراً لأنه من أدوات الجهاد وسلاحه والذي هو مما يعين على طاعته الله في أداء هذه الفريضة - الجهاد - العظيمة والتي هي من أحب الأعمال إلى الله ومن أكثر ما يقرب العبد إليه عزّ وجلّ وهو القائل ﷺ مادحاً الخيل: «**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة**» متفق عليه[3] فلذا كان يحبها لما فيها من خير.

(١٥) **الشراب البارد الحلو**: فقد كان ﷺ يحب الشراب البارد الحلو[4].

(١٦ - ١٧) **الحلواء والعسل**: وكان ﷺ يحب الحلواء والعسل[5].

---

(١) البخاري ك اللباس باب البرود والحبر والشملة (٢٧٦/١٠) حديث (٥٨١٢) ومسلم ك اللباس باب فضل لباس ثياب الحبرة (١٦٤٨/٣) حديث (٣٢).

(٢) رواه النسائي ك عشرة النساء باب حب النساء (٦٢/٧).

(٣) البخاري ك المناقب (٦٣٣/٦) حديث (٣٦٤٤ - ٣٦٤٥) ومسلم ك الإمارة باب الخيل في نواصيها الخير (١٤٩٣/٣) حديث (٩٦ - ٩٧).

(٤) رواه أحمد (٣٨/٦ - ٤٠) والترمذي ك الأشربة باب ما جاء أي الشراب أحب إلى رسول الله (٣٠٧/٤) حديث (١٨٩٥) والحديث صحيح كما قال الألباني في صحيح الجامع (١٩٨/١) حديث (٤٥٠٣).

(٥) البخاري ك الأطعمة (٥٥٧/٩) حديث (٥٤٣١) ك الأشربة (٦٢/١٠) حديث (٥٥٩٩) ومسلم ك الطلاق باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (١١٠١/٢) حديث (٢١).

(١٨) **لبس القميص**: كما كان أحب الثياب إليه القميص[١] ومحبته عليه الصلاة والسلام لهذه الأشياء يعتبر مما يعين على محبته الله عزّ وجلّ. ولا تزاحم هذه المحبات محبة الله تعالى بل قد تجمع الهمم والقلب على التفرغ لمحبة الله، وإن كانت طبيعة تتبع فيه صاحبها وقصده بفعل ما يحبه، إلا أن رسول الله ﷺ كان يحب ذلك لأنها كانت تعينه على طاعة الله ومحبته وكانت تقويه عليها فلذلك نال أجر من أحسن النية لله تعالى[٢]. فعلى المؤمن أن يخلص نيته لله في كل أمر من الأمور حتى فيما يعتبر طبيعياً عند الناس ليفوز بالأجر العظيم عند الله وبالهداية الربانية ببركة اتباع خير الأنام ﷺ.

وأخيراً أقول: هذا ما تيسر لي من ذكر للأمور والخصال والأعيان المحبوبة لله ولرسوله ﷺ وقد بذلت جهداً كبيراً حتى جمعت هذه المحبوبات وذلك لما يترتب على معرفتها من فوائد جمة:

منها: حب هذه المحبوبات من أعمال وخصال وأعيان لأن محبة ما يحبه الحبيب شرط من شروط صدق محبته.

ومنها: العمل بما يحبه الحبيب من أعمال والتخلق بما يحبه لنا من صفات وخصال.

ومنها: كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله[٣] أن المتخلف المسكين عن العمل بما يحبه الله ورسوله لا يزال مزرياً على نفسه ذاماً لها.

ومنها: أن لا يزال العبد منكسر القلب بين يدي ربه تعالى ذليلاً له حقيراً يشهد منازل المحبين السابقين وهو في زمرة المنقطعين، ويشهد بضائع التجار وهو في رفقة المحرومين.

---

(١) رواه أبو داود ك اللباس ما جاء في لبس القميص (٣١٢/٤) حديث (٤٠٢٥) والترمذي ك اللباس (٢٣٧/٤ ـ ٢٣٨) باب في القميص حديث (١٧٦٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٧/١) حديث (٤٥٠١).

(٢) راجع إغاثة اللهفان (١٤٠/٢).

(٣) طريق الهجرتين، ص٢٠٥، ٢٠٦.

ومنها: أنه عساه أن تنهض همته يوماً إلى التشبث والتعلق بساقة القوم والمحبوبين لله ولرسوله ولو من بعيد.

ومنها: أنه لعله أن يصدق في الرغبة والالتجاء إلى الله عزّ وجلّ الذي بيده الخير كله حتى يلحقه بهؤلاء الذين يحبهم ورسوله ﷺ ويهيئه ويأخذ بناصيته للعمل بما يحبه عزّ وجلّ منهم.

ومنها: أن العلم بمحبوبات الله ورسوله من أشرف العلوم وليس بعد علم التوحيد أشرف منه، وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة ولا يناسب النفوس الدنيئة المهينة، فإذا رأى نفسه تناسب هذا العلم وتشتاق إليه وتحبه وتأنس بأقله فليبشر بالخير، فقد أُهلٍّ له فليجاهد نفسه على العمل بهذا العلم لأن السعادة وكمال المحبة في العمل به.

ومنها: أن العلم بكل حال خير من الجهل، فالعلم بهذا الشأن وإن لم يكن موصوفاً به أو قائماً به خير ممن لا يعلم عن هذا العلم شيئاً ولا يتصف به أو يقوم به.

ومنها: أنه إذا كان العلم بهذا الشأن هَمَّ المرء ومطلوبه، فلا بدّ أن ينال منه بحسب استعداده ولو لحظة، ولو بارقة، ولو أنه يحدث نفسه بالنهضة إليه.

ومنها: أنه يجري على لسانه ما ينتفع به غيره بقصده أو بغير قصده، والله لا يضيع مثقال ذرة فعسى أن يرحم بذلك العامل.

وبالجملة ففوائد العلم بهذا الشأن لا تنحصر فلا ينبغي أن تصغي إلى من يثبطك عنه وتقول إنه لا ينفع بل احذره واستعن بالله ولا تعجز، ولكن لا تغتر وفرّق بين العلم والحال، ولا تظن أنك بمجرد العلم بهذا الشأن قد صرت من أهله، هيهات ما أظهر الفرق بين العلم بوجود الغني وهو فقير، وبين الغني بالفعل، وبين العلم بأسباب الصحة وحدودها وهو سقيم وبين الصحيح بالفعل(١).

---

(١) طريق الهجرتين، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

فإن وجدت في نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهؤلاء المحبين المحبوبين لله ورسوله فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح.

إذا أعـجـبـتـك خـصـال امـرىء فكـنـه تـكـن مـثـل مـا يـعـجـبـك
فـليـس عـلى الـجـود والـمـكـرمـا ت إذا جئتها حاجب يحجبك[(١)]

(١) المرجع السابق ص٢٠٦.

الفصـــل الخامـــس

علامات محبة الله تعالى للعبد

وهي عدة أمور:

الأول: الحمية من الدنيا.

الثاني: الابتلاء والامتحان.

الثالث: حسن التدبير للعبد.

الرابع: الرفـق.

الخامس: القبول في الأرض.

السادس: الموت على عمل صالح.

الفصل الخامس
علامات محبة الله تعالى للعبد

إن محبة الله تعالى للعبد المؤمن أمر عظيم إذ هي نعمة كبيرة وفضل عميم من الله يختص به من يشاء. لذا كانت غاية الموحدين وهدف المؤمنين من عبادتهم لله رب العالمين، لأنه من أحبه الله فقد فاز ونجا، ومن أبغضه الله فقد خاب وخسر، فلذا شمّر المؤمنون عن ساعد الجد وعملوا بما يحبه الله ويرضاه وبما يقربهم إليه ليمنن عليهم بمحبته إياهم ورحمته لهم.

هذا وإن هناك علامات ـ بيّنها الناصح الأمين ﷺ ـ تدل على حب الله عزّ وجلّ لعبد أو عبيد من عباده وتوضح فضل الله تعالى عليه بأن قرّبه إليه ورضي عنه فأحبه.. ومن هذه العلامات الدالة على محبة الله تعالى للعبد أمور:

الأمر الأول:

الحمية من الدنيا: إن الدنيا فتنة عظمى ومشغلة كبرى عن ذكر الله وعبادته وعن الدار الآخرة، ويكفيها حقارة وذماً لها أن الله عزّ وجلّ حذّر منها عباده من أن يقعوا في شباكها أو ينجرفوا في ملذاتها لئلا تهلكهم وتصطادهم وتلهيهم عما خلقوا وأوجدوا عليها من أجله، ألا وهو عبادته تعالى الجامعة لمحبته عزّ وجلّ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: ٥] ففي هذه الآية نهى عزّ وجلّ عباده وحذرهم من الاعتزاز بالدنيا لأنها فتنة كبرى ـ كما

أسلفت ـ كما بين الله سبحانه في آيات أخرى وصفها وحالتها بكونها لعباً ولهواً وزينة وتفاخراً بالأموال والأولاد وأنها لا تدوم لأحد بل هي لهو وفتنة للعباد قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠] فأي قيمة لها إذا كانت لهواً ولعباً وفتنة ومتاعاً للغرور؟ وهل تستحق منا اللهث وراءها أو الركض خلفها والغرور بها؟!

كلا والله وإن ذلك عين الخطأ والجهل والضلال، إذ كيف تترك الآخرة دار البقاء والحياة الأبدية ويستعاض عنها بالحياة الدنيا الدنيئة وتكون هَمَّ الإنسان؟

لذلك أخبر أصدق القائلين أن من كانت الدنيا همه وشغله وغايته فهو من الخاسرين الذين ليس لهم حظ في الآخرة إلا الجحيم قال سبحانه وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]. وذلك بسبب انشغالهم بالفانية عن الباقية وتركهم العمل للآخرة إلى الأولى الزالة مع كونها لا تساوى بها بل كل ما فيها بالنسبة للآخرة متاع قليل قال سبحانه: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧] كما قال عز وجل أيضاً: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] وكما قال أيضاً: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤] ومعنى اللهو الاستمتاع بلذات الدنيا واللعب العبث وإنما سميت بهما لأنها فانية، ومعنى ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي الحياة الدائمة الباقية، والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي فناء الدنيا وبقاء الآخرة[1]. لذلك أخبر

---

(١) انظر تفسير البغوي (٣/٤٧٤).

النبيّ ﷺ أن من علامات محبة الله للعبد أن يحميه من الدنيا فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أحب الله عبده حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمة الماء**»[1]. وفي لفظ عند أحمد: «**أن الله عزّ وجلّ ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه**»[2] فيحميه الله عزّ وجلّ ويحفظه من أن يغتر بها وبزخارفها وملذاتها، ويقيه فتنتها فلا يشغل قلبه بها ولا يعلقه بها لئلا يمرض قلبه بحبه فتهلكه كما أهلكت غيره من البشر ممن استعبدتهم هذه الزائلة والعياذ بالله فأصبحت أكبر همهم فلم يكن لهم نصيب في الآخرة نسأل الله السلامة، ومع هذا يظن كثير من الناس أن الدنيا إذا فتحت على العبد وتوسعت عليه في معاشها ومالها.. الخ. فإن ذلك دليل رضا الله عنه ومحبته له ولكن الحقيقة بعكس ذلك، وخاصة إذا أفتحت على العبد العاصي لأن ذلك استدراج من الله وليس إكراماً ومحبة منه تعالى، قال ﷺ: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج**» ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[3] [الأنعام: ٤٤] فنسأل الله تعالى أن يحمينا من الدنيا وأن لا يجعلها أكبر همنا إنه سميع مجيب.

الأمر الثاني:

الابتلاء والامتحان: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**»[4]. إن الابتلاء

---

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه أحمد (٤٢٧/٥).

(٣) رواه أحمد (١٤٥/٤) والطبري في تفسيره (١٢٤/٧) وهو حديث صحيح كما قال الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢١٤/١) حديث (٥٧٥).

(٤) رواه الترمذي ك الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء (٦٠١/٤) حديث (٢٣٩٦) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه ك الفتن باب الصبر على البلاء (١٣٣٨/٢) حديث (٤٠٣١) ورواه أحمد أيضاً (٤٢٧/٥) بنحوه عن محمود بن لبيد.

والامتحان سنّة من سنن الله مع عباده المؤمنين، لأنه يمحص الذين صدقوا من الكاذبين ويرفع أجرهم ويزيد في إيمانهم وصبرهم على تمسكهم بدينهم والرضا بما يقدره الله لهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]. لذلك كان أشد الناس بلاء أشدهم إيماناً وصلاحاً وهم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل كما أخبر عن ذلك رسول الله ﷺ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء قال: **«الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه»** وفي رواية **«على قدر دينه»** فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه من خطيئة(١).

الأمر الثالث:

حسن التدبير للعبد المؤمن: إن توفيق الله عزّ وجلّ لعبد من عباده وهدايته له إلى الإيمان وإبعاده له عن الشرك والعصيان من أولى علامات محبته تعالى له فإنه عزّ وجلّ لا يهدي للإيمان إلا من يحبه ويرضى عنه ويوفقه، وقد أخبر عن ذلك النبيّ المصطفى ﷺ حيث يقول: **«إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله عزّ وجلّ يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين** - وفي رواية - **ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه»**(٢) فنعمة الإيمان نعمة عظيمة لا تعادلها نعمة على الإطلاق، فمن هداه الله له فقد وفقه وأحبه وأعانه على اختيار السعادة في الدنيا والآخرة، فيوفقه عزّ وجلّ للعمل بمقتضى هذا الإيمان من قيام بالواجبات وترك للمحرمات والمكروهات، والعمل بما يقربه

---

(١) رواه أحمد (١/١٧٢ و١٧٤ و١٨٠ و١٨٥)، والترمذي ك الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء (٤/٦٠٢) حديث (٢٣٩٨) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه ك الفتن باب الصبر على البلاء (٢/١٣٣٢) حديث (٤٠٢٣)، والحاكم (١/٤٠ - ٤١). وصححه.

(٢) تقدم تخريجه.

إلى ربه عزّ وجلّ ورضوانه وترك لما يبغضه عزّ وجلّ ويسبب الشقاء له فيربيه تعالى على الطاعة وترك الشرك والمعصية ويجعل همه في مرضاة ربه ولسانه رطباً بذكره، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، ولا شيء أحب للعبد المؤمن من ربه فيكثر من ذكره، لأنه قوت القلوب وراحة القلوب والعقول. وبالجملة فإن الله عزّ وجلّ إذا أحب عبداً هداه للإيمان وسهل له طريق السعادة وكل خير، وأبعده عن طريق الشقاء والشر وألهمه رشده وحسن خلقه ومعاملته، وجعل همه في مرضاته عزّ وجلّ، ويا لها من نعم لا يعرفها إلا من ذاقها.

الأمر الرابع:

الرفق: والمراد به: لين الجانب واللطف بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وحسن الصنيع وهو ضد العنف[١] وهو خلق عظيم وخصلة جليلة يحبها الله تعالى ويحب من اتصف بها من عباده، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق**»[٢] فالبيت الذي يدخل عليه الرفق بيت مرحوم ومحبوب من الله تعالى وذلك لأن الرفق كله خير وبركة لذا أحبه الله تعالى في الأمر كله كما قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها لما قالت لليهود وعليكم السام: «**مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله**» متفق عليه[٣] وأخبرها عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على سواه فقال: «**يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**» رواه مسلم[٤] فعلى المؤمن أن يتحلى بهذا الخلق الكريم ليفوز بمحبة الله تعالى له فيكون بذلك من الهداة في الدنيا والآخرة.

---

(١) المعجم الوسيط (٣٦٢/١) وفتح الباري (٤٤٩/١٠)، وفيض الغدير (٢٦٣/١).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب والضياء وهو صحيح كما قال الألباني في صحيح الجامع (٩٠/٢) حديث (١٧٠٠).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.

الأمر الخامس:

القبول في الأرض: والمراد بذلك قبول القلوب له بالمحبة والرضا عنه والثناء عليه[1] فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبداً دعا جبريل عليه السلام فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في أهل الأرض**»[2] وفي رواية مسلم عن سهيل بن أبي صالح[3] قال: كنا بعرفة فمر عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وهو على الموسم، فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن عبدالعزيز قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس. فقال: بأبيك أنت سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ ثم ذكر الحديث[4]. إن محبة المؤمنين لعبد من عباد الله ورضاهم عنه وثناءهم عليه دليل وعلامة على محبة الله تعالى له كما يفهم ويؤخذ من الحديثين السابقين، وهذه المحبة والثناء عليه هو عاجل بشرى المؤمن في الدنيا كما بيّن ذلك الناصح الأمين ﷺ فعن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده ـ وفي رواية (ويحبه) ـ الناس عليه؟ قال: «**تلك**

---

(١) فتح الباري (١٠/٤٦٢).

(٢) روى البخاري بعضه ك بدء الخلق (٦/٣٠٢) حديث (٣٢٠٩) وك التوحيد باب المقه من الله (١٣/٤٦١) حديث (٦٠٤٠) ورواه مسلم ك البر والصلة باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده (٤/٢٠٣٠) حديث (١٥٧)، ومالك ك الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله (٢/٩٥٣) حديث (١٥)، وأحمد (٢/٢٦٨، ٣٤١، ٤١٣، ٤٨٠).

(٣) هو الإمام الكبير الصادق أبو يزيد المدني مولى جويرية بنت الأحمس القطفانية من صغار التابعين وكان من كبار الحفاظ لكنه مرض مرضه غيرت من حفظه توفي في ولاية أبي جعفر المنصور. انظر ترجمته السير (٥/٤٥٨)، وتهذيب التهذيب (٤/٢٦٣).

(٤) مسلم ك البر والصلة (٤/٢٠٣٠) حديث (١٥٨).

عاجل بشرى المؤمن»[1] والبشرى العاجلة للمؤمن ـ كما قال العلماء ـ هي البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق[2].

الأمر السادس:

الموت على عمل صالح: إن توفيق الله لعبد من عباده للعمل الصالح المحبوب لديه تعالى وإماتته عليه لدليل وعلامة من علامات محبته تعالى للعبد، ذلك لأن الإنسان لا يدري بما يختم له، فإذا ختم له بالعمل الصالح كالموت في الجهاد أو في صلاة أو على الشهادة أو غير ذلك من الأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله فذلك بشرى عاجلة لهذا العبد من ربه عزّ وجلّ بمحبته إياه وتوفيقه له حيث كان ختامه مسكاً، وإنما الأعمال بالخواتيم وقد أخبر عن هذه البشرى للمؤمن رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أحب الله عبداً عسّله**» فقيل: وما عسّله؟ قال: «**يوفق له عملاً صالحاً بين يدي أجله، حتى يرضى عنه جيرانه** ـ أو قال ـ **من حوله**»[3].

والعسل: طيب الثناء مأخوذ من العسل، يقال عسل الطعام يعسله: إذا جعل فيه العسل. وقد شبه ﷺ ما رزق الله تعالى لهذا العبد من العمل الصالح الذي طاب به ذكره بين قومه أو بين الناس بالعسل الذي يجعل في الطعام فيحلولى به ويطيب[4].

وقال بعض العلماء قوله ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً عسله**» هذا مثل معناه أن الله تعالى قد وفق العبد لعمل صالح يتحفه به كما يتحف الرجل أخاه إذا أطعمه العسل[5].

---

(١) رواه مسلم ك البر والصلة (٢٠٣٤/٤) حديث (١٦٦) وأحمد (١٥٦/٥ ـ ١٥٧، ١٦٨).
(٢) شرح مسلم للنووي (١٨٩/١٦).
(٣) رواه أحمد (٢٢٤/٥)، وابن حبان في الموارد حديث (١٨٢٢) والحاكم (٣٤٠/١) واللفظ له وصححه ووافقه الذهبي.
(٤) انظر النهاية في غريب الحديث (٢٣٧/٣).
(٥) انظر الترغيب والترهيب للمنذري (٢٥٣/٤).

ويؤخذ من الحديث أن توفيق الله عزّ وجلّ للعبد بتيسير الطاعة له والموت على العمل الصالح وكذا ثناء جيرانه ومن حوله من الناس عليه ورضاهم عن فعله الطيب وبعده عن الفعل المذموم كل ذلك دليل وعلامة من علامات محبته تعالى له. فعلى المؤمن أن يبادر بالعمل الصالح وأن يدع التسويف فإنه من وساوس الشيطان وخزعبلاته التي يضحك بها على الناس لأن المرء لا يدري متى يوافيه الأجل، فعليه أن يستعد دائماً للقاء الله، وأن يحرص على الموت على الطاعة فإن المرء يحشر على ما مات عليه، فإن كان محسناً مطيعاً على عمل صالح فليبشر بالخير، وإن كان غير ذلك فلا يلومَنّ إلا نفسه، وقد بشر ﷺ من يتوفى على الإيمان والشهادة بقوله: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** ـ وفي رواية ـ **وجبت له الجنة»**(١) فنسأل الله أن يحسن ختامنا وأن يتوفانا على الإيمان إنه سميع مجيب.

(١) رواه أحمد (٥/٢٣٣)، وأبو داود ك الجنائز باب في التلقين (٣/٤٨٦) حديث (٣١١٦) والحديث صحيح كما قال الألباني في صحيح الجامع (٣/٣٤٢) حديث (٦٣٥٥).

الباب الثاني

لوازم محبة اللّه ورسوله

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: إفراد الله بالعبادة.

الفصل الثاني: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، مفهومها، وما يناقضها.

الفصل الثالث: تحرير الولاء لأهل الإيمان والبراء من أهل الشرك والعصيان.

الفصل الرابع: الجهاد في سبيل الله بجميع أنواعه.

لوازم محبة الله ورسوله

تمهيد:

إن محبة الله تعالى ورسوله ليست مجرد دعوى تنال بالادعاء بل لا بدّ لها من مستلزمات وشروط حتى تكون محبة صادقة صحيحة ومقبولة عند الله تعالى. وأول وأهم هذه المستلزمات هو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة بجميع أنواعها. لذلك ركّز الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعهم في دعوتهم أقوامهم على هذا الجانب الهام العظيم من الإسلام فكان كل منهم أول ما يبدأ به دعوته لقومه بقوله: «**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**»، لذا كان الشرك بالله عزّ وجلّ ـ والذي لا يغفره الله ـ أعظم الذنوب وأول نواقض هذه المحبة لله عزّ وجلّ، ومعلوم كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله[1].

إن أصل الإشراك العملي بالله في المحبة قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. فأخبر سبحانه أن من الناس من يشرك بالله فيتخذ له أنداداً يحبونهم كما يحبون الله وأخبر أن الذين آمنوا أشد حباً لله من هؤلاء. فالمؤمنون أشد حباً لله من هؤلاء لأندادهم ولله، فإنهم أشركوا بالله في المحبة فجعلوها مشتركة بينه وبين الأنداد أما المؤمنون فقد أخلصوا دينهم لله

(١) جامع الرسائل (٢/٢٥٥).

الذي أصله المحبة لله، فلم يجعلوا له سبحانه عدلاً في المحبة بل كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما، ومحبة الرسول ﷺ من محبة الله وكذلك محبة ما يحبه الله عزّ وجلّ من الأعيان كالأنبياء والملائكة والصالحين والأعمال من لوازم وتمام محبة الله وهو الحب لله، كما جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[1].

كذلك من لوازم محبة الله ورسوله أيضاً طاعة رسوله ﷺ وإفراده عليه الصلاة والسلام بالمتابعة والتمسك بسنته والعض عليها بالنواجذ لأنه هو القدوة للبشرية قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فلا يجوز أن يقدم على سنته قول أحد ولا أن يبتدع في دينه شيء، لأنه قد كمل وبينه ﷺ أكمل بيان، فلا دين إلا ما شرعه الله على لسان نبيّه ولا متابعة إلا لرسوله ﷺ فهما توحيدان لا يقبل الله إسلام عبد بدونهما توحيد العبادة لله وتوحيد المتابعة لرسول الله ﷺ.

وقد ضلّ وأخطأ كثير ممن ينتسب إلى الإسلام ويدّعي محبة الله ورسوله في معنى وتحقيق هذين التوحيدين العظيمين فغلوا برسول الله ﷺ ووصفوه بصفات لا تجوز إلا لله وأطروه الإطراء المنهي عنه حتى وصل بهم الأمر إلى الاستغاثة به والطلب منه. وغير ذلك فجمعوا بين مخالفتهم له ﷺ بالإطراء له وبين وقوعهم في الشرك به مع الله ـ والعياذ بالله ـ. كما وقع إخوانهم المتعصبون للمذاهب وآراء الرجال الذين قصّروا في حقه ﷺ فقدّموا قول غيره على قوله وضربوا بسنته عرض الحائط فوقعوا في مخالفته والبعد عن محبته. فالفريق الأول غلوا فيه والفريق الثاني قصروا في حقه، وقد اتفق الفريقان على مخالفتهم له وبعدهم عن الصراط المستقيم المتمثل

---

(١) البخاري ك الإيمان باب حلاوة الإيمان حديث (١٦) فتح (١/٦٠)، ومسلم ك الإيمان باب خصال الإيمان (١/٦٦) حديث (٦٧).

بالسير على ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين وتابعوهم بإحسان، الذين يحبونه ﷺ ويقتدون به ويطيعونه ويفردونه بالمتابعة، ولا يخلطون ما له ﷺ بما لله، فيعرفون له حقه ولا يطرونه ولا يبتدعون في دينه ولا يقدِّمون رأي أو قول أحد على سنته. وهذا هو المفهوم الصحيح لمحبته ﷺ (الاتباع وعدم الابتداع)، لأن اتباعه ﷺ دليل على صدق محبته ومحبة الله وعدم اتباعه دليل على كذب هذا المحبة.

ومن لوازم محبة الله ورسوله أيضاً طاعة الله تعالى ورسوله ومراقبته عزّ وجلّ في السرّ والعلن وامتثال أمره واجتناب نهيه لأنه من المعلوم شرعاً أن الذنوب تنقص من محبة الله عزّ وجلّ ولكن لا تزيلها بالكلية إذا كانت ثابتة في القلب ولم تكن عن نفاق ـ كما هو المذهب الصحيح لأهل السنّة والجماعة ـ يؤيد ذلك ما جاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة الصحابي الذي كان يشرب الخمر واسمه عبدالله وكان يلقب حماراً وكان النبيّ ﷺ يقيم عليه الحد فلما تكرر منه ذلك لعنه رجل فقال النبيّ ﷺ: **«لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»**[(١)]. فهذا الصحابي رغم وقوعه في كبيرة شرب الخمر إلا أن النبيّ ﷺ نهاهم عن لعنه مع لعنه ﷺ شارب الخمر، ليس هذا فحسب بل وحكم له بأنه يحب الله ورسوله ولم يخرجه من الملة، وهذا الحديث كقوله ﷺ في الحديث الآخر فيما رواه الشيخان: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»** متفق عليه[(٢)]. زاد مسلم[(٣)] (والتوبة معروضة بعد) فليس المعنى

(١) البخاري ك الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة حديث (٦٧٨٠) فتح (٧٥/١٢).

(٢) البخاري ك الحدود باب الزنا وشرب الخمر حديث (٦٧٧٢) (٥٨/١٢)، ومسلم ك الإيمان باب نقصان الإيمان بالمعاصي (٧٦/١) حديث (١٠٠).

(٣) هو الإمام الكبير الحافظ المجود الحجة الصادق أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري صاحب الصحيح، ولد سنة (٢٠٤هـ) توفي سنة (٢٦١هـ). انظر ترجمته في الجرح والتعديل (١٨٢/٨)، وتذكرة الحفاظ (٥٨٨/٢)، وطبقات الحفاظ، ص٢٦٠.

أن من وقع في هذه المنكرات خرج من الإيمان ودخل في الكفر كما يعتقد الخوارج أو أنه خرج من الملة وهو في منزلة بين المنزلتين كما تعتقد المعتزلة، بل المراد أنه قد يقع المسلم في الكبائر والمعاصي لنقص في إيمانه ومحبته عن شهوة شيطانية. وفيه رد أيضاً على المرجئة الذين يدّعون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، فالحديث رد عليهم فالمعاصي تنقص من إيمان العبد ولكن لا تخرجه من الملة يؤيد ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فإذا زال رجع إليه الإيمان) وفي رواية عنه: (فإن تاب عاد إليه)[1]، وهذا يدل على أنه قد تجتمع بعض المعاصي في قلب العبد مع محبة الله تعالى وإن كانت ضعيفة إلا أنها قد تقوى وتزداد بالتوبة النصوح التي تَجُبّ ما قبلها، ولكن الذنوب والمعاصي قد تزيد وتطغى بالعبد ـ إن لم يتب ـ وما تزال به حتى تميت قلبه ـ والعياذ بالله ـ وأن أبعد القلوب من الله القلب الميت.

ولله درّ الإمام عبدالله بن المبارك[2] حيث يقول:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ ... وقد يُورِثُ الذُّلَ إدمانُها
وتَرْكُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ ... وخيرٌ لنفسك عصيانُها
وهل أفسد الدين إلا الملوكُ ... وأحبارُ سُوءٍ ورُهبانُها[3]

ومن لوازم محبة الله ورسوله أيضاً محبة كلام الله تعالى وأسمائه وصفاته والإيمان بها كما وردت في الكتاب والسنّة وإثباتها كما جاءت بدون تأويل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه. لأن هذه من موجبات محبة الله للعبد كما ثبت في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن

(١) فتح الباري (١٢/٥٩).

(٢) هو عبدالله بن المبارك بن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته أبو عبدالرحمن الحنظلي مولاهم التركي المروزي صاحب التصانيف النافعة والرحلات الواسعة أحد الأعلام مولده سنة (١١٨هـ) وفاته سنة (١٨١هـ). انظر ترجمته تاريخ خليفة ص١٤٦، وحلية الأولياء (٨/١٦٢)، والسير (٨/٣٧٨).

(٣) ذكر هذه الأبيات شارح الطحاوية ص١٦٢.

النبيّ ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبيّ ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة للرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبيّ ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[1].

كما أن من لوازم محبة الله ورسوله كذلك محبة المؤمنين الموحدين وموالاتهم ونصرتهم لأنهم أحباب الله ومعاداة الكافرين والمشركين وبغضهم وجهادهم بالنفس والنفيس لأنهم أعداء الله قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١].

وقال تعالى أيضاً مثنياً على بعض عباده المؤمنين الصادقين: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة: ٢٢] هذا وسيأتي بيان هذه المستلزمات في الصفحات الآتية إن شاء الله.

---

(١) البخاري ك التوحيد باب ما جاء في دعاء النبيّ ﷺ أمته إلى التوحيد حديث (٧٢٧٥) فتح (٤٧/١٣، ٣٤٨).

الفصـــل الأول
إفراد اللَّه بالعبادة

وتحته عدة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العبادة:

أ - في اللغة.

ب - في الاصطلاح.

جـ - أهمية المحبة في العبادة وبعض أدلة وجوبها لله عزّ وجلّ.

المبحث الثاني: حاجة العبد وفقره إلى عبادة ربه سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث: مكانة العبادة في الإسلام.

المبحث الرابع: تقسيم العبودية إلى عامة وخاصة.

المبحث الخامس: الفرق بين العامة والخاصة.

المبحث السادس: أنواع التوحيد.

محبة الله ورسوله

المبحث السابع: شبهة من أنكر هذا التقسيم والرد عليها.

المبحث الثامن: معاني أنواع التوحيد الثلاثة وأنواع الشرك بكل منها:

(١) توحيد الربوبية:

أ ـ معناه.

ب ـ الشرك فيه.

(٢) توحيد الألوهية:

أ ـ معناه.

ب ـ مكانته من العقيدة الإسلامية.

جـ ـ أنواع الشرك فيه.

د ـ شروط صحة العبادة.

(٣) توحيد الأسماء والصفات:

أ ـ المفهوم الصحيح له عند أهل السنة والجماعة.

ب ـ مفهومه الفاسد عند غيرهم من الضالين من أهل الكلام ومذهبهم فيه إجمالاً.

جـ ـ أنواع الشرك فيه.

❋ ❋ ❋

تمهيد

سبق وأشرت آنفاً إلى أن توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة من أول مستلزمات محبته سبحانه وتعالى، لأن محبته عزّ وجلّ مستلزمة ومتضمنة لعبادته دون سواه جلّ وعلا كائناً ما كان، لأن العبادة تتضمن غاية الحب مع غاية الذل، ولا يصلح ذلك إلا للباري جلت قدرته وحده، لذا كانت الغاية من خلق الخلق جنهم وأنسهم ومن بعثة الرسل وإنزال الكتب، هي توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وإخلاص الدين له ونبذ الشرك عنه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ [هود: ١، ٢].

هذا وقد اتفقت دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين في الدعوة إلى هذا المبدأ والحض عليه[1]. كما فاضت بذلك نصوص الكتاب العزيز من ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

(١) للإمام الشوكاني كتاب قيم في هذه المجال سماه (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات) فليراجع.

بل إن القرآن كله وبكل سورة منه، بل وبكل آية يدعو للتوحيد ويتضمنه بأنواعه الثلاثة، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته فهو التوحيد العلمي الخبري ـ قلت: ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ـ وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي ـ قلت وهو توحيد العبادة ـ وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وأما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم)(١).

فإذا كان هذا هو شأن التوحيد وأهميته فمن الواجب على الدعاة إلى الله التركيز في دعوتهم عليه وجعله في مقدمة ما يدعون إليه اقتداء بصفوة الخلق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وفي مقدمتهم إمامهم وسيدهم نبيّنا محمد ﷺ، لأن هذا هو المنهج الرباني الحق الذي فيه الحكمة والعقل وما عداه من مناهج وطرق للدعوة فاشلة وباطلة، وإن حملت أسماء برّاقة وعمي خطؤها على كثير من الناس، فالله المسؤول أن يجمع دعاة الإسلام على هذا المنهج إنه سميع مجيب.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/٤٦٨ ـ ٤٦٩).

المبحـث الأول

تعريف العبادة
وبيان أهمية المحبة فيها للّه عزّ وجلّ

أ ـ تعريف العبادة في اللغة:

العبادة في اللغة الخضوع والذل والطاعة والانقياد يقال عبد الله عبادة وعبودية إذا خضع وذل وانقاد له وأطاعه، والتعبيد: التذليل يقال عبّد الطريق وعبّد البعير أي:ذلّله، والتعبيد أيضاً الاستعباد وهو أن يتخذه عبداً. يقال (تعبّد) الله أي: انفرد بالعبادة. وتعبد فلاناً أي: اتخذه عبداً ودعاه للطاعة. والعابد الموحّد وجمعه عبدة وعبّد وعبّاد[(١)].

والعبد: الرقيق. والإنسان حراً كان أو رقيقاً لأنه مربوب لله عزّ وجلّ وجمعه عبيد وعبد وعبدان وأعبد[(٢)].

فعبادة الله إذاً هي الخضوع له على وجه التعظيم[(٣)].

ب ـ العبادة في الاصطلاح:

عرّف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله العبادة بتعريف جامع مانع

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم، ص٥٧.

(٢) انظر الصحاح للجوهري (٥٠٣/٢)، والمعجم الوسيط (٥٧٩/٢).

(٣) المعجم الوسيط (٥٧٩/٢)، ومجموع الفتاوى (١٤٩/١٠).

فقال: (العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)[1].

وضرب لذلك بعض الأمثلة بقوله: فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وبرّ الوالدين وصلة الرحم والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والدعاء والذكر والقراءة والإحسان للجار واليتيم والمسكين وغيره وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشيته تعالى والإخلاص له والإنابة إليه والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضى بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه... وأمثال ذلك هي من العبادة[2].

فهذا التعريف كما ترى يدخل فيه جميع أنواع العبادة ويشمل أوامر الإسلام جميعها واجبها وسننها ومستحبها كما يشمل ترك النواهي. فهو تعريف دقيق جامع مانع فريد يدل على سعة فقه وعلم شيخ الإسلام طيب الله ثراه، كما يدل على أنه لا يقتصر معنى العبادة على القيام بفرائض الإسلام من الصلاة والصوم والزكاة والحج كما قد يتوهمه بعض الناس، بل هي تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وفي مقدمة ذلك القيام بالفرائض لأنها أحب الأعمال إلى الله كما جاء في الحديث القدسي عن الباري جلت قدرته «**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه..**» الحديث رواه البخاري ومسلم[3].

جـ ـ أهمية المحبة في العبادة وبعض أدلة وجوبها لله تعالى:

إن المحبة أصل من أصول العبادة وشرط من شروطها ولذا لا يسمى الإنسان عبداً للشيء ـ وإن خضع له وذلّ ـ حتى يحبه. لأن المألوه المعبود

---

(١) العبودية، ص٣٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) تقدم تخريجه.

هو المحبوب المطاع، وقد مرّ بنا تعريف شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ للعبادة في الاصطلاح حيث فسرها بقوله: (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه... الخ). فكل عبادة لله فهي محبوبة له فإن أداها العبد بدون محبة لله عزّ وجلّ فلا تسمى عبادة ولا تقبل منه، لأن من شرط العبادة أن تكون بغاية الحب مع غاية الذلّ لله عزّ وجلّ. لأن الحب الخَلِيَ عن الذل والذل الخلي عن الحب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله عزّ وجلّ.

فمحبة الله تعالى إذاً هي أصل العبادة وشرطها الذي لا بدّ منه، لذا كانت محبته عزّ وجلّ أول الواجبات وأعظم أركان الإسلام وأكبر أصوله وأجلِّ قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين. وقد جاء الأمر بوجوبها والحث عليها في الكتاب والسنّة.

من ذلك قول الحق جلّ جلاله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]. فالآية هذه نص صريح في وجوب محبته عزّ وجلّ ومحبة رسوله ـ والتي هي تابعة لمحبة الله ـ وتقديمها على كل محبوب مهما كان نوعه وأياً كان جنسه، كما أن فيها التهديد والوعيد الشديدين لمن قدّم محبة غير الله ورسوله على محبته تعالى ورسوله من أهل وعشيرة ومال وغير ذلك، حيث قرّع عزّ وجلّ وأوعد مَنْ كان هذا حاله بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ثم فسّقهم في نهاية الآية وأخبرهم بأنهم قد ضلوا سواء السبيل فقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقال عزّ وجلّ مثنياً على عباده المحبين الصادقين الذين أحبوه عزّ وجلّ الحب كله وعظّموه التعظيم كله فكان عزّ وجلّ أحب إليهم مما سواه، وذاماً للمقصرين في حقه الذين أشركوا به في هذه المحبة فلم يكونوا كذلك ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فقد أخبر سبحانه في هذه الآية أن المشركين قد أحبوا أندادهم وأولياءهم كما يحبون الله خالقهم وفي هذا النهي الصريح عن فعلهم، كما أخبر أن المؤمنين الصادقين أكثر حباً لله من هؤلاء، لأن المؤمن الحق من كان الله عزّ وجلّ ورسوله أحب إليه مما سواهما وفي هذا الإخبار الثناء على فعلهم والأمر به كما لا يخفى. فتبين الشاهد من الآية على كون محبة الله من أوجب الواجبات وأول الفرائض على كل عبد وأن مَنْ لم يحقق ذلك فقد نقص إيمانه ووقع في الشرك والعياذ بالله.

ولذا أخبر عليه الصلاة والسلام أن المرء لا يجد حلاوة وطعم الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فقال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»** متفق عليه[1] وفي رواية: **«لا يجد طعم الإيمان عبد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. . .»** الحديث. فتبين الشاهد من الحديث على وجوب محبته عزّ وجلّ وهو قوله: **«حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»** إذ من المعلوم أنه لا يحصل للعبد إيمان بغير هذه المحبة لأنها أول الواجبات وأعظمها، ولذا كان الناس متفاوتين فيها تفاوتاً عظيماً فمنهم مَن أخذ منها بالحظ الأوفى وهم الذين كمل إيمانهم ومحبتهم ونسأل الله أن نكون منهم، ومنهم من أخذ منها بالخط الأدنى ومنهم مَنْ هو بين الأمرين. فعلى المؤمن أن يحب الله خالقه ورازقه الحب كله ويعظمه التعظيم كله ويعبده حق عبادته ـ لأنه عزّ وجلّ هو المستحق لذلك وحده ـ حتى يتشرف برضاه ورحمته ويكون ممن مدحهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ فاللهم نسألك أن تأخذ بنواصينا لما تحبه وترضاه وتجعلنا ممن اصطفيتهم وممن تحبهم ويحبونك إنك جواد كريم.

---

(١) تقدم تخريجه.

المبحـــث الثانـــي

حاجة العبد وفقره إلى عبادة الله سبحانه وتعالى

إن الإنسان فقير بذاته إلى خالقه جلّ في علاه الذي منّ عليه فخلقه في أحسن تقويم وربّاه فأطعمه وأسقاه وأسبغ عليه النعم التي لا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وسخر له ما في السموات وما في الأرض كرماً منه وفضلاً وكرّمه على كثير من الخلق قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

كل هذا يستوجب من العبد أن يعبده ولا يشرك به أحداً لأنه سبحانه هو وحده الذي يستحق العبادة فهو المنعم المتفضل الخالق الغني عما سواه الفقير إليه ما عداه. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

فحاجة العبد إلى أن يعبده جلّ في علاه ولا يشرك به شيئاً في محبته وخوفه ورجائه والتوكل عليه والخضوع له والسجود له، وغير ذلك أعظم - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه[1] ابن القيم رحمهما الله - من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢٤/١) وطريق الهجرتين، ص٥٧، ٥٨.

به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولا بدّ لها من لقائه ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها، فمحبته سبحانه والإيمان به وعبادته وإخلاص العمل له وإفراده بالتوكل عليه هي غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة وهي إضافة إلى ذلك تحرر الإنسان من عبودية غير الله من مال وجاه وطواغيت وغيرها، وتعيد إليه كرامته وترفع منزلته عند الله، لأنه لا بدّ للإنسان من معبود محبوب مطاع وهو الله تعالى فإن لم يعبده تعالى أو استكبر عن عبادته فلا بدّ أن يعبد غيره ويذل له كما قال شيخ الإسلام[1] ـ رحمه الله ـ ويدلل على ذلك بقوله: (فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**أصدق الأسماء حارث وهمام**»[2]، فالحارث الكاسب الفاعل والهمام فعّال من الهم والهم أول الإرادة، فالإنسان له إرادة دائماً وكل إرادة لا بدّ لها من مراد تنتهي إليه، فلا بدّ لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى إرادته بل استكبر عن ذلك، فلا بدّ أن يكون له مراد محبوب يستعبده ويستذله غير الله فيكون عبداً ذليلاً لذلك المراد المحبوب، أما المال وأما الجاه وأما الصور وأما ما يتخذه إلهاً من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والأوثان وقبور الأنبياء والصالحين والملائكة والأنبياء والأولياء الذين يتخذهم أرباباً وغير ذلك مما عبد من دون الله، وإذا كان عبداً لغير الله يكون مشركاً وكل مستكبر فهو مشرك)[3].

فالإنسان على مفترق طريقين لا ثالث لهما كما بين شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ طريق عبودية لله وطريق العبودية لغيره فإما أن يختار الأول فيكون مؤمناً عزيزاً حراً، وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في

---

(١) العبودية، ص١١١.

(٢) رواه أبو داود ك الأدب باب في تغيير الأسماء (٥/٢٣٧) حديث (٤٩٥٠)، بنحوه وأحمد (٤/٣٤٥).

(٣) العبودية، ص١١٢.

عبودية غيره ويكون ذليلاً له مشركاً بالله ـ والعياذ بالله ـ. فعبودية الله تحرر البشرية من العبودية لغيره (وكلما ازداد القلب حباً لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبّاً وفضله عما سواه)[(١)] فلا أسعد ممن عبد الله وآمن به، ولا أشقى ممن عبد غيره وأشرك به، إذ كيف سيكون سعيداً أو عزيزاً وقد ترك الغاية التي خلقه الله من أجلها وهي عبادته جلّ في علاه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله سبحانه، ومن عبد غيره وأحبه ـ وإن حصل له نوع من اللذة والمودة والسكون إليه والفرح والسرور بوجوده ـ ففساده به ومضرته وعطبه أعظم من فساد أكل الطعام المسموم اللذيذ الشهي الذي هو عذب في مبدئه عذاب في نهايته كما قال القائل:

مآرب كانت في الشباب لأهلها عُذّاباً فصارت في المشيب عذابا[(٢)]

فالسعادة والشرف والحرية في تحقيق العبودية لله عزّ وجلّ والشقاوة والذل والهوان لمن تكبر عنها وعبد غير الله. فليحمد الله من وفقه الله لعبوديته وليسأله التثبيت على هذه النعمة العظيمة والوفاة عليها ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة وذلك هو الفوز العظيم.

(١) المرجع السابق، ص١٠٨.

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم، ص٥٧.

المبحـــث الثالـــث

مكانة العبادة في الإسلام

إن للعبادة في الإسلام مكانة عظيمة، ورفعة جليلة، إذ هي الغاية العظمى التي خلق الله الخلق لها، قال أصدق القائلين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، والتي لأجلها أرسل جميع الأنبياء والمرسلين قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد كان كل رسول يقول لقومه كما أخبر الله في كتابه الكريم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] وكما قصّ الله عن نوح أول رسول وعن هود وصالح وشعيب وغيرهم عليهم السلام جميعاً. وقال تعالى آمراً خاتمهم محمداً ﷺ بأن يقول: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١١ ـ ١٥].

كما أمره سبحانه بعبادته له ﷺ حتى يتوفاه أجله فقال له: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، وأمرهم جميعاً عليهم السلام بعبادته فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ [المؤمنون: ٥١، ٥٢].

كما كان أول أمر لعباده في كتابه العزيز هو أمره إياهم بعبادته سبحانه وحده حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

وفي مقابل ذلك ذمّ المستكبرين عن عبادته فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فعبادته سبحانه هي الغاية المرضية والمحبوبة له التي خلق من أجلها الخلق وأمرهم بها، بدءاً بأصفيائه من الأنبياء والرسل وانتهاءاً بالجن والأنس أجمعين، وهي إضافة إلى ذلك خير نعت وصف بها صفوة خلقه من الملائكة والنبيين. كما بين العلماء ـ رحمهم الله ـ ذلك[1].

قال سبحانه في وصف الملائكة له بالعبودية: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨].

وقال تعالى أيضاً في وصفهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. وقال تعالى في وصف الأنبياء والرسل له بالعبودية: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٥ ـ ٤٧].

وقال أيضاً: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧] وقال في وصف سليمان عليه السلام: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] كما قال في وصف أيوب عليه السلام: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] وقال عنه أيضاً: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [ص: ٤١]. وقال في وصف نوح عليه

---

(١) انظر العبودية لشيخ الإسلام ص٨٥، ٨٦، ومجموع الفتاوى له (١/١٣٧ ـ ١٣٨)، والتفسير القيم لابن القيم، ص٩٢ ـ ٩٤.

السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣] وقال في وصف المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الذي ادعيت فيه الإلهية والبنوّة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الزخرف: ٥٩] ولهذا قال النبيّ ﷺ: «**لا تطروني**[(١)] **كما أطرت النصارى المسيح عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**» رواه البخاري[(٢)].

وقد نعته سبحانه وتعالى بوصف العبودية في أكمل أحواله ﷺ فقال في إسرائه له من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] وقال في الإيحاء إليه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١٠، ١١] وقال في الدعوى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾ [الجن: ١٩] وقال في التحدي للكفار: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، فالدين داخل كله في العبادة كما تبين هذه الآيات الكريمات، يؤيد ذلك ما ثبت عنه ﷺ فيما يرويه الإمام مسلم رحمه الله أن جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبيّ ﷺ بصورة أعرابي وسأله عن الإسلام فقال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**» قال: فما الإيمان؟ قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: فما الإحسان؟ قال: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» ثم قال عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[(٣)]. فجعل هذا كله من الدين إذ الدين يتضمن معنى الخضوع والذل

---

(١) الإطراء هو الزيادة في المدح والتغالي فيه حتى يتجاوز الحد.

(٢) البخاري ك الأنبياء باب ٤٨ قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ (٤٧٨/٦) حديث (٣٤٤٥) وأحمد (٢٣/١ و٤٧ و٥٥).

(٣) البخاري ك التفسير باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ (٥١٣/٨) حديث (٤٧٧٧) ومسلم ك الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان (٣٧/١) حديث (١).

يقال دنته فدان أي: أذللته فذل، ويقال يدين الله ويدين لله أي: يعبده ويطيعه ويخضع له. فدين الله عبادته وحده لا شريك له وطاعته والخضوع له. والعبادة أصل معناها الذل أيضاً لكن العبادة المأمور بها شرعاً تتضمن غاية الذل لله مع غاية الحب له، لأنه لا يكفي أحدهما عن الآخر بل لا بدّ من الذل والحب، فإن من خضع لشيء ولم يحبه بل أبغضه لا يكون عبداً له، والعكس بالعكس. فلا بدّ أن يكون الله تعالى أحب إلى العبد من كل شيء وأعظم عنده من كل شيء، لأنه لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا هو سبحانه. فكل ما أحب لغيره فمحبته فاسدة وما عظم بغير أمره فتعظيمه فاسد وباطل.

فالله هو المعبود والمرجو: وحده الذي له الكبرياء في السموات والأرض وهو السميع العليم، فلا يجوز أن يصرف لأحد سواه أي نوع من أنواع العبادة، لأنها مختصة به سبحانه وتعالى، فمن صرف شيئاً من ذلك يكون قد عبد غيره ـ والعياذ بالله ـ ووقع في الشرك الذي لا يغفره الله أبداً إن لم يتب العبد منه.

المبحث الرابع

تقسيم العبودية إلى عامة وخاصة

قسم العلماء رحمهم الله تعالى العبودية لله عزّ وجلّ إلى قسمين ـ أو نوعين ـ عامة وخاصة.

(١) **فالعبودية العامة:** هي عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله عزّ وجلّ برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم، وهذه تسمى أيضاً عبودية القهر والملك والقسر، وتفسير هذه العبودية يتمثل في كونه سبحانه ربنا وخالقنا ومالكنا، وكوننا خاضعين للسنن والقوانين التي جرى عليها الكون ونظم بها الخليقة، فالجميع عباد له بهذا المعنى شاؤوا أم أبوا. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٣].

فهذه العبودية يدخل فيها المؤمن والكافر وقال تعالى أيضاً: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الفرقان: ١٧] فسماهم تعالى عباده مع ضلالهم لكنها تسمية مقيدة بالإشارة، أما التسمية المطلقة فلم تأت إلا لأهل النوع الثاني.

(٢) **العبودية الخاصة:** وهي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر:

وهي العبودية الاختيارية أو الانقياد الشرعي لله بالإقرار له سبحانه بالعبادة والطاعة والمحبة فيما شرعه لنا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وهذه العبودية هي التي يترتب عليها الحساب والجزاء لأنها اختيارية بخلاف الأولى. قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨﴾ [الزخرف: ٦٨] وقال أيضاً: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ۝٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال تعالى عن إبليس: ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

فقال تعالى له: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: ٤٢] فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلٰهيته، ولا يجيىء في القرآن إضافة العباد إليه تعالى مطلقاً إلا لهؤلاء، لأنهم أطاعوه تعالى وعبدوه فشرفهم بالإضافة إليه مطلقاً بخلاف عبيد ربوبيته فلم يأت وصفهم بالعبودية إلا مقيداً بوجه من إحدى هذه الأوجه:

١ - إما مُنكَّراً كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣].

٢ - أو معرفاً باللام كقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٨].

٣ - أو مقيداً بالإشارة ونحوها كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧].

٤ - أو يُذكروا في عموم عباده فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر كقوله تعالى: ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

٥ - أو يذكروا موصوفين بفعلهم كقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣] وقد يقال إنما سماهم عباده إذ لم يقنطوا من رحمته وأنابوا إليه واتبعوا أحسن ما

أنزل إليهم من ربهم فيكونون من عبيد الإلهية والطاعة[1].

وإنما انقسمت العبودية إلى عامة وخاصة لأن أصلها الذل والخضوع كما قال العلامة ابن القيم[2] رحمه الله وضرب لذلك مثلاً فقال: فلان عبّده الحب إذا ذلّله ويقال طريق معبد أي: مذلل بوطء الأقدام. لكن عباده المؤمنين الموحدين خضعوا له وذلوا طوعاً واختياراً ومحبة وانقياداً لأمره ونهيه بخلاف أعدائه الكافرين فقد خضعوا له قهراً وقسراً.

(١) انظر كتاب العبودية لشيخ الإسلام ص٤٨، ٥٠، والتفسير القيم لابن القيم ص٩٥، ٩٦، ومدارج السالكين له (١/١١٨ ـ ١٢٠).

(٢) التفسير القيم، ص٩٦، ٩٧.

المبحث الخامس

الفرق بين العبودية العامة والخاصة

يتبين لنا من خلال ما ذكرنا عن كلتي العبوديتين العامة والخاصة الفرق بين كل منهما ويتمثل ذلك فيما يلي:

١ - إن العبودية العامة شاملة للخلق كلهم بخلاف الخاصة فهي تخص المؤمنين فقط فبينهما عموم وخصوص مطلق إذ يشترك الموحدون والكافرون في العبودية العامة وينفرد المؤمنون الموحدون بالعبودية الخاصة.

٢ - العبودية العامة قهرية قسرية لا يمكن للكائنات أن تخرج عنها. بخلاف الخاصة فهي إرادية اختيارية.

٣ - الحساب والجزاء يوم القيامة متعلقان ومرتبطان بالعبودية الخاصة لأنها هي المطلوبة المحبوبة من العباد بخلاف العامة فإنها لا تدخل الناس في الإيمان ولا في الجنة. كما أنها لا تخلصهم من النار ما لم يدخلوا في العبودية الخاصة.

٤ - العبودية العامة لا تأتي في القرآن الكريم إلا مقيدة، أما العبودية الخاصة فتأتي مطلقة ويراد بها عبيد إلهيته، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته ومحبته هم عبيد إلهيته، ولا يأتي إضافة العباد إليه تعالى في كتابه الكريم مطلقاً إلا لهؤلاء السعداء الذين عبدوه وأطاعوه، جعلنا الله منهم آمين.

المبحـــث الســــادس

أنــواع التــوحيــد

أحببت أن أنبه هنا إلى أنواع التوحيد ومن ثم أنواع الشرك فيه لما لذلك من أهمية لأن معرفته عزّ وجلّ والإيمان بعظمته وقدرته وقيوميته على خلقه ووصفه بصفات الكمال والجلال وإفراده بالعبادة وإخلاص الدين له من أهم مستلزمات محبته سبحانه وتعالى، ثم لأن كثيراً من المسلمين يجهلون ذلك فلا يفرقون بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ـ مع الفرق الكبير بينهما ـ وليت الأمر توقف عند هذا الحد بل تعداه إلى حد إنكار هذا التقسيم وإهماله.

والسبب في ذلك يرجع ـ والله أعلم ـ إلى عدم تفريقهم بين كلمتي الرب والإله حيث إنهم فسروا كلمة الإله بالقادر على الاختراع والخالق والمالك وهذ المعنى في الحقيقة مختص بالرب أما الإله فهو المألوه المحبوب المعبود. من هنا نقول: إن التوحيد ينقسم إلى قسمين من حيث الإجمال.

الأول: توحيد في المعرفة والإثبات ويقال له التوحيد العلمي الاعتقادي الخبري، وذلك لأنه لا يعرف إلا عن طريق الخبر (الوحي) ولأنه مختص بالاعتقاد المحض. وهو يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

الثاني: توحيد في الإرادة والقصد والطلب. ويقال له كذلك توحيد

العبادة والعمل لأنه يتعلق بالقصد والإرادة وهذا النوع هو توحيد الألوهية، وهذا التقسيم المذكور يكون بالنظر إليه من جهة العبد الموحِّد، وهما توحيدا العلم والاعتقاد وتوحيد العبادة والعمل وبالنظر إلى توحيد الله سبحانه فالتوحيد ثلاثة أنواع، فمن جهة انفراده سبحانه بالخلق والرزق والإماتة والإحياء والتدبير والعظمة... الخ يسمى توحيد الربوبية، ومن جهة انفراده بالأسماء الحسنى والصفات العليا على الوجه اللائق بجلاله وكماله وعظمته، يسمى توحيد الأسماء والصفات، ومن جهة استحقاقه عزّ وجلّ وحده للعبادة وإخلاصها له يسمى توحيد الألوهية أو توحيد العبادة والعمل[1].

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ص٤٦٤ ـ ٤٦٦، ومدارج السالكين (٤٦٨/٣)، وشرح الطحاوية ص٢٨ وتيسير العزيز الحميد ص٣٣.

محبة الله ورسوله

المبحث السابع

شبهة من أنكر هذا التقسيم والرد عليها

أنكر بعض العلماء المتأخرين هذا التقسيم للتوحيد بحجة أنه لم يرد عن النبيّ ﷺ ولم يقله.

والرد عليه من ناحيتين:

١ ـ إنّ هذا التقسيم وإن كان لم ينطق به الرسول ﷺ لفظاً لكن معناه ورد على لسانه ﷺ فهو القائل: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**» رواه البخاري ومسلم(١).

ومن المعروف أن المشركين لم ينازعوه عليه الصلاة والسلام في توحيد ربوبيته جلّ وعلا ـ بل على العكس من ذلك أقروا بذلك واعترفوا ـ وإنما نازعوه في توحيد ألوهيته وعبادته جلّ وعلا فقالوا له ﷺ لما أمرهم بعبادة الله وحده: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] وعليه فلا ضير علينا إن كان هذا التقسيم لم يرد باللفظ عنه ﷺ؛ لأن معناه

(١) البخاري ك الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة حديث (٢٥) (١/٧٥) مسلم ك الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله (١/٥١ ـ ٥٢) بنحوه حديث (٣٢).

وحقيقته ورد عنه فهو وإن لم يقسمه عليه الصلاة والسلام تقسيمنا هذا لكنه لم يحصره في نوع واحد، ثم إن استقراء الأدلة من الكتاب والسنّة يدل على أن هذا التوحيد ينقسم إلى الأقسام التي ذكرناها.

٢ ـ إن هذا التقسيم راجع إلى الفرق بين كلمتي الرب والإله، والخلق والقدرة على الإنشاء من معنى كلمة الرب، أما معنى الإله فهو المعبود المألوه المحبوب كما بينا ذلك من اللغة العربية لغة القرآن وإنما كان غاية قول المنكرين أنهم فسروا جهلاً وخطأ الإله بالقادر على الاختراع فحصل عندهم الخلط وعدم التمييز، وأن القرآن واضح جلي ـ كما هو ظاهر ـ لم ينزل ليقول للناس، وحّدوا الله ربكم واعلموا أنه خالقكم ورازقكم ومميتكم فقط وأن هذا يكفي في التوحيد، لأن هذا التوحيد ـ أي توحيد الربوبية ـ معروف لدى البشر جميعاً، بل الخلق أجمعين وهم مقرّون به فلذا أمرهم القرآن بلازم هذا التوحيد ألا وهو توحيد الألوهية أو العبادة فأمرهم بإفراد العبادة له سبحانه وإخلاصها له وعدم الشرك له ووصفه بصفات الكمال والجلال على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى لأن توحيد العبادة يستلزم توحيد الأسماء والصفات[١].

٣ ـ ثم أنه من جهة أخرى لا ضير علينا في هذا التقسيم لأنه أخذ عن طريق الاستقراء للآيات والأحاديث الواردة في ذلك وهذا التقسيم كتقسيم الفقهاء والعلماء رحمهم الله لبعض الأمور الدينية كالصلاة إلى أركان وواجبات ومستحبات... الخ وأركان الزكاة وغيرها وهذا من التقسيم للأمور الدينية الجائزة فلا ينبغي أن يوصف تقسيم التوحيد بأنه غير جائز أو مبتدع وهو المأخوذ والمستقرأ من نصوص الشرع الحنيف كتاباً وسنّة. ثم إنه من جهة أخرى لم ينكر هذا التقسيم أحد من أهل السنّة والجماعة وإنما أنكره بعض المبتدعة الذين لم يفهموا حقيقة ما بعث الله به رسوله ﷺ فنسأل الله لهم الهداية إنه سميع مجيب.

---

(١) راجع العقائد السلفية شرح الدرر السنية (٤٦/١).

المبحث الثامن

معاني أنواع التوحيد الثلاثة وأنواع الشرك في كل منها

تقدم أن التوحيد ثلاثة أنواع وفي هذا المبحث سنعرِّف كل نوع على حدة، ونبين أنواع الشرك بكل منها لما في ذلك من الأهمية والفائدة العظمى. ونبدأ أولاً بتوحيد الربوبية.

أولاً: توحيد الربوبية:

أ ـ معناه: هو الإقرار والاعتقاد الجازم بأن الله هو وحده ربّ كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه، المحيي المميت النافع الضار، المعطي المانع المتصرف بكل شيء بمشيئته المطلقة، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك... الخ، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر[1].

وهذا التوحيد كما هو معلوم يقر به العباد جميعهم ـ إلا من عاند واستكبر ـ لأنه توحيد فطري فطر الله قلوب العباد عليه، لذلك أجاب الرسل عليهم السلام أممهم بالاستفهام الإنكاري كما حكى الله عنهم ذلك حيث قالوا: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

(١) راجع فتاوى شيخ الإسلام (١/٢٠ ـ ٢٢) و(١٠/٢٣١ ـ ٢٣٣)، وتيسير العزيز الحميد ص٣٣.

هذا وقد كان المشركون مقرين بهذا التوحيد كما حكى عنهم الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز، ولكن إقرارهم هذا لم يدخلهم في الإسلام قال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وقال تعالى أيضاً عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧] وقال سبحانه أيضاً: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩] لكن إقرارهم بهذا التوحيد لم ينفعهم شيء لأنهم لم يأتوا بلازمة من توحيد الألوهية أو العبادة قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال مجاهد(١) رحمه الله: في تفسير هذه الآية إيمانهم بالله قولهم إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره.

وروى نحو هذا الكلام أيضاً عن ابن عباس وعطاء(٢) والضحاك(٣)

---

(١) مجاهد: هو ابن جبر الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، تابعي جليل وارث علم ابن عباس رضي الله عنهما ولد سنة (٢١هـ) وتوفي وهو ساجد سنة (١٠٢هـ) وقيل غير ذلك. انظر ترجمته حلية الأولياء (٢٧٩/٣)، والسير (٤٤٩/٤)، وطبقات الحفاظ، ص٣٥.

(٢) عطاء: هو عطاء بن أبي رباح أسلم، الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي، وكان من مولدي الجند، نشأ بمكة، وولد في أثناء خلافة عثمان رضي الله عنه وتوفي سنة (١١٧هـ). انظر ترجمته الجرح والتعديل (٣٣٠/٦)، والسير (٧٨/٥)، وتهذيب التهذيب (١٩٩/٧).

(٣) الضحاك: هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم وليس بمجود لحديثه، وهو صدوق توفي سنة (١٠٢هـ) وقيل (١٠٥هـ) وقيل (١٠٦هـ) انظر ترجمته السير (٥٩٨/٤)، وتهذيب التهذيب (٤٥٣/٤) وشذرات الذهب (١٢٤/١).

رضي الله عنهم، وروى عن ابن عباس قوله: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب الذين كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. وقال عطاء: هذا في الدعاء وذلك أن الكفار نسوا ربهم في الرخاء فإذا أصابهم البلاء أخلصوا له في الدعاء كما قال سبحانه: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢] ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥] وغير ذلك من الآيات[1].

من هنا يتبين خطأ المتكلمين المنحرفين الذين بذلوا قصارى جهدهم وأتعبوا أنفسهم ـ والناس معهم ـ لتقرير توحيد الربوبية، وأنكروا معرفة الله الفطرية ظانين ويا للحسرة أن مشكلة البشرية تكمن في كونها أنها لا تعرف وجود ربها، وقد غفلوا من هذه المعرفة الفطرية وأن المشكلة الحقيقية كافة في انحرافهم عن توحيد العبادة.

ب ـ **الشرك في توحيد الربوبية**: لم يقع الشرك في هذا التوحيد إلا من طوائف معدودة ممن تمردوا على الفطرة الإلهية وانحرفت بهم الأهواء والضلال عن سواء السبيل ويتمثل الشرك في هذا التوحيد بنوعين:

١ ـ **شرك التعطيل**: وهو أقبح النوعين كشرك فرعون الملعون إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] كما حكى الله عنه ذلك في القرآن وهذا الملعون أشهر من أنكر الخالق، ولكن مع إنكاره كان مستيقناً باطناً أن موسى رسول الله حقاً قال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم[2]

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٩٤) وتفسير البغوي (٢/٤٥٢).

(٢) المراد بقدم العالم عند الفلاسفة، أن العالم أزلي قديم، بمعنى أنه غير محدَث أو لم يكن موجوداً من قبل، ولا شك أن هذا الزعم باطل لأنه سبحانه وتعالى كان ولم يكن شيء معه وهو وحده الأول والآخر وخالق العالم وكل شيء، فجميع ما سواه محدَث مخلوق، لذا يكفر مَنْ يعتقد هذا المعتقد ـ أي قدم العالم ـ ويخرج من الملة ـ والعياذ بالله ـ.

العالم وأبديته وأن العقل[1] الفعال هو الخالق المدبر وأنه لم يكن معدوماً ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ. ومن هذا أيضاً شرك طائفة من أهل وحدة الوجود كالملاحدة ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض، كما أن من هذا الشرك شرك من عطّل أسماء الله وصفاته من غلاة الجهمية والقرامطة، وكذلك شرك القائلين بالصُّدفة والطبيعة والدّهريين الذين قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] وهم الشيوعيون الملاحدة الماديون في زماننا.

٢ ـ شرك من جعل مع الله إلٰهاً آخر ولم يعطل أسمائه وصفاته وربوبيته: وهذا كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وكالثنوية من المجوس الذين يقولون بإلٰهين خالقين للعالم، إله النور ويخلق الخير، وإله الظلمة ويخلق الشر، ويلتحق بهذا الشرك من وجه شرك غلاة عباد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت فيقضون الحاجات ويفرجون الكربات وينصرون من دعاهم ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم، فإن هذا كما هو معلوم من خصائص الربوبية[2].

ثانياً: توحيد الألوهية، ويسمى أيضاً توحيد العبادة أو التوحيد العملي:

أ ـ معناه: هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو المستحق لجميع أنواع العبادة مع القيام بصرف هذه العبادات له وحده لا شريك له ظاهرها وباطنها لا يجعل فيها شيء لغيره لا لنبيّ مرسل ولا لملك مقرب فضلاً عن غيرهما، وهذا التوحيد هو ما تضمنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ

---

(١) العقل الفعال عند الفلاسفة هو العقل العاشر.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/٩٥ ـ ٩٧)، ودعوة التوحيد للهراسي ص٣٣ وتيسير العزيز الحميد ص٤٣ ـ ٤٤.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨]، وهو ما تضمنته سورة الكافرون والفاتحة وغيرهما من السور والآيات وهو معنى كلمة الشهادة (لا إله إلا الله) فمعناها لا معبود بحق إلا الله(١).

ب ـ **مكانته من العقيدة الإسلامية**: توحيد الألوهية له مكانة عظمى ومنزلة عليّة في الإسلام إذ هو ـ كما وصفه صاحب تيسير العزيز الحميد(٢) ـ رحمه الله وأجزل مثوبته: (أول الدين الإسلامي وآخره وظاهره وباطنه، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول (لا إله إلا الله)، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] فهذا أول أمر في القرآن وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣] فهذه دعوة أول رسول إلى التوحيد بعد حدوث الشرك. وقال هود لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥] وقال صالح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٦١] وقال شعيب لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥] وقال إبراهيم الخليل عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ

---

(١) راجع (٣٣/١) مدارج السالكين ومجموع الفتاوى توحيد الألوهية واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، ص٤٧، وشرح الطحاوية ص٢٨، وتيسير العزيز الحميد، ص٣٦، ودعوة التوحيد، ص٣٧.

(٢) هو الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب. ولد بالدرعية ـ بالسعودية ـ وكان عالماً بارعاً في التفسير والحديث والفقه، وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا عندما غزا الدرعية فأحضره وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة له ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعاً، فمزقوا جسده وكان ذلك سنة (١٢٣٣هـ) رحمه الله. انظر ترجمته عنوان المجد في تاريخ نجد (٢١٢/١ ـ ٢١٣) والإعلام (١٢٩/٣).

لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال النبيّ ﷺ لمعاذ لما أرسله إلى اليمن: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»[1] وفي رواية للبخاري: «**أن يوحدوا الله**»[2].

وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك في الله كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب وآخر واجب، وأول ما يدخل به المرء الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**» ـ وفي رواية أحمد ـ: «**وجبت له الجنة**»[3].

وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**» متفق عليه[4].

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال بحيث أن كل سورة في القرآن فيها الدلالة على هذا التوحيد

---

(١) رواه البخاري ك المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمين قبل حجة الوداع حديث (٤٣٤٧) (٦٤/٨)، ومسلم ك الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٥٠/١، ٥١) حديث (٢٩) بنحوه.

(٢) البخاري ك التوحيد باب ما جاء في دعاء النبيّ ﷺ أمته إلى توحيد الله (٣٤٧/١٣) حديث (٧٣٧٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٣/٥)، وأبو داود ك الجنائز باب في التلقين (٤٨٦/٣) حديث (٣١١٦)، وهو صحيح كما قال العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع و(٣٤٢/٣) حديث (٦٣٥٥)، وأخرجه مسلم بمعناه ك الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٥٥/١) حديث (٤٣).

(٤) رواه البخاري ك الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة (٧٥/١) حديث (٢٥)، ومسلم ك الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٥٣/١) حديث (٣٦).

ويسمى هذا النوع توحيد الألوهية، لأنه مبني على إخلاص التأله ـ وهو أشد المحبة لله سبحانه وحده ـ وذلك يستلزم إخلاص العبادة وتوحيد العبادة لذلك. ويسمى أيضاً توحيد الإرادة، لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال، وتوحيد القصد، لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده، وتوحيد العمل، لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده. وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزمر: ١١، ١٢] وقال: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ۝١٤ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزمر: ١٤، ١٥] وقال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر: ٦٤ ـ ٦٦].

فكل سورة في القرآن بل كل آية فهي داعية إلى هذا التوحيد وشاهدة به ومتضمنة له، لأن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فذلك مستلزم لهذا متضمن له، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، أو أمر بأنواع من العبادات ونهي عن المخالفات فهذا هو توحيد الألوهية والعبادة، وهو مستلزم للنوعين الأولين متضمن لهما أيضاً. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من الوبال فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه كما قال النبيّ ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**» رواه الشيخان[1] فأخبر أن دين الإسلام

---

(١) البخاري ك الإيمان باب دعاؤكم إيمانكم (٤٩/١) حديث (٨)، ومسلم ك الإيمان باب بيان أركان الإسلام (٣٧/١) حديث (١) بمعناه.

مبني على هذه الأركان الخمسة وهي الأعمال فدل على أن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بفعل المأمور وترك المحظور والإخلاص في ذلك لله، وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة. فيجب إخلاصها لله تعالى، فمن أشرك بين الله وبين غيره في شيء فليس بمسلم[1] ا.هـ.

لذلك كان هذا النوع من أنواع التوحيد ـ وهو توحيد الألوهية ـ هو محل الخلاف والاختلاف بين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وبين أممهم، حيث أنكرت تلك الأمم المشركة الدعوة إلى عبادة الله وحده قال سبحانه على لسانهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وقال تعالى حكاية عن قوم صالح لمّا دعاهم لعبادة الله وحده: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]. فهم مقرّون بوجود الله لكنهم ينكرون إفراده بالعبادة لذلك كان سياق الآيات الدالة على توحيد الربوبية يأتي بالاستفهام التقريري من ذلك قول الحق سبحانه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧] وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ [العنكبوت: ٦١].

ومن المعروف أن انحراف البشرية عن حقيقة التوحيد إنما كان في الشرك بالألوهية لا في الربوبية، وهكذا كل انحراف خلال تاريخ البشرية إنما كان عن طريق الانحراف في العبادة لغير لله، قال سبحانه عن قوم نوح الذين بدأ بهم الشرك الأول في تاريخ البشرية ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] وهذه الخمسة أسماء لرجال صالحين ماتوا فصوّر لهم قومهم صوراً ثم جاء من بعدهم فعبدوهم كما قال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه[2]. وهكذا كان شرك العرب في

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٦ ـ ٣٩، وانظر مدارج السالكين (٣/٤٦٢)، وشرح الطحاوية ص٣٧، ٣٨، ودعوة التوحيد للهراسي ص٣٧، وفتاوى شيخ الإسلام (١٩/١٠ ـ ١٢)، ومنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله للدكتور ربيع مدخلي ص٢٤ ـ ٢٦.

(٢) انظر صحيح البخاري (٨/٦٦٧).

توحيد الألوهية أيضاً حيث إنهم كانوا على بقية من دين الخليل إبراهيم عليه السلام حتى جاء عمرو[1] بن لحي بن عامر الخزاعي بأصنام من الشام إلى الجزيرة فنصب هبل وعبده وعظمه وتبعه الناس في هذا الشرك[2].

فالشرك إذاً إنما بدأ في البشرية بعبادتهم غير الله. وقد أرسل الله لكل قوم رسولاً يدعوهم إلى إخلاص العبادة لله ونبذ الشرك عنه.

جـ - الشرك في توحيد الألوهية: الشرك بالله في هذا النوع من أنواع التوحيد هو أخطر وأدق أنواع الشرك، وأكثرها انتشاراً بين الخلق، وهو أول ما وقع فيه بنو آدم في الضلال كما أسلفت، لذلك حاربه الإسلام الحنيف حرباً ضروساً وقطع دابره وحذّر منه جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنه كما أوضح الله عزّ وجلّ الذنب الذي لا يغفره الله أبداً لصاحبه إن مات عليه وهو في الآخرة من الخاسرين قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى أيضاً حكاية عن العبد الصالح لقمان في وصيته لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

قال الإمام[3] القرطبي رحمه الله: أصل الشرك المحرم اعتقاد شريك لله

---

(١) عمرو بن لحي: هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي من قحطان أبو خزاعة، أول من غيّر دين إبراهيم ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. انظر ترجمته البداية والنهاية (١٨٧/٢) وانظر تلبيس إبليس ص٥٣ - ٥٥، والأعلام (٨٤/٥).

(٢) انظر السيرة النبويّة لابن هشام (٧٦/١ - ٨٨) وإغاثة اللهفان (٢١١/٢) والعقائد السلفية ص٣٧، وعقيدة التوحيد ص١١٦، ١١٧.

(٣) القرطبي: هو أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي، من رجال الحديث يعرف بابن المزين، صاحب كتاب المفهم على صحيح مسلم، كان مدرساً بالإسكندرية وتوفي فيها، مولده بقرطبة سنة (٥٧٨هـ) وتوفي سنة (٦٥٦هـ). انظر ترجمته البداية والنهاية (٢١٣/١٣)، والأعلام (١٨٦/١).

تعالى في الألوهية، وهو الشرك الأعظم وهو شرك الجاهلية، ويليه اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل وهو قول من يقول بأن هناك موجوداً ما غير الله سبحانه يستقل بأحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلهاً[1]. وعليه فإن الشرك في هذا النوع توحيد الألوهية نوعان:

(١) **الشرك الأكبر**: وهو اعتقاد شريك لله في الألوهية أو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله، وهي كثيرة كعبادة المحبة قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] والخشية قال عزّ وجلّ: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]. والتوكل قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] والرجاء قال سبحانه: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٨] وقال عليّ رضي الله عنه: (لا يرجونَّ أحد إلا ربه).

والدعاء فيما لا يقدر عليه إلا الله سواء كان طلباً للشفاعة أو لغيرها من الطالب قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، والذبح قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، والطواف قال سبحانه: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] والنذر قال سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧] والاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم﴾ [الأنفال: ٩]. فهذه الأنواع من العبادات وغيرها الكثير مما لا يجوز أن يشرك فيها غير الله ومن فعل ذلك فهو من أعداء الله المشركين. وهذه

(١) تيسير العزيز الحميد، ص٤١، ٤٢.

التي ذكرناها هي أكثر ما وقع فيها الناس في الشرك بالله. نسأل الله السلامة[1].

(٢) الشرك الأصغر: كيسير الرياء والتصنع للمخلوق والحلف بغير الله وقول المرء ما شاء الله وشئت وما لي إلا الله وأنت وأنا في حسب الله وحسبك ونحو ذلك، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده[2].

د - شروط صحة العبادة: أحببت أن أنبه بعد حديثي عن توحيد الألوهية أو العبادة إلى الشروط الواجب توفرها في العبادة حتى تكون صحيحة ومقبولة من العبد عند الله تعالى وهي ثلاثة:

أولاها: الإيمان بالله ورسوله ﷺ وتوحيده سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته؛ لأن هذا هو الأساس الذي تدور عليه العبادة ولأن الله عزّ وجلّ لا يقبل عملاً من العبد ولو بلغ عنان السماء ما لم يكن مسلماً، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال سبحانه مثنياً على المؤمنين الذين يعملون الصالحات ومبشراً لهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧] وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طـه: ١٤] وقال لخليله وحبيبه محمد ﷺ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥] وقال أيضاً لكل رسول بعثه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] فجاءت هذه الأوامر الربانية لأنبيائه عليهم السلام بالعبادة مقترنة بالتوحيد والإيمان لأنها أساس كل عمل وعليها يدور رحى الإسلام.

ثانيها: **الإخلاص لله تعالى في العمل**: بأن لا يكون فيه لغيره نصيب

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٣٥٧) والفتوى (٩٧/١، ٩٨)، وتيسير العزيز الحميد، ص٤٥.

(٢) المرجع السابق.

وأن يكون لوجه الله لا رياء فيه ولا سمعة. قال سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١] وقال أيضاً: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ثالثها: المتابعة والموافقة لرسول الله ﷺ، بأن يكون وفق سنته عليه الصلاة والسلام، لأنه ﷺ هو المبلغ عن الله وهو القدوة للمؤمنين، قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢] فقوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: من أخلص دينه وعمله لله وحده لا شريك له وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: اتبع فيه الرسول ﷺ[(١)]. وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» متفق عليه وهذا لفظ مسلم[(٢)].

وقال الفضيل[(٣)] بن عياض رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] قال: أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص أن يكون لله وحده والصواب أن يكون على السنّة. ذلك لأن الإسلام مبني على أصلين أن لا نعبد إلا الله وحده وأن نعبده بما شرعه وفق سنّة رسوله ﷺ[(٤)].

فهذه الشروط الثلاثة متى فقد شرط منها بطل العمل وحبط ورد على صاحبه. فلا بدّ إذاً من توفرها كلها ليكون العمل صحيحاً ومقبولاً عند الله.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/١٥٤).

(٢) رواه البخاري ك الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور (٥/٣٠١) حديث (٢٦٩٧)، ومسلم ك الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة (٣/١٣٤٤) حديث (١٨).

(٣) الفضيل بن عياض: هو الإمام القدوة، أبو علي التميمي، اليربوعي المروزي شيخ الحرم، سكن مكة وكان إماماً ربانياً صمدانياً قانتاً ثقة كبير الشأن، ولد سنة (١٠٥هـ) وتوفي سنة (١٨٧هـ) انظر ترجمته حلية الأولياء (٨/٨٤) وتذكرة الحفاظ (١/٢٤٥)، والأعلام (٥/١٥٣).

(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص٤٥١ ـ ٤٥٢ وجامع الرسائل (٢/٢٢٦).

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

سيتطرق البحث في هذه المسألة إلى مذهب أهل السنّة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات وإلى مذهب مخالفيهم إجمالاً فيه إضافة إلى أنواع الشرك في هذا التوحيد.

أ - مفهومه الصحيح عند أهل السنّة والجماعة:

لقد وفق الله أهل السنّة والجماعة إلى الحق والصواب في كل أمر من أمور هذا الدين أصلاً كان أم فرعاً، وذلك راجع لتمسكهم بكتاب ربهم وسنّة نبيهم ﷺ، لأنه في التمسك بهما الهداية والفلاح، وبالبعد عنهما أو تركهما الغواية والضلال، فكان أهل السنّة وسطاً في كل شيء بين غيرهم من الفرق الضالة، ومذهبهم في توحيد الأسماء والصفات أنهم يثبتون ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى بدون تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه، وينفون ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله لا يتجاوز الكتاب والسنّة، وقد بيّن ذلك أئمة الإسلام رحمهم الله أيما تبيين وكتبوا في ذلك كتباً كثيرة[1] فهذا شيخ الإسلام رحمه الله يبين مذهب أهل السنّة في رسالته القيمة (الرسالة التدمرية)[2] بكلام نفيس طيب فيقول طيب الله ثراه (فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته الله من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذمّ الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا

---

(١) مثل شرح اعتقاد أهل السنّة والجماعة للالكائي، والاعتقاد للبيهقي، والإيمان للإمام أحمد والرد على الجهمية له، والتوحيد لابن منده، والتوحيد لابن خزيمة، فضلاً عن كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة في بيان هذا التوحيد.

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٣/٣، ٤).

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ [فصلت: ٤٠]، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رد للتشبيه والتمثيل وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل).

وهذا النوع من التوحيد ـ الأسماء والصفات ـ لا يكفي وحده في حصول الإسلام بل لا بدّ من الإتيان بلازمه مع ذلك من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، لأن هذه الأنواع متلازمة ويتضمن بعضها البعض الآخر ولا ينفك بعضها عن بعض ولا يكفي أحدها في الإسلام دون الإتيان بالباقي. وقد اختص لكل نوع من هذه الأنواع سور من الكتاب العزيز فاختصت سورة الكافرون بتوحيد الألوهية، وسورة الإخلاص بتوحيد الأسماء والصفات، واختصت سورة الفاتحة أم الكتاب بالتوحيد بأنواعه الثلاثة، كما شملته سورة الأنعام إلى غير ذلك من السور، وما ذلك إلا لعظم التوحيد وأهميته في الدين الإسلامي.

ب ـ مذاهب الضالين المخالفين لأهل السنّة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات إجمالاً:

لقد ضل في توحيد الأسماء والصفات أكثر الناس وخالفوا الحق فيه الذي عليه أهل السنّة والجماعة. وتتمثل مذاهبهم المخالفة والمضادة للاعتقاد الصحيح في الآتي:

١ ـ **التمثيل**: وهو تمثيل الله بخلقه في الأفعال والصفات ويدخل في هذا القسم اليهود والنصارى والرافضة ـ قبحهم الله ـ الذين يصفون الله بالأكل والنوم والتعب والراحة وبما لا يليق به سبحانه ومذهبهم باطل ظاهر البطلان بل ومعتقده كافر(١).

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠/٣) وما بعدها.

٢ ـ **التشبيه**: وهو جعل صفات الباري عزّ وجلّ تشبه صفات المخلوقين، وقد قال بهذا المذهب طائفة من الناس فقالوا نجري النصوص على ظاهرها ولا نؤولها ولا نعطلها، ولكن نعتقد بأن صفاته تعالى تشبه صفاتنا فيقولون مثلاً: له يدي كأيدينا وعينان كأعيينا واستواؤه كاستوائنا إلى غير ذلك، وهذا المذهب معتقده كافر ـ والعياذ بالله ـ لأنه يشبه الله بخلقه وينتقصه عزّ وجلّ ولا يقدره حق قدره، لأنه عزّ وجلّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1].

٣ ـ **التعطيل**: وهو عدم إثبات الصفات لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه وهو أربعة أقسام ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله[2]:

الأول: سلب النقيضين عنه تعالى، كقول أصحاب هذا المعتقد وهم ـ الباطنية والجهمية والقرامطة ـ لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، وهذا الرأي فضلاً عن ضلال أصحابه لا يتصور وجوده في الذهن والواقع.

الثاني: وصف الله بالسلوب[3]، والإضافات[4] دون صفات الإثبات وجعله سبحانه هو الوجود المطلق[5]، ويقول بهذا القول الفلاسفة وملاحدة الصوفية.

الثالث: إثبات الأسماء دون الصفات، كقولهم عليهم بلا علم، قدير

---

(١) انظر مجموع الفتاوى و(٣/٨٤ ـ ٨٥).

(٢) انظر المرجع السابق (٣/٨٠٧).

(٣) هي الصفات الذاتية في سياق النفي، والمراد بها المذمومة، وهي التي لا تتضمن كمال ضدها، وإلا فقد وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله كقوله سبحانه: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ فالأول: يتضمن كمال حياته وقيومته والثاني: يتضمن كمال قدرته.

(٤) الإضافة كل صفة يتوقف فهمها على فهم غيرها، كالفوقية، والتحتية، والانفصال، والدخول، والخروج، وكذلك كقولهم ليس فوق العرش ولا تحته، وليس داخل العالم ولا خارجه، لأن هذه المعاني يتوقف تصورها على تصور ما يقابلها.

(٥) الوجود المطلق هو الوجود الذهني الذي لا يتحقق في الخارج.

بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، فيثبتون الاسم دون ما يتضمنه من الصفة، أو إخراج الصفة من ظاهرها إلى غير المراد منها، كما يؤولون الوجه بالذات، واليد بالقدرة، والاستواء بالاستيلاء، وهكذا... والمعتزلة هم أصحاب هذا المذهب وهو باطل.

الرابع: إثبات بعض الصفات دون بعض، كمن يثبت سبع صفات أو أكثر أو أقل، وينفي غيرها أو يؤوله، وهذا مذاهب الأشاعرة والماتريدية. وهو باطل ومذهبهم حجة عليهم، لأن إثبات بعض الصفات يستلزم إثبات ما عداها، إذ المتصف بها واحد، والقول في بعضها كالقول في البعض الآخر.

٤ ـ **التفويض**: وهو التوقف وعدم الخوض أو الكلام في صفات الله، فيقول أصحاب هذا المذهب لا ندري هل ظاهر الصفات هو المراد اللائق بجلال الله أم لا فنفوض الأمر.

وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم، وبعضهم ينسب هذا المذهب للسلف وهو كذب عليهم، لأن مذهبهم إثبات الصفات على المعنى اللائق بجلال الله، ومن المفوضة من يمسك عن الكلام نهائياً فلا يزيد على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بألسنتهم وقلوبهم عن هذه التقديرات[1]. ولا شك أن كل هذه المذاهب والطوائف ضالون في باب الأسماء والصفات، وبعيدون عن مذهب السلف كل البعد، لأن إثبات الصفات على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله لا يستلزم أي محذور من تشبيه وتمثيل وتعطيل وتحريف وغير ذلك من المحاذير، بل فيه التسليم لله ولرسوله، لأنه لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسوله ﷺ، فلو كانت ظاهر الصفات غير مراد لما وردت في الكتاب ولا في السنّة، ولما تركها النبيّ ﷺ بدون تبيين للناس وهو المبلغ الأمين، كيف وهذه المسألة من أهم أركان الدين ـ وهو التوحيد ـ الذي لا يقبل الله من العبد دينه ما لم يحققه. وتوحيد الأسماء والصفات أحد أقسام هذا التوحيد ومن أجلّها، لأنه

---

(١) لمزيد من التفصيل يراجع فتاوى شيخ الإسلام (٣/٧ ـ ٩) والفتوى الحموية له ص٨٦ ـ ٨٨.

يصف الباري جلت قدرته بصفات الكمال والجلال، فهل يعقل أن يصف الباري جلت قدرته نفسه أو يصفه رسله بما لا يجوز، أو بما ظاهره ضلال أو كفر؟ كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به نبيّه ولم يفهم معاني الكتاب والسنّة؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، لذلك شنّ السلف الصالح رحمهم الله وعلماء أهل السنّة حرباً شعواء على من حرّف الصفات أو أوّلها أو عطّلها وألّفوا الكتب والرسائل في ذلك وبينوا عقيدة أهل السنّة والجماعة في هذا الباب والتي ذكرتها آنفاً. وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف، فطريقتهم رحمهم الله هي الأسلم والأعلم والأحكم، فرحمهم الله وجزاهم عنا خير الجزاء.

جـ - الشرك في توحيد الأسماء والصفات:

الشرك في هذا التوحيد العظيم نوعان، كما بين صاحب التيسير رحمه الله(1):

الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول له سبحانه يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواؤه كاستوائي إلى غير ذلك من الضلال. وهذا هو شرك المشبهة.

الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق سبحانه وتعالى قال عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠] والإلحاد هو العدول عن الحق وإدخال ما ليس منه فيه.

قال قتادة(2) رحمه الله: (يلحدون في أسمائه)، أي يشركون في

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص٤٤.

(٢) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، ولد سنة (٦٠هـ) وتوفي سنة (١١٨هـ) انظر ترجمته تاريخ خليفة ص٣٤٨، والجرح والتعديل (١٣٣/٧)، وتذكرة الحفاظ (١٢٢/١).

أسمائه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يلحدون في أسمائه أي: يكذبون، وعنه رضي الله عنه قال: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز ومناة من المنان[1].

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٢/٣٦٩) وتفسير البغوي معالم التنزيل (٢/٢١٧ ـ ٢١٨).

الفصـــل الثانـــي

تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ مفهومها وما يناقضها

أولاً: مفهومها: وتحته عدة مباحث:

المبحث الأول: وجوب محبته ﷺ والمفهوم الصحيح لها.

المبحث الثاني: وجوب التسليم لرسول الله ﷺ والانقياد لأمره.

المبحث الثالث: وجوب الاقتداء به ﷺ والمحافظة على سنته والترهيب من تركها وارتكاب البدع.

المبحث الرابع: واجب المسلمين نحو رسولهم ﷺ.

ثانياً: ما يناقض تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ وتحته عدة مباحث:

المبحث الأول: البدع. وتحته عدة نقاط:

أ ـ تعريف البدعة لغة واصطلاحاً.

ب ـ أقسامها.

جـ ـ حكمها وسوء منقلب أهلها.

د ـ مفاسدها.

هـ ـ نهي السلف عنها.

المبحث الثاني: رفض التحاكم إلى الكتاب والسنّة عند الخلاف وبيان خطر ذلك.

المبحث الثالث: تقديم رأي أحد أو مذهبه على السنّة: والتعصب له.

وتحته عدة نقاط:

أ ـ خطر ذلك على إيمان العبد لأنه دليل النفاق.

ب ـ نهي الأئمة عن تقليدهم وأمرهم باتباع السنّة فقط.

جـ ـ خطر التقليد والتعصب الحزبي أو المذهبي على الدين الإسلامي.

المبحث الرابع: الغلو في رسول الله ﷺ وخطره والرد على من وقع فيه.

الفصـــل الثانـــي
تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ
مفهومها وما يناقضها

تـمهيـد:

سبق وأشرت فيما مضى أن محبة الله ورسوله ﷺ لا تنال بمجرد الادعاء والكلام، بل لا بدّ لها من مستلزمات وشروط ومنها تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، لأن اتباعه عليه الصلاة والسلام والتسليم الكامل له فيما أمر به ونهى عنه وجعله هو القدوة الحسنى للمسلم ـ فضلاً عن محبته ﷺ فوق النفس والأهل والولد والناس أجمعين ـ هو الدليل الصادق على محبة الله ومحبته ﷺ، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وبتجريد المتابعة له ﷺ يعرف الصادق من الكاذب في الإيمان والمحبة، فإنه يجب على المسلم كما أمره الله بتوحيده أن يوحّد رسوله ﷺ بالمتابعة، حتى أن بعض العلماء جعل أنواع التوحيد أربعة وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد المتابعة لرسول الله ﷺ النبيّ الخاتم الذي لا ينطق عن الهوى، وهو المبلغ عن ربه الأمين على وحيه، قال سبحانه في شأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]. فينبغي أن يجرِّد المسلم متابعته وقدوته لرسوله ﷺ وحده دون سواه لأنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا الحق. وقد أخبر الله عزّ وجلّ عن هذه القدوة

المباركة في رسوله ﷺ للمؤمنين بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] وأمر سبحانه برد التنازع إلى كتابه وإلى سنّة نبيّه عند الخلاف فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. فالرد إلى الكتاب والسنّة والرضا بحكمهما دليل الإيمان بالله واليوم الآخر، إذ في ذلك الخير والسعادة للمؤمنين. وعدمه دليل النفاق والكفر والخسران والضلال ـ والعياذ بالله ـ، واتباعه ﷺ والتسليم له يستلزم أشياء كثيرة تجب على المؤمن تجاهه التصديق به وبما يخبر به، ثم طاعته عليه الصلاة والسلام ومحبته فوق كل شيء، وتوقيره وتعظيمه وعدم تقديم قول أحد أو رأيه على قوله ﷺ، ومحبة أصحابه وزوجاته وآل بيته، وعدم الابتداع في دينه، ونصرة شرعه ومحاربة أعدائه، إلى غير ذلك من الواجبات التي تستلزمها متابعته ﷺ بمفهومها الصحيح والتي سنفصل الحديث عنها في المباحث الآتية. فمتى لم تتحقق هذه الشروط والواجبات فمعنى ذلك أن المحبة ناقصة أو معدومة، فينبغي للمرء أن يحاسب نفسه ويجدد إيمانه حتى يكون مقبولاً عند الله عزّ وجلّ.

المبحث الأول

وجوب محبته ﷺ

إن لمحبة الله ورسوله ﷺ شأناً عظيماً ودرجة رفيعة لا يدانيها شيء لأنها من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجلّ قواعده بل هي - كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله -[1] أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين. فهي - إذن - فرض وواجب من واجبات الإيمان لا يتم للعبد إيمان بدونها، ومحبته ﷺ أيضاً من أهم حقوقه على أمته لذا وجب أن تكون محبته عليه الصلاة والسلام فوق محبة النفس والمال والأهل والخلق أجمعين.

وقد تضافرت بذلك النصوص من الكتاب العزيز والسنّة النبويّة المطهرة.

أولاً: الأدلة القرآنية:

من ذلك قول الحق جلت قدرته: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤] فالآية نص

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٨/١ - ٤٩).

صريح في وجوب محبة الله ورسوله وتقديمها على كل محبوب مهما كان نوعه وأياً كان جنسه، وفيها التهديد والوعيد الشديدان لمن قدّم محبة غير الله ورسوله على محبة الله ورسوله من أهل وعشيرة ومال وغير ذلك، كما بيّن ذلك المفسرون[1] وهذا مما لا خلاف فيه بين المسلمين.

وكفى بهذه الآية حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على لزوم محبته ووجوبها واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضلّ ولم يهده الله[2].

وقد تقدم معنا في الفصل السابق أن محبة الباري جلّت قدرت تقتضي تحقيق العبودية له (لأن العبادة ـ كما بين شيخ الإسلام رحمه الله ـ[3] هي الغاية التي خلق الله لها الخلق من جهة أمره ومحبته ورضاه كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب، وهي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته، فالحب الخلي عن الذل والذل الخلي عن الحب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين، ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله، وإن كانت منفعتها للعبد والله غني عنها فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها)[4].

هذا ما تقتضيه محبة الله تعالى. أما ما تقتضيه محبة الرسول ﷺ فهو تجريد المتابعة له ـ بأبي هو وأمي ـ وتقديم قوله وسنته على قول كل أحد كائناً من كان وطاعة أمره واجتناب نهيه، لأنه المبلغ عن الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤] فمحبته ﷺ ومتابعته ومحبة أوامره وامتثالها وبغض ما يبغضه واجتنابه شرط في الإيمان ودليل على المحبة

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٢/٢)، وتفسير القرطبي (٩٥/٨)، وتفسير البغوي (٢٧٧/٢).
(٢) الشفا للقاضي عياض (٥٦٣/٢).
(٣) التحفة العراقية (١٢/٤ ـ ١٣)، مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية.
(٤) التحفة العراقية لشيخ الإسلام (١٢/٤ ـ ١٣).

الصادقة لله، لأن محبته ﷺ متفرعة من محبة الله وتابعة لها، فمن وفقه الله وعمل بمقتضى ذلك كان كامل الإيمان والمحبة. أما من أخلّ بها بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله ﷺ، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه فإن ذلك دليل على نقص محبته، فعليه التوبة والاستغفار، لأن الذنوب والمعاصي تنقص من محبة الله ورسوله بقدر ذلك، ولكن لا تزيلها بالكلية إذا كانت ثابتة في القلب ولم تكن عن نفاق، دليل ذلك ما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الرجل الملقب بحمار والذي كان يشرب الخمر وقد أقام عليه الصلاة والسلام عليه الحد أكثر من مرة فلما كثر ذلك منه لعنه رجل فنهاه ﷺ عن ذلك وقال له: «**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**»[١].

هذا مع كونه ﷺ لعن الخمر وشاربها وحاملها والمحمولة له، ففي الحديث دلالة على حرمة لعن أحد بعينه إذا كان مذنباً إذا كان يحب الله ورسوله[٢].

ومن الآيات الدالة على وجوب محبته ﷺ أيضاً قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦] يقول شمس الدين الإمام ابن القيم رحمه الله تعليقاً على هذه الآية: فالآية دليل على أن من لم يكن الرسول ﷺ أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تقتضي أموراً منها: أن يكون ﷺ أحب إلى العبد من نفسه، لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها، فبذلك يحصل له اسم الإيمان المطلق، ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه وإيثاره على ما سواه، ومنها: ألا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً بل الحكم على نفسه للرسول يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده، أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة (١٢/١٥) حديث (٦٧٨٠).

(٢) انظر: جامع الرسائل لشيخ الإسلام (٢/٢٥٨ ـ ٢٥٩) ومجموع الفتاوى له (٢٨/٢٠٨ ـ ٢٠٩).

فيه الرسول الذي هو أولى به منها، ثم قال رحمه الله: ومن العجب أن يدّعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كان سعيه واجتهاده ونصيبه في الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها والغضب والمحبة لها والرضى بها والتحاكم إليها وعرض ما قاله الرسول عليها فإن وافقها قبله وإن خالفها التمس وجوه الحيل وبالغ في رده ليّاً وإعراضاً[1].

قلت: يرحم الله ابن القيم ما أدق فهمه لكتاب الله عزّ وجلّ ولسنّة رسوله ﷺ، وما أجمل كلامه هذا في الرد على أدعياء محبة رسول الله ﷺ من المبتدعة والمتعصبين بشتى اختلافهم الذين يظنون أن محبته عليه الصلاة والسلام تتحقق باللسان والدعوة فقط دون ما يصدقها من الاتباع الصادق والشروط المذكورة.

ومن الآيات الدالة على وجوب محبة الرسول ﷺ أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وهذه الآية كما يقول العلامة ابن كثير رحمه الله: (حاكمة على كل من ادّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبويّ في جميع أقواله وأفعاله، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء، ليس الشأن أن تُحِبَّ إنما الشأن أن تُحَبَّ. وقال الحسن البصري[2] وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية...)[3].

---

(١) الرسالة التبوكية لابن القيم، ص٢٩، ٣٠.

(٢) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، كان عالماً جليلاً جامعاً حجة فقيهاً زاهداً كثير العبادة كثير الخوف والرجاء، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب وتوفي سنة (١١٠هـ).
انظر: ترجمته الحلية (١٣١/٢) والسير (٥٦٣/٤)، والشذرات (١٣٦/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٨/١).

قلت: والآية كما هو ظاهر للعيان فيها دعوة ضمنية إلى وجوب محبته ﷺ، لأنه سبحانه وتعالى قد جعل اتباع رسوله ﷺ برهاناً ودليلاً على محبته، ومن البدهي المعلوم أن هذا الاتباع لا يتأتى إلا بعد الإيمان بالنبيّ ﷺ، والإيمان به عليه الصلاة والسلام لا بدّ فيه من تحقيق شروطه والتي من أهمها وأولها محبته ﷺ مصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[1] فمحبته ﷺ شرط في الإيمان الذي لا يتحقق الاتباع إلا بوجوده، كما أن محبته تعالى من جهة أخرى ـ كما تقدم ـ مستلزمة لمحبة ما يحبه تعالى من الواجبات وغيرها، واتباع رسوله ﷺ هو من أعظم ما أحبه الله تعالى وأوجبه على الخلق، فهو عزّ وجلّ أعظم شيء بغضاً لمن لم يتبع رسوله وخليله عليه الصلاة والسلام. فمن كان صادقاً في حبه لله تعالى اتبع رسوله ﷺ لا محالة وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فليعلم هذا ولينتبه إليه لما فيه من تلازم عجيب بين محبة الباري ومحبة رسوله ﷺ.

ثانياً: الأدلة في السنّة:

. إليك بعض الأدلة على وجوب محبته ﷺ من السنّة الشريفة: لو أردنا أن نجمع النصوص الواردة في السنّة الشريفة على وجوب محبته ﷺ وتقديمها على محبة الناس والمال والأهل والناس أجمعين لطال بنا الحديث، لذا فإنني سأقتصر على ذكر بعض الأحاديث التي فيها الكفاية والغنية إن شاء الله.. من ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبيّ ﷺ: «لأنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي فقال النبيّ ﷺ: **لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**، فقال له الفاروق عمر رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (٥٨/١) حديث (١٤).

عنه: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال عليه الصلاة والسلام: **الآن يا عمر**»[1].

فقد نص هذا الحديث على وجوب محبته ﷺ وتقديمها على أغلى ما يحب المرء - وهي نفسه -، وفيه فضل عمر رضي الله عنه لمحبته لرسول الله ﷺ فوق محبة نفسه، ففيه رد ظاهر على الرافضة الذين يلعنونه ويكفرونه، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[2].

فهذا الحديث نص ظاهر على وجوب محبته ﷺ ووجوب تقديمها على محبة الوالد والولد والناس أجمعين.

ويؤكد ذلك أيضاً الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[3]. ومعنى قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم...**» أي لا يحصل له الإيمان الذي تبرأ به ذمته ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين، بل ومن نفسه أيضاً - كما تقدم في حديث عمر رضي الله عنه -، أما من لم يكن كذلك فهو - والعياذ بالله - من أصحاب الكبائر إذا لم يكن كافراً - نسأل الله السلامة - لأنه لم يعهد في لسان الشرع الحنيف نفي اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته، فأما إن كان الفعل مستحباً في العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب، إذ لو صح هذا النفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج وحب الله ورسوله،

---

(١) البخاري - كتاب الإيمان والنذور - باب كيف كانت يمين النبيّ ﷺ (٥٢٣/١١) حديث (٦٦٣٢).

(٢) رواه البخاري وتقدم تخريجه.

(٣) البخاري - كتاب الإيمان - باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (٥٨/١) حديث (١٥) ومسلم كتاب الإيمان باب وجوب محبة الرسول أكثر من الأهل (٦٧/١) حديث (٧٠).

لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه. وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبيّ ﷺ، حتى الصديق والفاروق رضي الله عنهما، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه لجاز أن ينفى عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين، وهذا لا يقوله عاقل، وعلى هذا فمن قال إن المنفى هو الكمال فإن أراد أنه نفى الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق، وإن أراد أنه نفى الكمال المستحب فهذا خطأ، فإنه لم يقع قط في كلام الله ورسوله ﷺ[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أيضاً عن النبيّ ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» متفق عليه[2].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث الشريف: أخبر ﷺ أن هذه الأمور الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك. واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهي، فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب بل لا بدّ أن يكون الله ورسوله أحب إليه عما سواهما. وتفريعها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله. ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار[3].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص٤٧٣ ـ ٤٧٥.

(٢) البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب حلاوة الإيمان واللفظ له (٦٠/١) حديث (١٦) ومسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٦٦/١) حديث (٦٧).

(٣) فتاوى شيخ الإسلام (٢٠٥/١٠ ـ ٢٠٦) والعبودية له، ص١٢٦.

قلت: فتبين الشاهد من الحديث على وجوب محبة الله ورسوله ﷺ وهي قوله: **«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»**، إذ من المعلوم أنه لا يمكن حصول إيمان للعبد بغير هذه المحبة، ولكن الناس يتفاوتون فيها تفاوتاً كبيراً، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى فاستكملوا الإيمان، وهم الذين كانت محبة الله ورسوله مقدمة عندهم على محبة ما سواهما، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كالمستغرق في الشهوات المحجوب في الفضلات أكثر أوقاته ومنهم من هو بين الأمرين. فالمستوفي لهذه المحبة هو الذي قام بمستلزماتها فتوجه بكليته نحو هذه المرتبة الرفيعة فأحب ما يحب الله ورسوله وكره ما يكرهه الله ورسوله وامتثل الأوامر واجتنب النواهي وأفرد الله بالعبادة والرسول ﷺ بالمتابعة وتخلق بأخلاقه فوجد بذلك حلاوة الإيمان في قلبه، ويا لها من حلاوة فإنه لا يحس بطعمها إلا من ذاقها.

المبحث الثاني

وجوب التسليم لرسول الله ﷺ والانقياد لأمره

إن طاعة رسول الله ﷺ فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر والتسليم التام لما جاء به من عند الله عزّ وجلّ، من أهم لوازم محبته ﷺ وهي إضافة إلى ذلك الدليل الصادق على محبة الله ومحبة رسوله ﷺ قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] وهذه الآية - كما تقدم معناها - حاكمة على كل من ادّعى محبة الله ولم يتبع النبيّ ﷺ ولم يسلم له في كل أموره فإنه كاذب في دعواه، وقد أقسم أصدق القائلين بنفسه المقدسة وأخبر أنه لا يؤمن الناس حتى يحكِّموا رسوله ﷺ فيما يتنازعون فيه، وحتى يقبلوا بحكمه ويسلموا له تسليماً رضاً بما حكم دون أي معارضة أو نزاع قلبي، قال جلّ في علاه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] فالواجب على كل مسلم التسليم التام لما جاء به الرسول ﷺ وجعله الحكم في المنازعات والرضا بذلك دون أي معارضة أو انزعاج، لأنه ﷺ هو الرحمة المهداة الذي أنقذنا الله به من النار ومن الظلمات إلى النور، فما ترك خيراً إلا ودلّنا عليه، وما ترك شراً إلا وحذرنا منه. فمحبته عليه الصلاة والسلام واتباعه والتسليم التام له من أوجب الواجبات على كل مسلم، والله سبحانه وتعالى أكثر شيء بغضاً لمن لم يتبع رسوله ﷺ فهو عليه الصلاة والسلام أولى بنا

من أنفسنا لأن أنفسنا تأمرنا بالسوء، أما هو عليه الصلاة والسلام فلا يأمرنا إلا بما يسعدنا في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وقد أثنى عزّ وجلّ في كتابه العزيز على المؤمنين الذين يطيعون رسوله ﷺ ويسلمون له وأخبر أنهم هم المفلحون قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]، فهكذا ينبغي أن يكون كل مسلم أن يقول سمعت وأطعت لله ولرسوله ﷺ، وأن ينقاد لأمر نبيّه ﷺ ويتلقى خبره بالقبول والتصديق دون أدنى معارضة مما يوسوس به الشيطان والنفس من خيال باطل يسميه معقولاً، أو أي شبهة أو شك فيما قال أو حكم به عليه الصلاة والسلام، ودون أن يقدم على سنته آراء الرجال وزبالة أذهانهم ومذاهبهم. فعلينا أن نوحّده ﷺ بالتحكيم والتسليم والانقياد والأذهان، كما أمرنا أن نوحّد المرسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادات. فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما توحيد المرسِل سبحانه وتعالى وتوحيد المتابعة لرسوله ﷺ، فلا نتحاكم إلى غير شرعه ولا نرضى بحكم غيره ولا نقدم على سنته وهديه أقوال الرجال وآرائهم ومذاهبهم فننظر ما وافقهم من السنّة فنأخذه وما خالفه نؤوله أو نحرفه ـ كما هو حال من لم يعرف حقه عليه الصلاة والسلام ـ لأن هذا من أعظم المحاداة لله ولرسوله، ولأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال كما قال بعض السلف رحمهم الله، بل المؤمن إذ بلغه الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ له أن يؤخّر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه حتى يعمل به؟ كلا وربي إن هذا لمن الانتقاص من حقه ﷺ فإن الواجب أن تعرض آراء الرجال وكلامهم على السنّة فما وافقها أخذنا به وما خالفها طرحنا به عرض الحائط[1].

---

(١) انظر: شرح الطحاوي، ص١٦٢.

ولا شك أن من لم يسلم لرسول الله ﷺ فإن توحيده ينقص، فإنه يقول برأيه وهواه ويقلد ذا الرأي والهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول ﷺ، فإنه قد اتخذه في ذلك إلهاً مع الله قال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] أي: عبد ما تهواه نفسه وتستحسنه[١]. وهل دخل الفساد في العالم إلا من ثلاثة طوائف كما بين ذلك الإمام الجليل عبدالله بن المبارك رحمه الله حيث قال:

رأيتُ الذنوبَ تميت القلوبَ ... وقد يُورِثُ الذُلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ ... وخيرٌ لنفسكَ عِصيانُها
وهلَ أفسدَ الدينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

فالملوك والأمراء الجائرون يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويعارضونها بها ويقدمونها على حكم الله ورسوله، وأحبار السوء وهم علماء السوء الخارجون على الشريعة بأقيستهم وآرائهم الفاسدة المتضمنة تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم وتأويل كلامه، وتحريفه عن معناه أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة. والرهبان وهم جهال الأمة وفي مقدمتهم ـ المتصوفة الضالون ـ المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات والأحوال الشيطانية الباطلة والمتضمنة شرع دين غير دين الله وإبطال دينه الحق الذي شرعه على لسان رسوله والاستعاضة عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس.

فقال الملوك: إذا تعارضت السياسة والشريعة قدمنا السياسة، وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل. وقال أصحاب الذوق: إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع قدمنا الكشف والذوق[٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٢٠).

(٢) انظر: شرح الطحاوي، ص١٦٢.

فمن هنا دخل الفساد في الدين، فالواجب إذن الحذر من هذه الفتن والتحذير منها، والتمسك بسنّة المصطفى ﷺ والعض عليها بالنواجذ فإنها سبيل النجاة وسبب الفلاح في الدارين، فللّه ما أعز المتمسك بالسنّة وما أحقر وأذل تاركها المبتعد عنها لأي سبب من الأسباب، فحسبه أنه في ضلال مبين.

المبحث الثالث

وجوب الاقتداء برسول الله ﷺ والمحافظة على سنته والترهيب من تركها

إن الاقتداء برسول الله ﷺ واتباعه والتمسك بسنته من أوجب الواجبات على كل مسلم. وإنه لا سعادة ولا نجاة للعباد ولا فوز لهم في المرجع والمآل إلا بذلك، قال سبحانه مبشراً عباده الطائعين ومحذراً العصاة الماردين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

فقد رتب الله عزّ وجلّ الدخول إلى الجنان والفوز العظيم على طاعته وطاعة رسله كما جعل سبب دخول النار والعذاب المهين ـ والعياذ بالله ـ معصيته ومعصية رسوله ﷺ. وقال سبحانه أيضاً مبشراً الطائعين لله ورسوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

وقد أخبر سبحانه بأن طاعته وطاعة رسوله ﷺ سبب لرحمته عزّ وجلّ ولهدايته للعباد قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢] وقال في حقه ﷺ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا

﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. ذلك لأنه ﷺ يدعو إلى الصراط المستقيم، فمن أطاعه واتبعه واقتدى به فقد اهتدى، ومن كان بخلاف ذلك فقد ضلّ وغوى ـ والعياذ بالله ـ. لذلك كان في الاستجابة لله ولرسوله الحياة الحقة للمؤمنين قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] لذا أوجب الله على المؤمنين التحاكم إلى كتابه وإلى سنّة نبيّه عند الخلاف مبيناً عزّ وجلّ أن ذلك هو خير لهم وأحسن مآلاً وعاقبة. قال أصدق القائلين: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فأمرنا أن نرد الأمر إلى الكتاب والسنّة في كل شيء من أمور حياتنا عند التنازع، لأن فيه الخير والسعادة لنا. ولأن ما يحكم به الكتاب والسنّة هو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ لذلك قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾ فدل كما يقول الإمام ابن كثير[(١)] رحمه الله على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنّة ولا يرجع إليها في ذلك فليس مؤمناً بالله ورسوله، والرد إلى الله والرسول المذكور في الآية هو الرد إلى الكتاب والسنّة كما قال مجاهد وعطاء وغيرهما من السلف رحمهم الله[(٢)]. وقال تعالى في حقه ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهو ﷺ القدوة الحسنة للمؤمنين الذين يرجون الله ويبتغون رضاه وجنته، لأنه ﷺ يهديهم إلى ربهم وإلى رضوانه وإلى صراط مستقيم، قال سبحانه في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] فمن اتبعه واقتدى به فقد هدى إلى صراط مستقيم، ومن عصاه ولم يتبعه فقد ضل وغوى. قال سبحانه محذراً ومتوعداً من يخالفه ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أي:

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥١٨/١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥١٨/١)، والشريعة للآجري، ص٥٣، والاعتقاد للبيهقي، ص١١١.

فليخشى وليحذر من خالف شريعة رسول الله ﷺ باطناً أو ظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو غير ذلك وفي الآخرة بعذاب النار والعياذ بالله[١].

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا[٢] رسول الله ﷺ موعظة وجلت[٣] منها القلوب، وذرفت[٤] منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين، عضوا[٥] عليها بالنواجذ[٦]، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**». رواه أبو داود[٧] والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[٨].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٣٠٧)، وتفسير البغوي (٣/٣٥٩).

(٢) الوعظ: هو التخويف والتذكير بالعواقب بطريق النصح. المعجم الوسيط (٢/١٠٤٣).

(٣) وجلت: بكسر الجيم أي: خافت من أجلها القلوب وحذرت من الذنوب.

(٤) بفتح الذال المعجمة والراء المهملة أي بكت وجرى دمعها. المعجم الوسيط (١/٣١١).

(٥) «**عضوا عليها بالنواجذ**» أي: اجتهدوا على السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفاً من تفلته وذهابه. انظر: صحيح الترغيب (١/٢٠) والمعجم الوسيط (٢/٩٠٢).

(٦) النواجذ: هي الأنياب والأضراس. انظر: صحيح الترغيب (١/٢٠).

(٧) أبو داود: هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر، الإمام شيخ السنة، مقدم الحفاظ، أبو داود الأزدي السجستاني، محدث البصرة، صاحب السنن والمراسيل. ولد سنة (٢٠٢هـ)، وتوفي سنة (٢٧٥هـ).
انظر: ترجمته: السير (١٣/٢٠٣)، وتهذيب التهذيب (٤/١٦٩)، وطبقات الحفاظ، ص٢٦١.

(٨) رواه أبو داود ـ كتاب السنّة ـ باب لزوم السنّة (٥/١٣ ـ ١٥) حديث (٤٦٠٧)، والترمذي ـ كتاب العلم ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنة (٥/٤٤) حديث (٢٦٧٦) والحديث صحيح كما قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٢٠).

ففي هذا الحديث الشريف يوصينا عليه الصلاة والسلام بتقوى الله التي هي فعل الطاعات وترك المحرمات، والسمع والطاعة لولاة الأمر وإن كان عبداً، ثم يخبر عليه الصلاة والسلام أن الأمة ستختلف اختلافاً كثيراً وتبتعد عن المنهج السوي، وبيّن أن النجاة بالتمسك بسنته وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم، فأمرنا بالتمسك بها أيما تمسك ونهانا عن البدع، لأن كل بدعة ضلالة. وهذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، ومن أعلام نبوته إذ فيه إخبار لما حدث لأمته بالفعل، وكان عليه الصلاة والسلام إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته واشتدَّ غضبه كأنه منذر جيش يقول: «**صبحكم ومساكم**» ويقول: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**» ثم يقول: «**أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك دَيناً أو ضياعاً فإليّ وعليَّ**» رواه مسلم وابن ماجه[1][2]. فقد أخبر ﷺ في هذا الحديث الجليل أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هديه ﷺ، لأن فيهما السعادة والهداية للبشرية، فمتى تركهما العبد فقد غوى وضلّ، كما بيَّن ﷺ أن البدع شَرُّ الأمور موضحاً أنها ضلالة كلها، وليس فيها أية فائدة لأنها زيادة على شرع الله الذي أنزله وأتمه على لسان رسوله ﷺ. وفي حديث آخر يخبر عليه الصلاة والسلام أنه متى تمسكت أمته بكتاب ربها وسنته ﷺ فإنها مهدية، ومتى لم تكن كذلك فإنها بعيدة عن الهدى ضالة ـ والعياذ بالله ـ قال ﷺ: «**إني قد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا**

---

(١) ابن ماجه: هو محمد بن يزيد الحافظ الكبير، الحجة المفسر، أبو عبدالله بن ماجه القزويني، مصنف السنن والتاريخ والتفسير وحافظ قزوين في عصره، ولد سنة (٢٠٩هـ) وتوفي سنة (٢٧٣هـ) وقيل (٢٧٥هـ).
انظر ترجمته: تذكرة الحفاظ (٦٣٦/٢)، وتهذيب التهذيب (٥٣٠/٩)، والشذرات (١٦٤/٢).

(٢) رواه مسلم ـ كتاب الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة والخطب (٥٩٢/٢) حديث (٤٣)، وأحمد (٣١٠/٣ ـ ٣١١) وابن ماجه في المقدمة ـ باب ٧، (١٧/١) حديث (٤٥).

أبداً كتاب الله وسنّة نبيّه» رواه الحاكم[1][2] وقال: صحيح الإسناد. ورواه مالك أيضاً.

ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»** قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»** رواه البخاري[3]. ففي طاعته ﷺ دخول الجنة وفي معصيته البعد عن رحمة الله.

فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به ﷺ واتباعه والاقتداء به منها إلى الطعام والشراب ـ كما قال شيخ الإسلام ـ[4]، فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا، وذاك إذا فات حصل العذاب في الدارين، فحريٌّ وحق على كل مسلم أن يبذل كل جهده واستطاعته في معرفة ما جاء به ﷺ وطاعته والاهتداء بهديه ليكون من الناجين السعداء في دار الجنة دار الخلد والنعيم.

---

(١) الحاكم: هو محمد بن عبدالله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبدالله من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، بلغت تصانيفه أكثر من ألف وخمسمائة جزء، وله المستدرك على الصحيحين، ولد سنة (٣٢١هـ) وتوفي سنة (٤٠٥هـ).
انظر ترجمته: ميزان الاعتدال (٦٠٨/٣)، وتذكرة الحفاظ (١٠٤٣/٣)، والشذرات (١٧٦/٣).

(٢) المستدرك (٩٣/١) والموطأ لمالك ك القدر باب النهي عن القدر (٨٩٩/٢) حديث (٣) وحسّن الحديث الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١/١).

(٣) البخاري ـ كتاب الاعتصام ـ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٢٤٩/١٣) حديث (٧٢٨٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/١).

المبحث الرابع

واجب المسلمين نحو رسولهم ﷺ

للنبيّ ﷺ حقوق وواجبات كثيرة على أمته، فيجب عليهم أن يقوموا بها جميعاً حتى يكونوا مؤمنين حقاً وحتى يستحقوا أن ينالوا محبته ﷺ ويتشرفوا بها لتكون في ميزان حسناتهم يوم القيامة. وأولى هذه الحقوق والواجبات الإيمان به ﷺ، وتصديقه بكل ما يخبر عنه، إذ هي من مستلزمات إيمانهم، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

ومن الواجبات أيضاً محبته ﷺ أكثر من النفس والولد والناس أجمعين قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١).

ومن المعلوم أن صدق محبته ﷺ إنما تكون بتجريد المتابعة له، بل هي من لوازم المحبة لله ولرسوله ﷺ، لأن موافقة المحبوب من موجبات المحبة وثمراتها، وكلما كانت المحبة أقوى كانت الموافقة أتم. قال الله عــز وجــلّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

---

(١) تقدم تخريجه.

[آل عمران: ٣١] قال الحسن رحمه الله وغيره من السلف: قال قوم على عهد النبيّ ﷺ إنا نحب الله، فأنزل الله هذه الآية فابتلاهم بها[1] فبين سبحانه وتعالى أن متابعة رسوله ﷺ من شرط محبته سبحانه وتعالى، لأنه ﷺ المبلغ عنه ما يحب وما يكرهه سبحانه وتعالى، ولأن من أحب حبيباً فلا بدّ أن يحب ما يحبه ويبغض ما يبغضه وإلا لم يكن محباً له محبة صادقة.

كما أن من واجباتنا نحوه ﷺ طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتمسك بسنته، والتحاكم إلى ما جاء به من عند الله، والرضا بحكمه ﷺ والتسليم التام له، وعدم تقديم قول أحد أو رأيه أو مذهبه على قوله أو سنته كائناً من كان. وقد وردت بذلك النصوص الكثيرة من الكتاب العزيز من ذلك قول الحق جلّ في علاه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢] وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وقوله أيضاً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وحذّر سبحانه من مخالفته ﷺ بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقد ضمن عزّ وجلّ الجنة والفلاح والمغفرة والرحمة لمن يطيعه ويطيع رسوله ويتبعه فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] وقال: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ...﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٥٨/١).

فهذه النصوص القرآنية وغيرها الكثير الكثير تُذَكِّر المؤمنين بمقتضى إيمانهم بنبيّهم ﷺ، وتعرِّفهم بواجباتهم نحوه عليه الصلاة والسلام، فهي تارة تأمرهم بطاعته لأنها طاعة لله وتبين أن جزاء المطيعين جنات الخلد، وطَوْراً تبين أن الإيمان به ﷺ يستلزم فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وأن على المسلم التسليم التام له وأنه لا خيار له فيما يقضي به الله ورسوله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وطَوْراً آخر تبين أن الرجوع عند الاختلاف يجب أن يكون إلى كتاب الله وسنّة رسوله، وأن الإيمان الحقيقي به ﷺ يستلزم الرضا بما يحكم به ويقضي به ويخبر عنه، وتبين أيضاً هذه النصوص تارة أخرى أن مخالفته ﷺ وعصيانه سبب لعذاب الله ومقته، كل هذا ليعرف المسلم ما لرسوله من حق وواجب عليه فيؤديه على وجهه المطلوب لينال رضا الله ومحبته.

ومن واجباتنا نحوه أيضاً عليه الصلاة والسلام توقيره وتبجيله واحترامه حياً وميتاً، قال سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، لأنه ﷺ ليس كواحد من الناس في النداء والكلام، فهو أفضل الخلق ﷺ فأمر سبحانه المؤمنين بتوقيره وتبجيله وتشريفه حتى في ندائهم له، فلا ينبغي أن ينادوه باسمه، بل عليهم أن يوقروه فيقولوا له: يا رسول الله أو يا نبيّ الله ونحو ذلك. ومن مظاهر توقيره واحترامه عدم سبقه ﷺ بالقول أو رفع الصوت عند كلامه، قال عزّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ١، ٢] وامتدح الذين يوقرونه ويحترمونه فيغضون أصواتهم عنده فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: ٣] وهذا الاحترام والتوقير باق حتى بعد وفاته ﷺ، فلا ينبغي رفع الصوت في مسجده ولا عند قبره الشريف كما يفعل بعض الجهال. كما يجب التأدب عند سماع حديثه الشريف وسنته المطهرة

والإصغاء الكامل لها، والرضا بها والعمل بها وعدم الخروج عليها أو معارضتها بآراء الرجال وأقوالهم، فإذا سمع المسلم (قال رسول الله) فليعلم أنه لا قول لأحد مع قوله ولا فوق قوله ولا معارضة لقوله ﷺ، وإنما عليه الاستماع والفهم لحديثه ولسنته ﷺ والعمل بها بلا جدال أو شك.

كما أن من واجباتنا نحوه ﷺ الابتعاد عن إيذائه بأي شيء وبأي قدر من الإيذاء، فإن هذا كله محرم، بل ويؤدي بالإنسان للخروج عن الإسلام - والعياذ بالله - قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] ويدخل في إيذائه ﷺ الطعن في زوجاته الطاهرات العفيفات الكريمات رضي الله عنهن أجمعين، أو سبهن أو عداوتهن - كما هي حال من لا خلاق لهم من الرافضة - أخذاهم الله، لأنهن رضي الله عنهن أمهات المؤمنين بنص الكتاب العزيز قال سبحانه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (وهن زوجاته) في الدنيا والآخرة.

كما يدخل في إيذائه ﷺ الطعن في آل بيته الأطهار، أو صحابته الكرام، أو سبهم أو عداوتهم كما جاءت بذلك الآثار الناهية عن مثل هذه الأفعال المنكرة.

ومن واجبنا نحوه - بأبي هو وأمي - أيضاً الصلاة والسلام عليه فقد أمرنا بذلك رب العزة في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا المضمار التحرُّز على كل مسلم من خلط ما لله تعالى بما لرسوله ﷺ من حق، فإنه يقع كثير من الناس في هذا المحظور ظناً منهم أن ذلك من مزيد محبته ﷺ، فيدعونه من دون الله، أو يستغيثون به أو يغالون في مدحه... الخ، كما هي حال كثير من المتصوفة وغيرهم من مدعي محبته. فيقعون - والعياذ بالله - في الشرك الجلي، أو الخفي فيكونون محادين له من حيث يشعرون أو لا يشعرون، لذلك أمر الله

سبحانه نبيّه أن يُبَيِّن للناس حقيقته من كونه بشراً مثلهم لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله، وإنما فضَّله الله عليهم بالرسالة قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] وقال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨] لذلك كان ﷺ من شدة حرصه على أمته بما ينفعهم أنه بيّن لهم التوحيد أيما بيان ليحققوه، كما بيّن لهم الشرك بياناً لا لبس فيه ليفروا منه، ولئلا يقعوا فيه، وهذا من كمال نصحه ورحمته ورأفته بأمته - بأبي هو وأمي -. فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيّاً عن أمته، وقد صدق ربه عزّ وجلّ حيث وصفه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

فنسأل الله أن يثبتنا على دينه، وأن يتوفنا على ملته وسنته، وأن يجمعنا به وبأصحابه في الجنة إنه سميع مجيب.

ثانياً: ما يناقض تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ:

أرى من الواجب علي - بعد أن بينت المفهوم الصحيح لتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ والذي هو من أهم مستلزمات محبة الله ورسوله - أن أنبه إلى ما يناقض ذلك من أفعال وأعمال قبيحة بعيدة كل البعد عن محبته ﷺ والاقتداء به والمتابعة له، والتي وقع فيها كثير ممن يدّعي المحبة وينتسب إلى الإسلام، وتتمثل هذه المنكرات فيما يلي:

المبحـــث الأول

البـــدع

وتحتها عدة نقاط:

١ ـ تعريفها لغة واصطلاحاً.

٢ ـ تقسيمها وحكمها ومفاسدها.

٣ ـ نهي السلف عنها.

١ ـ تعريفها لغة واصطلاحاً:

البدعـة لغـة:

أصل مادة (بدع) للاختراع على غير مثال سابق. كما قال الإمام الشاطبي[(١)] رحمه الله[(٢)] ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: مخترعهما من غير مثال سابق متقدم، وقوله عن نبيّه ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله

(١) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية، من كتبه الموافقات، والاعتصام، وغيرهما. توفي سنة (٧٩٠هـ).

انظر ترجمته: فهرس الفهارس والأثبات (١٣٤/١) والأعلام (٧٥/١).

(٢) الاعتصام (٣٦/١).

إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال ابتدع فلان بدعة، يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها أحد من قبله، ويقال هذا أمر بديع للشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن، فكأنه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه، ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة فاستخراجها للسلوك هو الابتداع، وهيئتها هي البدعة وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة. فمن هنا سمي العمل الذي لا دليل عليه من الشرع بدعة[1].

وفي لسان العرب[2] بدع مثلث العين، وابتدع وتبدع وبدعه واستبدعه وبدع وبدعة بدعه: أنشأه كابتدعه، ومنه بدع الله الخلق، أي أحدثهم لا على مثال سابق، وبدع بداعة وبدوعاً وصار بديعاً. وأبدع إبداعاً، وأبدع الشاعرَ إذ أتى بالبديع فهو مبدِع ومنه البديع أي: الخالق المخترع لا على مثال سابق، فعيل بمعنى مفعِل، فالبديع المبتدع والمتبدع، وتبدع تحول مبتدعاً، وبدّعه نسبه إلى البدعة، واستبدعه عده بديعاً، والبدع الأمر الذي يكون أولاً، وفلان بدع في هذا الأمر أي: بديع أي: هو أول من أحدثه فهو اسم فاعل بمعنى مبتدع، ومنه قوله تعالى في حق رسوله ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]. وفي الصباح[3] أبدعت الشيء وابتدعته استخرجته وأحدثته، ومنه مثل للحالة المخالفة بدعة والبدعة اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة.

وفي القاموس المحيط[4]: البدعة الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبيّ من الأهواء والأعمال.

فالخلاصة مما قدمناه أن البدعة في اللغة هي ما حدث على غير مثال سابق.

تعريف البدعة اصطلاحاً: اختلف العلماء في تعريف البدعة فعرفها

---

(١) الاعتصام (٣٦/١).

(٢) (٦/٨ ـ ٧).

(٣) المصباح المنير (٤٤/١ ط الحلبي).

(٤) ص ٣/٣، ط دار الجيل بيروت.

الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه القيم (الاعتصام) والذي يعد من أنفس ما كتب في هذا الفن بتعريفين:

الأول: البدعة هي (عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)[١].

والتعريف الثاني هو: (البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشريعة يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية)[٢].

وعرفها صاحب السنن والمبتدعات بأنها (الحدث في الدين بعد إكماله، وما استحدث بعد النبيّ ﷺ[٣] من الأهواء والأعمال)[٤] وقيل هي (ما استحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ وجعل ديناً قويماً وصراطاً مستقيماً)[٥]. إلى آخر هذه الأقوال.

هذا وقد شرح الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ تعريفها شرحاً وافياً بما يلقي الأضواء الكاشفة على بيان مراده منهما، وهذا خلاصة ما قاله من محترزات للتعريفين. وقد آثرت ذكرها لما لها من أهمية ملحة لطالب العلم فقد قال رحمه الله:

الطريقة: ما رسم للسلوك عليه.

في الدين: قيد لإخراج الطريقة الدنيوية كإحداث الضائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

---

(١) الاعتصام (٣٧/١).

(٢) المرجع السابق (٤١/١).

(٣) قلت: إلا ما كان من عمل أحد الخلفاء الراشدين فإنه لا يعد بدعة لأمر الرسول باتباع سنتهم، وذلك مثل الأذان الأول يوم الجمعة الذي زاده الخليفة عثمان للمصلحة، وكتجديد عمر الفاروق اجتماع الناس على إمام واحد في التراويح بعد أن تركه النبيّ ﷺ لعلة وهي خشية الوجوب وقد رأى عمر زوالها. وأما تسميته رضي الله عنه لها بأنها بدعة فقد أراد بها البدعة اللغوية كما قال أهل العلم وهو مجرد التجديد وليست بدعة دينية مذمومة فإنه لا يتأتى منه ذلك لما لا يخفى على مسلم عاقل.

(٤) السنن والمبتدعات، ص١٥.

(٥) السنن والمبتدعات، ص١٥.

مخترعة: أي لا أصل لها في الشريعة وليس لها تعلق بها. وهذا القيد أخرج ما له تعلق بالدين وظن أنه مخترع كعلم النحو والصرف ومفردات اللغة وأصول الفقه وأصول الدين وسائر العلوم الخادمة للشريعة، فإنها وإن لم توجد في الزمن الأول فأصولها موجودة في الشرع.

تضاهي الشريعة: أي تشبهها من غير أن تكون كذلك، بل هي مضادة لها من جهة وضع الحدود كالاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف بلا علة، أو من جهة التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبيّ عيداً ومولداً، أو التزام عبادات معينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صوم يوم النصف من شعبان وقيام ليله، وسواء في ذلك ألبس صاحبها على الناس بما ابتدعه أو التبست عليه البدعة بالسنّة ما دام مصراً عليها مع معرفته ببدعتها، أو إخبارها بهذا الموضوع بطرق ملتوية ليجلب إليها الناس، والمبتدع بذلك في شيء مما سبق ذكره من الأمثلة وغيرها مشابه للجاهليين في تغييرهم ملة الخليل إبراهيم عليه السلام حيث قالوا في أصل الإشراك: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وكترك الحُمس (قريش وحلفاؤها) الوقوف بعرفة بقولهم لا نخرج من الحرم اعتداداً بحرمته، وتأوُّل من طاف منهم بالبيت عرياناً بقوله: (لا نطوف بثياب عصينا فيها الله) وما أشبه ذلك مما وجهوه ليصيروه بالتوجيه كالمشروع.

(يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى) هو إتمام معنى البدعة إذ هو المقصود من تشريعها، وهذا القيد لإخراج العادات من البدع على رأي من لا يدخلها في البدع وبيان ما ابتدع من الأمور الزائدة عن المشروع والمنسوبة إلى الشرع، مقصود بها المبالغة في التعبد لله أو تجديد النشاط إلى العبادة ولذلك قالوا: (لكل جديد لذة) بحكم هذا المعنى.

أما على التعريف الثاني فمعنى قوله: (يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية) معناه أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد على عاجلتهم وآجلتهم لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوهها، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته

لأن البدعة أما أن تتعلق بالعادات أو العبادات، فإن تعلقت بالعبادات فإنما أراد بها على زعمه أن يأتي تعبده على أبلغ ما يكون ليفوز بأتم المراتب في الآخرة على ظنه الخاسر، وإن تعلقت بالعادات فكذلك، لأنه إنما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها.

فمن يجعل المناخل في قسم البدع، فظاهر أن التمتع عنده بلذة الدقيق المنخول أتم منه بغير المنخول إلى غير ذلك مما يتعلق بالمخترعات المنسوبة إلى الدين من العادات، أي ادعاء إباحتها كغيرها من الأمور المباحة صريحاً من الدين[1] . . .

٢ ـ تقسيمها وحكمها ومفاسدها:

أ ـ أقسامها:

تنقسم البدعة ـ كما قال بعض العلماء ـ[2] إلى قمسين: دينية ودنيوية.

أما الدنيوية: فإنه لا حرج فيها، بخلاف البدعة الدينية فإنها مذمومة وضلالة كما جاء في الحديث **«كل بدعة ضلالة»**[3] وكل من صيغ العموم، فمن هنا لا يلتفت إلى من قسّم البدعة الدينية إلى: جائزة وواجبة ومستحبة ومباحة ومحرمة ومكروهة. بل كل البدع مذمومة ومحرمة وضلالة لأنه من الإجرام وعدم الأدب والطاعة للنبيّ ﷺ إذ يصف البدعة بأنها ضلالة وفي النار ثم يحكم لها بالوجوب والاستحباب أو الإباحة كما يفعل ذلك بعض الناس ـ هداهم الله ـ.

---

(١) راجع: الاعتصام للشاطبي، ص٣٧ ـ ٤٢، وانظر البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها للدكتور عزت عطية، ص١٩٣ ـ ٢٠٢، والإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، ص٢٥ ـ ٣٠.

(٢) انظر: السنن والمبتدعات، ص١٥.

(٣) رواه مسلم ـ كتاب الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) حديث (٤٣)، وأبو داود ـ كتاب السنن ـ باب لزوم السنة (١٣/٥ ـ ١٥) حديث (٤٦٠٧) من حديث العرباض بن سارية والترمذي ـ كتاب الإيمان ـ باب الأخذ بالسنّة واجتناب البدعة (٤٤/٥) حديث (٢٦٧٦) بنحوه.

غير أن هذه البدعة الدينية ليست متساوية بل هي أقسام أربعة كما بين صاحب السنن والمبتدعات[1]:

الأول: البدعة المكفِّرة، كدعاء غير الله والاستغاثة به وطلب العون أو الحاجة منه كائناً من كان، إذ هذا عين الشرك والعياذ بالله.

الثانية: البدعة المحرَّمة، وهذه أخف من الأولى لكونها غير مخرجة من الملة، لكن إثمها عظيم وهي كالتوسل إلى الله بالأموات واتخاذ القبور مساجد والصلاة إليها... الخ[2].

الثالثة: البدعة المكروهة تحريماً، وهي كصلاة فريضة الظهر بعد الجمعة، وكالاحتفال بليلة النصف من شعبان، وكرفع الصوت بالصلاة والتسليم على النبيّ عقب الأذان... الخ وهذه كلها بدع ضلالات لكنها أخف من اللتين قبلها في الإثم.

الرابعة: البدعة المكروهة تنزيهاً، وهذا كالمصافحة في أدبار الصلاة أو كتعليق الستائر على المنابر ودعاء عاشوراء... الخ، وقد بيّن رحمه الله - بعد تقسيمه هذا للبدعة - أنه قد ذهب كثير من محققي العلماء إلى أن كل بدعة في الدين هي ضلالة ومحرمة صغيرة كانت أو كبيرة مستدلين بالأحاديث التي حذرت من البدع وذمتها بصيغ العموم كحديث «**كل بدعة ضلالة**»[3] وحديث «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[4] متفق عليه... الخ. قال: وهذا موافق لما ذكرناه، لأن المحرمات ليست كلها كبائر فمنها الصغائر والكبائر ومنها المخرج من الملة وما ليس مخرجاً، وعنّف رحمه الله على من قسّم البدع إلى خمسة أقسام بقوله: إن هذا

---

(١) انظر: السنن والمبتدعات، ص١٦، ١٧.

(٢) قلت: هذه البدعة قد تكون مكفرة إذا اعتقد المرء أن التوسل بالأموات والأحياء يجعلهم شركاء لله أو وسطاء عنده تشبيهاً له سبحانه بالمخلوقين، ولو مثل رحمه الله بأي بدعة كالمولد مثلاً لكان أوضح في الحرمة دون الكفر ما مثل به ههنا.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

التقسيم خطأ وظن ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨] بل هذا مشاقة ومحاداة لله ولرسوله ﷺ القائل: «**كل بدعة ضلالة**»، وأشار رحمه الله إلى أن البدع الدنيوية لا حرج فيها إذا كانت نافعة غير ضارة ولا جارّة إلى شر يعود على الناس، أو إلى ارتكاب محرم أو هدم شيء من الدين، قال وعليه يحمل تقسيم الإمام الشافعي(١) رحمه الله البدعة إلى أنها نوعان: محمودة ومذمومة، فما وافق السنّة فهو محمود، وما خالفها فهو مذموم(٢).

قلت: إطلاق الشافعي لما يحدث بعد النبيّ ﷺ مما يوافق سنته وتسميته إياه بدعة محمودة إطلاق لغوي، كتسمية الفاروق عمر رضي الله عنه لما فعله لما جمع الناس على إمام في التراويح بدعة، لأن له أصلاً في السنّة، وأما ما يخالف السنّة، فلا شك في أنه محرم ومذموم فلا إشكال إذاً في كلامه رحمه الله.

بل إنه قد روى عنه رحمه الله كلام آخر يفسر هذا وهو قوله: (المحدثات ضربان، ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنّة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة، وما أحدث فيه من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا وهذه محدثة غير مذمومة)(٣).

ب ـ حكمها:

إن شأن الابتداع في الدين عظيم الإثم والجرم والخطر، فلا يخفى على عاقل وجوب ذمه ونبذه بمجرد معرفة أنه خروج عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه.

---

(١) هو: محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف، الإمام عالم العصر ناصر الحديث، فقيه الملة أبو عبدالله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي أحمد الأئمة الأربعة، وإليه تنسب الشافعية، ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفي سنة (٢٠٤هـ).
انظر: الحلية (٦٣/٩) وتذكرة الحفاظ (٣٦١/٢) والسير (٥/١٠).

(٢) انظر: السنن والمبتدعات، ص١٧، ١٨.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن عبد البر، ص٢٥٣، وأعلام الموقعين (٢٣٣/٤).

ولذلك فاضت نصوص الكتاب العزيز والسنّة المطهرة وأقوال السلف رحمهم الله في النهي عن البدع وذمها وذم أصحابها، ولو أردنا أن نستقصي ذلك لطال بنا المقام، ولأخذ ذلك منا الصفحات الطوال، لذا فإنني سأذكر بعضاً منها مما فيه الكفاية لمن أراد الحق والهدى فأقول وبالله التوفيق.

قال تعالى موصياً عباده المؤمنين بسبيل الهداية، ومحذراً إياهم سبل الغواية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣] يقول حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله. وقال نحو هذا الكلام مجاهد وغيره[(١)].

وقد قال سبحانه وتعالى آمراً المؤمنين بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣] فأمرهم سبحانه وتعالى بإقامة الدين وفق سنّة رسوله ﷺ، ونهاهم عن التفرق والاختلاف. وقد وحّد الله سبحانه سبيله ـ والذي هو الإسلام ـ في الآية السابقة لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها، ولأن طرق الضلال والكفر والبدع كثيرة[(٢)]، وقد فسر الرسول الكريم ﷺ الآية الآنفة الذكر تفسيراً جلياً للأمة كما روى ذلك الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حيث يقول: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيماً**» وخط عن يمينه وشماله وقال: «**هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾**» وهو حديث صحيح. رواه أحمد وابن ماجه وابن أبي عاصم[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/١٩٠.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم ٢/١٩١.

(٣) أحمد (٣/٣٩٧)، وابن ماجه بنحوه المقدمة ـ باب اتباع سنّة رسول الله ـ (١/٦) حديث (١١)، والسنة لابن أبي عاصم (١/١٣) حديث (١٦ ـ ١٧).

وقال تعالى ناهياً عباده عن الاختلاف والتفرق في الدين: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥ ـ ١٠٧] فهذه الآيات تنهى المؤمنين عن الاختلاف والتفرق وعن فعل اليهود والنصارى، وأهل البدع داخلون في عموم فعل هؤلاء كما قال جماعة من السلف، فهؤلاء لهم وعيد شديد لفعلهم الشنيع بما عصوا الله تعالى، قال مهران: سألت الحسن كيف يصنع أهل هذه الأهواء الخبيثة بهذه الآية ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] الآية؟ قال مالك(١): فأي كلام أبين من هذا؟ فرأيته يتأولها لأهل الأهواء وزاد إنما هذه الآية لأهل القبلة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية: تبيض وجوه أهل السنّة، وتسود وجوه أهل البدعة(٢). وهذه الآية رد صريح على قول بعض الناس المنسوب إلى الرسول ﷺ «اختلاف أمتي رحمة» وهو حديث باطل لا أصل له كما قال العلامة السبكي(٣) لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع(٤).

---

(١) هو: شيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر الحميري ثم الأصبحي، المدني، حليف بني تميم من قريش أحد الأئمة الأربعة، وإليه تنسب المالكية، كان صلباً في الدين بعيداً عن الأهواء والملوك، ولد سنة (٩٣هـ) وتوفي سنة (١٧٩هـ) وعمره (٨٩) سنة.
انظر ترجمته: مشاهير علماء الأمصار، ص١٤٠، والسير (٤٨/٨)، وطبقات الحفاظ، ص٨٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩٠/١)، وتفسير البغوي (٣٣٩/١)، والاعتصام، ص٥٦.

(٣) هو أبو الحسن تقي الدين: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر) سنة (٦٨٣هـ) وانتقل إلى القاهرة ومن ثم إلى الشام، وتولى القضاء فيها، توفي سنة (٧٥٦هـ).
انظر ترجمته: ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٩، والشذرات (١٨٠/٦)، والأعلام (٣٠٢/٤).

(٤) انظر: صفة صلاة النبيّ ﷺ للألباني، ص ٣٧، ٣٨.

ثم إن الآيات الواردة في النهي عن الاختلاف في الدين والأمرة بالاتفاق كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢] وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [١١٨، ١١٩] فإذا كان من رحم ربك لا يختلفون، وإنما يختلف من لم يرحم الله من أهل الباطل، فكيف يعقل أن يكون الاختلاف رحمة؟ إن هذا لشيء عجاب؟.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩] أي: جعلوا دين الله وهو الحنيفية السمحة أدياناً مختلفة، وهم اليهود والنصارى في قول جماعة من السلف، وقيل هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة قال ابن كثير رحمه الله[١]: (الظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإنه سبحانه بعث رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه (وكانوا شيعاً) أي: فرقاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فإنه تعالى قد برّأ رسوله مما هم فيه). قال البغوي[٢] رحمه الله[٣]: (ويؤيد دخول المبتدعة في هذه الآية قوله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٩٦/٢).

(٢) البغوي: هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، برع في كثير من العلوم وكان علامة زمانه، ثبتاً حجة صحيح العقيدة، إماماً في التفسير والفقه والحديث، وهو صاحب التصانيف الكثيرة. ولد رحمه الله ببغشور وقيل بسبغ من بلاد خراسان، وتوفي سنة (٥١٦هـ) عن عمر يناهز الثمانين.
انظر: ترجمته تذكرة الحفاظ (١٢٥٧/٤ ـ ١٢٥٨)، وطبقات المفسرين للداودي (١٥٧/١ ـ ١٥٩)، وطبقات المفسرين للسيوطي، ص٤٩، ٥٠.

(٣) تفسير البغوي (١٤٥/٢).

على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «**هم الجماعة**» رواه ابن أبي عاصم)[١]. وقد روى هذا الحديث بعدة روايات عن عدد من الصحابة، وقد صححها الألباني[٢] رحمه الله. هذا من الكتاب العزيز.

أما من السنة فإن الأحاديث المحذِّرة من البدع والناهية عنها كثيرة جداً من ذلك ما رواه الشيخان وغيرهما عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣] ومعنى الحديث الشريف بروايتيه ظاهر في أن من أحدث في دين الله ما ليس منه في شيء ولم يشهد له أصل من أصوله فهو مردود على صاحبه ولا يلتفت إليه.

وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين الجليل التي تقمع البدع والمحدثات، فينبغي حفظه وإشهاره بين المسلمين. وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّتْ عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: «**صبحكم ومساكم**» ويقول: «**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**» ثم يقول: «**أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً[٤] فإليَّ وعليَّ**»[٥].

---

(١) ابن أبي عاصم: هو الحافظ الكبير الإمام البارع المتَّبع للآثار كثير التصانيف، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني من أهل البصرة، كان من حفاظ الحديث والفقه، وكان ظاهري المذهب ولد سنة (٢٠٦هـ) وتوفي سنة (٢٨٧هـ).
انظر ترجمته: الجرح والتعديل (٦٧/٢)، والسير (٤٣٠/١٣)، والشذرات (١٩٥/٢).

(٢) السنة (٣٢/١ ـ ٣٣).

(٣) البخاري ـ كتاب الصلح ـ باب إذا اصطلحوا على جور، فتح (٣٠١/٥) حديث (٢٦٩٧) ومسلم ـ كتاب الأقضية ـ باب نقض الأحكام الباطلة (١٣٤٤/٣) حديث (١٧).

(٤) الضياع بفتح الضاد أي: الأطفال والعيال. المعجم الوسيط (٥٤٧/١).

(٥) مسلم ـ كتاب الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) حديث (٤٣) وأحمد (٣١٠/٣ ـ ٣١١) وابن ماجه في المقدمة باب (١٧/١/٧) حديث (٤٥).

ففي الحديث الجليل يبين لنا جابر رضي الله عنه الحالة التي يكون عليها رسول الله ﷺ عندما يخطب **«كان إذا خطب احمرت عيناه واشتد غضبه وعلا صوته»** وذلك ليفخِّم للمسلمين ما يقول من أمر عظيم جليل في خطبته والذي فيه، الحض على التمسك بكتاب الله وسنّة رسوله، والتحذير والوعيد الشديدان من محدثات الأمور وهي البدع التي لا أصل لها من الدين، لأنها ضلالة كلها وفي النار ـ والعياذ بالله ـ وكفى بهذا زجراً لأهل البدع وتحذيراً للمسلمين من الوقوع فيها. وقد بين الصادق المصدوق ﷺ في حديث آخر عظيم جريمة المبتدع بمنع الله التوبة عنه فقال: **«إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»** رواه الطبراني[1] بإسناد حسن، وصححه العلامة الألباني[2]، ورواه ابن ماجه وابن أبي عاصم بلفظ **«أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»** عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[3] ففي هذين الحديثين العظيمين يتبين لنا عظم البدعة وخطرها، لأنها تجر على صاحبها غضب الرب سبحانه بمنع التوبة عنه حتى يترك بدعته التي جاء بها مستدركاً ـ بلسان حاله أو مقاله ـ على الشرع الذي قد كمل وتمَّ على لسان رسول الله ﷺ، فكانت نتيجة ذلك أن منع الله عنه التوبة أولاً، وردَّ عليه عمله وبدعته ثانياً، وليس المراد ـ والله أعلم ـ أن جميع أعماله مردودة كما قد يفهم من لفظ الحديث بل المردود ـ كما هو الراجح ـ إنما هو عمله الذي ابتدع فيه بتفسير الحديث السابق الذي مرّ معنا وهو **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[4].

---

(١) الطبراني: هو الإمام الحافظ الثقة الرحَّالة الجوال محدث الإسلام علم المعمرين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي، شامي طبراني صاحب المعاجم الثلاثة، ولد سنة (٢٦٠هـ) وتوفي سنة (٣٦٠هـ).
انظر ترجمته: السير (١١٩/١٦)، وطبقات الحفاظ، ص٣٧٢، والشذرات (٣٠/٣).

(٢) انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦/١).

(٣) سنن ابن ماجه مقدمة باب (١٩/١/٧) حديث (٥)، والسنة لابن أبي عاصم (٢٦/١) وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله.

(٤) تقدم تخريجه.

جـ ـ مفاسدها:

إن المفاسد المترتبة على الابتداع في الدين كثيرة جداً وقد بينها الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه الاعتصام[1] وتتلخص في الآتي:

١ ـ إن الابتداع مخالف للوحي الذي أمرنا باتباعه، والمبتدع ليس له استناد بل استناده للعقل القاصر، وقد علم بالاضطرار أن العقول قاصرة وغير مستقلة بمصالحها استجلاباً لها أو مفاسدها استدفاعاً لها دون الوحي.

٢ ـ إن الشريعة قد جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان قال أصدق القائلين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، والمبتدع يقول بلسان حاله ـ أو مقاله ـ إن الشريعة لم تتم فجاء هو ببدعته ليكملها بزعمه.

٣ ـ إن المبتدع معاند للشرع ومشاق له، لأن الشارع الحكيم قد عين للعبد طرق الحلال والحرام والخير والشر وأمره أن لا يتعداها فأبى إلا مخالفة ذلك.

٤ ـ إن المبتدع قد نزّل نفسه منزلة المضاهي للشارع، لأنه سبحانه وضع الشرائع، وأمر الخلق أن يسيروا على سننها فهو المنفرد وحده بالتحليل والتحريم، إذ إن هذه من صفات الخالق سبحانه دون غيره وإلا لو كان الأمر بخلاف ذلك لما احتاج الأمر إلى الأنبياء والرسل لبيان هذه الشرائع ولترك الخلق لعقولهم.

٥ ـ إن المبتدع متبع للهوى، لأنه قد خالف الشرع والعقل لأنه إذا لم يكن متبعاً للشرع فلا بدّ أن يكون متبعاً للهوى، وقد نهانا الله عن اتباع الهوى بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص: ٥٠] وهذا شأن المبتدع فإنه اتبع هواه بغير هدى من الله.

---

(١) انظر: الاعتصام (١/٤٦ ـ ٥٣).

٦ ـ وإضافة إلى ما قال الشاطبي رحمه الله أقول: إن المبتدع يتهم الرسول ﷺ بالخيانة بلسان حاله أو ما مقاله، لأن الله تعالى أمره بالتبليغ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] وقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه رسالة ربه أكمل بلاغ، وبيّنها أكمل بيان، وقد شهد له بذلك صحابته رضي الله عنهم كما في خطبة عرفة وغيرها ـ ونحن على ذلك من الشاهدين ـ ولكن مع وضوح هذا كله فالمبتدع مُصِرٌّ على بدعته وكأنه جاء هو ليكمل الدين الذي لم يبينه ويكمله خاتم المرسلين ـ كما هو لسان حاله أو مقاله ـ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

٣ ـ نهي السلف رحمهم الله عن البدع:

لقد كان السلف الصالح من هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان أشد الناس حرصاً على العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ والتمسك بهما، وأشدهم عداوة وبغضاً للبدع وأهلها وتحذيراً منها. وكلامهم في هذا الشأن كثير جداً لا يبلغه الحصر، ولذا فإنني سأذكر نماذج من أقوالهم رحمهم ورضي الله عنهم مما فيه التدليل على ما نحن بصدده.

فهذا أفضل الصحابة وأحبهم إلى رسول الله ﷺ وخليفته من بعده الصديق أبو بكر رضي الله عنه يقول: «**أشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين**» وقال أيضاً في خطبة له: «**يا أيها الناس، إني قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فردوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا أن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا وأستغفر الله**» ويقول أيضاً في خطبة أخرى: «**إنما أنا بشر مثلكم وأني لا أدري لعلكم**

ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيقه إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني»[(١)].

وقال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب الأهواء والبدع، ليس لهم توبة أنا منهم بريء وهم مني براء»[(٢)]، ومراده رضي الله عنه ـ والله أعلم ـ بهذا الكلام أن صاحب الذنب ترجى توبته لأنه مقر أنه مذنب، أما المبتدع فالتوبة عنه بعيدة غالباً لأنه يظن أنه على الحق ولا يفكر في التوبة إلا إن هداه الله وبصّره في دينه، وأدرك أنه على البدع فقد يتوب عند ذلك كما هو واقع كثير من المبتدعة الذين عاشوا زمناً طويلاً في البدعة ثم تاب الله عليهم فتابوا. وروى الدارمي[(٣)] عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى جماعة يسبحون ويحمدون جماعة فقال لهم: لقد جئتم ببدعة ظلماً، أو فقتم محمداً أو أصحابه علماً[(٤)]، وعنه رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[(٥)] وعن عبدالله بن مغفل[(٦)] قال: سمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم ـ يعني في الصلاة ـ فقال: «يا بني إياك والحدث في الدين، فإني صليت مع

---

(١) السنن والمبتدعات، ص٤، ٥.

(٢) السنة لابن عاصم (٢٢/١).

(٣) هو: عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبدالله، الحافظ الإمام أحمد الأعلام، أبو محمد التميمي ثم الدارمي ثم السمرقندي طوّاف الأقاليم وصنف التصانيف، توفي سنة (٢٥٥هـ) وهو ابن (٧٥) سنة.
انظر ترجمته: السير (٢٢٤/١٢)، وطبقات الحفاظ، ص٢٣٥.

(٤) سنن الدارمي ـ المقدمة ـ باب في كراهية أخذ الرأي (٧٨/١) حديث (٢٠٢) وانظر: السنن والمبتدعات، ص٥.

(٥) الاعتصام (٧٩/١).

(٦) هو: عبدالله بن مغفل بن عبد نهم بن عفيف المزني، صحابي جليل من أهل بيعة الرضوان، كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر الفاروق رضي الله عنه ليفقهوا الناس بالبصرة، وقيل إنه كان من البكائين، توفي سنة (٦٠هـ) رضي الله عنه.
انظر ترجمته: تاريخ خليفة، ص١٤٦، والسير (٤٨٣/٢).

رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً يقولها فلا تقلها إذا أنت قرأت، وقل الحمد لله رب العالمين. قال ولم أر من أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً أبغض إليه الحدث في الإسلام منه»[1].

وعن الأوزاعي[2] عن حسان بن عطية[3] رضي الله عنه قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة»[4].

وعن أبي قلابة[5] قال: «ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف»[6] وظاهر كلامه رضي الله عنه ـ والله أعلم ـ في البدع المكفِّرة لأن البدع ـ كما قدمنا ـ قسمان: مكفِّرة وغير مكفِّرة، فالذي يستحل السيف إنما هو من القسم الأول وهو المرتدّ لردته.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لمن سأله الوصية: «عليك

---

(١) السنن والمبتدعات، ص٥.

(٢) الأوزاعي: هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي من كبار تابع التابعين، والأوزاع التي ينسب إليها هي قرية من قرى دمشق خارج باب الفراديس، كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وحفظاً وفضلاً وعبادة وظبطاً مع زهاده. ولد سنة (٨٨هـ) وقيل سنة (٨٠هـ) ومات ببيروت ـ بلبنان مرابطاً سنة (١٥٧هـ) وقيل سنة (١٥١هـ).
انظر ترجمته: مشاهير علماء الأمصار، ص١٨٠، والحلية (١٣٥/٦)، وتذكرة الحفاظ (١٧٨/١).

(٣) حسان: هو حسان بن عطية الإمام الحجة، أبو بكر المحاربي، مولاهم الدمشقي، تابعي جليل قال الأوزاعي فيه: «ما رأيت أحداً أكثر عملاً في الخير من حسان بن عطية» كان حسان من أهل بيروت، توفي رحمه الله في حدود (١٣٠هـ).
انظر ترجمته: السير (٤٦٦/٥)، وتهذيب التهذيب (٢٥١/٢).

(٤) سنن الدارمي ـ باب اتباع السنة (١٥٨/١) حديث (٩٨).

(٥) أبو قلابة: هو عبدالله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل بن مالك أحد الصحابة، وأحد الأئمة الكرام الجرمي البصري، كان رأساً في العلم والعمل توفي سنة (١٠٤هـ) وقيل (١٠٥هـ) وقيل غير ذلك. انظر ترجمته: السير (٤٦٨/٤)، وتهذيب التهذيب (٢٢٤/٥)، وشذرات الذهب (١٢٦/١).

(٦) سنن الدارمي ـ باب اتباع السنة (١٥٨/١) حديث (٩٩).

بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع»[1] وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»[2]. وهذا الكلام من ابن عمر جيد وفي غاية القوة في الرد على من يزعم تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة وإن كنا نكتفي بقولهﷺ: **«كل بدعة ضلالة»** ولكن تصريحه رضي الله عنه وعن أبيه بقوله: وإن رآها الناس حسنة يؤكد ما نفهمه من الحديث السابق.

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول لله فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً»[3].

وقال الإمام أبو حنيفة[4] رحمه الله «عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة»[5] وهذه الوصية الطيبة من الإمام أبي حنيفة رحمه الله باتباع السنّة وطريقة السلف وترك البدع المحدثة جميعها تؤكد إنكاره للبدع جميعها فيا ليت المتعصبة المتمذهبين وخاصة ـ من ينتسب إلى مذهبه ـ يأخذون بوصيته هذه.

وقال عمر بن عبد العزيز[6] رحمه الله: «أوصيكم بتقوى الله

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٥٠/١) وابن بطة في الإبانة الصغرى (٢٣٠/٢)، وانظر السنن والمبتدعات، ص٦.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٩٢/١).

(٣) روى البخاري طرفاً منه بالمعنى (٢٥٠/١٣) وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص١٠. واللالكائي (٩٠/١)، وعبدالله ابن الإمام أحمد في السنة (١٣٩/١).

(٤) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي، أبو حنيفة الفقيه المحقق، أحد الأئمة الأربعة وإليه تنسب الحنيفية، وهو تابعي صغير رأى أنس بن مالك وغيره، ولد سنة (٨٠هـ) وتوفي سنة (١٥٠هـ).
انظر ترجمته: السير (١٧٧/١٩)، والنجوم الزاهرة (١٢/٢)، والبداية والنهاية (١٠٧/١٠).

(٥) السنن والمبتدعات، ص٦.

(٦) عمر بن عبدالعزيز: هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد، أمير المؤمنين حقاً، أبو حفص القرشي الأموي المدني، ثم البصري، الخليفة الزاهد الراشد، أشج بني أمية وهو تابعي جليل، ولد سنة (٦٣هـ) وتوفي سنة (١٠١هـ). =

والاقتصاد في أمره واتباع سنّة رسوله ﷺ وترك ما أحدثه المحدثون بعده»[1] وكتب رحمه الله ورضي عنه للناس «إنه لا رأي لأحد مع سنّة رسول الله ﷺ»[2] وعن ابن الماجشون[3] قال: سمعت مالكاً رحمه الله يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلن يكون اليوم ديناً»[4] وكان رحمه الله إذا ذكر عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: «سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها اتباع لكتاب الله عزّ وجلّ واستكمال لطاعة الله عزّ وجلّ وقوة على دين الله ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»[5]. وهذا الكلام في منتهى الروعة والرد على أحد البدع.

وعن الأوزاعي رضي الله عنه قال: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول»[6] وقال

= انظر ترجمته: الجرح والتعديل (١٢٢/٦)، والحلية (٢٥٣/٥)، والسير (١١٤/٥)، وتذكرة الحفاظ (١١٨/١)، شذرات الذهب (١١٩/١).

(١) السنن والمبتدعات، ص٦.

(٢) الشريعة للآجري، ص٤٨، وجامع بيان العلم وفضله، ص٢١، والاعتصام (٨٧/١).

(٣) ابن الماجشون: هو أبو مروان عبد الملك بن الإمام عبدالعزيز بن عبدالله بن الماجشون التيمي مولاهم المدني المالكي تلميذ الإمام مالك، كان مفتي أهل المدينة في زمانه ومولعاً بالغناء وكان لا يعقل الحديث، توفي سنة (٢١٢هـ) وقيل (٢١٣هـ). انظر ترجمته: الجرح والتعديل (٣٥٨/٥)، وميزان الاعتدال (٦٥٨/٢)، وتهذيب التهذيب (٤١٨/٦).

(٤) الاعتصام (٤٩/١) والسنن والمبتدعات ص٦.

(٥) الشريعة للآجري ص٤٨ وانظر: جامع بيان العلم (٣٢/٢).

(٦) المرجع السابق، ص٥٨.

الإمام الشافعي رحمه الله: «من استحسن - يعني بدعة - فقد شرع»[١] أجل والله من استحسن بدعة فقد شرع ديناً لم ينزل الله به من سلطان كما قال هذا الإمام رحمه الله، وقال إمام أهل السنّة والجماعة أحمد بن حنبل[٢] رحمه الله: «أصول السنّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة»[٣] وإنها والله لأصول ثابتة فرحم الله قائل هذا الكلام الطيب. وعن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه كان يقول: من جلس مع صاحب بدعة فاحذروه، ومن جلس مع صاحب البدعة لم يعط الحكمة، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد، آكل عند اليهودي والنصراني أحب إلي من أن آكل عند صاحب بدعة»[٤]. وهذا التحذير الشديد من صاحب البدعة على لسان هذا العالم الجليل إنما يكمن في عظم خطر المبتدع على الإسلام وعلى المسلمين لأنه سيوسوس للناس في بدعته فيوقعهم في الضلال، فلذا لم يعط الحكمة من ابتدع أو من جلس إلى مبتدع، لأن الحكمة إنما تعطى للمتمسك بالكتاب والسنّة بخلاف أهل البدع فإنهم بعيدون كل البعد عن هذه الحكمة التي لا يهبها الله لمخالفي سنّة نبيّه ﷺ، لذا يود قائل هذا الكلام الطيب أن يجعل بينه وبين صاحب البدعة حصناً من حديد لئلا يصيبه من غضب الله الذي قد ينزل عليه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا

---

(١) السنن والمبتدعات، ص٦.

(٢) أحمد بن حنبل: هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ولد سنة (١٦٤هـ) وتوفي سنة (٢٤١هـ) وهو إمام أهل السنّة والجماعة بلا ريب وأحد الأئمة الأربعة وإليه تنسب الحنابلة، فاق الآفاق علمه وزهده وتقواه وجهاده رحمه الله رحمة واسعة.
انظر ترجمته: الحلية (١٦١/٩)، والسير (١٧٧/١١)، وطبقات الحفاظ، ص١٨٦، والشذرات (٩٦/٢).

(٣) السنن والمبتدعات، ص٦.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة للالكائي (٦٣٨/٤).

تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٣] لذلك شدد السلف رحمهم الله النكير على المبتدعة والتحذير من مجالستهم أشد التحذير وما هذا الكلام إلا دليل على ذلك[1].

(١) أحب أن أشير إلى كتب ومراجع هامة في هذا الموضوع ككتاب «البدع والنهي عنها لابن وضاح، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي، والإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ، وغيرها.

المبحث الثاني

رفض التحاكم إلى الكتاب والسنّة وبيان خطر ذلك

إن رفض التحاكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وعدم الرضا بما يحكم الله به ورسوله من أخطر الأشياء على إيمان العبد، ومن أول ما يناقض تجريد المتابعة لرسوله ﷺ والذي هو من مستلزمات محبة الله ورسوله، لذلك فاضت النصوص الكريمة الآمرة بوجوب الاحتكام والرجوع إلى الكتاب والسنّة عند التنازع كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦] يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية. (فهذه الآية عامة في جميع الأمور وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ها هنا ولا رأي ولا قول كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] ولذلك شدد في خلاف ذلك فقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾)[١] [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٩٠).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩] يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: (﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أي اتبعوا كتابه ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي خذوا بسنته ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما في الحديث الصحيح «**إنما الطاعة في المعروف**»(١) وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف إلى كتاب الله وسنّة رسوله(٢) وهذا أمر الله عزّ وجلّ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنّة كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠]، فما حكم به الكتاب والسنّة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩] أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنّة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنّة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي التحاكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع، خير وأحسن تأويلاً أي وأحسن عاقبة ومآلاً، كما قاله السدي(٣)،

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب الأحكام ـ باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (١٢٢/١٣) حديث (٧١٤٥).

(٢) انظر: الشريعة للآجري، ص٥٣، والاعتقاد للبيهقي، ص١١١، وإصلاح المساجد، ص١٠.

(٣) السدي: هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي أحد موالي قريش، توفي سنة (١٢٧هـ).

انظر ترجمته: الجرح والتعديل (١٨٤/٢)، والسير (٢٦٤/٥)، وتهذيب التهذيب (٣١٣/١).

وقال مجاهد أحسن جزاء وهو قريب)[1] وقال تعالى أيضاً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية (يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة[2]. وقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه عند تفسير هذه الآية أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير رضي الله عنه عند النبيّ ﷺ في شراج[3] الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري: سرّح الماء يمر فأبى عليه، فاختصما عند النبيّ ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير: «**اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك**» فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «**اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر[4] ثم أرسل الماء إلى جارك**» فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[5]. فانظر كيف تمعَّر وجه رسول الله ﷺ غضباً من الأنصاري لما لم يرض باديء ذي بدء بحكم رسول الله ﷺ بينه وبين الزبير بعد ما قال مقالته تلك والتي ظن فيها أن رسول الله ﷺ حكم للزبير لأنه

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٥١٨).

(٢) المرجع السابق (١/٥١٨).

(٣) مسيل ماء.

(٤) الجدر بفتح الجيم وسكون الدال الحائط جمع جدران. المعجم الوسيط (١/١١٠).

(٥) البخاري ـ كتاب التفسير (٨/٦٥) حديث (٥٤٨٥) وكتاب المساقاة، باب سكر الأنهار (٥/٧٤) حديث (٢٣٤٩).

ابن عمته، فغضب عليه الصلاة والسلام من هذا القول الخاطىء، لأنه لا يحابي أحداً في الحق، ولا يحكم إلا بالحق ولو كان على نفسه أو أقرب الناس إليه، فإنه القدوة للخلق أجمعين الذي لا ينطق عن الهوى. فلذا يجب على كل مسلم أن يرضى بحكمه ويسلم له، وقد بين سبحانه وتعالى قبل هذه الآية أن من دُعي إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ فصد عن ذلك ولم يقبل حكم الله ورسوله كان منافقاً قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

وفي هذه الآيات الإنكار الشديد والذم البليغ لكل من أعرض عن الكتاب والسنّة وعدل عنهما وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل.

وقال سبحانه أيضاً في وصف حال المنافقين الذين يعرضون عن حكم الله ورسوله والرضا به، وفي بيان حالة المؤمنين المطيعين لله ولرسوله ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٤٧ ـ ٥١] فبيّن عزّ وجلّ أن من تولى عن طاعة الرسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس من المؤمنين. إذ إن صفة وحال المؤمنين أن يقولوا سمعنا وأطعنا لله ولرسوله ﷺ، فبهذا يعلم أن النفاق يثبت في القلب ويزول الإيمان عنه بمجرد الإعراض عن حكم الله ورسوله وإرادة التحاكم إلى غيره من طاغوت أو مذهب أو غير ذلك، يؤيد ذلك ما فعله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث

قتل من أبى أن يرضى بحكم رسول الله ﷺ والقصة وإن كانت مرسلة لكنها مؤيدة بروايات تؤيدها تصلح للاعتبار كما قال شيخ الإسلام رحمه الله[1] فقد روى إبراهيم بن دحيم في تفسيره عن عتبة بن ضمرة قال: حدثني أبي عن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقضى للمحق على المبطل فقال المقضى عليه لا أرضى، فقال صاحبه فما تريد؟ قال: أن نذهب إلى أبي بكر الصديق فذهبا إليه فقال الذي قضى له: قد اختصمنا إلى رسول الله ﷺ فقضى لي عليه فقال أبو بكر: فأنتما على ما قضى النبيّ ﷺ، فأبى صاحبه أن يرضى وقال: نأتي عمر بن الخطاب فأتياه، فقال المقضى له: لقد اختصمنا إلى رسول الله ﷺ فقضى لي عليه فأبى أن يرضى، ثم أتينا أبا بكر الصديق فقال: أنتما على ما قضى به النبيّ ﷺ فأبى أن يرضى، فسأله عمر فقال كذلك؟ فدخل رضي الله عنه منزله فخرج والسيف في يده قد سله فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾ [النساء: ٦٥] الآية.

وفي رواية عنه رضي الله عنه أنه قال للذي قضى عليه أكذلك؟ قال: نعم فقال: مكانك حتى أخرج فأقضي بينكما، فخرج مشتملاً سيفه فضرب الذي لم يرضى بقضاء رسول الله ﷺ فقتله وأدبر الآخر إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالقصة فقال ﷺ: **«ما كنت أظن أن عمر يجترىء على قتل مؤمن»** فأنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية فبرأ الله عمر من قتله[2].

قلت: فيا سبحان الله ماذا نقول عن أولئك الذين يحاربون السنّة ويتمسكون بالبدع والضلالات ويضربون بسنّة رسول الله ﷺ عرض الحائط، ويحكمون بغير رما أنزل الله معرضين عن حكم الله ورسوله، والذين يصفون أهل السنّة والجماعة بأقبح الصفات ويرمونهم بأبشع العظائم والتهم مدَّعين

---

(١) انظر: الصارم المسلول لشاتم الرسول، ص٣٧ ـ ٣٩.

(٢) المرجع السابق.

زوراً وبهتاناً أنهم على الحق؟ لا شك أنهم أعظم إجراماً ومحاداة لرسول الله ﷺ من هذا الذي قضى فيه الفاروق هذا القضاء الحق، وهم مستحقون لذلك الحكم الذي حكم به عمر رضي الله عنه على من أعرض عن حكم رسول الله ﷺ. فرضي الله عنه ما أفقهه لكتاب الله ولسنة رسوله وأشد غيرته على دين الله!!.

المبحـــث الثالـــث

تقديم رأي أحد أو مذهبه على السنّة والتعصب له

وفيه عدة نقاط:

أ ـ بيان خطر هذا الفعل على إيمان العبد لأنه دليل النفاق:

إنه من الواجب على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتبع رسول الله ﷺ وأن يحكِّم سنته في كل أموره صغيرها وكبيرها، وأن يرضى بذلك وأن يقدمها على قول كل أحد كائناً من كان، لأنه ﷺ هو القدوة الحسنة للمؤمنين والمثل الأعلى لهم. وقد أوجب الله عليهم ذلك فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] ومعنى الآية واضح فقد حث الله عزّ وجلّ المسلمين على الاقتداء بنبيّه ﷺ في كل أموره من جهاده وصبره ودعوته والتمسك بسنته... الخ لأنه عليه الصلاة والسلام وهو القدوة الصالحة لهم إن كانوا ينتظرون ما عند الله من خير في مستقبل أيامهم في الدنيا والآخرة ويرجون اليوم الآخر أي يترقبونه، وما فيه من سعادة وشقاء ونعيم مقيم، أو جحيم وعذاب أليم، وإن كانوا يذكرون الله تعالى كثيراً في كل حالاتهم وأوقاتهم فعليهم أن يقتدوا به ﷺ، فإن الاقتداء به واجب لا يسقط إلا عن عجز[1]، ففي طاعته ﷺ واتباعه والتمسك بسنته الفلاح والسعادة في

(١) راجع: أيسر التفاسير للجزائري (٣/٥٥٣).

الدارين، كما أن في معصيته ومخالفة أمره ﷺ وترك التمسك بسنته الخسران والوبال. قال تعالى مبيّناً ومخبراً عن حال الطائعين وما أعد لهم من أجر عظيم في الآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩] فيا لها من صحبة طيبة وبشرى محببة إلى كل مؤمن. وفي مقابل ذلك بيّن الله عزّ وجلّ خطر معصية رسوله ومخالفة أمره وحذّر من ذلك وهدّد فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] قال الإمام العلامة ابن كثير رحمه الله في تفسيره[1] القيم شارحاً هذه الآية بما نصه: (﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً ما كان، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[2] أي فليحذر وليخشى من خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك) ا.هـ. فمخالفة رسول الله ﷺ ومعصيته بتقديم قول أحد على قوله أو عدم الرضا بحكمه أو عدم تحكيمه في جميع الأمور... الخ وإلى غير ذلك من أنواع المخالفات له ﷺ أمرها خطير على إيمان العبد لأنها قد تصيبه والعياذ بالله بالنفاق أو الشرك أو البدعة أو غير ذلك مما فيه هلاك للعبد في الدنيا والآخرة، فلذلك حذرنا الباري من هذه المخالفة بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وقد تقدم معنا في المبحث السابق كيف أن الله عزّ وجلّ وصف من لم يتبع رسوله ولم يحكمه ولم يرض بحكمه بالنفاق وحكم على الذين يعرضون عن حكمه إلى حكم غيره وعن الهدى الذي جاء به إلى ضلال غير أو قول غيره

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٠٧).

(٢) تقدم تخريجه.

أو مذهبه وبين أنهم منافقون، وقد أقسم سبحانه وتعالى بنفسه المقدسة بعد ذلك أنهم لن يؤمنوا حتى يحكموه ﷺ فيما يختلفون فيه، أو يختلط من أمورهم ويلتبس عليهم حكمه وحتى يرضوا بحكمه دون أي ضيق أو شك أو رفض، وحتى يسلموا وينقادوا له انقياداً، وهاكم الآيات المباركات التي تبين هذه الحقائق يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٠ ـ ٦٥] هذا وقد رأينا فيما سبق كيف كان حكم الفاروق عمر رضي الله عنه فيمن رفض حكم رسول الله ﷺ، حيث قطع رأسه غضباً لله تعالى، لأنه قد حادّ الله ورسوله وهذه صفة المنافقين، ورأينا أيضاً كيف أن الله تعالى قد برّأه من دمه، والقصة مشهورة وقد ذكرناها في المبحث السابق، من هنا ندرك أنه من أعظم المحادة لله ولرسوله ما يقع فيه كثير ممن ينتسب إلى الإسلام من المتمذهبين المتعصبين وغيرهم الذين يعارضون سنّة رسول الله ﷺ بخيالات فاسدة يسمونها معقولات، أو يُحمّلونها شبهاً وشكوكاً وتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان ويلوون أعناق النصوص لتوافق مذاهبهم وآرائهم، فإن وافقتها وأخذ بها رجالهم أو من يقلدون أخذوا بها، وإلا طرحوها وضربوا بها عرض الحائط. وهذا مع كونه محادة لله ولرسوله ﷺ فهو أيضاً من أعظم الانتقاص لحقه ﷺ، لأن الواجب كما أشار صاحب الطحاوية[1] أن تعرض آراء الرجال وأقوالهم ومذاهبهم على سنته ﷺ فما وافقها أخذنا به وما

(١) انظر: شرح الطحاوية، ص١٥٧.

خالفها طرحنا به عرض الحائط، ومما لا شك فيه أن التقديم بين يدي الله ورسوله والتعصب لغير الكتاب والسنّة وعدم التسليم لما جاء به رسول الله ﷺ أو حكم به وتقديم قول غيره - كائناً من كان - على قوله لا شك أن هذا كله يوقع المرء في التهلكة، ألا وهي دخول الفتنة بجميع أنواعها من نفاق وشرك وغير ذلك في قلبه، إضافة إلى نقصان توحيده بقدر خروجه عن السنة نسأل الله السلامة.

ولعل الذي ذكرناه ذكرى وعظة لمن ابتلي بهذا الفعل الشنيع من متعصبة المذاهب والطرق والآراء المختلفة ليعودوا إلى الحق والتمسك بالسنّة، ولعل فيه أيضاً حجة وبرهاناً لطالب الحق ليدلل به على مدى بعد هؤلاء المتعصبة وغيرهم عن المنهج القويم، وعن الحق والصواب الذي أراده الله منّا، لأنهم كم يردون من سنن لرسول الله ﷺ بحجة أنها تخالف مذهبهم أو إمامهم أو طريقتهم... أو الخ وكأن الإمام أو المذهب أو صاحب الطريقة... الخ. قد أحاط بسنّة رسول الله ﷺ أو كأن هؤلاء حاكمون على السنّة، مع أن الواجب أن تكون السنّة هي الحاكمة عليهم وعلى الرجال، فإن الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال، هذا مع يقيننا بأن الأئمة أصحاب المذاهب رحمهم الله لم يتعمدوا مخالفة رسول الله ﷺ بآرائهم ومذاهبهم - وحاشاهم ذلك - لأنهم متفقون جميعاً اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباعه ﷺ، وعلى أن كل أحد يؤخذ منه ويرد إلا النبيّ ﷺ ولأن الأمة قد أطبقت على عدالتهم، فإذا وجد لواحد منهم قول أو رأي مخالف للحديث الصحيح فلا بدّ له من عذر في تركه وجميع الأعذار ثلاثة أصناف كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبيّ ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

(١) انظر: رفع الملام من الأئمة الأعلام، ص٥ - ٢٠.

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة، وقد بين رحمه الله عذر الأئمة وبرأهم بكلام نفيس يكتب بماء الذهب، وأشار رحمه الله إلى أن العذر الأول وهو عدم إحاطة كل واحد من الأئمة بالسنّة هو الغالب عليهم فيما خالفوا فيه، فالادعاء بأن أحداً منهم قد أحاط بجميع السنّة ـ كما يدعي كثير من المقلدين للمذاهب ـ ادعاء باطل وخطأ قبيح فاحش فلا يمكن قبوله قط. وقد ساق رحمه الله أمثلة لذلك مما لا غنى لطالب الحق عنه[1]. وقد أشار الإمام الشافعي رحمه الله إلى أن الإمام قد يقول قولاً يخالف السنّة عن غير قصد لعدم إحاطته بها، فيقول ما نصه: (قد يجهل الرجل السنّة فيكون له قول يخالفها، لا أنه عمد إلى خلافها، وقد يغفل المرء ويخطىء في التأويل) ويقول أيضاً: (لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره، وهم في العلم طبقات، منهم الجامع لأكثره وإن ذهب عليه بعضه، ومنهم الجامع لأقل مما جمع غيره، وليس قليل ما ذهب من السنن على جمع أكثرها دليلاً على أن يطلب علمه عند غير طبقته من أهل العلم، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه حتى يؤتى على جميع سنّة رسول الله ﷺ ـ بأبي هو وأمي ـ فيتفرد جملة العلماء بجمعها وهم درجات فيما دعوا منها)[2].

ألا فليعلم المتعصبون للمذاهب أنهم بفعلهم الشنيع هذا قد خالفوا أئمتهم فضلاً عن معصيتهم لله ولرسوله فإن الأئمة رضي الله عنهم كانوا ينهون عن تقليديهم والتعصب لهم وكانوا يأمرون بالتمسك بالسنّة واتباعها وكان شعارهم جميعاً (إذا صح الحديث فهو مذهبي). وحتى أقيم الحجة على المتعصبين لهم فإنني سأذكر طرفاً من أقوالهم في هذا الشأن ـ وما أكثرها ـ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

---

(١) راجع: رفع الملام، ص ٥ ـ ٢٠، فإنه أنفس ما كتب في هذا الشأن.
(٢) الرسالة للشافعي، ص٤٢، ٤٣.

ب ـ نهي الأئمة رحمهم الله عن تقليدهم وأمرهم الناس باتباع السنّة:

أحب ـ قبل أن أذكر طرفاً من أقوال الأئمة في النهي عن التقليد وأمرهم بالاتباع ـ أن أبين معنى هاتين العبارتين (التقليد والاتباع) ليعلم القارىء مقصود الأئمة رحمهم الله بالنهي عن الأول والأمر بالثاني فأقول وبالله التوفيق.

معنى التقليد في اللغة: التقليد في اللغة هو: أخذ قول الإنسان أو فعله والعمل به من غير حجة ولا دليل[١].

وفي الاصطلاح الشرعي: هو الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه وهو ممنوع[٢].

وقيل التقليد: هو اتباع قول والرجوع إليه من غير دليل يوجب ذلك[٣]

والاتباع: هو ضد التقليد وهو أخذ قول الإنسان أو فعله والعمل به بحجة ودليل يدلان عليه، وعرفه الإمام أحمد رحمه الله بقوله: (الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبيّ ﷺ وأصحابه، ثم هو من بعد مع التابعين مخيَّر) وعرّفه بعض العلماء بأنه: ما ثبت عليه حجة، وقيل هو كل ما أوجب الدليل اتباع قوله والعمل به[٤] والاتباع في الدين مسوَّغ وجائز بل واجب على كل مسلم، بخلاف التقليد فإنه مذموم وممنوع لأنه لا يجب على المسلم أن يقلد أحداً أو أن يأخذ بقوله ما لم يأت دليل يأمر بذلك، وقد أمرنا أن نتبع رسول الله ﷺ ونستن بسنته وسنّة الخلفاء الراشدين من بعده قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَين من بعدي أبي بكر وعمر**»[٥] رواه أحمد

---

(١) انظر: المعجم الوسيط (٧٥٤/٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١١٧/٢).

(٣) المرجع السابق (١١٧/٢).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١١٧/٢).

(٥) رواه أحمد (٣٨٢/٥ و٣٩٩ و٤٠٢)، والترمذي ـ كتاب المناقب ـ باب في مناقب أبي بكر وعمر (٦٠٩/٥) حديث (٣٦٦٢) والحديث صحيح كما قال العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢/١) حديث (١١٥٣ ـ ١٥٤).

والترمذي وغيره، وقال ﷺ أيضاً: **«عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»**(١) فهؤلاء هم الذين أمرنا باتباعهم والتمسك بسنتهم أما ما عداهم فلم نؤمر باتباعه.

وبعد هذه المقدمة نعود إلى ما نحن بصدده من نهي الأئمة عن التقليد وأمرهم باتباع السنّة فأقول: لو أردنا أن نستقصي أقوال الأئمة رحمهم الله في النهي عن التقليد وأمرهم باتباع السنّة المطهرة لطال بنا المقام لذا فإنني سأكتفي بذكر طرف من هذه الأقوال والتي فيها إن شاء الله الكفاية والتدليل على ما نحن بصدده، هذا وسأخص الأئمة الأربعة رحمهم الله بالإكثار من النقل عنهم لأن شهرتهم فاقت الآفاق وتقليدهم والتعصب لهم ولمذاهبهم هو الغالب على كثير من المسلمين ـ نسأل الله الهداية للجميع ـ فهذا الإمام الأول أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» ويُسأل رحمه الله فقال له: «إذا قلتَ قولاً وكتاب الله يخالفه؟ فقال: اتركوا قولي لكتاب الله، فقيل: إذا كان خبر رسول الله يخالفه؟ فقال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ»(٢) وقال رحمه الله أيضاً: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه» وفي رواية «حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي، فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً»(٣) فأنت ترى أن هذا الإمام الجليل رحمه الله يحرم على أي إنسان أن يفتي بكلامه إذا لم يعلم دليله، لأنه قد يرى الرأي ثم يبدو له خطأه فيه فيرجع عنه، ولذلك نرى أن تلاميذه كأبي يوسف ومحمد وزفر قد خالفوه في كثير من آرائه ولم يقلدوه، فإنهم رحمهم الله إنما كان همهم اتباع السنّة لا تقليد إمامهم ومذهبه، وقد كان تلميذه محمد(٤) رحمه الله يقول: «إذا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار، ص٦٢.

(٣) حجة الله البالغة (٣٣١/١) وصفة صلاة النبيّ ﷺ للألباني، ص٢٤، ٢٥.

(٤) محمد بن الحسن: هو محمد بن الحسن بن فرقد من موالي بني شيبان، أبو عبدالله إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة، ولد بواسط سنة (١٣١هـ)=

قلت قولاً يخالف كتاب الله وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي»[1] وقال تلميذاه أبو يوسف[2] وزفر[3]: «لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا»[4]، وهذا الإمام الثاني مالك بن أنس رحمه الله ينهى أيضاً عن تقليده فيقول: «إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنّة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنّة فاتركوه»[5] ويقول أيضاً: «ليس أحد بعد النبيّ ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويرد إلا النبيّ ﷺ»[6] فهو رحمه الله يجعل الكتاب والسنّة الحكم على ما يقول، فما وافقهما أجاز للناس أخذه وما لم يوافقهما أمرهم بتركه، كما أنه لا يرى أي إنسان أهلاً لأن يؤخذ كلامه كله إلا النبيّ ﷺ لأنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، أما غيره فيخطىء ويصيب وفي ضمن كلامه أنه لا يجيز التزام مذهب معين وتقليده، لأن ذلك يعني أخذ أقوال العالم أو المذهب صوابها وخطأها ومن

= ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة، وغلب عليه مذهبه وعرف به، وتوفي سنة (١٨٩هـ). انظر ترجمته: الجرح والتعديل (٢٢٧/٧)، والشذرات (٣٢١/١)، والأعلام (٨٠/٦).

(١) إيقاظ الهمم، ص٦٢.

(٢) أبو يوسف: هو الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي، وكان من تلاميذ أبي حنيفة رحمهم الله بل هو من أنبلهم وأعلمهم، ولد سنة (١١٣هـ) وتوفي سنة (١ٸ٢هـ) وعمره (٦٩) سنة.
انظر ترجمته: تذكرة الحفاظ (٢٩٢/١)، والسير (٥٣٥/٨)، وشذرات الذهب (٢٩٨/١).

(٣) زفر: هو زفر بن الهذيل العنبري الفقيه المجتهد الرباني العلامة، أبو الهذيل بن الهذيل بن قيس بن مسلم، من متورعة الفقهاء كان يعود إلى الحق إذا لاح إليه، وهو من تلاميذ أبي حنيفة رحمهم الله جميعاً، ولد سنة (١١٠هـ) وتوفي سنة (١٥٨هـ).
انظر ترجمته: الجرح والتعديل (٦٠٨/٣)، ومشاهير علماء الأمصار، ص١٧٠، والسير (٣٨/٨).

(٤) حجة الله البالغة (٣٣١/١).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٣٢/١)، وإيقاظ الهمم، ص٧٢، والاتباع لابن أبي العز الحنفي، ص٧٩.

(٦) حجة الله البالغة (٣٣٢/١)، وصفة صلاة النبيّ ﷺ، ص٢٦.

المعلوم حرمة عمل المسلم بالخطأ إن عرفه، ويعرض عليه الخليفة أبو جعفر المنصور[1] العمل بمذهبه الذي دونه في كتابه (الموطأ) ليحمل الناس عليه في الأمصار الإسلامية وينهى عن العمل بغيره فيرفض مالك رحمه الله ذلك ويقول له: «يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الناس سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به ودانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم وإن ردهم عما اعتقدوا شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم»[2]. وقد صرح مالك رحمه الله أيضاً بأنه من ترك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقول النخعي إنه يستتاب، فكيف بمن ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون إبراهيم النخعي أو مثله[3]؟! وذلك لأن عمر رضي الله عنه مأمورون باتباع سنته لأنه أحد الخلفاء الراشدين بخلاف النخعي أو غيره فلسنا مأمورين بذلك، فمن فضل قول أحد على قول عمر أو أحد الخلفاء المأمورين باتباع سنتهم فضلاً عن اتباع الكتاب والسنّة فقد تعمد مخالفة رسول الله ﷺ فاستحق الاستتابة ليعود عن غيه المبين ويمتثل أمر النبيّ ﷺ في كل شيء.

وهذا الإمام الثالث محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله الذي كان من أكثر الأئمة أمراً في الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنّة وترك التقليد والتعصب له أو لغيره ـ وقد مرّ بعض أقواله معنا في اعتذاره عن الأئمة إن خالفت بعض أقوالهم النصوص من غير قصد ـ وإليك ههنا بعضاً من أقواله

(١) المنصور: هو أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأياً وحزماً ودهاء وجبروتاً. وحسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم، ولد سنة (٩٥هـ) أو نحوها وتوفي سنة (١٥٨هـ).
انظر ترجمته: السير (٧/٨٣)، والبداية والنهاية (١٢١/١٠)، والشذرات (١٨٥/١) وغيرها.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١٣٢/١)، والانتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ص٤١، نقلاً عن بدعة التعصب المذهبي، ص٩٧.

(٣) ذكر ذلك ابن القيم في رسالة التقليد، ص٢٦.

حيث يقول رحمه الله وغفر له «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنّة لرسول الله ﷺ وتعزب[1] عنه، فمهما قلت من قول أو أصّلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله وهو قولي»[2]، وقال رحمه الله أيضاً: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» وقال كذلك: «إذا قلت قولاً يخالف حديث رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط»[3] وقال أيضاً: «كل ما قلت فكان عن النبيّ ﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبيّ أولى فلا تقلدوني»[4] وقال أيضاً: «أجمع المسلمون على أنه من استبان له سنّة من رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد»[5] وروى عنه قوله: «إذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث واتركوا قولي»[6] قال النووي رحمه الله فكان جماعة من متقدمي أصحابنا إذا جاءت مسألة فيها حديث ومذهب الشافعي خلافه عملوا بالحديث وأفتوا به قائلين مذهب الشافعي ما وافق الحديث[7].

فهذه الأقوال وغيرها ـ مما لم نذكره كثير ـ نص صريح من الإمام الشافعي في نبذ التقليد والتعصب لأي مذهب كان إن خالف السنّة، إذاً الواجب هو الاقتداء برسول الله ﷺ والتمسك بسنته فقط لأنها الحكم على الآراء والمذاهب والأقوال، وهذا تلميذه إسماعيل بن يحيى المزني[8]

---

(١) أي: تغيب.
(٢) إيقاظ الهمم، ص١٠٠، وحجة الله البالغة (٣٣١/١)، وصفة صلاة النبيّ، ص٢٨.
(٣) الإيقاظ، ص١٠٧، وحجة الله البالغة (٣٣٢/١)، والاتباع، ص٧٩.
(٤) صفة صلاة النبيّ، ص٣٠، وإعلام الموقعين (٢٣٣/٤).
(٥) إيقاظ الهمم، ص٥٨، وصفة صلاة النبيّ، ص٢٨.
(٦) الإيقاظ، ص١٠٠، وأعلام الموقعين (٢٣٣/٤).
(٧) انظر: مختصر المزني على هامش كتاب الأم (٢/١) طبعة الهند نقلاً عن بدعة التعصب المذهبي، ص١٠١.
(٨) المزني: هو الإمام العلامة فقيه الملة علم الزهاد أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري تلميذ الشافعي، ولد سنة (١٧٥هـ) وتوفي سنة (٢٦٤هـ).
انظر: الجرح والتعديل (٢٠٤/٢)، والسير (٤٩٢/١٢)، وطبقات الحفاظ، ص١٥٤.

رحمه الله يقول في أول جملة في مختصره لكتاب الأم للشافعي «اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلامية نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه وبالله التوفيق»(١) وقد سأل رجل الإمام الشافعي رحمه الله عن مسألة فقال: يروى عن النبيّ ﷺ أنه قال كذا وكذا فيها، فقال له السائل: ما تقول بهذا يا أبا عبدالله؟ فارتعد الشافعي واصفر وحال وتغيّر لونه وقال: أرأيت في وسطي زناراً، أتراني خرجت من الكنيسة؟ أقول: «قال النبيّ ﷺ وتقول لي أتقول بهذا؟ أروي عن النبيّ ﷺ ولا أقول به ويحك أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا رويت لرسول الله ﷺ شيئاً ولم أقل به، نعم على الرأس والعين»(٢).

ألا ليت المقلدين المتعصبين يعون هذا ويفهمونه ليعلموا ما هم عليه من الضلال لمخالفتهم رسول الله ﷺ فضلاً عن مخالفتهم أئمتهم الذين هم براء من تعصبهم لهم؟.

وهذا الإمام الرابع أحمد بن حنبل الشيباني إمام أهل السنّة والجماعة رحمه الله ورضي عنه يحذر الأمة من تقليد الرجال مهما كانوا، ويجعل تقليدهم من قلة فقه الرجل فيقول لأحد تلاميذه: وما أكثر أقواله في هذا هو وأصحابه ـ «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا» وقال: «من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال»(٣) وقد سأله أبو داود صاحب السنن رحمه الله فقال له الأوزاعي: أتبع أم مالك؟ فقال: لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبيّ ﷺ وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيهم مخير(٤). وقد فرق رحمه الله

(١) انظر: مختصر المزني على هامش كتاب الأم (٢/١) طبعة الهند نقلاً عن بدعة التعصب المذهبي، ص١٠١.
(٢) إيقاظ الهمم، ص ١٠٠ ـ ١٠٤.
(٣) إيقاظ الهمم، ص١١٣، ورسالة التقليد لابن القيم، ص٢٦، وحجة الله البالغة (٣٣٢/١).
(٤) رسالة التقليد، ص٢٦.

بين التقليد والاتباع ـ كما روى عنه أبو داود قال: سمعته يقول: «الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبيّ ﷺ وأصحابه ثم هو من بعد مع التابعين مخير»[1] ويقول رحمه الله أيضاً: «رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة في الآثار»[2]، وصدق رحمه الله في قوله ولكن من يفقه هذا من المتعصبين المتمذهبين؟. وقد كان رحمه الله يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأي ويحب التمسك بالأثر، كما روى عنه ذلك ابن الجوزي[3] وغيره فقد قال رحمه الله: «لا تنظر في كتب أبي عبيد، ولا فيما وضع إسحاق ولا سفيان ولا الشافعي ولا مالك وعليك بالأصل. وقد سأله بعضهم أي الكتابين أحب إليك موطأ مالك أم جامع سفيان، فقال: (لا ذا ولا ذا عليك بالأثر) وفي رواية أخرى أن رجلاً سأله رضي الله عنه أأكتب كتب الرأي؟ قال: لا، قال: فابن المبارك قد كتبها قال: (ابن المبارك لم ينزل من السماء إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق)[4] وقد كان رحمه الله يكره أن يكتب شيء من رأيه أو فتواه، فقد روى عنه ابن الجوزي رحمه الله أنه رأى رجلاً قد كتب عنه جزء من كلامه فلما اطلع على ذلك غضب ورمى الكتاب من يده[5]، ولأجل هذا لم يؤلف رحمه الله كتاباً في الفقه، وإنما دون أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته وغير ذلك، لما علم الله من حسن نيته وقصده ـ وإن كان يكره ذلك ـ فكتبوا من كلامه وفتواه أكثر من ثلاثين سفراً، وقد جمع الخلّال

---

(١) الإيقاظ، ص١١٣.

(٢) صفة صلاة النبيّ، ص٣١.

(٣) ابن الجوزي: هو الإمام العلامة الحافظ عالم العراق واعظ الآفاق جمال الدين أبو الفرج بن عبدالله بن أبي الحسن علي بن محمد الجوزي نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه صاحب التصانيف كزاد السير وتلبيس إبليس... الخ، ولد سنة (٥١٠هـ) أو ما قبلها، وتوفي سنة (٥٩٧هـ).

انظر: السير (٣٦٥/٢١)، وتذكرة الحفاظ (١٣٤٢/٤).

(٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص١٩٢ ـ ١٩٤.

(٥) المرجع السابق، وانظر: إيقاظ الهمم، ص١١٥.

نصوصه في الجامع الكبير فبلغ عشرين سفراً أو أكثر[1]. أرأيت أخي المسلم كلاماً أوضح وأجلى من هذه الأقوال التي ذكرناه عن الأئمة رحمهم الله - وما لم نذكره أكثر بكثير - في النهي عن التعصب لأي مذهب أو إمام، وفي النهي عن تقليدهم وتقليد آراء الرجال؟ وأمراً عميقاً صادقاً من القلب باتباع السنّة والتأسي برسول الله ﷺ؟ ألا ليت المقلدين والمتعصبين للمذاهب والآراء يرجعون إلى الحق وإلى اتباع السنّة المطهرة، وإلى ما قاله أئمتنا رحمهم الله في الأمر بالتمسك بالسنّة والتماس العذر لهم إن خالفت أقوالهم سنّة رسول الله ﷺ فإنهم لم يتعمدوا مخالفتها - وحاشاهم ذلك -، فقد شرح الله بهم علوم الإسلام ورحم بهم الأمة في فهم دينها، وحسبهم أنهم مأجورون على اجتهادهم واستنباطاتهم الفقهية، ومعفو عن خطئهم إن أخطأوا في اجتهادهم كما قال ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**» رواه البخاري ومسلم[2]. فللمجتهد أجران إن أصاب أجر على اجتهاده، وأجر على إصابته الحق، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر على اجتهاده وخطئه مغفور له[3]، ولا يقدح فيهم أبداً - كما قد يفهمه المتمذهبون المتعصبون - إن لم نأخذ بقولهم الخاطىء إن خالفوا السنّة فيها، فإنهم رحمهم الله جميعاً قد أوصونا بترك أقوالهم حينئذٍ لأنهم بشر وليسوا معصومين، فمن قدّم رأي أحدهم إن أخطأ فيه على السنّة وهو يعلم أن إمامه غير مصيب في رأيه هذا فقد قدم على رسول الله ﷺ غيره بل، ويكون محاداً له ﷺ وقد نهانا الله عن ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحجرات: ١] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ

---

(١) انظر: إيقاظ الهمم، ص١١٥.

(٢) البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة - باب أجر الحاكم إذا اجتهد (٣١٨/١٣) حديث (٧٣٥٣) ومسلم - كتاب الأقضية - باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد (١٣٤٢/٣) حديث (١٧١٦).

(٣) أرى من المستحسن أن أشير بهذه المناسبة إلى كتيب جليل ألفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وبيّن فيه أسباب اختلاف الأئمة وكيفية التماس الأعذار لهم عندما تختلف آراؤهم وقد سماه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) فمن أراد أن يحقق هذه المسألة فعلية بمراجعة هذا الكتاب القيم.

﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠﴾ [المجادلة: ٢٠] بل ويكون مشابهاً لأهل الكتاب الذين قال الله في وصفهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]. فالواجب على كل مسلم اتباع سنّة رسول الله ﷺ، وعدم الأخذ بقول أحد حتى يوافقها، وعدم التعصب لأي إمام أو مذهب دون الآخر، لأن من تعصب لواحد منهم من دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحد من الصحابة دون الباقين، وهو وصف مذموم من جنس فعل الرافضة الذين يتعصبون لعلي رضي الله عنه وآله دون بقية الصحابة، وهو بالإضافة إلى ذلك من أفعال الجاهلية كما بين صاحب كتاب الاتباع رحمه الله تعالى(١)، بل الواجب محبتهم وموالاتهم جميعاً والدعاء لهم والأخذ منهم جميعاً فيما أصابوا به والاعتذار لهم عما أخطأوا به، رحمهم الله وعفا عنهم وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

جـ ـ خطر التقليد والتعصب المذهبي على الدين الإسلامي:

أحببت أن أشير في نهاية هذا المبحث إلى عظم خطر التقليد والتعصب المذهبي على الإسلام والمسلمين، لعل الله أن يهدي من ابتلى بهذا الفعل المنكر فيعود إلى الحق والتمسك بالسنّة وما عليه سلف هذه الأمة رحمهم الله، وليعلم المتمسكون بالسنّة ما هم عليه من الخير، والسبب الذي جعل هذه الأمة الإسلامية تعود إلى الوراء فأصبحت في المؤخرة بين الأمم بعد أن كانت في المقدمة، وبعد أن كانت تحكم بشريعتها السمحة فأصبحت تُحْكَمُ بشريعة الغاب من القوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان...

يقول الشيخ سيد سابق رحمه الله في كتابه القيم فقه السنّة(٢) مبيناً خطر التقليد (وبالعكوف على التقليد وفقد الهداية بالكتاب والسنّة والقول بانسداد باب الاجتهاد وقعت الأمة في شر وبلاء ودخلت في جحر الضب

---

(١) راجع: الاتباع لابن أبي العز الحنفي، ص٢٥.

(٢) (١٤/١).

الذي حذّرنا منه رسول الله ﷺ، وكان من آثار ذلك أن اختلفت الأمة شيعاً وأحزاباً، كما كان من آثار ذلك انتشار البدع واختفاء معالم السنّة، وخمود الحركة العقلية، ووقف النشاط الفكري، وضياع الاستقلال العلمي الأمر الذي أدى إلى ضعف شخصية الأمة، وأفقدها الحياة المنتجة وقعد بها عن السير والنهوض، ووجد الدخلاء بذلك ثغرات ينفذون منها إلى صميم الإسلام».

ولقد أجاد الشيخ الفاضل عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله في وصف خطر التقليد للأئمة موجزاً ذلك في الآتي:

أولاً: تعطل الفقه والفهم عند المسلمين لتركهم البحث عن الدليل، وصار هم طلبة العلم معرفة أقوال إمامهم فقط، دون النظر فيها ومقارنتها بغيرها من أدلة العلماء الآخرين.

ثانياً: نشوب التعصب والتنافس بين تلاميذ المذاهب المقلدين، مما دفعهم إلى الوقيعة في أعراض بعضهم بعضاً وإلى التباغض والتقاتل وترك الصلاة وراء بعضهم بعضاً.

ثالثاً: الادعاء بأن الآراء المختلفة والمتناقضة في المسألة الواحدة كلها حق، وهذا شيء يحيله العقل، وقد أثر هذا الادعاء من القول بالتقليد الذي استلزمه القول بصحة جميع الأقوال والاجتهادات التي صدرت عن الأئمة جميعهم.

رابعاً: حرمان الأمة من كثير من الأقوال الصحيحة والنصوص الصحيحة التي خالف فيها الأئمة الأربعة مجتمعين الحديث الصحيح، كالقول بأن طلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثاً، مع العلم أن الحديث ينص على أنها تقع طلقة واحدة، كما كان الحال زمن النبيّ ﷺ وخلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر رضي الله عنهما، وقد كانت هذه المسألة السبب في اتهام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالكفر والزندقة والردة عن الإسلام

لقوله بالرأي الراجح، بناء على أن الدين عند الناس هو ما قاله الأئمة الأربعة فقط وأن ما قاله غيرهم باطل.

خامساً: حرمان الأئمة من البحث والاستنباط عن أحكام الوقائع المتجددة، وبذلك ركد الفهم وبار سوق الاستنباط والعلم بالكتاب والسنّة وسبّب عزل الشريعة عن حياة الناس والتقنين لهم.

سادساً: اتخاذ التقليد ديناً أدى إلى تعطيل الاجتهاد وتشديد النكير على من يدعو إلى وحدة الفقه والترجيح بين الأدلة عند جميع الأئمة، واتهامه بالخروج على إجماع الأمة واتهامه بشتم الأئمة والانتقاص من قدرهم والحط من شأنهم.

سابعاً: ظن الناس جواز أخذ رأي إمام ما من الأئمة الأربعة لكل مسلم، ولو كان النص بخلافه، وبذلك ارتكبت كثير من المخالفات.

ثامناً: ضعف الوازع الديني عند المقلدين، بحيث إن أحدهم لو وعظ بالآية أو الحديث لم يجد من نفسه شأناً كما يجده لو قيل له هذا رأي الإمام فلان وفلان، وبذلك نشأ التحايل على النصوص عند كثير من المسلمين لضعف خوفهم من الله.

تاسعاً: نشأ التلفيق، وهو الاتجاه إلى جمع الرُّخص والتسهيلات الموجودة في المذاهب وبذلك ينشأ التهاون وارتكاب كثير من المخالفات، وذلك بتتبع الأقوال التي تناسب هوى كل إنسان من كل مذهب، ولو كان الاحتكام إلى الدليل كتاباً أو سنة لما وجد هذا.

عاشراً: تعظيم الأئمة إلى الحد الذي رفعهم إلى حد العصمة لهم، وعدم جواز تخطأتهم، الأمر الذي أدى إلى رد كبير من النصوص المخالفة لآرائهم، وذلك خوفاً من مخالفة الإمام ومهابة من وصفه بالخطأ، وهذا الأمر الخطير إن لم يكن شركاً فهو ذريعة إليه، ولكن قل من يفقه ذلك[(١)].

---

(١) انظر: السلفيون والأئمة الأربعة للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ص٤٤ ـ ٤٧.

وإضافة إلى ما ذكرنا فإن من أخطار التقليد والمذهبية المتعصبة أيضاً.

حادي عشر: مخالفة النصوص الثابتة من الكتاب والسنّة تعصباً للمذهب وتقديم الرأي المحض أحياناً عليها.

ثاني عشر: الأخذ بكل ما كتب في المذاهب، رغم امتلائها بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والاحتجاج بها واستنباط الأحكام منها.

ثالث عشر: خلو الكثير من الكتب المذهبية من الأدلة الشرعية، ورغبة الكثيرين عن دراسة الكتاب والسنّة إليها، وإن دُرِّسا فللبركة بهما فقط.

رابع عشر: الخوض في المسائل الخيالية والانشغال بالافتراضات السخيفة.

خامس عشر: فتح باب الحيل المحرَّمة للتخلص من التكاليف الشرعية.

سادس عشر: تدخّل الظروف والمصالح السياسية في انتشار بعض المذاهب وانحسار أخرى.

سابع عشر: الأخذ بجزء من النص الموافق للمذهب وترك الجزء الآخر وهذا تشبه باليهود.

ثامن عشر: التشدد في بعض المسائل مما فيه عَنَتٌ كبير على المسلمين.

تاسع عشر: مخالفة المقلدين للمذاهب لأئمتهم بعد تقليدهم ولما هو مذكور في كتبهم نفسها[1].

عشرون: إضافة إلى ما ذكره الشيوخ الأفاضل عن خطر التقليد والتعصب المذهبي أقول إن المتعصبة للمذاهب الأربعة قد حرموا من الاستفادة من فقه وآراء كثير من كبار أئمة المسلمين الذين هم في طبقة

(١) راجع: بدعة التعصب المذهبي لمحمد عيد عباسي رحمه الله، ص١٣٥ ـ ١٣٨.

بعض الأئمة الأربعة كالليث[1] بن سعد رحمه الله بمصر والأوزاعي بالشام والثوري[2] بالعراق، وهؤلاء الثلاثة من طبقة الإمام مالك وفقهاء مثله، وربما قيل إن الليث بن سعد أفقه من الإمام مالك، وقد سماهم شيخ الإسلام رحمه الله أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين[3]. ومع ذلك فإن كثيراً من المتعصبة لا يعرفون من فقه هؤلاء وأمثالهم شيئاً، وربما ظنوا أن الدين ينحصر في المذاهب الأربعة فقط، ولذلك زعم بعض المتأخرين من علماء الشافعية وهو إبراهيم الباجوري[4] (أو البيجوري) وجوب تقليد أحد الأئمة الأربعة وعدم جواز تقليد غيرهم من كبار الصحابة[5]... وهو قول باطل مردود على قائله.

واحد وعشرون: كان من نتيجة التقليد والتعصب المذهبي، صدّ الناس عن الدخول في دين الله لما يظنه غير المسلمين من أن الإسلام ملل وفرق

---

(١) الليث: هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية، أبو الحارث الفهمي مولى خالد بن ثابت بن طاعن ولد سنة (٩٤هـ) وتوفي سنة (١٧٥هـ).

انظر ترجمته: تاريخ خليفة، ص٤٤٩، والجرح والتعديل (١٧٩/٧)، والحلية (٣٠٨/٧)، والسير (١٣٦/٨).

(٢) الثوري: هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، وهو شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبدالله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع، ولد سنة (٩٧هـ) وتوفي (١٢٦هـ).

انظر ترجمته: تاريخ خليفة (٣١٩)، والجرح والتعديل (٥٥/١ و٢٢٢/٤)، والحلية (٣٥٦/٦)، والسير (٢٢٩/٧).

(٣) راجع: الفتوى للحموي، ص٢٥، مطبعة السنة المحمدية.

(٤) البيجوري: هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء الشافعية، نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية بمصر) ولد ونشأ فيها وتعلم في الأزهر. وقد كتب حواشي كثيرة، وهو يُعَدُّ من أعمدة الأشاعرة في عصره. تقلد مشيخة الأزهر سنة (١٢٦٣هـ) إلى أن توفي بالقاهرة سنة (١٢٧٦هـ) وقيل (١٢٧٧هـ).

انظر ترجمته: شرح جوهره التوحيد، ص٤ ـ ٧ ط دار الكتب العلمية، والأعلام ٧١/١.

(٥) راجع: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد، ص٩٥.

وطوائف كغيره من الأديان الباطلة، مستدلين على ذلك بواقع الجهلة المقلدين المتعصبين من أبنائه، والأمثلة على ذلك كثيرة قديماً وحديثاً.

اثنان وعشرون: وهو أخطرها وأشدها على المسلم، ألا وهو محادة الله ورسوله بترك الكتاب والسنّة إذا خالف المذهب أو رأى الإمام أو تأويلهما وتحريفهما عن المفهوم الصحيح هوى وشهوة وحباً في التقليد والتعصب ولا يخفى ما في هذا من الذنب والإثم الكبير نسأل الله السلامة.

المبحث الرابع

الغلو في رسول الله ﷺ

لقد بيّن الله عزّ وجلّ حقيقة خليله ورسوله محمد ﷺ بياناً شافياً كاملاً وهي أنه بشر كغيره من البشر، لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً، ولا يعلم إلا ما علّمه ربه سبحانه وتعالى فيما يوحيه إليه، وقد فضله عزّ وجلّ على غيره من الأنبياء والرسل فجعله خاتمهم وأفضلهم وسيدهم. وجعل شريعته دستوراً لحياة الخلق ناسخة لما عداها، قال سبحانه وتعالى آمراً نبيّه ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال تعالى أيضاً: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠] فهو ﷺ عبد من عباد الله لا يملك خزائن الله، ولا يعلم الغيب، لأن هذا بيد الله وحده، وما يخبر عنه ﷺ من المغيبات فإنما هو وحي أوحاه الله إليه لأنه سبحانه اختص بعلم الغيب، قال سبحانه: ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠] وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥] وهو عليه الصلاة والسلام مع علو منزلته عند ربه وتفضيله عزّ وجلّ له على سائر الخلق، ومع ما أعطاه سبحانه له من المعجزات والخصال والمزايا التي فضله بها على غيره من البشر، ومع

مغفرته له عزّ وجلّ لذنبه ما تقدم منه وما تأخر مع هذا كله، فإنه ﷺ كان سيد الموحدين لربه وإمام المتوكلين عليه والمتواضعين له عزّ وجلّ. وكان ﷺ حريصاً كل الحرص على حماية جناب التوحيد من أن تخدشه أية شائبة من شرك ونحوه، وكان ﷺ شديد الحرص على أمته من أن ينزلقوا في متاهات الضلال وحبائل الشرك والشيطان، لذلك بيّن لهم التوحيد أيما بيان وأمرهم بتحقيقه، وحذرهم مما يضاده أو ينافي كماله من الشرك والكفر والعصيان كل التحذير ونصحهم أيما نصح. وقد خاف عليهم من الوقوع فيما وقع فيه غيرهم ممن سبقهم من الأمم في الضلال من الغلو بأنبيائهم وصالحيهم ووجهائهم، كيف وقد نزل عليه قول الله عزّ وجلّ في ذمّ تلك الأمم الضالة ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١] ولما قال له ﷺ رجل ما شاء الله وشئت أنكر ذلك عليه وغضب وقال: «**أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده**»[١]، وقد نهى ﷺ عن الغلو فيه بأي صورة من الصور حتى ولو كان ذلك بمدحه، لأن ذلك تشبه بالضالين ومدعاة للخروج عن جناب التوحيد، وقد يكون وسيلة للوقوع في مزالق الشرك ـ والعياذ بالله ـ، فقد قال الناصح الأمين ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»[٢]، والإطراء كما هو معروف في اللغة المبالغة في الشيء بالمدح، لأن محبته ﷺ لا تحصل للعبد بمجرد مدحه لرسول الله ﷺ، أو التغني به والغلو في ذلك ولا بالاحتفال بمولده ولا بوصفه بما هو من صفات الله وحده وحقه كما يفعل ذلك الضالون المضلون كقول بعضهم[٣] في مدحه ﷺ:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

---

(١) رواه أحمد (١/٢١٤ و٢٢٤ و٢٨٣)، وابن ماجه بنحوه ـ كتاب الكفارات ـ باب النهي عن أن يقال ما شاء الله وشئت (١/٦٨٤) حديث (٢١١٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) وهو البوصيري في ديوانه، ص٢٣٨.

وقوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يطيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تحلى باسم منتقم

وإنما محبته ﷺ إنما ينالها العبد بطاعته لربه عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ وتجريد المتابعة له عليه الصلاة والسلام، كما قال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] ذلك لأن الغلو فيه ﷺ بأي شكل من الأشكال سواء كان عن طريق المدح الزائد عن حده، أو بوصفه ﷺ بما لا يجوز إلا لله عزّ وجلّ، كادعاء أنه ﷺ يعلم الغيب، وأن بيده الأمور وأنه يغيث العباد في قبره، وأنه يتصرف في الكون إلى غير ذلك من العقائد والمفتريات التي وقع فيها كثير ممن يدعي محبته ﷺ، كل ذلك وغيره مما يناقض تجريد المتابعة له ﷺ، والتي هي من لوازم محبة الله ورسوله، ويتنافى كلية مع محبة الله ومحبة رسوله والتي هي الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها. لأن أصل الإيمان محبة الله ومحبة رسوله المستلزمة لطاعته تعالى وطاعة رسوله والتي جزاؤها الفوز بجنات النعيم.

ومع وضوح هذه الحقيقة كل الوضوح وبيانها في كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه ﷺ أيما بيان فإننا نجد - وللأسف الشديد - الكثير ممن ينتسب إلى الإسلام بل وممن اشتهر بالعلم والفقه والتأليف - فضلاً عن عوام الناس - قد وقع في هذا المحذور -، ألا وهو الغلو في رسول الله حتى أجازوا الاستغاثة به ﷺ وطلب العون والمدد منه بعد وفاته والتوسل به وسؤال الله به... فهذا العالم تقي الدين السبكي غفر الله لنا وله يقول بما نصه: «الباب الثامن في التوسل والاستعانة والتشفع بالنبيّ ﷺ، اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين ولم ينكر أحد ذلك من

أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار وابتداع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار...»[١].

ويقول أيضاً: إن التوسل بالنبيّ ﷺ جائز في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في البرزخ[٢]. والأدهى من هذا والأغرب أنه يجيز أيضاً الاستغاثة به ﷺ في حياته وبعد موته[٣]. وقد استدل لذلك بآثار واهية وحجج وقياسات داحضة وادعى الإجماع المكذوب. ومما استدل به على التوسل به ﷺ الحديث الذي رواه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما اعترف آدم بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي... الخ وهو حديث موضوع كما قال غير واحد من السلف لأن عبدالرحمن المذكور يروي أحاديث موضوعة عن أبيه، وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل كما قال شيخ الإسلام رحمه الله[٤] كأحمد وأبي زرعة وأبي حاتم والنسائي. والدارقطني وقال ابن حبان[٥] فيه كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم... فاستحق الترك، وتصحيح الحاكم رحمه الله لمثل هذ الحديث وأمثاله هو مما أنكره عليه أئمة الجرح والتعديل وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث موضوعة مكذوبة معروفة عند أهل المعرفة بالأحاديث كما قال شيخ

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي، ص١٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٦١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص(١٧٧، ١٧٨).

(٤) انظر: التوسل والوسيلة، ص٨٥.

(٥) ابن حبان: هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البستي الحافظ كان إماماً حافظاً ثبتاً حجة ومن أئمة زمانه وأحد أوعية العلم في الحديث والفقه واللغة والوعظ وغير ذلك، وحتى الطب والكلام والنجوم وهو صاحب التصانيف الكثيرة أشهرها كتاب الصحيح والثقات والمجروحين، ولد سنة (٢٧٠هـ) وتوفي سنة (٣٥٤هـ).

انظر ترجمته: ميزان الاعتدال (٣/٥٠٦)، وشذرات الذهب (٣/١٦)، والأعلام (٦/٧٨).

الإسلام وقد ذكر عدداً من الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي يستدل بها من يبيح التوسل والاستغاثة برسول الله وبين ما فيها من علل(١).

وأما ادعاء السبكي بأن التوسل والاستغاثة والتشبع برسول الله ﷺ هو مما أجمع عليه المسلمون سلفاً وخلفاً علماء وأميين وأن أحدً لم ينكر ذلك سوى ابن تيمية رحمه الله، فإن ذلك مرفوض من أساسه ومبني على حقد وافتراء، ويدل على مدى تعصبه للباطل وبغضه لأهل الحق، لأن ابن تيمية رحمه الله ليس وحده الذي أنكر ذلك بل عامة علماء أهل السنّة والجماعة أنكروه.

ثم إنه لا يوجد نص صريح في كتاب الله ولا في سنّة رسوله ﷺ يبيح ذلك، وما استدل به هو وإمثاله من النصوص وزعمهم أنها موافقة لآرائهم كل ذلك يدل على سوء فهمهم لهذه النصوص وتأويلهم لها عن معناها الأصلي كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] والتي هي عمدة القوم من الكتاب العزيز في زعمهم جواز شد الرحال إلى قبره ﷺ والاستغاثة به وطلب الدعاء منه... الخ وهذا المعنى البعيد كل البعد عن مفهوم الآية الصحيح، والذي يفهمه العوام من أهل العربية فضلاً عن أهل العلم، إذا المقصود بالمجيء الإتيان إلى شخصه ﷺ في حياته وليس بعد موته إذ لو كان هذا هو المراد لوضحه عليه الصلاة والسلام أو لفعله خيرة الناس بعده وهم الصحابة رضي الله عنهم، لذا لم يرد شيء من ذلك. فدل عدم فعل أحد من السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان لهذا الأمر دلّ على بطلانه وحرمته إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه بل على العكس من ذلك فإننا نرى منهم الإنكار على من يفعل ذلك.

وأما استدلالهم بالسنّة وما نقل عن السلف رحمهم الله فهو إن كان النقل صحيحاً فلا يدل على ما ذهبوا إليه كتوسل الأعمى بدعائه ﷺ

---

(١) التوسل والوسيلة، ص٨٥.

وكتوسل الفاروق عمر رضي الله عنه بالعباس عم النبيّ ﷺ ورضي الله عنهما. إلى غير ذلك. بل إن هذه النصوص والحمد لله رد عليهم، لأن الأعمى توسل بدعاء النبيّ ﷺ وهذا توسل مشروع وكذا توسل عمر ومعاوية... الخ. إذ لو كان التوسل جائزاً برسول الله ﷺ بعد موته كيف تسول للفاروق نفسه أن يترك هو وأصحاب رسول الله ﷺ التوسل به إلى غيره من الخلق كائناً من كان؟.

وعليه نقول: إن التوسل قسمان كما بيّن ذلك العلماء رحمهم الله(١):

أ ـ مشروع: وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنّة وجرى عليه عمل السلف الصالح رحمهم الله وأجمع عليه المسلمون وهو ثلاثة أنواع:

١ ـ التوسل باسم من أسماء الله تعالى الحسنى أو صفة من صفاته العلى.

٢ ـ التوسل بعمل صالح قام به العبد الداعي كقصة أصحاب الغار الذين آواهم المبيت فيه وهي قصة صحيحة مشهورة.

٣ ـ التوسل بدعاء رجل صالح كتوسل أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ بالعباس ـ رضي الله عنه ـ وكتوسل أمير المؤمنين معاوية ـ رضي الله عنه ـ بيزيد بن الأسود الجرشي وغير ذلك.

ب ـ أما التوسل البدعي المذموم: فهو ما عدا هذه الأنواع من التوسلات، وإن كان بعض العلماء رحمهم الله أباح التوسل بالنبيّ ﷺ وحده كما روي ذلك عن الإمام أحمد رضي الله عنه، وكما نقل أيضاً عن الشوكاني جواز ذلك بالنبيّ والأنبياء والصالحين، ولكن الذي ندين الله به كما قال الشيخ الألباني رحمه الله أن هذا ممنوع ومذموم(٢). لأن المسلم عليه أن يدور مع الدليل حيث دار، وأن لا يتعصب ولا يغضب للرجال،

---

(١) راجع: كتاب التوسل أنواعه وأحكامه للألباني، ص٢٨ ـ ٤٣، فهو كتاب نفيس في هذا الشأن حيث جمع فيه مؤلفه جزاه الله خيراً شبه القوم المخالفين ورد عليها رداً علمياً دقيقاً فضلاً عن استدلاله لما ذهب إليه بالنصوص الصحيحة.

(٢) المرجع السابق، ص٤٤.

بل عليه أن ينحاز ويتعصب للحق فقط، لأنه لا دليل صحيح يجيز ذلك وجلّ من عصم عن الخطأ وكل يؤخذ من قوله ويرد إلى النبيّ ﷺ كما قال الإمام مالك رحمه الله.

وعليه يتضح أن ادعاء السبكي رحمه الله وغيره من العلماء إباحة التوسل بالنبيّ ﷺ والاستعانة والتشفع والاستغاثة به قول مردود لا يقوم عليه دليل صحيح.

أما في الرد على جواز الاستغاثة به ﷺ أو بأي مخلوق غيره فيكفي في ذلك قول الله عزّ وجلّ في ذم من يدعو غير الله من نبيّ أو ملك أو أي مخلوق آخر ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] فقد نفى عزّ وجلّ أن يكون أحد أضل ممن يدعو غيره وأخبر أنه لا يستجيب له ما طلب منه إلى يوم القيامة وسمي دعاء غيره عبادة له والآية تعم كل من يدعي من دون الله سواء كان نبيّاً أو ملكاً أو غير ذلك. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦]. فهذه الآية نهي من الله تعالى لرسوله ﷺ ولكل مخاطب عن دعاء غير الله، لأنه لا أحد ينفع ولا يضر غيره سبحانه. وقد بيّن عزّ وجلّ أن من يفعل ذلك فإنه من الظالمين أي المشركين، لأن الشرك أظلم الظلم لأنه صرف حق العبودية والربوبية عن الله إلى مخلوق لا يضر ولا ينفع، وقد قال الله مخبراً عن لقمان الحكيم إنه قال لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، والاستغاثة من أنواع العبادة فلا يجوز صرفها إلا إلى الله وحده، والنصوص الدالة على ذلك لا يبلغها الحصر.

فتبين من هذا ضلال من يعتقد جواز الاستغاثة بغير الله والوقوع فيها لأنه قد وقع ـ والعياذ بالله ـ بالشرك الأكبر، وإن صام وصلّى وزعم أنه

مسلم كما يفعل ذلك عُبّاد القبور الذين يلتجأون ويستغيثون برسول الله ﷺ أو بغيره من البشر، كعلي وفاطمة والحسين رضي الله عنهم والجيلاني والتيجاني... الخ. حيث تلهج ألسنتهم بالاستغاثة بهم كقولهم في الحوائج والقربات يا رسول الله أو يا فلان أغثني أو انصرني أو ألطف بي أو أنا في حسبك ونحو ذلك من الشرك - متناسين الواحد القهار - ولا شك أن هذا كله شرك وضلال وصاحبه يستتاب فإن تاب وإلا قطعت عنقه.

فهذه بعض الصور من مظاهر الغلو في رسول الله ﷺ والتي وقع فيها الناس ذكرتها في هذا المقام ليتجنبها المؤمن المحب لربه ولرسوله ﷺ، ليكون إيمانه صحيحاً ومحبته صحيحة وليعلم ما عليه الناس من الضلال والبعد عن شروط ومستلزمات هذه المحبة.

الفصـــل الثالـــث

تحرير الولاء لأهل الإيمان
والبراء من أهل الشرك والعصيان

وتحته عدة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الولاء لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف البراء لغة واصطلاحاً.

المبحث الثالث: الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد.

(أ) شرح هذه الكلمة.

(ب) شروطها.

المبحث الرابع: عقيدة أهل السنّة والجماعة في الولاء والبراء.

المبحث الخامس: عقيدة الخوارج في الولاء والبراء والرد عليهم.

(أ) تعريفهم.

(ب) عقيدتهم في الولاء والبراء مع ذكر بعض شبههم والرد عليها.

المبحث السادس: عقيدة الرافضة في الولاء وفي البراء والرد عليهم.

وتحته عدة نقاط:

(أ) تعريفهم.

(ب) سبب تسميتهم بهذا الاسم.

(جـ) عقيدتهم في الولاء والبراء.

(د) الرد عليهم.

المبحث السابع: من مقتضيات الولاء والبراء. وتحته عدة نقاط:

(أ) حقوق المسلم على أخيه المسلم.

(ب) الجهاد في سبيل الله.

(جـ) هجر أصحاب البدع والأهواء.

(د) حرمة التشبه بالكفار.

تـــمهيــد:

تقدم معنا فيما سبق أن محبة الله ورسوله لا تنال للعبد بمجرد الادعاء. بل إن لها شروطاً ومستلزمات لا بدّ من توفرها حتى يتشرف العبد بنيلها فتكون محبته صادقة، وتقدم معنا أن من مستلزماتها إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ. وفي هذا الفصل تكمل المستلزمات الواجب توفرها والتي تتلخص في تحرير الولاء والمحبة والنصرة للمؤمنين، والبغض والمعاداة لأعداء الله المشركين والبراءة منهم. وهذا الجانب على درجة عظيمة من الأهمية، لكونه يُجَسِّد الصورة الصادقة على حب العبد لربه ولرسوله ﷺ. إذ إن من شرط المحبة أن يحب المرء أحباب الحبيب ويبغض أعداءه ويعاديهم. ولا شك أن المؤمنين الذين أحبوا الله وأطاعوه وأطاعوا رسوله هم أحباب الله ورسوله، بخلاف الكفار والمشركين الذين تكبروا على الله وكفروا به. لذا جاءت النصوص من الكتاب والسنّة المحذرة من تولي هؤلاء الكفرة والآمرة بتولي المؤمنين.

من ذلك قوله الحق جلت قدرته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١].

وأمر عزّ وجلّ بالاقتداء بخليله إبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه

الذين تبرأوا من قومهم لما كفروا بالله فقال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. وقد امتدح عزّ وجلّ عباده المؤمنين بقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة: ٢٢] إلى غير ذلك من النصوص المحذرة من موالاة الكافرين. وأما ما ورد في موالاة المؤمنين ومحبتهم فهو كثير جداً أيضاً. من ذلك قول الرسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» متفق عليه(١). وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ وصحابته الكرام من بعده ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أروع الأمثلة لهذه الأخوة الإيمانية الصادقة القائمة على خفض الجانب واللين والرحمة والمحبة للمؤمنين والعزة والقوة على الكافرين وبغضهم كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...﴾ [الفتح: ٢٩] وقال تعالى أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾ [المائدة: ٥٤] إلى غير ذلك من النصوص، فمتى حقق المؤمن هذه الشروط والمستلزمات لمحبة الله ورسوله فإنه يصدق في محبته لربه ولرسوله ويشهد له بالإيمان والصلاح وينال بذلك مع العمل الصالح الدرجات العلى في الجنة.

(١) البخاري: ك الإيمان باب خصال الإيمان، (٥٧/١) حديث (١٣)، مسلم: ك الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب المرء لأخيه المسلم ما يحب لنفسه (٦٧/١) حديث (٧١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المبحث الأول

تعريف الولاء لغة واصطلاحاً

(أ) الولاء لغة: قال العلامة ابن منظور رحمه الله **الموالاة**: كما قال ابن الأعرابي أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلاناً إذا أحبه، **والمولى**: اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والملك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه وكل هذه المعاني تقوم على النصر والمحبة[1]. والولاية - بالفتح - في النسب والنصرة والعتق، **والموالاة** - بضم الميم - من والى القوم، قال الإمام الشافعي رحمه الله قوله ﷺ: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» أخرجه أحمد وغيره[2]. قال الشافعي رحمه الله تعالى يعني بذلك ولاء الإسلام كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١] والموالاة ضد المعاداة والولي ضد العدو، قال

(١) لسان العرب لابن منظور (٣/٩٨٥، ٩٨٦) وانظر القاموس المحيط (٤/٢٩٤).

(٢) المسند (٤/٣٦٨، ٤/٤٨١) والترمذي في المناقب (٥/٦٣٣) حديث (٣٧١٣). وقال: حديث حسن صحيح.

سبحانه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥] قال ثعلب: كل من عبد شيئاً من دون الله فقد اتخذه ولياً. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] يعني وليهم في نصرهم على عدوهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم، وقيل: وليهم أي يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم، **والولي**: بفتح الواو وسكون اللام، القرب والدنو[1]. **والموالاة** المتابعة والتولي يكون بمعنى الإعراض كما يكون بمعنى الاتباع وعلى المعنى الأول كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] أي: تعرضوا عن الإسلام، وعلى المعنى الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] أي: من يتبعهم وينصرهم[2].

وفي المصباح المنير: **الولي**: فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا قام به، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] ويكون بمعنى مفعول في حق المطيع، فيقال: المؤمن ولي الله ووالاه موالاة من باب (قاتل) إذا تابعه[3].

(ب) **الولاء اصطلاحاً**: الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبين ظاهراً وباطناً قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ...﴾[4] [البقرة: ٢٥٧]. وهذه المعاني لا تجوز لأعداء الله البتة، ومن كانت فيه فقد عصى الله ورسوله ـ والعياذ بالله ـ. (فموالاة الكفار إذاً: تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال والنوايا)[5]. وهذا من أعظم المحاداة لله ولرسوله، فكيف يوالي من هو عدو لله ولرسوله

---

(١) راجع لسان العرب (٩٨٦/٣).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المصباح المنير للفيومي (٨٤١/٢).
(٤) راجع: شرح الطحاوية، ص٤٠٣، وتيسير العزيز الحميد، ص٤٢٢.
(٥) كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين، ص١٤٥.

وللمؤمنين. قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١] وقد نزلت هذه السورة في حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى أهل مكة المشركين يخبرهم بغزو المسلمين لهم وقد أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتله واحتج عليه بأنه نافق إذ فعل فعلته تلك لكن الرسول ﷺ قال له: **«وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، أو فقد وجبت لكم الجنة»** فدمعت عينا عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال الله ورسوله أعلم[١]. والقصة معروفة في كتب التفسير[٢] والسيرة.

---

(١) رواه البخاري، ك المغازي باب فضل من شهد بدراً (٣٠٤/٧) حديث (٣٩٨٣) وك التفسير باب لا تتخذوا عدوي عدوكم أولياء (٦٣٤/٨) حديث (٤٨٩٠).

(٢) راجع: تفسير ابن كثير (٣٤٤/٤ ـ ٤٤٦)، وسيرة ابن هشام (٣٩٨/٣ ـ ٣٩٩).

المبحـــث الثانـــي

تعريف البراء لغة واصطلاحاً

(أ) البراء لغة: قال ابن الأعرابي[(١)]: برىء إذا تخلص وبرىء إذا تنزه وتباعد، وبرىء إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١] أي إعذار وإنذار، والبراء والبرىء سواء. وليلة البراء، ليلة يتبرأ القمر من الشمس وهي أول ليلة من الشهر[(٢)].

(ب) البراء اصطلاحاً: من خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نعرف البراء كما قال الشيخ محمد بن سعيد القحطاني بأنه (البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار)[(٣)].

شرح تعريف الولاء والبراء: تتمة للفائدة أذكر بعض كلام أهل العلم لتبيين هذا المعنى جلياً، قال العلامة الكبير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الفريد ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان[(٤)] ـ وهو من

---

(١) ابن الأعرابي: هو إمام اللغة، أبو عبدالله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم. كان صاحب اتباع وسنّة صالحاً وزاهداً. له مصنفات أدبية كثيرة وتاريخ القبائل ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفي بسامراء سنة (٢٣١هـ). انظر ترجمته: السير (٢٥٤/٨)، والوافي (٧٩/٣ ـ ٨٠)، والبداية والنهاية (٣٠٧/١٠).

(٢) انظر: لسان العرب (١٨٣/١)، والقاموس المحيط (٨/١).

(٣) الولاء والبراء، ص٩٠.

(٤) راجع: الفرقان، ص٥، ٦.

أفضل ما كتب في هذا الشأن: الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد. والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا أي: يقرب منه، ومنه قوله ﷺ: «**الحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر**» متفق عليه[1] أي لأقرب رجل إلى الميت، فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١] فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ومن عاداه فقد حاربه ولهذا جاء في الحديث القدسي الصحيح عن الباري جلّ في علاه «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**» رواه البخاري[2]. وقد بين الشيخ الجليل عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ[3] رحمه الله تعالى أن الموالاة لأعداء الله تختلف وتقع على شعب متفاوتة، فمنها ما يوجب الردة والخروج عن الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك في الحكم فلا تخرج المرء عن الإسلام وإن كانت توقعه في الكبائر والمحرمات من الذنوب. وليس هذا أيضاً بالأمر اليسير إذ هو معصية للباري جلت قدرته وقد قال عزّ وجلّ لرسوله: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥]. أما الشيخ العلامة السعدي[4][5] رحمه الله فقد أوضح أن الله عزّ وجلّ عقد الأخوة والمحبة والموالاة والنصرة بين المؤمنين ونهى عن موالاة الكافرين بشتى مللهم

---

(١) البخاري: ك الفرائض باب ميراث الولد من أبيه وأمه (١١/١٢) حديث (٦٧٣٢). ومسلم ك الفرائض باب ألحقوا الفرائض بأهلها (١٢٣٣/٣) حديث (٢).

(٢) البخاري ك الرقائق باب التواضع (٣٤١/١١) حديث (٦٥٠٢).

(٣) الرسائل المفيدة للشيخ عبداللطيف آل الشيخ، ص٤٣.

(٤) هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي، مفسر من علماء الحنابلة من أهل نجد، مولده ووفاته بعنيزة بالقصيم. وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة (١٣٥٨هـ) وله نحو ٣٠ كتاباً منها ما هو مطبوع ومخطوط من أشهر كتبه تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان والقواعد الحسان في تفسير القرآن وغيرها ولد سنة (١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م) وتوفي سنة (١٣٧٦هـ) (١٩٥٦م) انظر ترجمته الأعلام (٣٤٠/٣).

(٥) انظر: الفتاوى السعدية للشيخ ابن سعدى (٩٨/١).

وطوائفهم وأوضح رحمه الله أن من الأصول المتفق عليها بين أهل السنّة والجماعة أن كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته قريباً كان أم بعيداً، وكل من كان بخلاف ذلك فإنه تجب معاداته وبغضه وجهاده بقدر الإمكان ـ ولو كان أقرب قريب ـ والتقرب إلى الله عزّ وجلّ بذلك، ولما كان الولاء والبراء تابعين للحب والبغض فإن أصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم المؤمنين الموحدين وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله.

وقد جاء في الحديث عنه ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان، الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**»[1]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (من أحب في الله، وأبغض في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً)[2].

قلت: يرحم الله ابن عباس حيث قال هذا الكلام في العصر المبارك، فكيف لو رأى تكالب الناس على الدنيا وتحاببهم وتباغضهم من أجلها في هذه الأزمان؟! فماذا عساه أن يحكم على تلكم الفئام من البشرية التي أصبحت عبيداً للدرهم والدينار والشهوة، تحب لأجلها وتعادي من أجلها، نسأل الله السلامة.

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٦٩/١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٣/٢) حديث (٢٥٣٦).

(٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ص٣٣٢.

المبحث الثالث

الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد

(أ) شرح هذه الكلمة:

أحب أن أنبه أولاً إلى معنى هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) قبل الإشارة إلى تضمنها لعقيدة الولاء والبراء فأقول: لقد أخطأ كثير ممن ينتسب إلى الإسلام من أهل الكلام في فهمه لكلمة التوحيد، ففسروها تفسيراً خاطئاً وكتبوا في ذلك الكتب والرسائل، وناظروا وتكلموا في معناها، وكان غاية ما توصلوا إليه في ذلك أنه لا موجود ولا رب ولا خالق إلا الله. ويدّعون أن هذا هو المعنى المراد بكلمة التوحيد دون غيره. ومن تأمل كتاب الله وسنّة رسوله وفهم السلف ممن شرح الله صدره للحق علم حق العلم بطلان هذا المفهوم ومخالفته للنصوص. بل المعنى الصحيح لها كما بيّن ذلك أئمة الإسلام رحمهم الله هو إفراد الله بالألوهية والعبادة ونفي الشرك عنه (فلا إله إلا الله) معناها: لا معبود بحق إلا الله، فهي تنفي الإلهية عما سوى الله وتثبتها له وحده سبحانه[1]. من هنا كانت (لا إله إلا الله) نفياً وإثباتاً ولاءً وبراءً، فهي تنفي الإلهية والطواغيت والأنداد والأرباب من دون الله، وتثبت الإخلاص والتعظيم والمحبة له والخوف منه والرجاء فيما عنده عزّ وجلّ. وهي ولاء لله ولكتابه وسنّة نبيّه ﷺ وعباده الصالحين المؤمنين، وبراء من كل

---

(١) راجع: فتح المجيد، ص١٦.

طاغوت عبد من دون الله ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد، وقد عرفه العلامة ابن القيم رحمه الله تعريفاً جامعاً بقوله: (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله)[١].

وقد أجاد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب[٢] رحمه الله حيث قال: (اعلم أن الإنسان لا يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت). والدليل هذه الآية ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾[٣] [البقرة: ٢٥٦] وهي (كلمة التوحيد) ولاء لشرع الله قال سبحانه: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣] وبراء من حكم الجاهلية ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]. وبراء من كل دين سوى الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

ويرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذه حقيقة (لا إله إلا الله)، وهي ملّة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠.

(٢) هو الإمام شيخ الإسلام، محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، وداعية التوحيد الكبير، ولد ونشأ في العُيينة بنجد ورحل مرتين إلى الحجاز وزار الشام ودخل البصرة فأوذي فيها، وعاد إلى نجد فبدأ بدعوته الإصلاحية فيها، وهيأ الله له أمير نجد الإمام محمد بن سعود وأولاده فنصروه وقبلوا دعوته واتسع نطاق هذه الدعوة حتى بلغت الآفاق. وقد ألف رحمه الله كثيراً من المؤلفات أشهرها كتاب التوحيد وكشف الشبهات. ولد سنة (١١١٥هـ - ١٧٠٣م) وتوفي (١٢٠٦هـ - ١٧٩٣م) انظر: ترجمته الأعلام (٢٥٦/٦).

(٣) الدرر السنية (١٠٣/١).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٢/٢٨).

وأما ما تقتضيه (شهادة أن محمداً رسول الله) وهي الشق الثاني من كلمة التوحيد فيكون بتصديقه ﷺ في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، فما أثبته وجب إثباته، وما نفاه وجب نفيه، كما يجب على الخلق أن يثبتوا ما أثبته الرسول ﷺ لربه من الأسماء والصفات، وينفوا عنه ما نفاه عنه من مماثلة المخلوقات فيخلصوا من التعطيل والتمثيل، ويكونوا على خير عقيدة في إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وعليهم أن يفعلوا ما أمرهم به، وينتهوا عما نهاهم عنه، ويحلوا ما أحله، ويحرموا ما حرمه، فلا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله[(١)].

وتتمة لشرح مستلزمات هذه الكلمة العظيمة ألا وهي كلمة التوحيد فإنه يجدر بي التنبيه إلى شروطها السبعة، لأن كثيراً من المسلمين فهموا معناها على غير المراد منها، وظنوا أن مجرد النطق بها يجعلهم من الموحدين، وغاب عنهم أن من أخل بأحد شروطها فقد نقص توحيده، وهاكم الشروط:

(ب) شـروطهـا:

الشرط الأول: العلم بمعناه المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك[(٢)]. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨] وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك، بمعنى أن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، لأن علم الظن لا يغني في الإيمان، بل لا بدّ من اليقين لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً[(٣)].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص٤٥٢.
(٢) الجامع الفريد ٢٥٤، ومعارج القبول (٣٠٨/١).
(٣) معارج القبول (٣٠٨/١).

قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] وقال ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيها إلا دخل الجنة**» رواه مسلم[(١)] قال القرطبي رحمه الله في كتابه (المفهم على صحيح مسلم) باب لا يكفي التلفظ بالشهادتين بل لا بدّ من استيعاب القلب. وهذه الترجمة تنبه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهذا باطل قطعاً[(٢)].

الشرط الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه[(٣)]، وقد قصّ الله عزّ وجلّ علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء مَنْ قَبِلَها وانتقامه ممّن رَدّها وأباها قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٣ ـ ٢٥] وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣][(٤)].

الشرط الرابع: الانقياد لما دلت عليه المنافي لترك ذلك[(٥)]. قال سبحانه: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] وقال: ﴿وَمَن يُسْلِمْ

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٥٦/١) حديث (٤٤).

(٢) فتح المجيد، ص٤٠، ٤١.

(٣) معارج القبول (٣٠٩/١).

(٤) المرجع السابق (٣٠٨/١).

(٥) المرجع السابق (٣١٠/١).

وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] أي بلا إله إلا الله كما قال الشيخ الحكمي[١] رحمه الله تعالى. قال ابن كثير رحمه الله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي فقد أخذ موثقاً من الله متيناً أنه لا يعذبه[٢]. قلت: ولا شك أنه لا يأخذ موثقاً بذلك من الله إلا بتوحيده لله وتحقيقه لكلمة التوحيد. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطىء قلبه لسانه[٣]. قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣] وقال ﷺ: **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»** متفق عليه[٤]. قال العلامة ابن القيم رحمه الله (والتصديق بلا إله إلا الله يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها، وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة بالتصديق بجميع أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه... فالمصدق بها على الحقيقة هو الذي يأتي بذلك كله، ومعلوم أن عصمة المال والدم على الإطلاق لم تحصل إلا بها، وبالقيام

---

(١) الحكمي: هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه أديب من علماء جيزان، بالسعودية ولد في قرية السلام التابعة لمدينة المطايا سنة (١٣٤٢هـ) جنوب جيزان، نشأ بدوياً يرعى الغنم ثم بدأ طلب العلم في سن السادسة عشر، وتولى النيابة في إدارة مدارس التعليم بسامطا ثم مديراً للمعهد الثانوي حتى توفي في مكة سنة (١٣٧٧هـ). انظر ترجمته الأعلام (١٥٩/٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٠/٣).

(٣) معارج القبول (٣١٠/١ ـ ٣١١).

(٤) رواه البخاري ك العلم باب غسل الوجه باليدين (٢٢٦/١) حديث (١٢٨)، ومسلم ك الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٥٨/١) حديث (٤٧) بنحوه.

بحقها وكذلك النجاة من العذاب على الإطلاق لم تحصل إلا بها وبحقها)[1]. وقال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (أما من قال لا إله إلا الله) بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذّب فعله قوله، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2] [ص: ٢٦].

الشرط السادس: الإخلاص: وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك[3] قال الله سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾ [البينة: ٥] وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه (أو نفسه)**» رواه البخاري[4]. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي وما أخلصه وأصوبه؟ قال: (إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنّة)[5] وقال الشيخ القاسمي[6]

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص٤٢.

(٢) كلمة الإخلاص لابن رجب، ص٢٨.

(٣) معارج القبول (٣١١/١)، والجامع الفريد، ص٢٥٦.

(٤) البخاري ك العلم باب الحرص على الحديث (١٩٣/١) حديث (٩٩).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام، ص٤٥١، ٤٥٢.

(٦) القاسمي: هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط رضي الله عنه، كان إمام الشام في عصره علماً في الدين وتضلعاً في فنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، ولد سنة (١٢٨٣هـ) وتوفي سنة (١٣٣٢هـ) (١٨٦٦م ـ ١٩١٤م) انظر: ترجمته الأعلام (١٣٥/٢).

رحمه الله: (إن القصد هو توحيد المعبود في توحيد الوجهة ودرء الفرقة، كما قال سبحانه: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[1] [يوسف: ٣٩]، ويرحم الله شيخ الإسلام حيث وضح أن الإسلام لا بدّ فيه من الاستسلام لله وحده، وترك الاستسلام لما سواه وهذه حقيقة (لا إله إلا الله) فمن أسلم لله ولغير الله فهو مشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، ومن لم يستسلم لله فهو مستكبر عن عبادته، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2] [غافر: ٦٠].

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها وبغض ما ناقض ذلك[3]. قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا﴾[البقرة: ١٦٥] وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»** متفق عليه[4].

ولقد أجاد العلامة الكبير ابن القيم حيث يقول في شروط المحبة:

شرط المحبة أن توافق من تحب ... على محبته بلا عصيان
فإذا ادعيت له المحبة مع خلا ... فك ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حباً له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادى جاهراً أحبابه ... أين المحبة يا أخا الشيطان

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٥١٣٨/١٤)، بتحقيق عبد الباقي ـ ط/دار إحياء التراث ١٣٧٦هـ.

(٢) راجع: اقتضاء الصراط المستقيم، ص٤٥٤، والتحفة العراقية، ص٤١.

(٣) معارج القبول (٣١٢/١) وأعلام السنة المنشورة، ص١٤، والجامع الفريد، ص٢٥٤.

(٤) البخاري كتاب الإيمان (٦٠/١) حديث (١٦)، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان خصال الإيمان (٦٦/١)، حديث (٦٧).

ليس لعباده غير توحيد المحبة   مع خضوع القلب والأركان

إلى أن يقول رحمه الله:

ولقد رأينا من فريق يدعي الإ   سلام شركاً ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء وآلوهم وسوّ   وهم به في الحب لا السلطان[1]

ألا فهل يدرك أدعياء محبة الله ورسوله هذه المفاهيم والشروط لتكون محبتهم صادقة وعملهم مقبولاً عند الله، نسأل الله الهداية والتوفيق للجميع.

(١) شرح نونية ابن القيم (٢/١٣٦ ـ ١٤٠).

المبحــث الرابــع

عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء

لقد وفق الله أهل السنّة والجماعة ومنّ عليهم بأن هداهم للحق والصواب في كل أمورهم عقيدة كانت أو عبادة أو غير ذلك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو راجع لتمسكهم بكتاب ربهم وسنّة نبيّهم ﷺ حيث أخبر عليه الصلاة والسلام أن الهداية والرشاد للمتمسك بحبل الله الذي هو القرآن وسنته فقال ﷺ: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ»**[(1)] رواه مالك، وله شاهد عند الحاكم فهم وسط بين الإفراط والتفريط في كل أمور الدين، بخلاف أهل البدع والأهواء الذين ضلوا عن سواء السبيل. فعقيدتهم في الولاء والبراء أنهم يوالون المؤمنين الموحدين ولاءً كاملاً، ويحبونهم وينصرونهم، ويتبرأون من الكفرة والملاحدة والمشركين والمنافقين، ويعادونهم ويبغضونهم ويحاربونهم بكل قواهم، أما العصاة من المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فإنهم يوالونهم بحسب ما عندهم من الإيمان والعمل الصالح، ويعادونهم بحسب ما عندهم من الفسوق والعصيان.

فأهل السنّة يتبرأون ممن حاد الله ورسوله ويعادونه مهما كانت صلة

---

(١) رواه مالك ك القدر باب النهي عن القول بالقدر ٨٩٩/٢ والحاكم ٩٣/١، وإسناده حسن كما قال الألباني في تخريج المشكاة، حديث (١٨٦).

القرابة بينهم وبينه ولو كان أقرب قريب. قال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] فهم يمتثلون لله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله ملخصاً مذهب السلف في ذلك (الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة إنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] ومن كان فيه إيمان وفجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي، كما أنه لا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة. قال سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] فجعلهم سبحانه أخوة مع وجود الاقتتال والبغي. ولهذا كان السلف رحمهم الله مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم بشهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم من بعض، ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون معاملة المسلمين بعضهم مع بعض، مع ما كان بينهم من الاقتتال والتلاعن وغير

ذلك)[1] ويقول رحمه الله أيضاً (على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية. . فالمؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام والثواب لأوليائه والإهانة والعقاب لأعدائه)[2].

فالناس إذاً في نظر أهل السنّة والجماعة بحسب الحب والبغض والموالاة والمعاداة ثلاثة أصناف:

(١) من يُحَبُّ جملة: وهو من آمن بالله ورسوله ﷺ وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علماً وعملاً واعتقاداً، وأخلص لله أعماله وأقواله وأفعاله وانقاد لأوامره وانتهى عما نهى عنه ورسوله ﷺ، وأحب لله وأبغض لله، ووالى لله وأفرد الرسول ﷺ بالمتابعة وقدم قوله على قول كل أحد.

(٢) من يُحَبُّ من وجه ويُبْغَضُ من وجه: وهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيحب على قدر ما معه من الخير والإيمان، ويبغض على قدر ما معه من العصيان والفسوق. دليل ذلك ما جاء في الصحيح أن عبدالله الملقب بحمار وكان من أصحاب رسول الله ﷺ كان يشرب الخمر فأتي به إلى النبيّ ﷺ فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال ﷺ: «**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**» رواه البخاري[3] هذا مع أنه ﷺ لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وقال: كلهم في الإثم سواء[4]. رواه أبو داود وابن ماجه.

(٣) من يُبْغَضُ جملة: وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٠٨/٢٨ ـ ٢٠٩.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٠٨/٢٨ ـ ٢٠٩.

(٣) صحيح البخاري كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة (٧٥/١٢) حديث (٦٧٨٠).

(٤) سنن أبي داود، ك الأشربة (٨٢/٤) حديث (٣٦٧٤)، وابن ماجة ك الأشربة (١١٢٢/٢) باب لعن الخمر على عشرة أوجه.

الآخر ولم يؤمن بالقدر خيره وشره وأنكر البعث بعد الموت، أو ترك أحد أركان الإسلام الخمسة، أو أشرك بالله في عبادته أي مخلوق أو صرف له أي نوع من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله كالمحبة والدعاء والرجاء... الخ وغير ذلك، أو ألحد في أسماء الله وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين وكذلك كل من كانت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدها[1]. وننبه هنا إلى أن الولاء والبراء القلبي والذي هو من عقيدة أهل السنّة والجماعة لا بدّ أن يكون كاملاً - كما نبه إلى ذلك شيخ الإسلام[2] - بمعنى أن العداوة والموالاة تامة كاملة جازمة فتكون المحبة والبغض والمعاداة والموالاة بحسب محبة الله ورسوله، لا بحسب محبة النفس وما تهوى - كما يفعل ذلك بعض الناس سامحهم الله - لأن من كانت حاله كذلك فإنه يكون متبعاً نفسه هواها. كما أنه يدخل معتقد أهل السنّة والجماعة البراءة من أصحاب البدع والأهواء ومعاداتهم، قال الإمام البغوي[3] رحمه الله: (مضت الصحابة

---

(١) وهي (١) الشرك في عبادة الله. (٢) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة. (٣) من لم يكفِّر المشركين أو شكَّ في كفرهم أو صَحَّح مذهبهم. (٤) من اعتقد أن هدى غير النبيّ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه. (٥) من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ولو عمل به كفر إجماعاً. (٦) من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه. (٧) السحر. (٨) مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. (٩) من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبيّ ﷺ وأنه يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام. (١٠) الإعراض عن دين الله فلا يتعلمه ولا يعمل به ولا فرق بين الهازل والجاد والخائف في هذه النواقض إلا المكره. انظر مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب (٢١٢/٥ - ٢١٤) والدرر السنية (٨٩/٨).

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام (٢٥٤/١) مطبوعة ضمن شذرات البلاتين.

(٣) هو: الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي السنّة، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، برع في كثير من العلوم، وكان علامة عصره ثبتاً حجة صحيح العقيدة إماماً في التفسير والحديث والفقه، وهو صاحب التصانيف الكثيرة، ولد ببغشور، وقيل: ببغ من بلاد خراسان، وتوفي سنة (٥١٦هـ) عن عمر يناهز الثمانين. انظر ترجمته: تذكرة الحفاظ (١٢٥٧/٤ - ١٢٥٩) البداية والنهاية (١٩٣/١٢)، طبقات المفسرين للداودي (١٥٧/١ - ١٥٩) طبقات المفسرين للسيوطي، ص٤٩، ٥٠.

والتابعون وعلماء السنّة مجتمعين ومتفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم)[(١)]، وما ذلك إلا لخطر البدع على الدين ولمعاداتها للسنّة، فضلاً عن عدم الحاجة إليها لأن الله عزّ وجلّ أكمل دينه وأتم شرعه. ولمزيد من التحذير من شأن البدع يراجع المبحث الثاني في الباب الأول.

وفي ختام حديثنا عن الولاء والبراء عند أهل السنّة والجماعة، يحسن بنا أن نستطرد بعض الطوائف التي انحرفت في ولائها وبرائها وأهمها الخوارج والروافض.

---

(١) شرح السنة للبغوي (٢٢٧/١).

محبة الله ورسوله

المبحث الخامس

عقيدة الخوارج في الولاء والبراء والرد عليهم

(أ) تعريفهم: قبل الإشارة إلى عقيدة هؤلاء القوم المارقين من الدين أود أن أعرِّف بهم تعريفاً موجزاً فأقول وبالله التوفيق: الخوارج هم المعنيون بقول الرسول ﷺ: **«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**(1). والخوارج في **اللغة**: جمع خارجة أي طائفة منفصلة(2).

واصطلاحاً: كل من خرج على الإمام الحق وخلع طاعته وألّب عليه وأعلن عصيانه عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم في كل زمان، وأول ما أطلق هذا الاسم على الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه(3). وقد سموا بهذا الاسم (الخوارج) لخروجهم عن الدين وخروجهم

---

(1) رواه البخاري، ك الأنبياء باب قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هوداً (٦/٣٧٦) حديث (٣٣٤٤)، ومسلم، ك الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج (٢/٧٤٦) حديث (١٥٤).

(2) المعجم الوسيط (١/٢٢٥)، وفتح الباري (١٢/٢٨٣)، ومقالات الإسلاميين (١/١٦٧)، والملل والنحل، ص١١٤.

(3) انظر الملل والنحل، ص١١٤، ومقالات الإسلاميين (١/١٦٧)، وفتح الباري (٢/٢٨٣).

على خيار المسلمين. وقد عرفهم الإمام أحمد رحمه الله وبيّن معتقدهم بقوله: (هم الذين مرقوا من الدين وفارقوا الملة وشردوا عن الإسلام وشذّوا عن الجماعة فضلوا السبيل والهدى، وخرجوا على السلطان وسَلُّوا السيف على الأمة واستحلوا دماءهم وأموالهم، وعادوا من خالفهم إلا من قال بقولهم وكان على مثل قولهم ورأيهم وثبت معهم في بيت ضلالتهم، وهم يشتمون أصحاب النبيّ ﷺ وأصهاره وأختانه ويتبرأون منهم ويرمونهم بالكفر والعظائم، ويرون خلافهم على شريعة الإسلام... يقولون من كذب كذبة أو أتى صغيرة أو كبيرة من الذنوب فمات من غير توبة فهو في النار خالداً مخلداً أبداً - إلى أن قال رحمه الله فيهم - وهم قدرية جهمية مرجئة رافضة لا يرون الجماعة إلا خلف إمامهم ولا يرون للسلطان عليهم طاعة، ولا لقريش عليهم خلافة، وأشياء كثيرة يخالفون عليها الإسلام وأهله، وكفى بقوم ضلالة أن يكون هذا رأيهم ومذهبهم ودينهم، وليسوا من الإسلام في شيء)[1] وبعد أن عدّد بعض أسمائهم حكم عليهم بقوله: (كل هؤلاء خوارج فسّاق مخالفون للسنّة خارجون عن الملة أهل بدعة وضلالة)[2]. أما الملطي[3] رحمه الله فقد بين أيضاً انحراف القوم في مفهوم الولاء والبراء فبين أنهم لا يتولون إلا بنحلتهم القائمة على تكفير مرتكب الذنوب وخاصة الكبيرة. وهم يتبرأون من الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويتولون الشيخين أبا بكر وعمر[4]. وأقول بل إن الخوارج على اختلاف فرقهم ومذاهبهم متفقون على تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من

(١) كتاب السنة له بتصحيح الأنصاري، ص٨٣ - ٨٥.

(٢) السنة، ص٨٣ - ٨٥، للإمام أحمد.

(٣) هو محمد بن أحمد بن عبدالرحمن أبو الحسين الملطي العسقلاني، عالم بالقرآت من فقهاء الشافعية من أهل ملطية نزل بعسقلان وتوفي بها سنة (٣٧٧هـ).
انظر ترجمته: طبقات الشافعية للسبكي (١١٢/٢ ط/مصر ١٣٢٤هـ)، والأعلام (٣١١/٥).

(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء للملطي، ص٥٣.

رضي بالتحكيم - كما ذكر ذلك علماء الإسلام الذين كتبوا في الفرق[1] - وليس على تكفير عثمان وعلي رضي الله عنهما فقط كما قال الملطي - إضافة إلى اتفاقهم على وجوب الخروج على الإمام الجائر، وهم متفقون أيضاً على تكفير مرتكب الذنوب - الكبائر - إلا النجدات - وهي إحدى فرقهم - فإنهم لا يكفِّرون أصحاب الحدود ممن وافقهم وقد قال قوم منهم: إن التكفير إنما يكون بالذنوب التي ليس فيها وعيد مخصوص، فأما الذي فيه حد أو وعيد في القرآن فلا يزاد صاحبه على الاسم الذي ورد فيه مثل تسميته زانياً وسارقاً ونحو ذلك، وقالوا أيضاً إن صاحب الكبيرة ممن يوافقهم كافر كفر نعمة وليس كفر دين[2]. وأهم فرقهم - الخوارج - في هذه الأزمان الإباضية الذين ينتشرون في إحدى الدول الخليجية وبعض الدول المغربية.

(ب) **مفهوم الولاء والبراء** عندهم مع ذكر بعض شبههم والرد عليها:

لقد تبين لنا من خلال ما نقلناه من تعريف الخوارج عن بعض أئمة الإسلام كأحمد والملطي والشهرستاني وغيرهم مفهوم الولاء والبراء عند القوم القائم على موالاة من ينتحل نحلتهم ويعتقد عقائدهم في تكفير عدد من خيار الصحابة وفي مقدمتهم عثمان وعلي رضي الله عنهما وعلى تكفير كل من كفروه هم من غير الصحابة وعلى تكفير مرتكب الكبيرة... الخ وعلى المعاداة والبراءة ممن لم يعتقد اعتقادهم هذا واستباحة دمه وماله وقتاله... وقد استدلوا لما ذهبوا إليه ببعض النصوص والشبه والتي هي في الحقيقة رد عليهم من ذلك:

(١) **تردادهم شعار** (لا حكم إلا لله) مستدلين بقول الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] وغيرها من الآيات التي فهموا منها أنه لا يجوز أن يحكم الرجال في أي أمر من أمور الدين وإن من فعل ذلك فقد كفر

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي، ص٥٥، ٥٦، والملل والنحل للشهرستاني، ص١١٥، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٦٧، ١٦٨).

(٢) المرجع السابق.

وعليه فقد كفر وارتد علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه ومن وافقهما على التحكيم.

والرد عليهم: إن علياً رضي الله عنه كان أول من انتبه إلى أن شعارهم هذا وكلمتهم تلك إنما هو شعار مزور ابتدعوه للتوصل إلى أغراض خبيثة وأشياء غير جائزة، فأخبرهم أن ما قالوه (كلمة حق أريد بها باطل)[1]. وقد تساءل الملطي[2] رحمه الله عن ادعائهم وشعارهم هذا، وبين بطلانه بقوله: من أين قلتم لا حكم إلا الله وقد حكّم الله الناس في كتابه في غير موضع إذ قال في جزاء من قتل الصيد إذا كان محرماً ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وقال في ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] وقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فهذه بعض الآيات الكثيرة التي جعل الله فيها في القرآن الكريم أحكاماً كثيرة إلى وجوه الناس للنظر فيما لم ينزل بيانه ـ وهو أقل شأناً من الحكم بين المسلمين للصلح فيما بينهم ـ فكيف يغفلون عن هذه الآيات؟ أو فماذا يقولون في تفسيرها وهي واضحة وضوح الشمس!! (ولكنهم أعمى الله على قلوبهم فلم يروا حقاً إلا ما ذهبوا إليه).

(٢) **استباحتهم دماء المسلمين**: لقد استباح الخوارج دماء كثير من المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم وكفّروهم ونزّلوهم منزلة المرتدين، بدعوى أنهم خارجون عن الملة لكونهم أذنبوا فيما فعلوه بموافقتهم علياً أو معاوية بدل أن يكفروهما ـ وهما كافران في نظرهما ـ لأنهما قد حكّما الرجال في كتاب الله ولم يثوروا عليهما ولم يغيّروا المنكر ـ حسب زعمهم

(١) انظر: فتح الباري (٢/٢٨٤).

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء، ص٥١.

- ويأمروا بالمعروف كما فعلوا فاستحقوا بذلك الكفر[1].

والرد عليهم: في أن قواعدهم التي بنوها في معتقداتهم - ومنها قضية الولاء والبراء - قواعد باطلة هشة لأنّها بنيت على شفا جرف هار وعلى غير هدى الكتاب والسنّة وفهم السلف، بل أساسها الأهواء والبدع والفهم الخاطىء للنصوص الشرعية، حيث فسروها وما يتفق وبدعتهم الضالة، وحيث أخذوا ببعض النصوص وتركوا بعضها الآخر وضربوا بها عرض الحائط، ورفعوا عقائد وأفكاراً ومبادىء لا أصل لها في شريعة الإسلام، بنوا على أساسها الولاء والبراء الخاطىء من تكفير لعدد من الصحابة وللمسلمين واستباحتهم لدمائهم لأنه لا يجوز ولا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث كما وضح ذلك الناصح الأمين ﷺ بقوله: «**لا يحل دم امرىء يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة**»[2] متفق عليه. فكيف يستبيحون دماء المسلمين ويكفِّرونهم وفيهم عدد كبير من الصحابة الكرام الذين شهد الله لهم بالإيمان ورضي عنهم ورضوا عنه، وهم لم يقعوا في هذه المهلكات الثلاث أو إحداها حتى يصدر فيهم هذا الحكم الظالم. فدل على جدلهم العظيم وانحرافهم الكبير عن الحق حيث أطلقوا حكم الكفر والقتل واستباحة الدم على أهل القبلة. نسأل الله العافية.

(٣) تكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما لأنهما حكما بغير ما أنزل الله حسب زعمهم.

أما تكفيرهم لعلي رضي الله عنه فواضح عندهم لكونه حكَّم الحكمين وخلع نفسه عن إمرة المؤمنين لمّا طلب منه وفد معاوية رضي الله عنه عند التحكيم، فتنازل لهم عن ذلك كتابة في المعاهدة إضافة إلى كونه حكّم في دين الله الرجال فكفّروه بهذه الحجج الواهية.

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء، ص٥١.

(٢) البخاري ك الديات (٢٠١/٢) باب ٦ حديث (٦٨٧٨)، ومسلم ك القسامة باب ما يباح به دم المسلم (١٣٠٢/٣ - ١٣٠٣)، حديث (٢٥).

وأما تكفيرهم لعثمان رضي الله عنه فلكونه ولّى رقاب المؤمنين ولاة جور ـ حسب افترائهم ـ فحكموا بغير ما أنزل الله فكفر لذلك(١).

الرد عليهم من عدة أمور:

(أ) إن الله قد جعل الحكم في كثير من الأمور الدينية إلى الأفراد كما جاء ذلك في القرآن الكريم وكما سبق وأشرنا.

(ب) إن الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما مؤمنان ومن أهل الجنة بشهادة رسول الله ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ومن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة فمستحيل أن يرتد حتى يدخل النار ـ كما يزعم هؤلاء ـ لأن في ذلك تكذيب له ﷺ بل وتكذيب لله تعالى، لأنه ﷺ إنما شهد بذلك بناء على وحي من الله، لأنه لا ينطق عن الهوى، وهذه الشهادة وحدها تكفي لبيان ضلال ما ذهب إليه الخوارج وكذلك الرافضة وغيرهم مع الأمور الكثيرة التي سيأتي ذكرها. من ذلك قوله ﷺ في حق عثمان رضي الله عنه (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم)(٢) في قصة شرائه بئر رومة وبشّره بالجنة. كما زوجه ﷺ ابنتيه، فكان يسمى ذا النورين. كما قال ﷺ في حق علي رضي الله عنه: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه**»(٣) في غزوة خيبر، وقد زوجه ﷺ ابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأم السبطين، فيستحيل أن يزوج بناته ممن يكفر ويرتد، لأن الله سيخبره بذلك لو كان ذلك سيحصل.

(جـ) ثم إن النبيّ ﷺ قد أمرنا باتباع سنّة الخلفاء الراشدين وشهد لهم بالرشد والهداية فقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجد**»(٤) وهما رضي الله عنهما منهم بإجماع

---

(١) التنبيه والرد على أهل البدع، ص٥٢.

(٢) رواه الترمذي ك المناقب باب مناقب عثمان (٥/٦٢٦) حديث (٣٧٠١) وأحمد (٥/٦٣).

(٣) رواه البخاري ك فضائل الصحابة باب مناقب علي (٧/٧٠) حديث (٣٧٠٢)، ومسلم ك فضائل الصحابة باب فضائل علي (٤/١٨٧١ ـ ١٨٧٢) حديث (٣٣).

(٤) تقدم تخريجه.

المسلمين. فمن نصدق الصادق المصدوق ﷺ؟! أم من ضلّ عن هدى الله ورسوله واتبع هواه بغير هدى من الله؟!!

(د) ثم إن الأمة أجمعت على إيمانهما ورشادهما وولايتهما وصلاحهما فلا يضرهما أن يأتي من أعمى الله على قلبه واتبع شهوته وما تسول له شياطين الإنس والجن أن يقول فيهما ما قال، وحاشاهما رضي الله عنهما فإن ما قالوه فيهما هم وغيرهم من العظائم والافتراء والكفر هراء وكلام لا يلتفت إليه لأنه مردود شرعاً وعقلاً وعرفاً.

(هـ) ويرحم الله ابن حزم[1] حيث قال في الرد على الخوارج لإنكارهم التحكيم ونفي أن يكون علي رضي الله عنه قد حكّم رجلاً قط في دين الله ـ وحاشاه ـ وإنما حكّم كلام الله تعالى بعد أن اتفقت فئتا المسلمين على الدعوة إلى حكم القرآن، لأن الله قد أمر بالعودة إلى حكم الله ورسوله عند التنازع حيث قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] فلما استحال اجتماع كامل الفريقين، فقد تم اختيار حكمين منهما لكل حكم يمثله أحدهما ويدلي بحججه، فهو رضي الله عنه وكرم وجهه لم يخطىء في قبوله التحكيم لأنه يرجع فيه إلى حكم القرآن وما أوجبه على المؤمنين، فكون هؤلاء المارقة ينكرون التحكيم لكتاب الله عند النزاع ويكفِّرون علياً لذلك يدل على جهلهم المركَّب، وبعدهم عن فهم السنّة والفقه في الدين لكونهم تركوا التفقه والتعلم على أيدي خير الأمة ـ وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان ـ واتبعوا وبايعوا الجهلة من الناس ومن لا صحبة لهم.

(و) ثم إن كلاً من عثمان وعلي رضي الله عنهما قد بويعا للخلافة من قبل

---

(١) ابن حزم: هو الإمام الفقيه المجتهد، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، القرطبي الظاهري عالم الأندلس في عصره، كان جدهم خلف أول من دخل الأندلس، صاحب التصانيف الكثيرة منها المحلى والأحكام والفصل... الخ، وكان مع هذا سليط اللسان على مخالفيه ـ ولد سنة (٣٨٤هـ) وتوفي (٤٥٦هـ) وقيل (٤٥٧هـ) انظر ترجمته: تذكرة الحفاظ (١١٤٦/٣)، والسير (١٨٤/١٨)، والأعلام (٢٥٤/٤).

المسلمين، ولم يظهر منهما شيء قط يوجب نقض بيعتيهما ومحاربتهما ـ كما يريد الخوارج ـ بل على العكس من ذلك فإن النصوص تأمرنا بالاقتداء بهما رضي الله عنهما، فهل يعقل أن نُؤمَر بالاقتداء بالكفار ـ على حسب معتقد الخوارج فيهما؟! ـ حاشا وكلا، إن هذا لمن أظلم الظلم وأشد المحال.

(٤) تكفيرهم لمرتكب الكبيرة بتفسيرهم النصوص على غير المعنى المراد منها والرد عليهم:

لقد خالف الخوارج إجماع الأمة فضلاً عن مخالفتهم نصوص الكتاب والسنّة بتكفيرهم مرتكب الكبيرة والحكم بالخلود له بالنار إذا مات ولم يتب.

وقد استدلوا لما ذهبوا إليه بشبه وبنصوص من الكتاب والسنّة فهموا من ظاهرها التكفير دون أن يفسِّروا النصوص بعضها ببعض. ومما استدلوا به من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥] وقوله أيضاً: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] قالوا فلم يجعل سبحانه منزلة بين الكفر والإيمان، فمن كفر وحبط عمله فهو مشرك. والإيمان رأس الأعمال وأول الفرائض، فمن ترك شيئاً مما أمره الله به، أو فعل شيئاً مما نهاه الله عنه فقد حبط عمله وإيمانه، ومن حبط عمله فهو بلا إيمان، والذي لا إيمان له فهو مشرك كافر، إلى غير ذلك من الآيات التي استدلوا بها. واستدلوا من السنّة بأحاديث منها «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن**... الحديث»[(١)] متفق عليه. ومنها أيضاً قوله ﷺ: «**من غشنا فليس منا، ومن حمل علينا السلاح فليس منا**»[(٢)] ونحوها من الأحاديث[(٣)].

---

(١) البخاري ك المظالم باب النهبة (١١٩/٥، ٢٠٠) حديث (٢٤٧٥)، ومسلم ك الإيمان باب نقصان الإيمان بالمعاصي (٧٦/١) حديث (١٠٠).

(٢) مسلم ك الإيمان باب قول النبيّ ﷺ: من غشنا فليس منا (٩٩/١) حديث (١٠١)، والترمذي ك البيوع باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع (٥٩٧/٣) حديث (١٣١٥).

(٣) انظر: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، لبكير بن سعيد، ص٧٠ ـ ٧٨.

الـرد عليهم:

إنهم بتكفيرهم لأصحاب الكبائر قد خالفوا إجماع أهل السنّة والجماعة الذين اتفقوا على أنه لا يكفر مؤمن بذنب ارتكبه ما لم يستحله، ـ هذا فضلاً ـ عن مخالفتهم لنصوص الكتاب والسنّة التي سمّت مرتكب الكبيرة مؤمناً، ولم تنف عنه صفة الإيمان أو تصفه بالارتداد ـ كما هو مبدأ الخوارج ـ، ذلك لأن القواعد التي أصّلوها وَبَنَوْا عليها مذهبهم ـ ومنها تكفير مرتكب الكبيرة ـ قواعد هشّة تقوم على عدم الفقه في الدين، وعلى مخالفة الكتاب والسنّة وإجماع الأمة، لأنه لم يقم دليل على ما ذهبوا إليه وأصلوه من أن من ترك أمراً أو ارتكب كبيرة فقد حبط عمله مستدلين بالآية الآنفة الذكر ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، لأن الكفر المراد هنا غير الكفر الذي ذهبت إليه الخوارج فقد قال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية أي: (ومن يكفر بالله الذي يجب الإيمان به)، وقال الكلبي[1] أي: (بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله)، وقال مقاتل[2]: أي (بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن...)، وقال غيره ومن يكفر بالإيمان أي يستحل الحرام ويحرم الحلال فقد حبط عمله[3]. وأما استدلالهم بالسنّة كالأحاديث التي ذكرناها فلا تدل أيضاً على كفر من وقع في الكبيرة لأنه قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الزاني والسارق... الخ (ينزع منه نور الإيمان في الزنا) وورد عنه قوله: (لا

---

(١) الكلبي: هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزي الكلبي، أبو النضر الكوفي النسابة المفسر الإخباري، رمي بالكذب والسبئية والكفر، ضعيف في الحديث ولكن بعضهم رضيه بالتفسير توفي سنة (١٤٦هـ) انظر ترجمته: تهذيب التهذيب (١٧٨/٩)، ميزان الاعتدال (٥٥٦/٣)، والأعلام (١٣٣/٦).

(٢) مقاتل: هو مقاتل بن سلميان بن بشر الأزدي بالولاء البلخي أبو الحسن، من أعلام المفسرين، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة ودخل بغداد فحدث بها وتوفي بالبصرة، كان متروك الحديث، قال فيه ابن المبارك رحمه الله: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، توفي سنة (١٥٠هـ) انظر ترجمته: ميزان الاعتدال (١١٣/٤)، تهذيب التهذيب (٢٧٩/١٠)، والأعلام (٢٨١/٧).

(٣) تفسير البغوي (١٤/٢).

يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فإذا زال رجع إليه الإيمان)[1]، ذلك لأن نفي الإيمان إنما وقع على الزاني والسارق... الخ في حالة ارتكابه لهذه الفواحش فهذا قيد لا بدّ أن يتنبه إليه ومقتضاه أنه لا يستمر هذا النفي بعد فراغه منه. وهذا هو الظاهر[2]. ومن جهة ثانية فإن أهل السنّة مجمعون على أن من وقع في كبيرة من الكبائر فحكمه أنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى اسم الإيمان المطلق (أي الكامل) ولا يسلب عنه مطلق الإيمان[3]. ومن جهة أخرى فإن الكفر الذي أطلقته بعض النصوص على مرتكب الكبيرة إنما هو كفر دون كفر، بمعنى أنه لا يُخْرِج من الملة، بدليل الكتاب والسنّة. أما الكتاب فإن الله عزّ وجلّ جعل مرتكب الكبيرة من المؤمنين قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] فلم يُخْرِج القاتلَ من المؤمنين بل على العكس جعله أخاً لولي القصاص والمراد بها أخوة الدين لا ريب قال سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] فسماهم سبحانه مؤمنين رغم أن قتالهم فيما بينهم من الكبائر ولم يسمهم مرتدين كما أطلق عليهم الخوارج.

أما من السنّة فقد تواترت النصوص عن رسول الله ﷺ على خروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وأنه لا يخلد في النار، وأن شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته. ثم إنه لو كان أصحاب الكبائر مرتدين لقتلهم رسول الله ﷺ كمن زنى وسرق... الخ في حياته بعد أن أقام عليهم الحدّ، لأنه أمر بقتل من غيّر دينه فقال: «**من غير دينه فاقتلوه**»[4] رواه البخاري، وهو القدوة لأمته لكنه ﷺ لم يفعل هذا فدل على بطلان اعتقادهم، بل على العكس من ذلك فقد وجدناه ﷺ يثبت للمعاصي

---

(١) فتح الباري (٥٩/١٢).
(٢) المرجع السابق.
(٣) راجع فتاوى شيخ الإسلام (١٥١/٣ ـ ١٥٢).
(٤) رواه البخاري ك الجهاد باب لا يعذب بعذاب الله (١٤٩/٦) حديث (٣٠١٧).

مرتكب الكبيرة حسنات يوم القيامة، ولو كان مرتداً ـ كما يرى الخوارج ـ لحبطت حسناته كما هو معلوم، من ذلك قوله ﷺ: «**من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه بقدر مظلمته فطرحت عليه ثم ألقي في النار**»[(١)]، فثبت أن للظالم حسنات يستوفي المظلوم منها حقه، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السنّة والجماعة، فقول الخوارج: إن الإيمان إذا ذهب بعضه بارتكاب الكبيرة أو ترك الواجب ـ ذهب كله ـ وتكفيرهم للمؤمن بذلك قول باطل وظن فاسد لمخالفته ـ كما رأينا بالكتاب والسنّة ـ، لأن السنّة قد أثبتت أن الإيمان يبقى بعضه وإن ذهب بعضه كقوله ﷺ: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[(٢)] متفق عليه[(٣)]. وحديث البطاقة المشهور ونصه «**أن الله سيخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مُدَّ البَصَر، ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً؟! أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: أَلَكَ عُذرٌ أو حسنة؟! فَيُبْهَتُ الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتُخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول أحضروه، فيقول: يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: إنك لا تُظْلَم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة. قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء**»[(٤)] وهو حديث صحيح كما قال الألباني في

---

(١) رواه البخاري كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل، (١٠١/٥) حديث (٢٤٤٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (١٠٣/١) حديث (٤٤). ومسلم ك الإيمان باب خروج عصاة المؤمنين من النار (١٧٧/١ ـ ١٧٨) بنحوه حديث (٣١٦).

(٣) راجع: شرح الطحاوية، ص٣٠١.

(٤) رواه الترمذي ك الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد إن لا إله إلا الله (٢٤/٥ ـ ٢٥) حديث (٢٦٣٩)، وأحمد (٢١٣/٢)، وصححه الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية، ص٣٠١.

تعليقه عليه. وغير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على أن الإيمان يزيد وينقص ويضعف ويقوى، والدالة أيضاً على عدم كفر مرتكب الكبيرة. وأخيراً نقول: هذه الأمور مما خالفت فيها الخوارج أهل السنّة والجماعة فضلوا عن سواء السبيل، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وقد ذكرتها ههنا ليعلم أن أهل السنّة يتبرأون منهم لعقائدهم هذه الفاسدة الضالة ولبعدهم عن المنهج القويم، والخير كله في اتباع منهج السلف.

المبحث السادس

عقيدة الرافضة
في الولاءة والبراء والرد عليهم

لقد كان هؤلاء القوم ـ الرافضة ـ أشد وأخطر الفرق على الإسلام والمسلمين على الإطلاق، حيث إنهم قد بلغوا في ضلالهم وانحرافهم مبلغاً عظيماً لم يسبقهم إليه غيرهم، بل إنه لم يُبتلى المسلمون على مرّ التاريخ بقوم يدّعون الانتساب إليه كانوا أشد خطراً عليهم من أعدائهم وحرباً على الإسلام من هؤلاء، كيف لا وهم أفراخ اليهود وأحفادهم الذين لبسوا ثوب الإسلام وأبطنوا الكفر والكيد لهذا الدين، فكفّروا أصحاب رسول الله ﷺ إلا نذراً يسيراً، وسبّوهم واتهموهم بالعظائم، وادّعوا التحريف في كتاب الله عزّ وجلّ، وأنكروا أكثر سنّة رسول الله ﷺ، واستحلوا الكذب ـ باسم التَقِيّة ـ والزنا ـ باسم نكاح المتعة ـ وأدخلوا في دين الله من العقائد الضالة والخرافات السخيفة ما لا يعلمه إلا الله مما لا صلة له بالإسلام البتة.

(أ) **تعريفهم**: لقد تكلم علماء الإسلام عن هؤلاء الفجرة وفضحوهم وبيّنوا عقائدهم وضلالاتهم في القديم والحديث، فقد قال فيهم إمام أهل السنّة والجماعة أحمد بن حنبل رضي الله عنه (الرافضة: هم الذين يتبرؤون

من أصحاب رسول الله ﷺ ويسبونهم ويكفرونهم إلا علياً وعمار والمقداد[1] وسلمان)[2].

وعرفهم الإمام الشهرستاني[3] رحمه الله بقوله: (الشيعة هم الذين بايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته ووصيته إما جلياً، وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تُناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ويجمعهم القول بوجوب التعيين، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً من الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك)[4].

(ب) سبب تسميتهم بهذا الاسم (الرافضة): وأما سبب تسميتهم بالرافضة فذلك راجع لرفضهم مناصرة أئمتهم ومتابعتهم لهم، وغدرهم بهم، وعدم وفائهم لهم، كما وصفهم الخليفة الراشد علي رضي الله عنه وكما هو موجود في الكافي، حيث قال فيهم: (لو ميّزت شيعتي لما وجدتهم إلا واصفة، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص

---

(١) راجع: السنّة للإمام أحمد، ص٨٢.

(٢) قلت: والسبب في عدم تكفيرهم إياهم راجع لكون الشيعة يدّعون زوراً أن هؤلاء الثلاثة عمار والمقداد وسلمان رضي الله عنهم قد عرفوا الحق من أن علياً أولى بالخلافة من الخلفاء الثلاثة، وأنهم ـ أي الثلاثة المذكورين ـ والوا أهل البيت ودعوا الناس إلى ذلك، وتبرؤوا من الظلم المسلط من الخلفاء الثلاثة على أهل البيت. راجع بعض مفترياتهم على هؤلاء رضي الله عنهم في الاحتجاج للطبرسي (١/١٣٠ ـ ١٣٢ و١٥٥ و١٥٧ ـ ١٥٨).

(٣) الشهرستاني: هو الأفضل محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح، شيخ أهل الكلام والحكمة وصاحب التصانيف، ولد سنة (٤٦٧هـ)، وتوفي سنة (٥٤٨هـ) انظر ترجمته: السير (٢٠/٢٨٦)، وتذكرة الحفاظ (٤/١٣١٣)، والنجوم الزاهرة (٥/٣٠٥).

(٤) الملل والنحل (١٤٦ ـ ١٤٧).

من الألف واحد)[1] وكما قال علي[2] ابن الحسين الملقب بزين العابدين (إنه لم يبق أحد من شيعة الحسين إلا ارتدّ تخاذلاً وجبناً ورفضاً لنصرتهم إياه، اللّهم إلا الخمسة أبو خالد الكابلي، ويحيى ابن أم الطويل، وجبير بن مطيع، وجابر بن عبدالله، وشبكة التي كانت زوجة الحسين)[3]، ورفضهم مناصرتهم لأئمتهم وخذلانهم إياهم وتركهم إياهم ـ وحدهم ـ في المعارك والحروب التي أشعلوها هم أكثر من أن تُذْكَر كما يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير[4] يرحمه الله. ويتفق علماء السنّة على أنهم سموا بهذا الاسم (الرافضة) لرفضهم إمامهم زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه وعن الجميع لما تولى الشيخين أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فإنهم لما سمعوا منه الاعتذار عن تقديمهما على علي رضي الله عنه ومدحه لهما عرفوا أنه لا يتبرأ منهما فرفضوه وتَخلَّوا عنه وعادَوْه فسموا من ذلك الحين بالرافضة[5]. ولكن الشهرستاني رحمه الله نبّه إلى أن أكثر الزيدية قد مالت بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول مع وجود الفاضل ـ وكما هو مذهب إمامهم زيد ـ وطعنت في الصحابة طعن الإمامية[6]. وهنا تنبغي الإشارة إلى أنه إذا أطلق اسم الرافضة فالمراد بهم الإمامية أو الاثني عشرية أو الجعفرية، ـ وكل هذه الألقاب لا ينكرها القوم ـ وهذه الفرقة هم أشد فرق الشيعة ضلالاً وانحرافاً وطعناً في صحابة رسول الله ﷺ وخاصة

(١) كتاب الروضة من الكافي (٣٣٨/٨).

(٢) زين العابدين: هو علي بن الحسين الملقب بزيد العابدين بن الحسن ابن الإمام علي بن أبي طالب، السيد الإمام الهاشمي العلوي المدني، ولد سنة (١٣٠هـ) ظناً، وتوفي سنة (١٩٤هـ). انظر ترجمته: الحلية (١٣٣/٣)، والسير (٣٨٦/٤)، وتذكر الحفاظ (٧٤/١).

(٣) مجالس المؤمنين للشوستري، ص١٤٤، ط/طهران نقلاً عن الشيعة والتشيع، ص٢٧٠.

(٤) في الشيعة والتشيع، ص٢٧٠.

(٥) انظر: الملل والنحل، ص١٥٥، ومقالات الإسلاميين (٨٩/١) واعتقاد فرق المسلمين والمشركين، ص٥٢.

(٦) الملل والنحل، ص١٥٧.

الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم: وهم لا ينكرون اسم الرافضة بل يفتخرون به ويدّعون كذباً وزوراً أن الله تعالى قد سماهم بذلك ويروون عن بعض أئمتهم - المعصومين حسب زعمهم - أحاديث مكذوبة في هذا المعنى فقد روى الكليني[1] في الكافي (عن محمد بن سليمان عن أبيه أنه قال: قلت: لأبي عبدالله جعفر الصادق - وهو الإمام السادس المعصوم عندهم - جعلت فداك فإنا قد نبذنا نبذاً أثقل ظهورنا، وماتت له أفئدتنا، واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم فقال أبو عبدالله عليه السلام: الرافضة؟ قلت: نعم. قال: لا والله ما هم سموكم ولكن الله سماكم به)[2]. فهذا اعتراف منهم بهذا الاسم لا حجة لهم في إنكاره كما قد ينكره بعضهم تقيه وكذباً.

(جـ) مفهوم الولاء والبراء عند الرافضة: إن للشيعة الرافضة مفهوماً واعتقاداً في الولاء والبراء يناقض كل التناقض دين الإسلام، لأنه يقوم على العداوة لمن أعزّ الله بهم الإسلام واصطفاهم لحمل رايته ومحبة نبيّه ﷺ، ألا وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم بدءً بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومن سار على نهجهم من أهل السنّة والجماعة.

وعقيدتهم في ذلك أنهم يقولون: (لا ولاء إلا ببراء)، أي لا يتولى المرء أهل البيت ولا يصير شيعياً حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومن الصحابة[3].

وهذه بعض النصوص من كتبهم، سأعرضها - باختصار - لئلا يظن أحد أننا نفتري عليهم، ومن أراد المزيد فما عليه إلا الاطلاع على عقائد

---

(١) الكليني: هو شيخ الشيعة وعالم الإمامية، صاحب التصانيف، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي الكليني، وهو من أخبث وأخطر علماء الرافضة، له كتاب (الكافي) الذي هو عند الإمامية بمنزلة (صحيح البخاري) عند المسلمين وفيه من المعتقدات الباطلة والافتراءات على الأئمة ما لا يقول به مسلم، توفي سنة (٣٢٨هـ) انظر ترجمته: السير (١٥/٢٨٠)، والوافي بالوفيات (٥/٢٢٦)، ولسان الميزان (٥/٤٣٣).

(٢) كتاب الروضة من الكافي (٥/٣٤).

(٣) انظر شرح الطحاوية، ص٤٧٢.

القوم، ليعرف عن كثب عداوتهم للإسلام وتسترهم به للكيد له ولأهله.

فلقد بين أحد طواغيتهم وعلمائهم في القرن الثاني عشر ألا وهو الشيخ حسين بن الشيخ محمد البحراني الدرازي[1] - عليه من الله ما يستحق - مفهوم الولاء والبراء عند الرافضة بما مختصره: أن على المؤمن محبة وموالاة أهل البيت بدءً بأمير المؤمنين وخليفته ووصيه ووليّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم الأئمة المعصومين من بعده الحسن والحسين وعلي بن الحسين... الخ الأئمة الاثني عشر، واعتقاد أنهم قد نصّ عليهم الكتاب والسنّة وشهد لهم بالإمامة والوصية، وأن الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه، وأئمة الهدى وأنهم الحجة على أهل الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن كل من خالفهم ضال مضل، تارك للحق والهدى، ولأنهم المعبّرون عما في القرآن والناطقون عن الرسل بالبيان... كذلك يجب الإقرار بالولاية لأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده والذين مضوا على منهاج نبيّهم ﷺ وهم حوارى عليّ عليه السلام الذين لم يغيروا سنّة ولم يبدلوا فريضة، مثل سلمان الفارسي ومثل أبي ذرّ الغفاري، وكذلك المقداد وعمار بن ياسر... كما يجب البراءة من الذين ظلموا آل البيت حقوقهم وهم الكفار بالتأويل وإن كانوا مسلمين بالتنزيل، وهمّوا بإخراجهم وسنّوا ظلمهم، وغيّروا سنّة نبيّهم ﷺ، كالمتلصصة الثلاثة[2] ومن أعانهم على تلك البدعة والحداثة، والبراءة من الناكثين وهم أهل الجمل ومن تبعهم والقاسطين، وهم أصحاب معاوية... فإن البراءة من هؤلاء واجبة كوجوب الإقرار بإمامة الأئمة الاثني عشر، وذلك لأن الولاية بدون البراءة من هؤلاء مما ليس له في الإيمان خبر ولا أثر، وكذلك البراءة من أشياعهم الذين حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وقتلوا الأنصار والمهاجرين وأهل الفضل والصلاح والسابقين، وكذلك يجب البراءة من أهل

---

(١) هو حسين بن محمد بن أحمد بن المنصور الدرازي الشاطوري البحراني، فقيه إمامي باحث من أهل البحرين توفي سنة (١٢١٦هـ) (١٨٠٢م) انظر ترجمته الأعلام (٢/٢٥٧).

(٢) يقصد بذلك الخلفاء الراشدين الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

الاستبشار ومن أبي موسى الأشعري وأهل ولايته ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[1] [الكهف: ١٠٤، ١٠٥] ا.هـ.

لقد عبر هذا الرافضي الخبيث فيما نقلنا عنه عن عقيدة القوم في الولاء والبراء والتي تقوم على الولاية الكاذبة لعلي رضي الله عنه والأئمة الاثني عشر المزعومين من بعده، والبراءة من الصحابة وخاصة الخلفاء الثلاثة ـ الذين سماهم المتلصصة الثلاثة ـ رضي الله عن الجميع، لأنهم حسب زعمهم قد ظلموا علياً فارتدوا على أعقابهم، لعدم مبايعتهم إياه بالإمامة بعد النبيّ ﷺ إلا ثلاثة المقداد وسلمان وأبو ذرّ[2].

والإمامة عندهم ـ كما هو معلوم ـ أهم أركان الدين، بل ما نودي في شيء كما نودي ودعي إليها كما جاء في كافيهم[3].

وبما أن أهل السنّة والجماعة تابعوا الصحابة رضي الله عنهم في توليتهم الصديق ثم الفاروق ثم عثمان ثم عليّاً رضي الله عنهم ووآلهم وكذا جميع الصحابة على ذلك. وعلى أن عليّاً ليس الأحق من الثلاثة بعد النبيّ ﷺ.

بما أنهم فعلوا ذلك واعتقدوه فقد خرجوا من الدين وارتدوا كما تزعم الرافضة قبحهم الله.

(د) الرد عليهم:

والرد على هؤلاء من عدة أوجه:

الأول: إن هؤلاء القوم لا يريدون بهذا المفهوم والاعتقاد للولاء والبراء وجه الله بل يريدون التستر بحب آل البيت وعليّ والأئمة المزعومين من بعده، للكيد للإسلام ولأهله، لأنهم لم يجدوا حيلة للطعن بالصحابة غير هذه الطريقة.

---

(١) الأنوار الوضية في العقائد الرضوية، ص٣٧ ـ ٧٥.
(٢) راجع: كتاب الروضة من الكافي (٨/٢٤٥)، ورجال الكشي، ص١٢ ـ ١٣.
(٣) الكافي في الأصول باب دعائم الإسلام (١٨/٢).

الثاني: إن حبهم وموالاتهم لعليّ رضي الله عنه ظاهرة الكذب والدجل لأنه رضي الله عنه عرف حيلهم وكيدهم للإسلام بقيادة زعيم اليهودية اللعين عبدالله بن سبأ فقتل عدداً منهم وحرّق آخرين، وهمّ بقتل ابن سبأ لكن أصحابه أشاروا عليه بعدم قتله لمّا أظهر ما أظهر من العقائد الباطلة في دين الله ودعا إليها بين الناس، وطعن عليّ رضي الله عنه بالشيعة السبئية ووصفه لهم بالأوصاف الشنيعة أكثر من أن تحصى[(١)].

الثالث: أن عليّاً رضي الله عنه الإمام المعصوم الأول عندهم لم يكفر الصحابة رضي الله عنهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة، بل على العكس من ذلك، فإنه يمدحهم ويثني عليهم ويترحم عليهم بقوله كما جاء في أهم الكتب المعتمدة عندهم وهو نهج البلاغة (لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الحجر من ذكر معادهم، وكأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء للثواب)[(٢)]. ويمدح رضي الله عنه المهاجرين في جوابه لمعاوية رضي الله عنهما فيقول: (فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم)[(٣)].

ويقول رضي الله عنه أيضاً: (وفي المهاجرين خير كثير تعرفه، جزاهم الله خير الجزاء)[(٤)]. كما مدح الأنصار بقوله: (هم والله ربّوا الإسلام كما يربي الفلو مع غنائمهم، بأيديهم السباط وألسنتهم السلاط)[(٥)].

---

(١) راجع: كتاب الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير فقد كفّى ووفّى هذا الموضوع حقه مستدلاً على ذلك بكتبهم وبكلام علي رضي الله عنه.

(٢) نهج البلاغة، ص١٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص٣٨٣.

(٤) المرجع السابق، ص٥٥٧.

(٥) المرجع السابق.

بل ويوصي أصحابه رضي الله عنهم بأصحاب رسول الله خيراً، وينهي عن سبهم كما يروي أحد طواغيتهم - وهو المجلسي - وهو أحد أعمدتهم عن الطوسي - أحد مجرميهم - عن عليّ رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: (أوصيكم في أصحاب رسول الله ﷺ، لا تسبوهم فإنهم أصحاب نبيّكم وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئاً، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم أوصاني رسول الله ﷺ في هؤلاء)[1]. بل إنه رضي الله عنه يخطب على المنبر، ويقول: (خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر)[2].

والنصوص عنه رضي الله عنه كثيرة جداً، يذكرها الرافضة في مصادرهم المعتمدة، فهل هم صادقون بموالاتهم ومحبتهم لعليّ رضي الله عنه إذا كانوا يكفرون إخوانه وأحبابه ولا يعملون بوصيته التي ينهاهم بها عن سبهم فضلاً عن تكفيرهم؟! ولقد قال الشاعر:

إن المحب لمن يحب مطيع

لكن دجلهم ظاهر وكرههم للإسلام وأهله بيّن.

الرابع: لقد بشر الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز الصحابة المهاجرين والأنصار بالجنة، وأثنى عليهم الثناء الجميل ورضي عنهم وأرضاهم، ووصفهم بأكمل الصفات وأحبها وشهد لهم بحقيقة الإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٤] وسماهم سبحانه الراشدين، وأخبر أنهم حبّب إليهم الإيمان وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]. فهل يعقل أن يُكرّه إليهم الكفر ثم يكفرون بعد هذا الإخبار من الله كما يدّعي الرافضة؟!.

---

(١) حياة القلوب للمجلسي (٦٢١/٢) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير، ص٣٨.

(٢) الاحتجاج للطبرسي، ص٥٢، وانظر أيضاً السنة لابن أبي عاصم (٥٧٠/٢ ـ ٥٧١).

وأخبر تعالى أنهم هم الفائزون قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ٢٠] وبشرهم بالرحمة والجنة بقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١]. كما وصفهم تعالى بأنهم الصادقون قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

كما أخبر جلّ في علاه عنهم بأنه يحبهم ويحبونه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ [المائدة: ٥٤] الآية.

كما أخبر أصدق القائلين بأنه قد رضي عنهم ورضوا عنه، وأنه تاب عليهم ورحمهم وأعدّ لهم الجنة قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

وقد أثنى جلّ في علاه عليهم الثناء العطر، وبيّن صفاتهم الكريمة موضحاً أنهم يغيظون الكفار بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة والأحاديث المستفيضة بالشهادة لهم بالإيمان. فهل يعقل أن يكون هؤلاء القوم كفاراً قد ارتدوا وكفروا؟! معاذ الله، سبحانك هذا بهتان عظيم.

إن وصف الكفر أجدر بهؤلاء الرافضة الذين يكفِّرون أولئك الأخيار، لأن الله عزّ وجلّ قد أخبر أن الصحابة يغيظون الكفار ومعروف إغاظة الرافضة منهم، ولذلك استنبط الإمام مالك رحمه الله من الآية السالفة الذكر القول بتكفير الرافضة قاتلهم الله، لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك[١].

هذه بعض الآيات التي تنص على إيمان الصحابة والشهادة لهم بالجنة والثناء العطر عليهم، وفيها الدليل القاطع على إيمانهم رضي الله عنهم. وكفى بها دليلاً على بطلان معتقد الرافضة فيهم، لأنه هل يُعقل أو يُتصور أن يكون معتقد هؤلاء فيهم وتكفيرهم إياهم أولى من الشهادة الزكية ـ من أصدق القائلين ـ لهم؟! كلا وربي. فهل نصدق القوم الكذبة الحاقدين ـ أفراخ اليهود ـ في تكفيرهم لهؤلاء الأبرار، أم نصدق قول ربنا وبشارته لهم بالجنة؟!.

إن العقل والشرع والعرف يقررون أن معتقد هؤلاء الرافضة في الصحابة ومن سار على نهجهم بإحسان من أهل السنة. باطل بل وكفر يخرج صاحبه من الملة، فوضح بحمد الله بطلان معتقدهم في الولاء والبراء. فينبغي على المسلمين أن يتبرأوا من هؤلاء الأخباث وأن يعادهم، لأنهم أخطر عليهم من اليهود والنصارى، وقد كانوا كذلك على مرّ التاريخ، فإن تاريخهم حافل بالمكر والخديعة والكيد للإسلام والمسلمين، لأنهم يستجيزون التعاون مع اليهود والنصارى، بل حتى مع الشيوعيين والوثنيين لمحاربة أهل السنّة والجماعة في كل مكان.

وقد قيض الله ـ وله الحمد ـ علماء أفاضل في القديم والحديث لفضح عقائدهم، وبيان زيفها ومؤامراتهم الخبيثة أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ والمقدسي، ومحب الدين الخطيب وإحسان إلهي ظهير رحمه الله الذي استشهد من أجل نشر عقائد السنّة وفضح عقائد الضالين

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٠٥/٤).

من الرافضة وغيرهم إلى غير ذلك من العلماء الكثيرين جزاهم الله خيراً ورحمهم جميعاً.

وفي ختام هذا المبحث نذكر معتقد أهل السنّة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم كما يبين ذلك صاحب العقيدة الطحاوية[1] رحمه الله حيث يقول: (ونحن أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرِّط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[2]. ذلك لأن محبتهم من محبة الله ورسوله، فهم أحباب الله ورسوله ـ رغم أنوف أعدائهم ـ ونحن نتقرب إلى الله بحبهم وببغض من يبغضهم. ونحمد الله تعالى أن هدانا للصراط المستقيم، ونسأله أن يثبّتنا عليه وأن يتوفّنا عليه إنه سميع مجيب.

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ابن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، (وطحا) من قرى مصر، كان ثقة ثبتاً فقيهاً عظيم الشأن. ولد سنة (٢٣٧هـ). انظر ترجمته: تذكرة الحفاظ (٨٠٨/٣)، وشذرات الذهب (٢٨٨/٢).

(٢) شرح الطحاوية، ص٤٦٨.

المبحـث السابـع
من مقتضيات الولاء والبراء

أرى من اللازم عليّ بعد توضيحي لمعنى الولاء والبراء وبيان منزلته العالية من العقيدة، لكونه من لوازم كلمة التوحيد، ومن مستلزمات محبة الله ورسوله ﷺ أن أنبه لأهم مقتضياته، بعد أن وضح مفهومه الصحيح عند أهل السنّة والجماعة، وبطل ما ذهب إليه المبتدعة الضالون من الخوارج والرافضة من مفاهيم ضالة وخطيرة لهذا الموضوع. وأوجز تلك المقتضيات فيما يلي:

(١) حق المسلم على أخيه المسلم.

(٢) الجهاد في سبيل الله.

(٣) هجر أصحاب البدع والأهواء.

(٤) حرمة التشبه بالكفار.

وسأتكلم عن كل مسألة على حدة باختصار خشية الإطالة. فأقول:

(أ) **حق المسلم على المسلم**: إن من أهم المبادىء الاجتماعية العظيمة التي جاء بها الإسلام رابطة الأخوة في الله. وقد جاء بها هذا الدين الحنيف ليربط ـ بأهم رابط ـ أفراد المجتمع الإسلامي ويقيم صلاته على العقيدة والمودة والأخوة والتراحم. وقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بهذه النعمة وتلكم الرابط القوي في محكم كتابه قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالأخوة الإسلامية نعمة ربانية، ورباط إيماني يشد أفراد المجتمع المسلم، ويعمق فيه معاني البرّ والصلة والتراحم، وهي واحدة من مقتضيات الإيمان والانقياد لأمره، ووسيلة من أهم الوسائل النافعة في بناء المجتمع المثالي المتراص البناء لذلك كانت المحبة في الله هي الوشيجة العظمى التي التقى عليها المسلمون، والمورد العذب الذي ينهلون جميعاً منه، وكان من لم يقم صلاته بالناس في الحب والبغض والولاء على أساس من الدين والإيمان والطاعة لله كان ممن لم يكمل إيمانه بعد، ويخشى عليه الفتنة في الدين، وكان ممن لم يتذوق حلاوة الإيمان، لأنها إنما تنال بذلك كما قال ﷺ: **«ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»**(١)(٢).

وهذه الأخوة لها حقوق ومتطلبات لا بدّ من أن تتوفر فيها حتى تكون أخوة صحيحة. وبما أن حقوق المسلم على أخيه كثيرة جداً فاضت بها النصوص الشرعية - ولا مجال لذكرها الآن في هذه العجالة -، فإنني سأقتصر على أهم الحقوق مما له تعلق بموضوعنا. ومن هذه الحقوق:

(١) **المودة**: وهذه خاصة بالمؤمنين بعضهم لبعض فليس للكافر أو الفاجر أو المبتدع فيها حق أو نصيب. ومن هذه المودة حب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، بل إنه لا يكتمل إيمانه حتى يكون كذلك. قال النبيّ ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**(٣) فإذا احتاج المسلم شيئاً من مال أو علم أو غير ذلك، وجب على أخيه القادر على ذلك مساعدته وفاء بحق الأخوة تجاهه وطمعاً في مرضاة ربه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) راجع: الأخوة الإسلامية وآثارها جمع عبدالله الجار الله (١٠١ - ١٠٢)، والولاء والبراء، ص٢٦٠.

(٣) البخاري ك الإيمان باب خصال الإيمان (٥٧/١) حديث (١٣)، ومسلم ك الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير (٦٧/١) حديث (٧١).

(٢) **النصرة والتأييد**: لأن المؤمن قوي بإخوانه، وإذا كان أهل الباطل يتعاونون على باطلهم فإن أهل الحق أجدر بذلك، وقد أمرنا الله بذلك حيث قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] وإهمال مبدأ النصرة والتعاون بين المسلمين في تأييد الحق ونصرته، ومحاربة الباطل أمر خطير للغاية، إذ من شأنه أن يفتح باباً للشر في الدين، فيذهب قوة المسلمين ويظهر أهل الشر عليهم - لا سمح الله -، فعلى المسلم أن ينصر أخاه المسلم بماله ونفسه، وعليه أن يذب عن عرضه أياً كانت أرضه ومن أي جنس كان، وكذلك عليه نصره بالدعاء له بظهر الغيب بالنصر والتوفيق، وتتبع أخباره والاهتمام بها ومساعدته قدر الإمكان وقد امتدح الله الأنصار في نصرتهم لإخوانهم المهاجرين قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٧٤] ومن الأوامر الشرعية بالنصرة قوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قال انصره مظلوماً فكيف إذا كان ظالماً قال: تحجزه عن الظلم فذلك نصرك إياه**»[(١)]. وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله عزّ وجلّ في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»[(٢)]. والمؤمنون عندما يتناصرون ويتحابون ويتراحمون يصبحون جسداً واحداً كالبنيان المرصوص، يوضح ذلك قوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه**»[(٣)] والنصوص في هذا المعنى كثيرة جداً.

(٣) **أن يعيش المسلم** مع أخيه بمشاعره وأحاسيسه، فيفرح لفرحه ويسعد بما يسعده، ويحزن لحزنه ويواسيه ويفرج عنه ويقف إلى جانبه في

---

(١) متفق عليه. البخاري ك المظالم (٩٨/٥) حديث (٢٤٤٣)، ومسلم ك البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (١٩٩٨/٤) حديث (٦٢) بنحوه.

(٢) متفق عليه البخاري ك المظالم (٩٧/٥) حديث (٢٤٤٢) ومسلم ك البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم وخذله (١٩٨٦/٤) حديث (٦٢) بنحوه.

(٣) البخاري ك الأدب (٤٥٠/١٠) حديث (٦٠٢٦)، ومسلم ك البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم (١٩٩٩/٤) حديث (٦٥).

ساعات العسرة والشدائد، قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(١) متفق عليه.

(٤) **احترام المسلم وحفظ حقوقه، وإكرامه وإظهار** محبته والذود عن عرضه، والدعاء له في الحياة وبعد الممات. وقد أثنى الله على المؤمنين الذين عملوا بهذه الحقوق وفي ترضِّيهم عن إخوانهم المؤمنين والدعاء لهم وحفظ حقهم والاعتراف لهم بفضلهم في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وقد علّم النبيّ ﷺ أصحابه أن يقولوا في كل صلاة: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**» وقال في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب**»(٢) متفق عليه. هذا وفي سيرة المصطفى ﷺ وسلفنا الصالح رحمهم الله خير شاهد على أهمية الأخوة الإسلامية وعظم حقوقها، وقد ضربت لنا المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والتي كانت من أول الأعمال التي قام بها النبيّ ﷺ بعد هجرته إلى المدينة أروع الصور والأمثلة في الإيثار والمحبة والتعاون بين المسلمين، وستبقى مدى الدهر نبراساً لمن وفقه الله إلى الفلاح إذ لا عزة ولا فلاح إلا بالتمسك بما كان عليه سلفنا الصالح رحمهم الله، الذين تمسكوا بكتاب ربهم وهدى نبيّهم ﷺ فكتب الله لهم النصر والفوز في الدارين، فنسأل الله أن يوفقنا لنخطو خطوهم ونسير على نهجهم إنه سميع مجيب.

(ب) **الجهاد في سبيل الله**: إن الجهاد في سبيل الله من أهم مقتضيات

---

(١) البخاري ك الأدب (١٠/٤٣٨) حديث (٦٠١١)، ومسلم ك البر والصلة باب تراحم المؤمنين (٤/١٩٩٩) حديث (٦٦).

(٢) البخاري ك العلم (١/١٩٩) حديث (١٠٥)، ومسلم ك الحج باب حجة النبيّ (٢/٨٨٩) حديث (١٤٧).

الولاء والبراء لأنه الفاصل بين الحق والباطل وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان[1].

والجهاد بكسر الجيم، المشقة يقال: جهدت جهاداً بلغت المشقة يقال: جاهد العدو مجاهدة وجهاداً أي: قاتله[2].

وشرعاً: بذل الجهاد في قتال الكفار[3]. وعرّفه شيخ الإسلام بقوله: (الجهاد هو بذل الوسع في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان)[4]. وهذا هو التعريف الجامع المانع وقيل: قتال من ليس لهم ذمة من الكفار[5].

والجهاد في سبيل الله هو السبيل الصادق والصورة الحقيقية للولاء والبراء، حيث يفتدي المؤمن أغلى ما يملك ـ وهو نفسه وروحه وماله ـ في سبيل الدفاع عن دينه وإخوانه ومعاداة ومبارزة أعدائه حتى يتوبوا ويسلموا أو يستذلوا ويقتلوا، ولذلك (فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية لله سبحانه وتعالى، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله. ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة فيه سبحانه والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه وبذل النفس له في محاربة عدوه وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله على محاب النفس)[6].

وقد وردت في ثواب المجاهدين وما أعده الله للشهداء في سبيله ـ نصوص كثيرة جداً ـ سنفصل فيها الكلام إن شاء الله في الفصل اللاحق

---

(١) الولاء والبراء، ص٢٨٩.
(٢) المعجم الوسيط (١٤٢/١١).
(٣) فتح الباري (٣/٦)، وسبل السلام (١٣٣٠/٣).
(٤) العبودية لشيخ الإسلام، ص١٠٦.
(٥) المعجم الوسط (١٤٢/١).
(٦) مدارج السالكين (٢٠٥/١).

عند كلامنا عن الجهاد في سبيل الله وأنواعه وأنه من لوازم محبة الله ورسوله ﷺ. وخشية تكرار الكلام في ذلك فإننا نختصر ها هنا الحديث عنه فليراجع في مكانه.

(جـ) هجر أصحاب البدع والأهواء: سبق وأن تكلمت في المبحث الثاني من الفصل الثالث السابق عن موقف الشرع الحنيف من البدع وأهلها مستشهداً لذلك بعدد من الأقوال لبعض السلف الصالح رحمهم الله في ذلك. أما الحديث هنا فيأتي لبيان أن هجر أهل البدع والأهواء والإنكار عليهم وعدم مخالطتهم والبراءة من معتقداتهم الفاسدة من أوجب واجبات الولاء والبراء ومقتضى من أهم مقتضياته، لأن الأساس والقاعدة في هذه القضية هو حب الله وحب ما يحبه، وبغض من يبغضه أو يرتكب ما يبغضه كما جاء في الحديث: «**أوثق عرى الإيمان، الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**»[1]. وإنما يدخل الفساد في الدين من إحدى طريقتين أو منهما معاً. كما نبه إلى ذلك شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله[2]، فإما يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، وهو الخوض، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق، وهو الاستمتاع بالخلاف، والأول: هو البدع ونحوها والثاني: فسق الأعمال ونحوها واتباع الهوى، وهذان هما أصل كل فتنة وبلاء وشر، وبهما كُذِّبت الرسل وعُصي الرب سبحانه ودُخِلت النار وحلت العقوبات، لأن الفساد في الاعتقاد يأتي من جهة الشبهات، والفساد في العمل يأتي من جهة الشهوات. ولهذا كان السلف رحمهم الله يقولون: (إحذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا قد أعمته دنياه) وكانوا يقولون: (احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون) فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم[3].. وقد أمرنا سبحانه

(١) ذكره السيوطي - وهو حسن سبق تخريجه، الجامع الصغير (٦٩/١) عند تعريف البراء اصطلاحاً.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٥، وأعلام الموقعين لابن القيم (١٣٦/١).

(٣) نفس المرجع السابق.

وتعالى بمخالفة هذين الطريقين واتباع الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من عباده المؤمنين.

والحكمة من هجر البدع وأهلها تكمن في خطورتها على الإسلام، لكونها تناقض التسليم لله وحده، لأنه لا تثبت قدم الإسلام إلا على قنطرة التسليم كما قال بعض السلف رحمهم الله[1]، ولكون صاحبها يُنَصّب نفسه مشرّعاً لعباد الله. وهذا من صفات الباري جلّ في علاه فضلاً على أن لسان حاله يتهم الدين بالنقص فجاء ببدعته ليكمله. وقد قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: (من استحسن فقد شرع)[2] ويرحم الله الإمام مالك بن أنس حيث يقول: (من أحدث في الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن الرسول خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلن يكون اليوم ديناً)[3]. لذلك كانت البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية كما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4]، (لأن المعصية يُتاب منها، أما البدع فلا يُتاب منها - إلا أن يهدي الله صاحبها -، لأنه يتخذها ديناً لم يشرعه الله ورسوله وزُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً. فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً إلا أن يرحمه الله بالتوبة. فعلى المسلم أن يبغض في الله أهل البدع والأهواء، ويهجرهم. غير أن فعله هذا يختلف باختلاف ما هم عليه، فأما من كانت بدعته شركية أو كفرية - كالحال مع عباد القبور المصرّين على ضلالهم وغيرهم -، فهذا يُتبرأ ويُهجر هجراً نهائياً فليس له أي موالاة بل البراءة منه كالبراءة من الكافر الأصلي، وأما من كانت بدعته دون ذلك من المعاصي والذنوب التي لا تصل إلى حدّ الكفر، فهذه تختلف باختلاف الأشخاص

(١) راجع شرح السنة للبغوي (١٧١/١).

(٢) السنن والمبتدعات، ص٦.

(٣) المرجع السابق، وانظر الاعتصام (٤٩/١).

(٤) السنة لابن أبي عاصم (٢٢/١).

والأزمان، فإنه يُوالى على ما فيه من الطاعة، ويبغض على ما فيه من المعصية، ـ كما هو مذهب أهل السنّة ـ ويهجر كما تقدم معنا إن كان في هجره زجر له ولأمثاله عن تلك البدع والمعاصي، أو تقليل لها، وكان الهجران له تغلب عليه المصلحة. وأما إن كان لا يزجره الهجر ولا يردعه هو وأمثاله، بل يزيد الشر فيراعي فيه الأصلح، لأن النبيّ ﷺ هجر من علم أن الهجر يزجره ويردعه، كالثلاثة الذين خُلِّفوا وقبل معذرة من علم أن الهجر لا ينجع فيه شيئاً ووكل سرائرهم إلى الله)[1].

هذا وقد نبه شيخ الإسلام ـ رحمه الله[2] ـ إلى أنه ينبغي للمسلم أن لا يخالط أهل البدع والفجور وسائر أهل المعاصي، إلا على وجه يسلم به من عذاب الله عزّ وجلّ، وأقل ذلك أن يكون منكِراً لظلمهم ماقتاً لهم شائناً ما هم فيه بحسب الإمكان، كما في الحديث: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[3] رواه مسلم. وبيّن أيضاً رحمه الله أن الهجر من باب العقوبات الشرعية، فهو من جنس الجهاد في سبيل الله، وهو يفعل لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، ونبه رحمه الله إلى أنه يجب في الهجر أن يكون خالصاً لله وموافقاً لأمره، لأن الذي يهجر لهوى في نفسه، أو يهجر هجراً غير مأمور به، يكون خارجاً عن هذا الأصل، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله[4]. وقد كثر ذم السلف رحمهم الله للمبتدعة وأمرهم بهجرانهم وكلامهم في ذلك كثير جداً لا يبلغه الحصر وقد سبق كثير منه عند كلامنا عن البدع فليراجع.

(د) حرمة التشبه بالكفار: لقد حرص الإسلام كل الحرص على أن يكون أتباعه المؤمنون أمة متميزة عن غيرها من الأمم الكافرة عقيدة وسلوكاً وشكلاً ومنهجاً ومظهراً، لأنهم الأمة المختارة والمفضلة على سائر الأمم

---

(١) راجع: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٤١/٧)، ومجموع الفتاوى (٣٠٦/٢٨ ـ ٣٠٨).

(٢) انظر تفسير سورة النور لابن تيمية، ص٥٥، ط٨، ١٣٩٧هـ.

(٣) مسلم ك الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (٦٩/١) حديث (٧٨).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠٣/٢٨ ـ ٢٠٨).

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فهي الأمة المقتدى بها والرائدة للبشرية، فيجب عليها أن تحفظ هذه النعمة وتتمسك بكتاب ربها وسنّة نبيّها ﷺ، وألا تشطط وتفرّط بتقليد غيرها والتشبه بأعدائها، ذلك لأن التشبه بالكفار في الظاهر يورث إلى التشبه بهم في العقيدة والسلوك، بل ويؤدي إلى محبتهم وموالاتهم وموافقتهم ـ والعياذ بالله ـ على ما هم عليه من الباطل. لذلك كانت مخالفتهم في المعتقد الباطل والمظهر والسلوك، وبغضهم ومعاداتهم مقتضى من مقتضيات الإيمان والولاء والبراء وشرطاً من شروط محبة الله ورسوله ﷺ، لأنهم أعداء لله ولرسوله وللمؤمنين، فلا يشهد للمرء بالولاية لله أو الإيمان والصلاح حتى يبغض أعداء الله ويخالفهم، لأن من شرط الولاية الموافقة لأوامر الله، وبغض ما يبغضه الله من الأعمال والأشخاص وغيرها.. ولا شك بأن الله يبغض الكافرين وما هم عليه من ضلال وشر... ولذلك فاضت النصوص من كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وأقوال السلف الصالح في النهي عن التشبه بالكفار والتحذير من أفعالهم. من ذلك قوله عزّ وجلّ في سورة الجاثية الآيات: ١٦ ـ ١٩ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير هذه الآيات في كتابه القيم اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم(١) (أخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم على بعض، ثم جعل محمداً ﷺ على شريعة من الأمر شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته و﴿أَهْوَآءَهُم﴾ هي ما يهوونه وما عليه المشركون

---

(١) ص١٤، وهذا الكتاب أنفس ما كتب في هذا الباب.

من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك فهم يهوونه. وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين إياهم في بعض أمورهم، ويسرون به ويودون أن لو بذلوا مالاً عظيماً ليحصل ذلك ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم، فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره فإن (من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه)، وأي الأمرين كان حصل المقصود في الجملة وإن كان الأول أظهر) ا.هـ.

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠] يقول العلامة الفهامة شيخ الإسلام رحمه الله (فانظر كيف قال في الخبر ﴿مِلَّتَهُمْ﴾، وفي النهي أهوائهم لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً. والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه)[1].

ومن الأدلة المحرمة أيضاً للتشبه بالكفار قوله تعالى في خصوص تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المطهرة بمكة المكرمة ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥] إلى قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٠] قال غير واحد من السلف ـ رحمهم الله ـ معناه لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة فيقولوا قد وافقونا في قبلتنا فيوشك أن يوافقونا في ديننا، فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة إذ

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص١٥.

الحجة اسم لكل ما يحتج به من حق وباطل، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ وهم قريش، فإنهم يقولون عادوا إلى قبلتنا فيوشك أن يعودوا إلى ديننا. فبين سبحانه إن من حكمة نسخ القبلة مخالفة الكافرين في قبلتهم، ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل، ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة، فإن الكافر إذا اتبع في شيء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان أو قريب مما كان لليهود من الحجة في القبلة[١].

أما الأدلة الواردة في السنة المطهرة والمحذرة من التشبه فكثيرة جداً وسنقتطف منها بعض الأحاديث الكريمة، كقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم**، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **فمن**»[٢] ففي هذا الحديث الأخبار منه ﷺ عما يحدث فيه للمسلمين من التبعية والتشبه بأعدائهم حتى في أتفه الأشياء، وفيه الإنكار عليهم لما تصير إليه حالهم من التقليد الأعمى لهم، وهو ما صار إليه أكثر المسلمين في هذا الزمان. وإلى الله المشتكى.

ونظير هذا الحديث ما ورد في مسند الإمام أحمد ـ رحمه الله[٣] ـ أن بعض الناس قال للنبيّ ﷺ اجعل لنا ذات أنواط ـ وهي شجرة كانت للمشركين يعلقون بها أسلحتهم يسمونها بهذا الاسم، كما لهم ذات أنواط؟ فأنكر عليه الصلاة والسلام قولهم هذا وقال: «**الله أكبر قلتم كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، إنها السنن لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم**» فأنكر عليه الصلاة والسلام ـ كما يقول شيخ الإسلام ـ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها ـ معلقين ـ عليها سلاحهم، فكيف بما هو أطم من ذلك مشابهتهم المشركين أو هو الشرك بعينه[٤]؟.

---

(١) المرجع السابق، ص١٥، ١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٩٥/١).
(٢) صحيح البخاري ك الاعتصام (٣٠٠/١٣) حديث (٧٣٢٠) ومسلم كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٠٥٤/٤) حديث (٦).
(٣) مسند أحمد (٢١٨/٥)، وإسناده صحيح.
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ص٣١٤.

ومن الأحاديث أيضاً قوله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[1] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الحديث: إسناده جيد وأقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره أنه يقتضي كفر المتشبِه بهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وهو نظير ما قاله عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة) فقد يحمل هذا على التشبه المطلق الذي يوجب الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو إشعاراً للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك. وأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضاً ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه، ففي كون هذا تشبهاً نظر، لكن قد ينهى عن هذا لئلا يكون ذريعة إلى التشبه ولما فيه من المخالفة[2].

ومن الأحاديث الدالة أيضاً على مخالفة الكفار قوله ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**» متفق عليه[3]، فإذا كان النبيّ ﷺ يأمرنا بمخالفة هؤلاء الكفرة حتى في صبغ الشعر، فمن باب أولى ما هو أعظم من ذلك من الأخلاق والعقائد والمظاهر المزرية!!.

ومن الأحاديث كذلك أمره ﷺ بصيام يوم قبل يوم عاشوراء أو بعده لمخالفة اليهود والمشركين في ذلك. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه[4]. وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «**لئن بقيت إلى قابل[5] لأصومن التاسع**» رواه مسلم[6].

---

(١) سنن أبي داود ك اللباس (٣١٤/٤) حديث (٤٠٣١) مسند أحمد (٥٠/٢) وهو صحيح كما قال الألباني في صحيح الجامع (٢٧٠/٥) حديث (٦٠٢٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص٣١٤.

(٣) رواه البخاري ك الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٤٩٦/٦) حديث (٣٤٦٢)، ومسلم ك اللباس باب في مخالفة اليهود في الصبغ (١٦٦٣/٣) حديث (٨٠).

(٤) مسلم ك الصيام باب صوم عاشوراء (٧٩٢/٢) حديث (١٣٤).

(٥) يعني عام قابل.

(٦) مسلم ك الصيام باب أي يوم يصام في عاشوراء (٧٩٨/٣) حديث (١٣٤).

وقال رسول الله ﷺ: **«صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده»**[1]. وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما من أشد الناس أمراً بمخالفة اليهود كما يروي عنه شيخ الإسلام رحمه الله، وهو الذي روى عن النبيّ ﷺ مخالفته لليهود في صيام عاشوراء. وقد قال رضي الله عنهما (صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود) هكذا ثبت عنه رضي الله عنه وعلّل ذلك بمخالفة اليهود[2]. لذلك كان الإمام أحمد رحمه الله يكره أن يفرد المسلم عاشوراء ـ كما كان ابن عباس وغيره كذلك ـ بالصوم بل عليه أن يصوم يوماً قبلها وجعل ذلك هو السنة لمن أراد صوم عاشوراء[3].

وينبغي التنبيه في هذا المجال إلى أن النصوص الآمرة بمخالفة الكافرين والناهية عن التشبه بهم في الظاهر مقيَّدة في حال أمن المسلم على نفسه ودينه، وذلك يكون في دار الإسلام والهجرة التي أعزّ الله فيها دينه وجعل الصَغار والجزية على الكافرين، لأن المخالفة لا تكون إلا بعد ظهور الدين وعُلوّه كالجهاد وإلزامهم بالجزية والصغار. لذلك لم تُشْرَع المخالفة في مكة عندما كان المسلمون ضعفاء أول الأمر، فلما كمل الدين وظهر وعلا شرعت كما نبه إلى ذلك شيخ الإسلام رحمه الله[4]. وقد ضرب لذلك مثلاً فيما لو أن مسلماً بدار الحرب أو دار الكفر التي لا حرب فيها لم يكن مأموراً بمخالفتهم في الهدى الظاهر لما عليه من الضرر، بل يستحب أو يجب عليه أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينية من دعوتهم إلى الإسلام والاطلاع على باطن أمرهم لإخبار المسلمين بذلك، أو دفع ضررهم عن المسلمين ونحو ذلك من المقاصد الشرعية الصالحة. وإذا ظهرت الموافقة والمخالفة لهم باختلاف الزمان ظهرت حقيقة الأحاديث في ذلك[5]. وفي ختام هذا

---

(١) رواه أحمد (١/٢٤١).

(٢) راجع اقتضاء الصراط المستقيم، ص١٧٤، ١٧٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٧٦.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ص١٧٦، ١٧٧.

(٥) المرجع السابق.

المبحث أود أن أذكر الأقسام التي تندرج تحتها مخالفة لغة أهل الكتاب، وهي ثلاثة أقسام[1]:

الأولى: ما كان مشروعاً في الشريعتين، أو ما كان مشروعاً لنا وهم يفعلونه، فهذا كصوم عاشوراء أو كأصل الصلاة والصيام، فهنا تقع المخالفة في صفة ذلك العمل كما سنّ لنا صوم تاسوعاء وعاشوراء، وكما أمرنا بتعجيل الفطر والمغرب مخالفة لأهل الكتاب، وبتأخير السحور مخالفة لهم أيضاً، وبالصلاة في النعلين مخالفة لليهود. وهذا كثير في العبادات وكذلك في العادات.

الثانية: ما كان مشروعاً ثم نسخ بالكلية كالسبت، أو إيجاب صلاة أو صوم. ولا يخفى النهي عن موافقتهم في هذا، سواء كان واجباً عليهم فيكون عبادة، أو محرماً عليهم فيتعلق بالعادات. وكذلك الأمر في أعيادهم لأن الأعياد المشروعة يشرع فيها وجوباً أو استحباباً من العبادات ما لا يشرع في غيرها، كالصلاة أو الذكر أو الصدقة أو النسك ويباح فيها أو يستحب أو يجب من العادات التي للنفوس فيها حظ ما لا يكون في غيرها كذلك. ولهذا وجب فطر يوم العيدين وقرنه بالصلاة في أحدهما الصدقة وقرن بها في الآخر الذبح، وكلاهما من أسباب الطعام فموافقتهم في هذا القسم المنسوخ من العادات أو العبادات أو كلاهما أقبح من موافقتهم فيما هو مشروع بالأصل، ولهذا كانت الموافقة في هذا محرمة وفي الأول قد لا تكون إلا مكروهة.

الثالثة: ما أحدثوه من العبادات أو العادات أو كليهما، فهو أقبح وأقبح فإنه لو أحدثه المسلمون يكون قبيحاً فكيف إذا كان مما لم يشرعه نبي قط؟ بل قد أحدثه الكافرون، فالموافقة فيه ظاهرة القبح فهذا أصل. وأصل آخر وهو أن كل ما يتشابهون فيه من عبادة أو عادة أو كليهما من المحدثات في هذه الأمة ومن البدع. إذ الكلام فيما كان من خصائصهم. وأما ما كان

---

(١) فصّلها شيخ الإسلام في كتابه الفذ اقتضاء الصراط المستقيم، ص١٧٨ ـ ١٨٠.

مشروعاً لنا وقد فعله سلفنا الصالح السابقون فلا كلام فيه... فتبين إذاً فيما سبق أن حكم موافقتهم في القسم الأول مكروه، وفي الثاني محرم، وفي الثالث أشد حرمة.. فيرحم الله شيخ الإسلام ما أدق فهمه، وما أبلغ بيانه!! ومن أراد الاستزادة من ذلك فليراجع كتابه اقتضاء الصراط المستقيم، فإنه قد كفّى ووفى وضرب لذلك الأمثلة كالعقد وغيره فجزاه الله خير الجزاء وجعل الجنة مثواه.

الفصـــل الرابـــع

الجهاد في سبيل الله بجميع أنواعه

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الجهاد.

المبحث الثاني: أهدافه.

المبحث الثالث: فضيلته ومنزلة المجاهدين في سبيل الله.

المبحث الرابع: الترهيب من تركه.

المبحث الخامس: أنواع الجهاد، وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: النوع الأول: جهاد النفس.

(أ) خطر النفس وأهمية جهادها.

(ب) طرق مجاهدتها.

المطلب الثاني: النوع الثاني: جهاد الشيطان.

(أ) خطر الشيطان.

(ب) مداخله.

(جـ) طرق مجاهدته.

المطلب الثالث: النوع الثالث: جهاد الكفار.

(أ) خطرهم.

(ب) طرق وكيفية مجاهدتهم.

المطلب الرابع: النوع الرابع: جهاد المنافقين.

(أ) خطرهـم.

(ب) طرق مجاهدتهم.

المطلب الخامس: النوع الخامس: جهاد الظالمين والمحاربين (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

(أ) أهمية هذا الجهاد.

(ب) كيفية جهاد الحكام الظلمة والعصاة من المسلمين.

المطلب السادس: النوع السادس: جهاد المرتدين.

المطلب السابع: النوع السابع: جهاد المحاربين وقطاع الطرق.

المطلب الثامن: النوع الثامن: جهاد البغاة من المسلمين.

المطلب التاسع: النوع التاسع: الجهاد بالنفس والمال.

المبحـــث الأول

أهميتـــه

إن الجهاد في سبيل الله فريضة عظيمة القدر، بالغة الأهمية، سامية الأهداف، لم تشرع لسفك الدماء البريئة، أو لنشر الرعب والفوضى في قلوب البشر، أو انتهاك الأعراض ـ كما هي الحال في الحروب القديمة والحديثة ـ إلا من رحم ربي ـ لكنها فرضت وأُوجبت على المؤمنين لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن ظلم الناس إلى عدالة الإسلام. شرعت هذه الفريضة لإقامة الحق وإبطال الباطل، ولنشر الأمن والحرية والسلام والرحمة والعدل في ربوع البشرية، ليُعبد الله وحده ويُترك ما يدعى من دونه ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] شرعت لنصر المظلومين ورَدّ العدوان عن هذا الدين، ذلك لأن قوى الشر والظلم والعدوان لا يهدأ لها بال ولا تجد لها راحة إلا بالقضاء على هذا الخير والرحمة الربانية المتمثلة بدين الإسلام. لأنها تدرك تمام الإدراك أن هذا الدين لا يقرها على باطلها، ولن يهادنها على ظلمها ولو سكتت عنه حتى تدخل فيه وتسلّم له وتكف عن عرقلة الدعوة إليه ليكون الدين كله لله. لذلك كان الجهاد في سبيل الله من أهم مستلزمات محبة الله ورسوله ﷺ، ولهذا قال سبحانه وتعالى في وصف المؤمنين الذين يحبهم ويحبونه ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] ولأنه كما يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (لا يستقيم للإنسان إسلام ولو وحّد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء) كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[1] [المجادلة: ٢٢].

ومن المعلوم أن الجهاد في سبيل الله من أهم العوامل في مبارزة المشركين بالعداوة والتصريح لهم بها، بل هو أبرز صورة من صور البراء منهم، لأنه هو السبيل الأكبر والأهم للمفاصلة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان، لذلك كان الإذن فيه والأمر به والحض عليه بعد الهجرة النبويّة المباركة لما له من أهمية عظيمة في إقامة هذا الدين ليكون كله لله، ولما يفتدي به المجاهد عن النفس والنفيس ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه. لذلك كان ذروة سنام الإسلام كما أخبر عن ذلك رسول الله ﷺ حيث قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»[2] كيف لا يكون كذلك وهو المشروع لأسمى الغايات النبيلة والأهداف الطيبة والتي يلمسها كل ذي لب وعقل ممن لم يعم الله على بصيرته عندما يستعرض سيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام ومن سار على نهجهم بإحسان في تطبيقهم لهذا الواجب العظيم وقيامهم به كما أمرهم الله به. وتتمثل أهدافه في الآتي:

(١) الدرر السنية (٩٣/١).

(٢) رواه الترمذي ك الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة (١١/٥ - ١٢) حديث (٢٦١٦)، وابن ماجه ك الفتن باب كف اللسان في الفتنة (١٣١٤/٢) حديث (٣٩٧٣).

المبحـــث الثانـــي

أهــدافـــه

وتتمثل في الآتي:

(١) **تأمين حرية الدعوة إلى الله**: إن الدعوة إلى الله عزّ وجلّ واجب عظيم الأجر وسمة من أسمى سمات الخُلّص من البشر، لأن صاحبها يحمل في طياتها المباركة النور والهداية لينقذ بهما ـ بإذن الله ـ من اجتالته الشياطين عن الحق وعن الهدية الربانية ويخلصهم مما هم فيه من الكفر والفسوق والعصيان. وقد أثنى الله عزّ وجلّ على أهلها ـ من فوق سبع سماواته ـ بالخيرية والتوفيق بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] كيف لا تكون هذه منزلتها وهي وظيفة المصطفين من عباد الله الأنبياء والرسل عليهم السلام ثم اتباعهم بإحسان... ولما كان الإسلام ـ دين الله عزّ وجلّ ـ دعوة عالمية للناس جميعاً ليس مختصاً بقوم دون قوم أو جنس دون جنس بل هو رسالة الله عزّ وجلّ أرسل بها عبده ورسوله الكريم وخاتم أنبيائه ورسله محمداً ﷺ إلى الثقلين كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]، لذا أمره سبحانه بدعوتهم إلى عبادته وحده لا شريك له ونبذ ما هم عليه من الشرك صغيراً كان أم كبيراً قال سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]. يقول الحافظ الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (يقول الله عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ ﴿قُلْ﴾

لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا ما زرقهم الله ﴿تَعَالَوْاْ﴾ أي هلموا وأقبلوا ﴿أَتْلُ﴾ أقص عليكم وأخركم ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حقاً لا تخرصاً ولا ظناً، بل وحياً منه وأمراً من عنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وكأن في الكلام محذوفاً دل عليه السياق وتقديره: وأوصاكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ ولهذا قال في آخر الآية:﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمة فليقرأ هؤلاء الآيات ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إلى قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]. وقال سبحانه وتعالى آمراً نبيّه ﷺ بإبلاغ الأمانة والرسالة المنزلة عليه بقولِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ومن المعلوم أنه لا بدّ لدعوة الحق من قوة تحميها وتدافع عنها أمام قوى الشر والفساد والتي ملأ الحقد قلبها وتمكن حب ما هم عليه من الكفر وعبادة الأوثان والشهوات من سويداء قلوبهم. وقد حكى لنا التاريخ ما لاقاه رسول الله ﷺ من الأذى والفتن والهجر والطرد والتنكيل به وبأصحابه الكرام رضي الله عنهم الذين اتبعوه على أيدي كفار مكة، ومن ثم من أحزاب الشرك والكفر والنفاق عندما تحالفت قوى الكفر بملله المتنوعة من يهود ومشركين ومنافقين للقضاء على هذه الدعوة وأهلها، وليوقفوا هذا النور وتلك الهداية الربانية ويعرقلوا سيرها في شق طريقها إلى قلوب العباد ممن شرح الله صدره للإسلام. فهل يعقل أن يسكت نبيّ هذا الدين ﷺ ومعه رجاله الأبرار رضي الله عنهم ويتراجع عن تبليغ تلكم الأمانة وهذه الرسالة المأمور بتبليغها من قبل قيّوم السموات والأرض؟ بعد أن تحمّل كل ما أصابه هو أصحابه رضي الله عنهم أول الأمر امتثالاً لأمر ربه سبحانه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥]. وقد كان قد فرّ كثير من أصحابه بدينهم وهاجروا إلى الحبشة ليأمنوا على أنفسهم

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٨٧/٢).

من أذى الكفار والمشركين، ثم جاء الأمر بالهجرة إلى المدينة النبويّة، ولكن مع هذا ظل أذى الكفر يلاحقهم والمؤامرات تتوالى وتزداد عليهم، وتكالب الناس للقضاء عليهم من كل جانب فماذا سيكون الرد على هذا كله؟ هل يحسن به وبأصحابه أن يترك المجال لأعداء الله يعملون ما يشاؤون؟ لا وألف لا!! بل لا بدّ من الوقوف أمامهم ومحاربتهم وتبليغ رسالة الله إلى عباده ويحملوها مهما كلفهم ذلك. يقول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩]. وهذه الآية هي أول آية نزلت في الجهاد كما قال غير واحد من السلف[١]. فقاتلهم ﷺ ليدفع الأذى عن الدعوة ويؤمنها لتسير وتؤتي ثمارها طيبة، قاتلهم عليه الصلاة والسلام ليوجد جواً صالحاً للعمل الإسلامي يستقر فيه الأمر ويأمن فيه المسلمون على أنفسهم وأموالهم، لكي يقوموا بتبليغ هذه الرسالة وإيصالها للبشر لأنهم يأثمون إن قصروا في ذلك، فلا ضير إذن في أن يحمي المسلمون دعوتهم الحقة بالقوة ليجالدوا خصوم الدعوة ويزيحوهم عن الطريق ليبلغوا أمانة الله إلى خلقه[٢]. وإذا كان أهل الباطل يحمون باطلهم بالسلاح فإن أهل الحق أجدر بذلك لأنهم يحمون الحق والإيمان لينقذوا العباد من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ومن النار إلى جنة عرضها السموات والأرض والله معهم ولن يترهم أعمالهم.

(٢) **رد العدوان**: إن الإسلام دين العزة والقوة والكرامة فلا يرضى لأتباعه المؤمنين قط الذل أو المهانة أو الجبن أمام أعدائهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقد امتدح الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين بالشجاعة والعزّة وإباء الضيم بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٩] إن هؤلاء المؤمنين ـ الذين ملأ الإيمان قلوبهم فذاقوا محبة الله ورسوله ﷺ ـ لم يرضوا أن يسكتوا عن الضيم والظلم، بل أبت عليهم عزتهم الإيمانية إلا الانتصار للحق ورد الظلم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/٢٢٥)، ومجموع الفتاوى (٢٨/٣٥٠).

(٢) القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته، ص٩٤.

ممتثلين لأمر ربهم عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] ولا حرج عليهم في ذلك لأنهم ينتصرون للحق ويردون الاعتداء باعتداء مثله قال سبحانه: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الشورى: ٤١، ٤٢]. ولا يخفى على عاقل ما يخطط له أعداء الإسلام للكيد له ولأهله وللانقضاض عليه واستئصاله من أساسه ـ إن استطاعوا ـ وتلك طبيعة أهل الباطل، وقد قضت مشيئة الله عزّ وجلّ أن يكون الحق والباطل في تصارع مستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها. لذا كان من أهداف الجهاد في سبيل الله رد العدوان عن حرمات هذا الدين وعن أهله لحماية هذه الدعوة الإسلامية المباركة، وذلك بدفع الاعتداء باعتداء مثله كما سبق الأمر الإلهي آنفاً بذلك، غير أنه لا يعني ذلك أن يُتْرَك الحبل فيه على الغارب ـ كما قد يفهمه بعض الناس ـ بحيث تُراق الدماء البريئة ويفشوا القتل بالأعداء وتنتهك أعراضهم وأموالهم ويعبث بها كيفما جال للمسلمين، لا إن أخلاق الإسلام فوق هذا لأنه دين الرحمة والعدل، بل المطلوب هو رد العدوان عن هذا الدين وإيقاف المعتدين عند حدهم، وإيقاف الظلم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، لأنه إن لم يقم المسلمون بهذا الواجب فسيتمادى المعتدون في غيهم فينتهكون الأعراض والحرمات من الأنفس والأموال ويعم الظلم والفساد في الأرض، بل ويقضون على شوكة المسلمين في عقر دارهم ـ لا سمح الله ـ ويذلونهم أيما إذلال ـ كما صار إليه الحال في فردوس المسلمين الأندلس وفي غيرها من بلاد الإسلام الكثيرة، لما تخاذلوا عن الجهاد في سبيل الله وركنوا إلى الدنيا وملذاتها، وهذا ما خافه علينا وحذرنا منه الناصح الأمين نبيّنا محمد ﷺ حيث قال: «**إذا تبايعتم بالعينة**[1]**، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع،**

---

(١) بكسر العين وسكون الياء، وهو أن يبيع سلعة بثمن معلوم إلى أجل ثم يشتريها من المشتري بأقل ليبقى الكثير في ذمته. وهذا البيع محرم. انظر سبل السلام (٨٥٢/٣).

وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[1] رواه أبو داود. ويحسن في هذا المجال أن نشير إلى أنه لا يشك مؤمن في أن الله تعالى القوي الجبار قادر على محق الكافرين وإبادتهم، ولكنه تعالى فرض علينا الجهاد لننهض بالدفاع عن هذا الدين الحنيف لنعز أنفسنا بعزته، وليتميز الخبيث من الطيب، والشجاع من الجبان، والمخلص من المنافق، والكريم من الشحيح وفي هذا التمييز تمحيص للمجتمع الإسلامي وبناء لصرحه على أقوى الدعائم وأرسخها وأبقاها كما نبه إلى ذلك بعض العلماء[2]. وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] وأننا لنحمد الله عزّ وجلّ ونشكره لأن هذه الأمة قد بدأت تستيقظ من سباتها وتعود إلى ربها حيث أحيت فينا هذا الركن السادس ألا وهو الجهاد في سبيل الله بعد أن تركته وتخاذلت عنه مدة من الدهر، وما الجهاد الأفغاني المبارك وانتصاراتهم الساحقة بتوفيق الله عزّ وجلّ على أعدائهم الملاحدة والانتفاضة الإسلامية ضد اليهود في فلسطين السليبة وغيرها من رايات الجهاد ـ سواء علمه الكثير منا أم لم يعلمها ـ إلا دليل حي على ما نقول فاللّهم نصرك الذي وعدتنا به يا رب العالمين وإصلاحاً لهذه العودة الإسلامية إليك يا أكرم الأكرمين.

وفي ختام هذا المبحث أنبه إلى قضية هامة طال الخوض فيها وكثر الكلام عنها ألا وهي: **هل الجهاد في سبيل الله للدفاع فقط أم للهجوم؟**. والحقيقة أن بحث هذه المسألة من جميع جوانبها يحتاج إلى الصفحات الطوال ولكنني بمشيئة الله سأختصر الكلام حولها قدر الإمكان خشية الإطالة.

فأقول وبالله التوفيق: إن إطلاق لفظ الهجوم أو الدفاع على الجهاد إطلاق لا يصلح، بل هو إطلاق في غير محله، لأن غايات الجهاد وأهدافه

---

(١) أبو داود كتاب البيوع باب النهي عن العينة (٧٤٠/٣) حديث (٣٤٦٢)، وهذا الحديث صحيح انظر صحيح الجامع للألباني حديث (٤١٦)، (١٧٥/١).

(٢) انظر: الجهاد للحوفي، ص١٥٠ نقلاً عن القتال، ص٩٨.

وطريقته القتالية ومعاملته للناس تختلف كل الاختلاف عن غيرها من الحروب والقتال عند غير المسلمين. وهذا المصطلح (هجومي أو دفاعي) إنما يصلح ويصدق على الحروب القومية والوطنية فقط كما قال المودودي[1] رحمه الله، لأن هاتين الكلمتين المصطلح عليهما تراجع في مصدرهما وما جرى استعمالهما إلا بالنسبة إلى قطر مخصوص أو أمة معينة. ا.هـ بخلاف الجهاد في سبيل الله فإنه لم يوصف ولم يعرف إلا باسم الجهاد في سبيل الله أو الغزو أو القتال في سبيل الله فقط. وهذا عام وشامل لأكثر من معنى شريف. وكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ خير شاهد على ذلك قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠] إلى غير ذلك من الآيات. أما من السنّة فإن الأمثلة كثيرة جداً، وهذا مثال على ما نقول وأظنه كافياً. فقد سئل ﷺ عن الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل ليرى مكانه، ويقاتل للمغنم، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»** متفق عليه[2].

فالهدف والغاية للجهاد هي في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ليعبد الله وحده ولا يشرك به أحداً، وليُخلِّص البشرية مما هم فيه من كفر وضلال، وليخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، وليقيم منهج الله في الأرض، ويزيل أنظمة ومناهج الطواغيت بشتى مللهم واختلاف أسمائهم، ومن هنا يتضح لنا خطأ من يرى أن الغاية للجهاد هي للدفاع فقط، كما هو رأي الكثير من أصحاب الأقلام الإسلاميين المعاصرين.. ولعل السبب الذي حملهم على القول بهذا الرأي ـ على حسن ظننا بهم ـ هو الرد على

---

(١) في كتاب الجهاد، ص٤٧، ٤٨ وانظر أيضاً كتاب منهج الإسلام في الحرب والسلام لعثمان ضمرية، ص١٤٣ ـ ١٤٥، (ط١/ ١٤٠٢هـ).

(٢) البخاري ك التوحيد باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ (٤٤١/١٣) حديث (٧٤٥٨). مسلم كتاب الإمارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (١٥١٢/٣ ـ ١٥١٣) حديث (١٤٩).

المستشرقين وغيرهم من أعداء الإسلام الذين يصفون الجهاد في الإسلام بأنه حرب هجومية يحمل في طياته الظلم والعدوان على أعدائه، بخلاف كونه دفاعياً فإنه لا عدوان ولا ظلم فيه بل عنوانه التسامح، لأنه لا يحارب إلا من حاربه واعتدى عليه. ولا شك أن هذا المفهوم مرفوض وخاطىء، لأنه بخلاف الهدف المقصود من الجهاد الذي قام به ﷺ وخلفاؤه من بعده الذين فتحوا الفتوحات ونشروا الإسلام في بقاع الدنيا مترسّمين خطى نبيّهم ﷺ حيث كان هديه ﷺ في الجهاد أن يدعو أعداء إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، فإن دخلوا فيه فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وإن أبوا ذلك وكانوا كتابيين فإن عليهم الجزية والصَّغار، فإن رفضوا قوتلوا حتى يدفعوها أذلة للمؤمنين، أما إن كانوا مشركين ـ وليسوا بأهل الكتاب ـ فليس أمامهم إلا الإسلام أو السيف، وذلك ليُعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، ولئلا تكون هناك سلطة أو تحكيم لغير شريعة الله العادلة، فالإسلام عقيدة ومنهج حياة، كذلك هو دعوة عالمية ودين الله الهادي للعباد كلهم. فعلى المسلمين أن يبلغوا هذه الأمانة والدعوة الغالية لهم بالحسنى فإذا حال بينهم وبين تبليغهم إياها الطواغيت وأصحاب الأهواء فإن الواجب عليهم حينئذٍ حمل السلاح لتأديبهم ونشر الإسلام رغم أنوفهم لتعلو رايته عالية خفاقة ويكون شرعه المهيمن على العالمين، وأنّى يكون هذا إذا تراجع الإسلام عن المسير ووقف بعيداً عن ساحة الحياة ينتظر حتى يهاجم في عقر داره ويطعن ويصفع أهله المرة تلو المرة حتى يدافع عن نفسه وأتباعه ـ كما يظن ويرى أصحاب هذه الفكرة عن الجهاد ـ، في حين يعمل أعداؤه على نشر معتقداتهم وأفكارهم المسمومة ليل نهار، ويستبيحون أرواح الناس وممتلكاتهم في سبيل تحقيق غاياتهم الدنيئة وإضلالهم لعباد الله. وما من شك إنه لا يجوز أن يعتقد بفرضية الجهاد هذا المفهوم الخاطىء كما لا يجوز أن يوصف الجهاد الإسلامي بالهجومية والظلم والرغبة في سفك الدماء البريئة لإرغام الناس على الدخول في الإسلام، لأنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] كما هو مبدأ هذا الدين. وليعلم أنما يفترى على الجهاد هذه الافتراءات ويصفه بهذا الزور من لا خلاق لهم من المنصّرين والمستشرقين وأعوانهم ـ ممن ينتسب

إلى الإسلام ـ، الذين يجعلون من الحق باطلاً، ومن المعروف منكراً ومن الهوى ضلالاً ومن العدل عدواناً. إذ يكفي المسلمين فخراً ـ وهم الذين ألبسوا ثياب السفاحين ووصفوا بالشراسة وحدة الطبع والظلم من قبل أعدائهم ـ أنهم حملة النور الرباني والدعاة إليه. وإن التاريخ لم يعرف أعدل ولا أرحم ولا أنقى منهم فاتحين ودعاة إلى مبدئهم. لذا أقبل الناس على الدخول بدينهم وخلع ما هم عليه طواعية. وقد شهد بذلك أعداؤهم، في حين يرفع من يسمون أنفسهم دعاة حرية وسلام الشعارات الكاذبة المضللة وأغصان الزيتون في المحافل والمناسبات ويضحكون بها على الناس، في حين يغذون الإرهاب والقتل وانتهاك الأعراض وينفقون على ذلك الملايين، وقد عملت جيوشهم الغازية والمستعمرة الأفاعيل النكراء بالشعوب الضعيفة في شتى بقاع الدنيا ـ إلا ما قل منها ـ لإرغام الناس على اعتناق مبادئهم تحت وطأة العذاب ليعيشوا هم وحدهم، ويهلكوا غيرهم لينعموا بخيرات العالم دون سواهم من بني البشر، ومع هذا يوصفون بأنهم دعاة عدل وسلم للإنسانية ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٦]. أما المسلمون فإن قتالهم وجهادهم في سبيل الله وحده لإعلاء كلمته عالية خفاقة، ولنشر دعوته في العالمين، ولتكون كلمة الذين كفروا السفلى فهل يجوز أن يسمى هذا العمل الشريف هجوماً وظلماً وهمجية سبحانك هذا بهتان عظيم(١).

(٣) تأمين حرية العقيدة ورفع الظلم عن الناس: سبق وبينت أن من أهداف مشروعية الجهاد الإسلامي تأمين حرية الدعوة وحمايتها باعتبارها دعوة عالمية للناس أجمعين، وبينت أنها ضرورة من ضروريات سيرها لنشرها في العالمين، كما نبهت إلى أن الجهاد شرع أيضاً للدفاع عن حرمتها وحرمة من آمن بها برد الأذى وتأديب المعتدين. غير أنه لا يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل إن من أهم أهدافه المباركة أيضاً هو تأمين حرية

---

(١) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب الجعوان/ القتال في الإسلام فإنه فصل الكلام في ذلك، ص١٠٨، ١٠٩، وكتاب الجهاد للمودودي، ص٤٧ ـ ٥٤، ومنهج الإسلام في الحرب والسلام لضميرية، ص١٤٧ ـ ١٤٥.

العقيدة بالدعوة إليها بين الناس والدفاع عنها ومحاربة كل من يحاول الوقوف في طريقها لتصل إلى قلوب العباد أو يكيد لها ولأهلها ونصرة كل من يعتنقها أياً كانت أرضه وأياً كان جنسه أن تعرض لما يفتنه عن دينه من قبل أعداء الله أو يحول بينه وبين أداء شعائر إسلامه بحرية وأمان، لأن نصرة المؤمن ومؤازرته ودفع الظلم عنه واجب إسلامي وضرورة إيمانية. وقد شبه النبيّ ﷺ نصرة المؤمن أخاه المؤمن ودفاعه عنه والوقوف بجانبه بتشبيه بليغ حيث قال: «**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه ﷺ**»[1] وإذا لم ينصر المؤمن أخاه المؤمن المظلوم - الذي أبى أن يترك دينه أو يفرط فيه فهان عليه التعذيب في مقابل حبه له وتمسكه به - فمن سينصره ومن سينجيه مما هو فيه من كرب وهمّ وتعذيب من أيدي الطغاة الظلمة بعد الله إلا إخوانه في العقيدة؟! فلا عجب أن نرى الأمر الإلهي المبارك يستحث همم المؤمنين ويحرضهم على نصرة المؤمنين المستضعفين بأسلوب عجيب يثير حمية المسلم وغيرته الإيمانية حيث يقول المولى جلت قدرته: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [النساء: ٧٥]، والآية وإن كانت خاصة بالمؤمنين في مكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة - كما ذكر المفسرون[2] - إلا أنها عامة في نصرة كل مستضعف مسلم أينما كان ومهما كانت هويته، بل إن الأمر لا يقتصر على نصرة المستضعفين المؤمنين فقط بل يتعداه إلى نصرة كل مظلوم ومضطهد وإن لم يكن مسلماً، لأن الإسلام شرع لنشر الإيمان بين الناس ورفع الظلم عنهم أينما وقع وإحلال العدل والحق مكانه. ثم من سيأخذ على أيدي الظلمة الذين لا يرجون لله وقاراً ولا يحسبون له حساباً، ومن سينصر المستضعفين تحت أيديهم الذين لا

---

(١) رواه البخاري ك الأدب باب تعاون المؤمنين (١٠/٤٥٠) حديث (٦٠٢٦)، ومسلم ك البر والصلة باب تراحم المؤمنين (٤/١٩٩٩) حديث (٦٥)، والترمذي ك البر والصلة باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم (٤/٣٢٥) حديث (١٩٢٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٢٥)، وتفسير البغوي (١/٤٥٢).

يجدون لهم عوناً من أحد إلا الموحدين العادلين أتباع هذا الدين الحنيف تحت راية الجهاد في سبيل الله؟. وقد سجل لنا التاريخ بأسطر من نور نماذج يحتذى بها عن نصرة المؤمنين بعضهم بعضاً إذا انتهكت حرمات أحد منهم أو أراد بهم عدوهم شراً على عهد رسول الله ﷺ وما بعده من العهود المباركة وسأكتفي بضرب بعض الأمثلة على ذلك مما فيه عبرة وعظة لنا.

فقد ذكر أصحاب السير والتاريخ[1] ما جرى من يهود بني قينقاع لما نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم فاعتدوا على امرأة مسلمة بالكشف عن سوأتها بغير علمها بعد أن حاول أحد الصاغة منهم جاهداً معها لتكشف عن وجهها، فلما رفضت عملوا بها ذلك، فلما رأت ذلك منهم صرخت بأعلى صوتها مستعينة بإخوانها المسلمين ليثأروا لها - لأنها أختهم -، فوثب على الصائغ اليهودي أحد المؤمنين فقتله، فاجتمع عليه اليهود فقتلوه، وكانت نتيجة ذلك أن نشب قتال وحرب بين اليهود والمسلمين كانت نتيجته أن حاصرهم ﷺ بجيشه المبارك المؤمن فاستسلموا له ونزلوا على حكمه فأجلاهم من المدينة، علماً بأنهم كانوا معه على معاهدة أن لا يقاتلهم أو يقاتلونه لكنهم بفعلهم الشنيع هذا نقضوها فاستحقوا التأديب والعقاب. وقد خان إخوانهم يهود من بعدهم من بني النضير وبني قريظة بالمسلمين ونقضوا عهدهم معهم كذلك لما غدر الأوائل - بنو النضير - بالرسول ﷺ وتآمروا على قتله بطريقة شيطانية فنجاه الله منهم فاستحقوا الإجلاء أيضاً من المدينة بعد أن حاصرهم ﷺ مدة من الزمن ارتعدت فرائصهم خوفاً من قوة المسلمين بعد تقطيعهم النخل لهم وتهديدهم إياهم، فأخذوا عقابهم المناسب في الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى. أما بنو قريظة الغادرون فقد كان جزاؤهم أشد وهو القتل للمقاتلة منهم والسبي لذراريهم، لأن غدرهم كان أعظم وأخطر من غدر إخوانهم من قبل، حيث تآمروا للقضاء على المسلمين مع الأحزاب في أحلك الظروف وأصعبها، ونقضوا عهدهم ولكن الله حفظ وسلّم نبيّه وعباده المؤمنين من كيدهم وغدرهم

(١) راجع: السيرة النبويّة لابن هشام (٣/٤٧ ـ ٤٩)، وغيرها.

فاستحقوا هذا العقاب ولهم سوء العقاب النار يوم القيامة[1].

ويحكي لنا التاريخ أيضاً الموقف البطولي الرائع الذي قام به الخليفة المعتصم بنصرته للمرأة المسلمة المظلومة المفجوعة من قبل الكفار التي نادت وامعتصماه وامعتصماه من جزيرة زبطرة ببلاد الروم، فما أن سمع المعتصم النبأ وهو بقصره بعاصمته بغداد حتى أقسم أنه لن يلذ له عيش، ولن يطأ الفرش، أو يذوق التنعم حتى يثأر لها من الكفار ويؤدب ملك الروم وأتباعه. وبالفعل فقد استطاع ـ بتوفيق الله له لنيته الصادقة وغيرته الإسلامية ـ أن يؤدبهم أيما تأديب ويخضعهم لحكم الإسلام بعد أن أخذ بثأر أخته المسلمة بل وثأر إخوانه المسلمين جميعاً وقد صدق الشاعر أبو تمّام حيث يقول فيه:

السيف أصدق أنباء من الكتب[2] في حدِّه الحدّ بين الجِدِّ واللعب

فحرّي بالمسلمين اليوم أن ينصروا إخوانهم المستضعفين في كثير من بقاع الدنيا الذين يذوقون سوء العذاب على أيدي أعدائهم من يهود وشيوعيين ومجوس ونصارى وغيرهم، فيعيدوا لنا تاريخنا المجيد فيكونوا بذلك قد قاموا بواجبهم تجاه إخوانهم، وليعلموا أنهم آثمون إن قصروا في ذلك. اللّهم نسألك أن تنصرنا على أعدائك وأن توفقنا لنصرة إخواننا إنك سميع مجيب.

(٤) إقامة حكم الله في الأرض: لا يقتصر الجهاد الإسلامي على الأهداف الآنفة الذكر من تأمين لحرية الدعوة والعقيدة ورد الظلم والعدوان عن الناس، فحسب بل يتعداه إلى أمر جليل وهام ـ بل هو من أهم أهدافه ـ ألا وهو تحكيم شريعة الله عزّ وجلّ على العباد لأنه تعالى كما هو الخالق

(١) راجع: قصة بني النضير (٣/١٩٠ ـ ١٩٢) من السيرة النبوية لابن هشام، وقصة بني قريظة (٣/٢٢٠ ـ ٢٤١) من نفس المرجع.

(٢) المراد بالكتب هي كتب المنجمين الذين ادعوا أن الخليفة المعتصم لو غزا الروم للأخذ بثأر المسلمة فإنه سيهزم، وادعوا أن هذا موجود في كتبهم، فكذبهم الخليفة وغزاهم وانتصر عليهم فقال أبو تمام هذا الشعر مكذباً لهم.

الرازق المحيي المميت المعبود وحده دون سواه. فهو كذلك الآمر والناهي والواجب على الخلق طاعته وطاعة رسولهﷺ وهو سبحانه العليم الخبير الذي يعلم ما يصلح لعباده مما لا يصلح لهم من الدساتير والقوانين، فلم يتركهم سدى يتحاكمون إلى عقولهم أو أهوائهم أو عاداتهم وقوانينهم الوضعية، لعلمه تعالى أنهم أعجز من أن يسعدوا أنفسهم بما يضعون لأن عقولهم ومداركهم عاجزة عن ذلك، ولأن التشريع من حقه وحده سبحانه وتعالى، فمنّ عليهم ورحمهم بأن أنزل إليهم دستوراً محكماً كاملاً فيه سعادتهم وراحتهم في الدنيا والآخرة إن عملوا به - لأن فيه منهجاً متكاملاً لحياتهم كلها صغيرها وكبيرها - ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. فلا تشريع أكمل ولا أدق ولا أحسن من تشريعه جلّ في علاه. وقد بين الله عزّ وجلّ ذلك في كتابه وفصّله تفصيلاً شافياً كافياً من ذلك قوله جلت قدرته: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠] وقوله أيضاً: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧] وقوله كذلك: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]. وقد أنكر عزّ وجلّ على أولئك الذين لم يراعوا حقه سبحانه فشرعوا من عند أنفسهم ما لم يأذن به عزّ وجلّ وتوعّدهم بالعذاب الأليم فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١]، كما أنكر عزّ وجلّ على من زعم الإيمان وهو يتحاكم إلى غير شرعه من أي طاغوت[1] كان فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠]. فلا يجوز إذاً أن يُتحاكم إلى غير شرع الله في أي أمر كان صغيراً أو كبيراً، لأنه لا يتم إيمان العبد

(١) والطاغوت كما تقدم معنا كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع...

إلا بالعبودية لله وحده والرضا بحكمه في القليل والكثير والتحاكم إلى شريعته وحدها في كل شؤونه والبراءة من عبادة الطاغوت والتحاكم له، لأن ذلك من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]. أما من كان بخلاف ذلك فهو عابد للطاغوت من دون الله - والعياذ بالله - كما بينت الآية الآنفة الذكر ويشهد لذلك ما ورد في السنّة النبويّة المطهرة عن النبيّ ﷺ عندما دخل عليه عدي بن حاتم - رضي الله عنه - وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١] فقال عدي يا رسول الله: إنا لسنا نعبدهم - يريد بذلك الأحبار والرهبان لأنه كان نصرانياً قبل إسلامه - ظناً منه بأن العبادة في الذبح لهم والنذر والسجود والركوع فقط، فقال له عليه الصلاة والسلام: **«أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم فتحلونه؟** قال بلى: قال: **فتلك عبادتهم»** رواه الترمذي وحسنه[1]. وقد بين شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب النجدي رحمه الله رؤوس الطواغيت وأوضح بأنهم خمسة وذكر منهم:

(١) الحاكم الجائر المغيّر لأحكام الله تعالى، واستدل رحمه الله بالآية الآنفة الذكر ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ...﴾ [النساء: ٦٠].

(٢) الذي يحكم بغير ما أنزل الله، واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[2] [المائدة: ٤٤]. وقد أنكر

---

(١) سنن الترمذي ك تفسير القرآن العظيم (٢٧٨/٥) حديث (٣٠٩٥) بنحوه.

(٢) انظر: الجامع الفريد ص٢٧١ قلت: يكفر الحاكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر بشرط أن يكون جاحداً لأحقية حكم الله ورسوله أو معتقداً أن حكم غير الله خير ومساو لحكم الله أو أحسن أو مماثل له أو كان معانداً ومكابراً لحكم الله=

عزّ وجلّ على من يحيد عن حكمه إلى حكم غيره وبيّن أن ذلك من أحكام الجاهلية موضحاً أنه لا حكم أحسن من حمه فقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠] وقال تعالى مخاطباً نبيّه ﷺ قبل هذه الآية: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩] فقد أمره سبحانه بالحكم بينهم بما أنزله عزّ وجلّ دون سواه ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ثم نهاه وحذره من أن تكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بأي حال ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾، وحذره سبحانه من عدم تحكيم شرعه في القليل والكثير بقوله: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ﴾ مبيناً عزّ وجلّ أن التولي عن حكم الله وعدم قبوله ذنب عظيم وجرم خطير موجب لعقاب القدير جلّ في علاه وذلك قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ﴾، ثم حذّره عزّ وجلّ من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله، لأن القليل من عباد الله الشكور، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾. هذا وقد أمر الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين برد التنازع إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، وجعل ذلك شرطاً في حصول الإيمان، موضحاً أن حكم الله ورسوله خير لهم في الدنيا والآخرة فقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، بل إنه سبحانه وتعالى يقسم بنفسه المعظمة المقدسة وينفي الإيمان عمن لا يرضى بتحكيم رسوله ﷺ في أموره ويرضى لحكمه ويسلم له دون أدنى حرج أو شك في قلبه ولا ريب أن ما يحكم به الرسول ﷺ هو حكم الله لأنه لا ينطق عن الهوى ولأنه المبلغ عن ربه قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ

= ورسوله ومضاهياً له أو مستهزءاً به، وإلا فهو كفر دون كفر كما ورد ذلك عن السلف وهو المذهب الراجح إن شاء الله - راجع كتاب الشريعة الإلهية لعمر سليمان الأشقر، ص١٧٥ - ١٩٠.

تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] فعلى العبد ذكراً كان أو أنثى الانقياد التام لقول الله ولقوله رسوله ﷺ وتقديمهما على قول كل أحد، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة. ومما تقدم معنا من النصوص ـ وغيره كثير جداً ـ يتبين لنا أن تحكيم شرع الله والتحاكم إليه مما أوجبه علينا الله ورسوله ﷺ وأنه من مقتضى العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبيّه ﷺ وأن الإعراض عن ذلك أو شيء منه موجب لغضب الله وعقابه ـ عياذاً بالله ـ، وأنه لا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله أو تماثلها وتشابهها أو تركها وأحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقداً أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل. فالواجب على المسلمين ـ وبالأخص الأمراء والحكام وأهل الحل والعقد فيهم ـ أن يتقوا الله ويحكّموا شريعته في بلدانهم ويقوا أنفسهم ومن تحت ولايتهم عذاب الله في الدنيا والآخرة وأن يعتبروا بما حَلَّ في البلدان التي أعرضت عن حكم الله ورسوله فوقعت في تقليد الأعداء الكفرة، وتفرقوا في الدنيا وابتلاهم الله بالفتن والأمراض وقلة الخيرات وعدم الأمن، ولن يرفع الله عنهم ذلك حتى يعودوا إليه ويسلكوا نهج نبيّهم ﷺ، ويحكّموا شرعه، فيرفع الله ذكرهم في الدنيا والآخرة كما رفع ذكر سلفهم الصالح ومن سار على نهجهم، الذين مكّن الله لهم فسادوا الدنيا وملكوا الأرض ودانت لهم العباد لأنهم استجابوا لله ولرسوله، فنصرهم الله وهو سبحانه ينصر المؤمنين ولهم الجزاء الأوفى في الآخرة. نسأل الله أن يوفقنا لحمل هذه الأمانة والقيام بها خير القيام لنحكم بشريعته العادلة، ونزيل أنظمة الكفر والطغيان التي تربّعت على ظهور العباد في معظم أنحاء العالم، فنكون بذلك قد فعلنا ما أوجبه الله علينا من أداء الأمانة لتكون راية التوحيد عالية خفاقة، وراية الكفر والطواغيت بشتى مللهم وأفكارهم ذليلة سافلة مهزومة. ولن يتحقق ذلك إلا بالاعتقاد الصحيح، والتمسك بكتاب الله وسنّة رسوله، والجهاد في سبيل الله لأنه ذروة سنام هذا الدين، وفيه عزّة المسلمين فمتى تركوه أو تهاونوا به ذلوا في الدنيا ولهم العقاب العادل من الله يوم القيامة.

(٥) **نيل الشهادة في سبيل الله**: إنه بالإضافة إلى ما ذكرنا من أهداف عظيمة وسامية للجهاد في سبيل الله... فإننا نذكّر أيضاً بهدف عظيم وغاية جليلة هي من أهم وأعظم أهدافه، ألا وهي طلب نيل الشهادة في سبيل الله للمجاهد، وهي غاية يتمناها ويسعى لها أولئك الأبرار الذين اصطفاهم الله فأكرمهم بها بعد أن خاضوا المعركة في سبيل الله لنصرة دينه وقدموا أرواحهم طاهرة زكية لله خالقها، بعد أن باعوها له بالجنة، ويا له من ربح عظيم مع الله رب العالمين، وما ذلك إلا لما يعلمه هؤلاء الأبرار من عظم منزلة الشهادة والشهداء عند الباري جلت قدرته، إذ حسب الشهيد شرفاً وفضلاً أن تكون روحه الطاهرة الزكية منعّمة مرزوقة عند الباري جلت قدرته في حواصل جوف طير خضر لها قناديل معلقة بعرش الرحمن تسرح في الجنة حيث شاءت فرحاً وسروراً كما أخبر بذلك أصدق القائلين في كتابه العزيز قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠] وكما أخبر الصادق المصدوق رسوله ﷺ عن هذا النعيم بقوله ـ لما سأله رجل عن تفسير هذه الآية ـ فقال: «**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**» رواه مسلم[(١)]. فسبحان الله ما هذا النعيم العظيم، فلذلك يتمنى الشهيد أن يعود إلى الدنيا مراراً ليقاتل ويستشهد في سبيل الله كل مرة لا ليرى الأهل والأحباب والأموال... الخ أو يبقى بينهم، لما رأى وذاق

(١) مسلم كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (١٥٠٢/٣ ـ ١٥٠٣) حديث (١٢١).

من نعيم عظيم ورضوان من رب العالمين كما أخبر بذلك إمام المجاهدين حيث قال ﷺ: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**» ـ وفي رواية ـ «**لما يرى من فضل الشهادة**» متفق عليه[1].

فطلب الشهادة إذاً هدف عظيم وغاية جليلة من غايات الجهاد، وأمنية عظيمة من أمنيات المجاهد في سبيل الله حيث إنها لا يفوقها عند الله إلا درجة الأنبياء والصديقين كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩] فالشهداء هم أحباب الله وخواصه والمقربون إليه. وقد جعل سبحانه وتعالى السبيل للوصول إلى هذه الدرجة وتلكم الفوز العظيم بملاقاة أعدائه ومحاربتهم في سبيل الله لنصرة دينه والفوز برضوانه ونيل الشهادة في سبيله. لذلك جاءت النصوص الكريمة من الكتاب والسنّة في الحض على الجهاد في سبيل الله والتحذير من تركه كما سيأتي ذكره في المبحث القادم إن شاء الله.

---

(١) البخاري ك الجهاد باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا (٦/٣٢) حديث (٢٨١٧)، ومسلم ك الإمارة فضل الشهادة في سبيل الله (١٤٩٨/٣) حديث (١٠٩) بنحوه.

المبحث الثالث

فضيلة ومنزلة المجاهدين في سبيل الله

إن الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات وأحب وأعظم أنواع الطاعات عند الباري جلت قدرته، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون إلى الله، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض، لما له من أهمية عظمى ولما يترتب عليه من أمور يحبها الله، من إعلاء لكلمة الدين ونصر للمؤمنين، وخزي وقمع لأعداء الله من الكافرين والمشركين والمنافقين، وبذل للنفس والنفيس في مرضاة رب العالمين، وتسهيل لنشر نور الإسلام بين الناس وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن الظلمات إلى النور...، إلى غير ذلك من الأهداف والأمور المصالح المترتبة على عبودية الجهاد التي يحبها الله جلّ في علاه... لذا فاضت النصوص القرآنية والأحاديث النبويّة في الحض عليه والترغيب فيه وبيان فضله ومنزلته وفضل أهله من المجاهدين في سبيل الله بما يحفز الهمم العالية وكوامن النفوس المؤمنة للمشاركة في هذه الفريضة العظيمة[1] لمحاربة أعداء الله... ومن

(١) الجهاد كما هو معلوم عند الفقهاء فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، إلا إذا استنفر الإمام الناس، أو حصر العدو بلداً مسلماً أو احتله، أو كان المسلم في أرض المعركة بين الصفين، عندها يكون فرضاً عينياً لا يجوز تركه أو التخلف عنه للقادر على الجهاد في سبيل الله. انظر: المغني لابن قدامة (١٩٦/٩)، والمحلى لابن حزم (٢٩١/٧)، وبداية المجتهد لابن رشد (٣٩٦/١)، والمبسوط للسرخسي (٣/١٠)، وانظر: كتاب الجهاد لعبدالله القادري (٥٦/١ ـ ٦٠).

تلكم النصوص القرآنية قول الحق جلّت قدرته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١] يخبر الباري جلّت قدرته في هذه الآية العظيمة عن خبر عظيم، وعن صفقة رابحة لم يعرف في الدنيا قط صفقة تجارية أربح منها، إنها صفقة بين الله عزّ وجلّ ربّ العالمين وبين عباده المؤمنين الذين لا يملكون معه شيئاً صغيراً أو كبيراً. إلا أنه ملّكهم جلّ جلاله من فضله وأعطاهم بمنته وكرمه وإحسانه، ثم بايعهم وعقد معهم صفقة رابحة قدّم فيها المؤمنون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وفي محاربة أعداء الله، فأعطاهم الله مقابل ذلك نعيماً لا ينفد وملكاً لا يبلى، ألا وهو الجنة دار كرامته. ويا لها من ثمن غال وعِوَضٍ عظيم منّ الله به على المؤمنين مقابل ما قدموه ـ مما ملّكهم وأعطاهم كرماً وفضلاً ـ من نفس ومال والله سبحانه يمنّ على من يشاء. وقد أكد عزّ وجلّ هذا الوعد وهذا الشراء وأخبر بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة، وأنزله على رسله في كتبه التوراة والإنجيل والقرآن، وبيّن تعالى أنه لا أحد أوفى بعهده من الله أصدق القائلين. فإنه عزّ وجلّ لا يخلف الميعاد، وذلك ليطمئن المؤمنون إلى وعد ربهم ويبذلوا السلعة التي اشتراها منهم وهي نفوسهم وأموالهم في سبيله عن إخلاص وطيب نفس حتى يستوفوا أجورهم كاملة، فليستبشر المؤمنون الذين قاموا بمقتضى هذا البيع ووفوا بهذا العهد بالفوز العظيم الذي لا فوز يضاهيه والنعيم المقيم ورضا رب العالمين. فأي عاقل لا يرضى ولا يرغب في مثل هذه التجارة الرابحة ولا يسعى لها بكل جهده؟! نسأل الله أن يوفقنا لنمضي هذا البيع إنه سميع مجيب.

وقال تعالى مخاطباً أيضاً عباده المؤمنين ومبيناً لهم عظم فضل الجهاد بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ

ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠ - ١٣] ففي هذه الآيات الكريمات يخبر أصدق القائلين أيضاً عن تجارة رابحة تنجي المؤمنين من العذاب الأليم يوم الدين ألا وهي الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله. ففي هذه الآيات أيضاً أعظم ترغيب وأكمل تشويق إلى الإيمان والجهاد. ومن المعلوم أن الإيمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله وإخلاص العبادة له وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ، كما يتضمن أداء الفرائض وترك المحارم، والجهاد في سبيل الله داخل في ذلك لكونه من أهم وأعظم الفرائض، بل إنه ذروة سنام الإسلام كما جاء في الحديث الصحيح لكنه سبحانه خصه مع ذلك بالذكر لعظم شأنه، وللترغيب فيه لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة، ولما يناله المجاهدون في سبيل الله من المغفرة للذنوب والفوز العظيم والمساكن الطيبة بالجنة دار كرامته عزّ وجلّ. كل هذا ليعظِّم شوقهم عزّ وجلّ إلى الجهاد في سبيله وليشدِّد رغبتهم فيه، ليتسابقوا إليه ويسارعوا في مشاركة القائمين به، وقد وعد عزّ وجلّ المجاهدين مع ذلك الأجر العظيم، وبشّرهم ببشرى عاجلة محبَّبة إلى قلوبهم ألا وهي النصر على أعدائهم والفتح القريب على المؤمنين، وفي هذا غاية التشويق والترغيب في الجهاد. فأي شيء أعظم من هذه البشائر، نجاة من النار، ومغفرة للذنوب، وفوز بالجنة، ومساكن طيبة فيها، ونصر على الأعداء وفتح قريب، وكلها مجتمعة في الجهاد في سبيله فهل هناك أعظم من هذا؟! كلا وربي.

كما يقول الله تعالى مبيناً عظم منزلة الشهداء في سبيله وأنهم أحياء عنده: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١] ففي هذه الآيات المباركات العظيمات يخبر أصدق القائلين عن الشهداء الذين قدّموا أنفسهم لله عزّ وجلّ وباعوها له أنهم مع كونهم قد قتلوا وماتوا في هذه الدنيا إلا أن أرواحهم حية مُنعَّمة مرزوقة في الجنة عنده جل في علاه، وقد بين هذا النعيم وهذا

الفضل والكرم لهؤلاء الشهداء أمام المجاهدين رسول الله ﷺ عندما سأله أصحابه رضي الله عنهم عن تفسير هذه الآية فقال: «**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**» رواه مسلم(١). فالله ما هذا الكرم وما هذا النعيم الذي لا ينفد للمجاهدين الشهداء في سبيله، نسأل الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله إنه سميع مجيب. هذا والآيات في فضل الجهاد والترغيب فيه وفضل المجاهدين كثيرة جداً فلذا نكتفي بما ذكرنا ـ خشية الإطالة ـ ولأن فيه الترغيب والحض على القيام بهذه الشعيرة العظيمة لمن شرح الله صدره ووفقه لهذا الفضل والفوز العظيم.

أما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد وفضل أهله فهي كثيرة جداً أيضاً وسنقتطف منها بعض الأحاديث. من ذلك قوله ﷺ فيما رواه الشيخان رحمهما الله(٢): «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**». الله أكبر ما هذا العطاء وما هذا الإنعام، رباط يوم في سبيل الله وغدوة يغدوها المؤمن المجاهد أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وما فيها من متع ومحبوب وزينة، إنه والله لفضل عظيم وكرم كبير من الباري جلّت قدرته للمجاهدين في سبيل الله.

كما يقول عليه الصلاة والسلام مرغباً في الجهاد ومبيناً عظم أجر

---

(١) مسلم ك الإمارة باب أن أرواح الشهداء في الجنة (٣/١٥٠) حديث (١٢١).

(٢) البخاري ك الجهاد باب فضل رباط يوم في سبيل الله (٦/٥) حديث (٢٨٩٢)، ومسلم بنحوه ك الإمارة باب فضل الرباط في سبيل الله (٣/١٥٢٠) حديث (١٦٣).

المجاهدين في سبيله فيما رواه البخاري: **«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»**[(١)]. ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: **«تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو ضامن عليّ أن أدخله الجنّة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كَلْم[(٢)] يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِمُ، لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية[(٣)] تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة[(٤)] فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزوا فأقتل»** رواه مسلم[(٥)]. وروى البخاري بعضه. يا سبحان الله ما أعظم الجهاد في سبيل الله وما أعظم فضل وأجر المجاهدين؟! فهنيئاً لهم بما بشّرهم به إمام المجاهدين ﷺ من الأجر والخير وحسبهم فخراً أنه عليه الصلاة والسلام إمامهم، ويتمنى أن يجاهد فيقتل ثم يجاهد فيقتل ثلاث مرات، وذلك قطعاً لما يعلم ويرى ﷺ من فضل الجهاد في سبيل الله وفضل الشهادة عند الله عزّ وجلّ. فنسأل الله من فضله.

كما يبين عليه الصلاة والسلام أن الجهاد من أحب وأفضل الأعمال إلى الله عزّ وجلّ فقد سأله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين (١١/٦) حديث (٢٧٩٠).
(٢) الكلم: هو الجرح. المعجم الوسيط (٧٩٦/٢).
(٣) السرية: القطعة من الجيش ما بين الخمسة أنفس إلى الثلاثمائة أو هي من الخيل نحو أربعمائة. المعجم الوسيط (٤٢٩/٢).
(٤) أي:ما يسع سائر المسلمين.
(٥) مسلم ك الإمارة فضل الجهاد في سبيل الله (١٤٩٥/٣) حديث (١٠٣)، ورواه البخاري ك الجهاد باب معنى الشهادة (١٦/٦) حديث (٢٧٩٧).

قال: (قلت: يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**برّ الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قال: حدثني بهن رسول الله ولو استزدته لزادني)[1].

وفي صحيح البخاري أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد. قال: «**لا أجده**». قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟**» فقال: ومن يستطيع ذلك[2]؟! أجل والله أنه لا عمل يعدل الجهاد في سبيل الله، فالمجاهد يحمل أغلى ما عنده ـ وهو نفسه وماله ـ ويدافع بهما عن دين الله ويقدمها بطيب نفس إلى الله عزّ وجلّ في سبيله ابتغاء مرضاته، فهل هناك عمل يضاهيه؟ كلا وربي، ولذا يتمنى الشهيد في سبيل الله أن يعود إلى الدنيا فيغزو ويقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة والفضل كما أخبر بذلك الصادق والمصدوق ﷺ فقال: «**ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**» ـ وفي رواية ـ «**لما يرى من فضل الشهادة**» متفق عليه[3]. إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة المرغبة في الجهاد والشهادة.

---

(١) البخاري ك الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها (٩/٢) حديث (٥٢٧).
(٢) البخاري ك الجهاد باب فضل الجهاد (٤/٦) حديث (٢٧٨٥).
(٣) تقدم تخريجه.

المبحث الرابع

الترهيب من ترك الجهاد

إنه في مقابل الترغيب والحض على الجهاد في سبيل الله وبيان فضله وعظم أجره. وفي مقابل الثناء الجميل على المجاهدين والشهداء في سبيل الله ـ كما تقدم معنا ـ ورد التحذير والترهيب الشديد من الاستهانة بالجهاد وتركه فذم الله تعالى ورسوله ﷺ التاركين له ووصفهم بالصفات الشنيعة كالنفاق ومرض القلوب والفسق وغير ذلك، ولندع النصوص الكريمة تتكلم في هذا الشأن. فلقد قال الله تعالى محذراً ومتوعداً: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]. ففي هذه الآية المباركة التحذير من تقديم أي شيء مهما كان جنسه على محبة الله ورسوله ﷺ وعلى الجهاد في سبيل الله، وفيها الوعيد الشديد أيضاً لمن كان كذلك فقصّر في هذا الواجب حيث ختم الله الآية بالفسق على من اتصف بهذا الخلق الذميم فقدم هذه الدنيا وما فيها من زوال وأناس من أهل عشيرة على ما هو أهم وأعظم وهو محبة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وفي ذلك من الذم والترهيب ما لا يخفى على عاقل.

ويقول الله تعالى أيضاً محذراً من ترك الجهاد: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥] فقد

نزلت الآية في ترك الجهاد كما قال بذلك جماعة من العلماء[1]، مستدلين لذلك بما قاله الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه كما ذكر ذلك العلامة ابن كثير في تفسيره والبغوي وغيرهما عن أسلم بن عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: ناس ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا معشر الأنصار، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحبباً فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيّه ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما ونصلح ما ضاع منهما فنزل فينا ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب رضي الله عنه يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية رضي الله عنه فتوفي هناك ودفن في أصل سور القسطنطينية ا.هـ. أجل والله إن ترك الجهاد بمثابة إلقاء النفس في التهلكة لأنه ترك لفريضة من أهم فرائض الدين بل وذروة سنام الإسلام كما جاء في الحديث فمتى تركه المسلمون طمع بهم عدوهم وغزوهم وقتلوهم في عقر دارهم - كما هو الحال في كثير من بلاد المسلمين - وأي هلاك وتهلكة بعد هذا؟!.

لذا جاءت الآيات المحذرة من التثاقل عنه والمرهبة من تركه وجاء الوصف بالنفاق ومرض القلب لمن كان حاله هكذا - نسأل الله السلامة - من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٢٨ - ٢٢٩)، وتفسير البغوي (١/١٦٤ - ١٦٥).

يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤١ ـ ٤٥] يخبر المولى عزّ وجلّ في هذه الآيات المباركات ـ بعد أمره المؤمنين بالنفر والجهاد في سبيل الله ـ عن حال المنافقين ويبين تثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم، ويبين عزّ وجلّ أن ذلك هلاك لهم، ثم يعاتب نبيّه عتاباً لطيفاً جميلاً على إذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ مبيناً عزّ وجلّ أن في عدم الإذن لهم يتبين الصادقون في جهادهم ويفتضح الكاذبون وهذا قبل أن يخبره عزّ وجلّ عن أسماء المنافقين.

ثم يخبر عزّ وجلّ أن المؤمن لا يستأذن في ترك الجهاد بغير عذر شرعي، لأن إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك ويحضه على خوض المعركة والجهاد في سبيل الله، ثم يذكر عزّ وجلّ أن الذين يستأذن في ترك الجهاد هو عادم الإيمان بالله واليوم الآخر المرتاب فيما جاء به النبيّ ﷺ والمنافق ـ والعياذ بالله ـ وفي هذا ما لا يخفى على عاقل من الترهيب من ترك الجهاد والترغيب فيه.

وهذه آية أخرى تبين حال المنافقين الذين في قلوبهم مرض من حال الجهاد قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٠ ـ ٢٣] ففي هذه الآيات المباركات يخبر الباري جلّت قدرته أولاً عن تمني المؤمنين شرعية الجهاد حباً له وحرصاً عليه، ثم يخبر عن حال المنافقين وبغضهم للجهاد وجبنهم عن لقاء العدو ويصف حالهم كيف ينظرون للرسول ﷺ نظراً شزراً لئيماً بتحديق شديد كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، ثم يحذرهم ويتوعدهم بقوله: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ثم يخبر عزّ

شأنه أنهم لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفاً لكان أمثل وأحسن. ثم يبين جلّ جلاله أنهم لو أخلصوا النيّة مع الله وقاتلوا عندما حضر القتال ووجب لكان خيراً لهم، لكنهم على العكس من ذلك نكلوا عن الجهاد وكذبوا فيما وعدوا به الله ورسوله. ثم يهددهم عزّ وجلّ لتركهم الجهاد وإعراضهم عن طاعة الله ورسوله ووقوعهم في المعصية والبغي وقطع الأرحام ويصمهم باللعنة والغضب وعمي البصر(١). نسأل الله السلامة. فهل بعد هذا الإنكار على ترك الجهاد ووصف المتقاعسين عنه بأبشع الصفات ـ وهي النفاق ومرض القلب ـ من ترهيب عمن تركه؟! إلى غير ذلك من الآيات.

أما السنّة فقد جاء فيها أيضاً الترهيب الشديد والتحذير من ترك الجهاد أو التهاون به، من ذلك قوله ﷺ: **«من مات ولم يغزو ولم يحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق»** رواه مسلم(٢) وغيره! فالحديث يبين أن من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه به مات على خصلة من خصال النفاق، فتركه إذاً كبيرة من كبائر الذنوب، لأن النفاق من الكفر ومن أكبر الذنوب كما هو معلوم. فالجهاد سبب النجاة وتركه سبب الهلاك والشقاء والذل في الدنيا والآخرة.

ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه أبو داود(٣) عن رسول الله ﷺ قال: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**. فالحديث ظاهر في أن الأمة المسلمة متى ركنت إلى الدنيا وانشغلت بها وتركت الجهاد في سبيل الله فإن الله يعاقبها بالذل والمهانة المفروضة عليهم من قبل أعدائهم حتى يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى دينهم، فترك الجهاد ترك للدين كله، وذلك لما يسبب تركه من قبل المسلمين من تسلط الأعداء عليهم والتحكم

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم (١٧٨/٤)، وتفسير البغوي (١٨٣/٤ ـ ١٨٤).

(٢) مسلم ك الإمارة باب ذم من مات ولم يغزو (١٥١٧/٣) حديث (١٥٨)، وأبو داود ك الجهاد باب كراهية ترك الغزو (٢٢/٣) حديث (٢٥٠٢).

(٣) تقدم تخريجه.

فيهم حتى يكفروا بعضهم ويهينوا ويذلوا البعض الآخر... وقد صدق عليه الصلاة والسلام فلقد حلّ بالأمة الإسلامية من الذلّ الكبير والخضوع للكفار ما يندى له الجبين في الماضي والحاضر لما تركوا هذا الركن وهذه الشعيرة العظيمة، ولن يرفع عنهم ذلك إلا بالعودة الصادقة إلى الله والتطبيق الحق لشرعه والتمسك بكتابه وسنّة نبيّه، وما كان عليه سلف هذه الأمة الذين أعزهم الله ونصرهم مع قلتهم وكثرة عدوهم لما صدقوا مع ربهم وبالجهاد في سبيل الله لأنه ذروة سنام هذا الدين العظيم، فتركه ترك لقمة الإسلام وذهاب لمجد المسلمين، لأنه من أخذت منه القمة نزل إلى أسفل، ومن نزل إلى أسفل ضاع منه كل عال وغال، فليدرك المسلمون هذه الحقيقة فإنها سنّة الله في خلقه لن تتغير مدى الدهر وليأخذوا عبرة من التاريخ. ثم لينظروا كيف جعل رسول الله ﷺ نسيان المسلم الرماية بعد تعلمه إياها ذنباً عظيماً يعاقبه الله عليه في الدنيا والآخرة فقد قال ﷺ: «**من علم الرمي ثم تركه فليس منا، أو فقد عصى**» رواه مسلم[1]. الله أكبر ما أعظم إثم وذنب من ترك الجهاد؟! فإذا كان من تعلم الرمي ـ وهو فن من فنون الحرب ـ ثم نسيه عاصياً لله ورسوله وجاء فيه هذا الوعيد الشديد «**ليس منا**»، فكيف إذاً بمن ترك الجهاد برمته وركن إلى الدنيا؟! إن إثمه لأعظم وأنه لعلى خطر عظيم، فعلى المسلمين أن يتوبوا إلى الله، وأن يتمسكوا بهدى نبيّهم ﷺ إمام المجاهدين، فيرفعوا لواء الجهاد ويقوموا به حق القيام ليمكنهم الله في الأرض كما مكن سلفهم الصالح، وليرفعوا عنهم ما حل بهم من ذل وعار. والله وحده المسؤول في تحقيق ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) مسلم ك الإمارة باب فضل الرمي والحثّ عليه وذم من علمه ثم نسيه (٣/١٥٢٢ ـ ١٥٢٣) حديث (١٦٩).

المبحث الخامس

أنواع الجهاد

يحسن بنا بعد أن عرفنا أهمية الجهاد ـ بكونه من مستلزمات محبة الله ورسوله ـ، ودليلاً صادقاً على هذه المحبة لدى العبد، إضافة إلى عظم أجر أهله عند الله عزّ وجلّ، لما يحمل في طياته من أهداف عظيمة ونبيلة لا تجتمع في غيره من الواجبات الشرعية... يحسن بنا لهذا كله أن نبين أنواعه وميادينه التي يجب على العبد المؤمن المحب لربه ولرسوله ﷺ أن يجاهد فيها ويسعى لمرضاة ربه عزّ وجلّ بالقيام بذلك. وإنه بالرجوع والنظر إلى نصوص الكتاب العزيز والسنّة المطهرة الواردة في الجهاد تتبين لنا هذه الأنواع وتتمثل في الآتي[1]:

(١) جهاد النفس.

(٢) جهاد الشيطان.

(٣) جهاد الكفار.

(٤) جهاد المنافقين.

---

(١) أشار إلى هذه الأنواع أو بعضها وطرق الجهاد فيها كثير من العلماء منهم ابن القيم في زاد المعاد (٩/٣ ـ ١١)، وابن حجر في فتح الباري (٣/٦)، والقرطبي في تفسيره (٩٩/١٢)، ومحمد أبو سخيلة في أحكام الجهاد، ص٦٠ ـ ٦٨، ود. كامل الدقس في آيات الجهاد في القرآن، ص١٩، ٧٢، و٢١٦، ٢٧١ ـ ٣٧٣، ود. محمد ياسين في كتاب الجهاد، ص٨، وغيرهم.

(٥) جهاد الظالمين والفاسقين (أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

(٦) جهاد المرتدين.

(٧) جهاد المحاربين وقطاع الطرق.

(٨) جهاد البغاة من المسلمين.

(٩) الجهاد بالنفس والمال.

هذا وسأبين بمشيئة الله تعالى الطرق والأساليب التي ينبغي للمجاهد أن يسلكها في جهاده مع كل نوع من هذه الأنواع، إضافة إلى ذكر خطورة الأعداء الذين يجاهدهم مع بيان بعض أساليبهم في ذلك، سائلاً المولى الكريم أن يجعلنا ممن اصطفاهم الله ووفقهم للقيام بتحقيق هذه الأنواع جميعها إنه سميع مجيب. ولنبدأ مع كل نوع على حدة فيما يلي من المباحث.

المطلب الأول: النوع الأول: جهاد النفس:

(أ) خطر النفس وأهمية جهادها:

إن هذا النوع من الجهاد من أهم وأخطر الأنواع، ذلك لأن ميدانه والعدو المطلوب جهاده فيها أقرب شيء إلى الإنسان ألا وهو نفسه التي بين جنبيه. وقد شاءت حكمته عزّ وجلّ أن يودع في هذه النفس القوى والطاقات وأن يركب فيها النوازع والاستعدادات والقابليات، فجعل فيها القوة المدركة الواعية وهي القلب. والقوى القادرة على الحركة وهي الجوارح والأعضاء، والقوى الباعثة على الحركة وهي الغرائز والنوازع. ومنّ سبحانه على الإنسان بالمنهاج الحكيم ليأخذ به هذه القوى المختلفة. وجهاد النفس يكون بحملها وما فيها من طاقات عى منهج الله عزّ وجلّ الذي أنزله لها قال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾(١) [الشمس: ٧ - ١٠] ومعنى قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ أي بيّن لها سبل الخير والشر كلها وجعلها مختارة تختار الذي تريد من

---

(١) الجهاد ميادينه وأساليبه لنعيم ياسين، ص٩.

ذلك[1]. وقد أثنى سبحانه وتعالى على من زكاها وعنّف على من أغفلها عن هذه التزكية فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنٰهَا ۝١٠﴾ وتزكيتها إنما تكون بجهادها بتسييرها على طاعة الله والبعد عن معصيته وعن الأخلاق الدنيئة والرذائل، وتدسيتها تكون بترك جهادها ووقوعها في معاصي الله عزّ وجلّ والبعد عنه والوقوع في سيىء الأعمال والأخلاق والرذائل كما قال المفسرون رحمهم الله[2]. هذا وقد اهتم كتاب الله عزّ وجلّ بهذه النفس اهتماماً كبيراً، وبيّن أنواعها ووصفها بعدة صفات ـ، وذلك حسب إيمانها وتزكيتها من قبل صاحبها أو حسب ترك ذلك، ـ فقد وصفها مرة بالاطمئنان، وبالإيمان، وبذكره سبحانه والعمل الصالح قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠] وهذه هي أفضل الأنفس لأن جزاءها الجنة. ووصفها مرة أخرى بأنها أمّارة بالسوء ودأبها الأمر لصاحبها بعمل المنكر وما يغضب الله قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ﴾ [يوسف: ٥٣] وهذه شر الأنواع. ووصفها مرة ثالثة بأنها كثيرة التحرُّج من فعل الشر وترك الخير وأنها تلوم صابحها باستمرار على ذلك. وقد أقسم لذلك فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ١، ٢] وهذه النفس تأتي بعد النفس المطمئنة.

(ب) طرق مجاهدة النفس:

وقد وضح العلماء رحمهم الله الطرق والأساليب لمجاهدة هذه النفس البشرية وتتلخص في أربعة مراتب[3]:

الأول: جهادها على تعلم الهدى ودين الحق من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥١٦/٤)، وتفسير البغوي (٤٩٢/٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم (١٠/٣) وأحكام الجهاد، ص٦٢، وآيات الجهاد في القرآن، ص١٩ ـ ٣٠، والجهاد لنعيم ياسين، ص١٠ ـ ١٥.

بإحسان. وهذا هو مبدأ جهادها لأن الله تعالى هو الذي خلقها وهو أعلم بما يصلحها وما يضرها، فمن أراد إصلاح نفسه سار مع كتابه الكريم في تربيته إياها ومع سيرة نبيّه الكريم التي فصّلت ذلك وطبّقته تطبيقاً عملياً وتبعه على ذلك السلف الصالح من صحابة وتابعين وتابعيهم بإحسان. وفضل العلم معلوم في كتاب الله وسنّة رسوله، وحسب العلماء وأهل العلم رفعة وشرفاً أن الله فضّلهم وقرّبهم إليه فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] وقال رسول الله ﷺ مادحاً أهل العلم: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[١]. والعلم ليس مطلوباً لذاته وإنما لثمرته فأفضله ما استقام به أمر الإنسان في دنياه وأسعده في أخراه.

الثاني: جهادها على العمل والالتزام بما تعلمت. لأنه لا قيمة للعلم بدون عمل وإن مثل من علم فلم يعمل كمثل الحمار الذي يحمل أطنان الكتب وأنفعها، وهو لا يحس بقيمتها وإنما يتألم من ثقلها لأنه لا يفقه ما فيها من خير، وقد ضرب الله هذا المثل في بني إسرائيل فقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، لذلك كان صحابة رسول الله ﷺ إذا تعلموا شيئاً من كتاب الله لم يجاوزوها حتى يعملوا به فتعلموا العلم والعمل جميعاً كما قال ذلك بعضهم رضي الله عنهم فيما نقل عنهم شيخ الإسلام في بعض كتبه[٢]. وأول الالتزام وأجله هو التزام القلب بعبادة الله عزّ وجلّ والإخلاص له سبحانه وتعالى وخشيته ورجاؤه والتوكل عليه والإنابة إليه والاستعانة به، وغير ذلك من أعمال القلوب، ثم التزام الجوارح بطاعة الله والانتهاء عما نهى عنه[٣]. وقد ألف بعض العلماء السابقين رحمهم الله كتاباً جليلاً في هذا المعنى سمّاه (اقتضاء العلم والعمل) افتتح مقدمته بوصية طيبة يحث فيها على الإخلاص وجهاد

---

(١) رواه البخاري ك العلم (١٦٤/١) حديث (٧١)، ومسلم ك الزكاة باب النهي عن المسألة (٧١٨/٢) حديث (٩٨).

(٢) انظر الإكليل، ص٥، (ط ١٣٩٤هـ).

(٣) الجهاد ميادينه وأساليبه، ص١٢.

النفس والعمل وقد ضرب لذلك بعض الأمثلة وذكر في كتابه كثيراً من الأقوال عن السلف رحمهم الله في هذا المعنى فليراجع[1].

الثالث: جهادها على الدعوة إلى ما تعلمت من الحق والهدى، وإلا كان صاحبها من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله. وهذا النوع من أهم الأنواع وبالأخص عندما ينتشر الفساد والخبث والضلال بين الناس، لأنه متى قصّر المسلم في هذا المجال فإنه سيترك مجالاً خصباً لأهل الباطل لينشروا فيه باطلهم وسمومهم بين العباد، وقد امتدح الله عزّ وجلّ القائمين بالدعوة إليه بمدح جليل وأثنى عليهم في كتابه فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] وقال رسول الله ﷺ لعليّ رضي الله عنه: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**»[2]. والنصوص في بيان أمر الدعوة إلى الله معلومة لا مجال لذكرها هنا.

الرابع: جهادها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، لأنه لا بدّ أن يلقى الداعي إلى الله أذى من الخلق ومضايقات بسبب جهلهم وكفرهم وحفاظاً على أطماعهم ومكاسبهم الدنيوية المرتبطة بالانحراف وبعدهم عن الله. فلا بدّ للمؤمن أن يصبر على هذا كله وأن يتحمَّل ذلك كله ابتغاء وجه الله، وقد وعد الله الصابرين بالجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] كما وعدهم بالنصر على عدوهم حيث قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. فإذا استكمل المؤمن هذه المراتب الأربع صار ـ كما قال ابن القيم[3] رحمه الله ـ من الربانيين فإن

---

(١) انظر: كتاب اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي فقد جمع ووفى هذا الموضوع حقه.

(٢) رواه البخاري ك الجهاد باب دعاء النبيّ للإسلام (١١١/٦) حديث (٢٩٤٢)، وباب فضل من أسلم على يديه رجل (١٤٤/٦) حديث (٣٠٠٩)، ومسلم ك فضائل الصحابة فضائل علي (١٨١٢/٤) حديث (٣٤).

(٣) زاد المعاد، ص١٠.

السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلّمه. فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السموات ا.هـ.

وفي ختام هذا المبحث أود أن أشير إلى حديث ضعيف يستدل به كثير من العلماء حيث يسمون جهاد النفس الجهاد الأكبر ويسمون جهاد العدو الجهاد الأصغر مدّعين اتفاق العلماء على تسميته بذلك(١). وهذا نص الحديث الضعيف، فقد ذكر صاحب فيض القدير أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس، وفي رواية قال: «**قدمتم خير مَقْدَم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه**»(٢) ويكفي في رده أن هؤلاء الذين يستدلون به يقرون ـ أو يقر أكثرهم ـ بضعفه، فلا أدري كيف يبنون عليه حكماً شرعياً خطيراً مع هذا؟! هذا فضلاً عن معارضته ومخالفته لكتاب الله ولسنّة رسوله الصحيحة. أما مخالفته للكتاب فهو يعارض معارضة واضحة قوله عزّ وجلّ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥] فلا أدري كيف يُفَضَّل القاعد عن الجهاد ـ الذي يجاهد نفسه حسب زعم هؤلاء ـ على من حمل بنفسه ابتغاء مرضاة الله ليحارب عدو الله؟! وماذا يقول هؤلاء بهذا النص القرآني الواضح الجلي؟! إلى غير ذلك من الآيات التي تتعارض مع هذا الحديث الضعيف.

أما معارضته للسنّة فسأذكر حديثاً واحداً في هذا المعنى ففي الصحيح

---

(١) كما ادعى الدكتور الدقس في كتابه آيات الجهاد، ص٢٠ ـ٣٠، والدكتور أحمد محمد جمال في كتابه الجهاد في الإسلام، ص١٠ ـ١٩، وغيرهم مدافعين عن ذلك بشدة.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥١١/٤) للمناوي، المكتبة التجارية مصر. وقد رمز له بـ(ض) يعني ضعيف وقد بيّن العلامة الألباني رحمه الله ضعفه أيضاً انظر ضعيف الجامع (١١٨/٤) حديث (٤٠٨٤).

عن رسول الله ﷺ أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال دلني على عمل يعدل الجهاد. قال: «**لا أجده، قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال ومن يستطيع ذلك؟!**»(١) فيا سبحان الله رسول الله ﷺ يخبر أنه لا يعدل الجهاد بالنفس - أي جهاد الكفار - شيء ولو قام المؤمن يصلي ويتعبد الله بدون انقطاع في مسجده، ولو صام ولم يفطر أي يوم مدة غياب المجاهد، وهؤلاء يقولون جهاده لنفسه أعظم من جهاده للكفار مستندين إلى حديث لا تقوم به الحجة؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن جهاد الكفار لا يتصور وقوعه من أحد لم يجاهد نفسه أولاً، لأنه إن لم يستطع أن ينتصر على نفسه ويجاهدها فلن يستطيع أن يرغمها على مجابهة ومنازلة الأعداء معرِّضاً إياها للخطر المحدِق، وإلا فسينهزم ويفر من الزحف أو يتحيل في اختراع الأعذار والمعوِّقات ليتخلف عن الجهاد، ثم إنه لو ترك هذا الباب على مصراعيه لما تقدم المسلمون في فتوحاتهم كما تقدموا في السابق، ولتركوا جهاد أعدائهم فتسلطوا عليهم - كما هو حال المسلمين الآن إلا من رحم ربي - مستندين إلى حديث ضعيف، ولوجد ضعاف الإيمان والنفوس عذراً ووسيلة لترك جهاد العدو والتكالب على متاع الحياة الدنيا إلى غير ذلك من المحذورات فاتضح إذاً بطلان هذا القول وفساده.

المطلب الثاني: النوع الثاني: جهاد الشيطان:

إن من رحمة الله تعالى وفضله على عباده أنه بيّن لهم ما يضرهم وما ينفعهم، وعرّفهم بأعدائهم وبيّن لهم وسائلهم التي يستعملونها في محاربتهم للعباد لإبعادهم عما يسعدهم بالدنيا والآخرة ولإبعادهم أيضاً عن منهج الله المستقيم. كل ذلك ليزداد المؤمنون إيماناً وصلابة في دينهم ومحاربة لهؤلاء الأعداء. ومن هؤلاء الأعداء الذين عرّفنا الله بهم الشيطان.

---

(١) رواه البخاري وتقدم تخريجه، في فضل الجهاد.

(أ) **خطره**: وهو من أخطرهم - إن لم يكن أخطرهم على الإنسان - وخطره يكمن في أنه جبل على حب الشر والغواية والإضلال للعباد، بل إن الله عزّ وجلّ أخبرنا - وهو أصدق القائلين - بأن هذا العدو اللئيم المتربص بنا قد نذر نفسه وأعدَّ جيوشه لمحاربة الإنسان وإبعاده عن منهج الله القويم، قال تعالى على لسان إبليس اللعين: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]. وقال أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠] وقد أمرنا عزّ وجلّ باتخاذ الشيطان عدواً، وحذّرنا من اتباع خطواته لأنها تؤدي بنا نحو الهاوية وغضبه عزّ وجلّ فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩] وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦]. وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب الكريم تذكر فيها هذا العدو الشيطان محذرة منه، وحاثة على جهاده ومبينة لأساليبه مع العباد في الغواية والإضلال والصدّ عن سبيل الله فقد جاء ذكر الشيطان مفرداً في سبعين آية مكية ومدنية وبصيغة الجمع في ثماني عشر آية معظمها مكي[١]. وما ذلك إلا لعظم خطر هذا العدو ليكون المؤمن منه على حذر ومستعداً دائماً لمحاربته وجهاده في كل وقت وفي كل حين.

(ب) **مداخله**: وإن لهذا العدو - الشيطان - طرقاً ومداخل وأساليب متنوعة للغواية والصد عن الهدى[٢]، وأول هذه المداخل[٣] وأساسها: الهوى والشهوات لأنها مبدأ استيلاء الشيطان على قلب الإنسان فمن امتلأ

---

(١) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وآيات الجهاد في القرآن الكريم للدقسي، ص٣٢.

(٢) لابن الجوزي كتاب فريد في بيان هذه الأساليب والطرق الشيطانية سماه (تلبيس إبليس) وهو من أنفس ما كتب في هذا المجال فليراجع لمن أراد ذلك.

(٣) ذكر هذه المداخل الدكتور محمد نعيم ياسين في كتابه الجهاد، ص١٩ - ٢٣.

قلبه بها وانبسط معها أكثر مما ينبغي فقد أعان الشيطان على نفسه وفتح له الطريق إلى قلبه، وكان ممن قال الله فيهم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وكان مثله مثل الذي أخبر الله عنه في قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وهكذا يتبع الشيطان عبد الهوى والشهوة، أما عبد الله المتحرر من عبودية غيره فليس للشيطان عليه سبيل ولا سلطان. ونسأل الله أن نكون كذلك.

ومن مداخله وأساليبه أيضاً أنه يغرِّر بالقلب فيحبِّب إليه الدنيا وملذاتها، وينسيه الآخرة الباقية، ليجعله أسيراً وعبداً بين يديه لمتاع الحياة الدنيا.

كما أن من مداخله وأساليبه التي يستولي بها على نفس العبد تزيينه له عقله فوق حدة، ـ وخاصة إذا كان من النبهاء ـ فيوقعه في الغرور العقلي حتى يرد بهذا الغرور بعضاً من كتاب الله وسنّة رسوله، وخاصة الأمور الغيبية بحجة أنها لا توافق العقل.

وإضافة إلى هذه الأساليب والمداخل فإن مداخله أيضاً أنه يأتي الإنسان عن طريق شهوة السلطان وحب الاتباع والشهوة، ويزيّن له ما يشاء من المنكر بصورة الحق والحق بصورة المنكر، وينفخ فيه الحماس للدعوة إلى ذلك ليكون له أتباع وشهرة وسلطان على العباد، إلى غير ذلك من الأساليب والمداخل الكثيرة والتي يجب على المرء معرفتها ليتمكن من محاربة عدوه.

(جـ) طرق جهاده: لقد بين العلماء رحمهم الله[1] طرق مجاهدة الشيطان وتتلخص في الآتي:

---

(١) انظر: زاد المعاد، ص١٠، والجهاد في سبيل الله للدكتور عبدالله القادري (١/٤٠٠ ـ ٤٠٦) وكتاب الجهاد لمحمد ياسين، ص٢٤ ـ ٢٧، والجهاد ركن الإسلام السادس لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص١٠٥، ١٠٦.

أولاً: العلم بخطره ومكره وكونه لا يدعو إلا إلى الشر والخسران لمن تبعه.

ثانياً: أن يجاهد المسلم نفسه على أن يسير على صراط الله ويكون على حذر من أن يزيغ عنه.

ثالثاً: أن يدفع العبد ما يلقيه إليه الشيطان من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان ويطرحها جانباً. وأن يوطن نفسه على ذلك.

رابعاً: أن يدفع العبد ما يلقي الشيطان إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

خامساً: أن يحقق المسلم العبودية الكاملة لله، لأنه متى حقق هذه العبودية نجا من عدوه وحال الله بينه وبين الشيطان.

سادساً: الاستعانة بالله عزّ وجلّ على أداء هذه العبادة وتحقيق العبودية الكاملة له، فإنه لولا فضله سبحانه لما قدر المسلم على ذلك لكثرة مغريات وأساليب الشيطان في الغواية.

سابعاً: أن يستعيذ المسلم به سبحانه من شره، وأن يتوكل عليه عزّ وجلّ ويقوي صلته به عزّ وجلّ ليقوي إيمانه، لأن قوة الإيمان به عزّ وجلّ تصد عدوه عن الطمع في إضلال عبده.

ثامناً: مراقبته عزّ وجلّ في السر والعلن والإكثار من ذكره من تلاوة للقرآن الكريم وحمد لله بالمحامد الجليلة، لأن ذكر الله يديم اتصال القلب به تعالى، والقلب الموصول بالله حصن حصين لا يلجه إلا الأطهار، كما أن قلة الذكر تورث النسيان وبالتالي تسهل الطريق على الشيطان.

تاسعاً: أن يتذكر المؤمن حق ربه عليه ورحمته به وقدرته عليه وعذابه الأليم إن عصاه، لأن ذلك من أعظم الأسباب الداعية لطرد الشيطان ووساوسه.

عاشراً: أن يقارن المسلم بين ما يعد الله به ويأمر به وما يعد به الشيطان ويأمر به، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

حادي عشر: وإن من أهم الوسائل الناجعة في جهاد العبد للشيطان وقطع طمعه به، توبته إلى ربه عزّ وجلّ والرجوع إليه والندم على ما يبدر منه، وبهذا يتخلص منه كما تخلص أبوه آدم من قبله. قال تعالى على لسانه لما وسوس إليه إبليس فعصى ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فقبل الله توبته هو وزوجته عليهما السلام واستجاب لهما كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

ثاني عشر: الجوع وترك الشهوات ومخالفة النفس والهوى، فإن الشيطان يضيق مجاريه بالجوع كما أخبر عن ذلك رسول الله ﷺ حيث قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع**»[(١)]. وهكذا وبهذه الطرق والوسائل يتخلص العبد المؤمن من حبائله ومصائده بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث: النوع الثالث: جهاد الكفار:

الكفار أصناف من البشر استحوذ عليهم الشيطان فسيّرهم في حزبه للصد عن سبيل الله ومحاربة أولياء الله من المؤمنين، فطغوا وتكبروا واستكبروا عن عبادة الله والخضوع له وعبدوا غيره ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، وهم أصناف وفرق وأمم شتى (والكفر ملة واحدة).

(أ) خطرهم:

وقد أخبرنا الله في كتابه عنهم وذكر حقيقتهم مبيناً أنهم لا يدّخرون وسعاً في إضلال المسلمين ومحاربتهم والانقضاض عليهم حتى يشابهوهم

---

(١) رواه البخاري ك الأحكام باب الشهادة تكون عند الحاكم (١٣/١٥٨ ـ ١٥٩) حديث (٧١٧١) بدون قوله: «**فضيقوا مجاريه بالجوع**». ورواه أيضاً أبو داود ك الصيام باب المعتكف يدخل البيت لحاجة (٢/٨٣٥) حديث (٢٤٧٠) بنحوه، وأحمد (٣/١٥٦ و٢٨٥).

أو يسيروا على ما هم من الكفر والضلال. فقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال أيضاً: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال أيضاً: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على حقيقة هؤلاء وما يبيتونه من نوايا خبيثة ضد المسلمين من كره وحقد وحسد وقتال لهم لما هم عليه من الحق ليبعدوهم عنه، فماذا يعمل المسلمون تجاه هذا كله وما هو رد فعلهم؟! الجواب يكون بجهادهم ومحاربتهم إياهم ليحافظوا على دينهم وعقيدتهم وليسهّلوا أيضاً نشر دعوتهم الطيبة في ربوع العالم.

(ب) كيفية جهادهم:

وجهادهم يكون على حالتين(١):

الحالة الأولى: وهي حالة ضعف المسلمين وغياب دولتهم: أو سلطانهم - كما هو الحال في هذا الزمن إلا من رحم ربي - وجهادهم يكون في هذا الوضع بدعوة هؤلاء الكفار إلى الإسلام وتبيين محاسنه، ومفاسد الكفر والشرك وبيان خطر ذلك عليهم في الدنيا والآخرة لعل الله أن يهديهم أو يهدي بعضهم، كما يكون أيضاً بالرد على شبههم وافتراءاتهم ومؤلفاتهم التي يطعنون بها في الإسلام وبيان زيفها وفسادها. وإضافة إلى هذا فإن من أهم الأسباب في جهادهم في هذه الحالة نشر التربية والعلم بين المسلمين ومواساتهم، ودعوتهم إلى الصبر والتحمل في سبيل الله، لأن مع الصبر النصر، إضافة إلى زرع العقيدة الصحيحة في

(١) كما وضح ذلك الدكتور محمد نعيم ياسين في كتابه الجهاد، ص٦٢، ٦٣.

نفوسهم وتهيئتهم وأعدادهم إعداداً سرياً لتقوى شوكتهم ليتحيّنوا الفرص المواتية للانقضاض على عدوهم ومحاربته عسكرياً فيضعفوه أو يقضوا عليه، ويقيموا دولتهم القوية بعد أن يُثبّتوا أركانها في قلوب المسلمين. ولنا فيما فعله الرسول ﷺ في العصر المكي خير قدوة وشاهد على ذلك[1].

الحالة الثانية: حالة قوة المسلمين ووجود دولة أو سلطان يحميهم: وجهاد الكفار في هذه الحالة ـ التي مكّن الله فيها عباده من رفع الضيم عنهم فأصبح لهم شوكة فأقاموا دولتهم وأصبح لهم شأن ـ يختلف عن الجهاد في الحالة السابقة، لأن المسلمين في الحالة السابقة كانوا في حالة ضعف، أما في هذه الحالة فأصبحوا في حالة قوة... وعليه فإن جهادهم للكفار في هذه الحالة يكون بحمل الدعوة إلى الله ونشرها في الآفاق وحتى بين الكافرين ـ ومعها القوة الإسلامية التي تحميها ـ، ويتم تبليغها لهم ويُطلب من الكافرين الدخول في الإسلام، فإن أجابوا فبها ونعمت، وإن أبوا واستكبروا قوتلوا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون إن كانوا أهل كتاب، وإلا حوربوا وقوتلوا حتى الموت إن كانوا مشركين أو شيوعيين ملاحدة وليسوا بأهل كتاب. ـ لأنه ليس أمامهم إلا الإسلام أو الحرب كما بيّنت ذلك السنّة المطهرة ـ بخلاف اليهود والنصارى. فقد قال الله في شأنهم: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]. وهكذا تُحطَّم وتُكسَّر قوى الكفر وتمنع من الصد عن سبيل الله ومن ظلم الناس، ويبقى الإسلام وحده الحاكم بسواعد أبنائه الأوفياء. وينبه في هذا المقام إلى أنه إذا كانت دولة المسلمين غير قادرة على المجابهة أو الشروع في قتال أعدائها لظروف عدة، فإنها تكتفي برد العدوان ودفعه عن أرض وأبناء المسلمين حتى تأتي الفرصة

---

(١) راجع: زاد المعاد لابن القيم (٣/١٢ ـ ٤٥) في الدعوة السرية وكذا السيرة النبويّة لابن هشام (١/٢٤١)، وما بعدها في هذا المجال.

المواتية لذلك عندما يمكنها الله في الأرض. وهذا ما يفهم ويؤخذ من سيرة رسول الله ﷺ ومن سار من بعده بإحسان[1].

المطلب الرابع: النوع الرابع: جهاد المنافقين:

النفاق لغة إظهار خلاف ما في الباطن أو الحقيقة مأخوذ من نافِقَاء اليربوع وهي إحدى حُجَره التي يكتمها ويظهر غيرها[2].

والنفاق اصطلاحاً ـ كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى ـ (هو إظهار الخير والإسلام وإبطان الشر والكفر. وهو أنواع: اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي: وهو من أكبر الذنوب)[3].

(أ) **خطرهم**: النفاق والمنافقون من أخطر الأعداء على الإسلام والمسلمين، ومن أشد الحواجز والمعوِّقات أمام سير الدعوة الإسلامية، لأنهم عدو في داخل الصف المسلم من جلدتنا ويتكلمون بكلامنا. وهذا العدو يكشّر عن أنيابه ويعمل لصالح العدو الظاهر في أستار الليالي وتحت الظلام عندما يرى للمسلمين قائمة أو تظهر لهم فاعلية في الأرض، لأنه يعلم أن زعزعة الصف المسلم من الداخل والوصول إلى المراكز المرموقة في المجتمع باسم الإسلام لبثّ السموم والقلاقل والفرقة أفضل بكثير من مجابهة المسلمين وجهاً لوجه، لأن هذه الأساليب الخسيسة لا يوجه إليها المسلمون الأنظار، وقد لا يلقون لها بالاً لخفائها عليهم، بخلاف الحرب مع العدو الكافر المجاهر فأمره واضح وكفره بَيِّن. من هنا كان خطر هذا العدو أعظم وأكبر وعذابه أشد من عذاب الكافر الأصلي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥] فالمنافق يدخل في الإسلام من باب ويخرج منه من باب. ولقد كان النفاق

---

(١) راجع: زاد المعاد (٣/٦٩ ـ ٧٢) والسيرة النبوية لابن هشام (٢/٥٩١) وما بعدها والجهاد ميادينه وأساليبه، ص٦٧ ـ ٧٨.

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٢/٩٤٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٤٧).

أخطر ما واجه المسلمين في المدينة بعد قيام الدولة الإسلامية بقيادة رسول الله ﷺ، لذا كان جهادهم من ألزم الجهاد على المؤمنين، واتخاذ الحيطة منهم أوجب من اتخاذها من غيرهم، وأكبر دليل على ذلك الحيّز الكبير الذي شغله الحديث عنهم في القرآن الكريم، فإنه لا تكاد تخلو سورة مدنية من إلقاء الأضواء الكاشفة لفضحهم وبيان خطرهم، حتى بلغ ما خُصِّص للحديث عنهم وعن أحوالهم وأساليبهم في محاربة الإسلام وأهله وبيان صفاتهم الخبيثة ما يقارب عشر القرآن الكريم، بل ونزلت سورة بكاملها فيهم سميت باسمهم[1].

(ب) **طرق مجاهدتهم**: لقد بيّن كتاب الله عزّ وجلّ صفات هؤلاء المنافقين وأحوالهم وأساليبهم في الصد عن سبيل الله والكيد للإسلام وأهله أيما بيان، موضحاً عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ ولعباده المؤمنين من بعده السبل والطرق الناجعة في جهاد هذا العدو الخطير لإبطال كيده ومكره، وهذا واضح جلي في الآيات القرآنية التي تحدثت عن النفاق وأهله... كما كان سيرة رسول الله ﷺ التطبيق العملي لما بيّنه الله عزّ وجلّ وأمر به في كتابه فيما يخص هؤلاء المنافقين طيلة حياته بعد الهجرة إلى المدينة النبويّة: وتنقسم هذه الأساليب والطرق إلى قسمين ـ كما وضح ذلك الدكتور ياسين[2] ـ:

القسم الأول: الطرق والأساليب الوقائية.

والقسم الثاني: الطرق والأساليب العلاجية.

(١) **الأساليب والطرق الوقائية**: وتتلخص في الآتي:

(١) **معرفة هذا العدو** (المنافقين) ودراسة صفاتهم في كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسوله ﷺ وتبيينها من واقع مواقفهم مع المسلمين: لأن معرفة العدو وأحواله وأسلحته ووسائله هي مبدأ الطريق في جهاده والانتصار عليه.

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١٠٤/٨) وآيات الجهاد في القرآن للدقسي، ص٣١٧.

(٢) في كتابه الجهاد ميادينه وأساليبه، ص١٤٧ وما بعدها وهو من أفضل ما كتب في الجهاد وأنواعه.

(٢) **ترك موالاتهم والتقرب إليهم**: قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٨٨، ٨٩].

(٣) **مقاطعتهم** واجتناب مجالسهم التي يخوضون فيها فيما لا يرضي الله عزّ وجلّ، وعدم الاستجابة لهم أو مشاركتهم فيما يتخذونه من وسائل ومراكز الضرار التي عملوها ليضروا بها المؤمنين الصادقين. قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٣٨ ـ ١٤٠]. ونهى تعالى نبيّه عن الصلاة في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون بقوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨].

(٤) **وضعهم** في موضوع الشك وعدم الثقة بأقوالهم وإشاعاتهم وأراجيفهم التي يقومون بها لأذية المؤمنين.

(٥) الحيلولة بينهم بين المراكز الخطرة الهامة، وإخراجهم من صفوف المسلمين عند العزم على القيام بأعمال خطيرة وخاصة عند الجهاد.

(٦) **صيانة** الصف المسلم من التنازع والتدابر والتقاطع وذلك لسد الطريق على الأعداء، وللحيلولة أيضاً دون اتساع الشقة والخلاف بين المسلمين، لأنه متى وقع ذلك فسيكون المجال فيه خصباً أمام العدو لبث سمومه وفساده بين المؤمنين قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

(٧) **الحرص على رباط الأخوة** الإيمانية بين المؤمنين ورفعه وتقديمه على كل علاقة أو رباط مهما كان، لأن هذا الرباط الرباني الوثيق يهدم ويفشل جميع المخططات الهادفة إلى زعزعة الصف المسلم وبث الفرقة والنعرات بين المسلمين من إثارة للعصبية أو النزعة القبلية أو القومية أو الأقليمية أو غيرها مما يقوم به أعداء الدين. ولنا في الصحابة الكرام

رضي الله عنهم خير شاهد ودليل على تحقيق هذه الأخوة الإيمانية.

(٨) **حسن الظن** بالمؤمنين وعدم الالتفاف إلى ما ينسبه المنافقون والكافرون إليهم من التهم والفواحش. وهذا خير علاج وأفضل وقاية لرد مفتريات الأعداء. قال تعالى معاتباً جماعة من المؤمنين الذين تأثروا بالإشاعات والأكاذيب التي روّجها المنافقون في حديث الأفك الذي اتهمت به الطاهرة العفيفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

(٩) **الحذر والاحتياط** من أهل النفاق عند العزم على اتخاذ إجراءات مهمة والقيام بأعمال خطيرة من جهاد للكفار أو غير ذلك ويكون هذا بالتكتم والسرية وتعمية الأخبار على الجهلة والمنافقين، وذلك خشية من نقل هذه الأخبار إلى الكفار عن طريق أذنابهم من المنافقين وأصحاب القلوب المريضة، وضماناً لنجاح هذه المهمات والإجراءات.

(٢) الطرق والأساليب العلاجية:

إنه في مقابل الأساليب الوقائية - التي سبق ذكرها - لمجاهدة المنافقين ينبغي على المؤمنين أن يجاهدوهم أيضاً بطرق وأساليب أخرى علاجية لعلها تنفعهم أو تنفع بعضهم لتردهم عن غفلتهم وضلالهم، لعل الله أن يهديهم إلى الحق والصواب وينقذهم من الباطل ودخول النار. وتتلخص هذه الأساليب بالنظر إلى كتاب الله وسنّة رسوله في الآتي:

(١) **تذكيرهم** بما سيلاقونه من عذاب الله جزاء نفاقهم مع التبيين لهم بأن نجاتهم تكون بالتوبة النصوح إلى الله تعالى قبل انتهاء أجلهم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

(٢) **تذكيرهم** بعلم الله الشامل المحيط بما في نفوسهم من النفاق وإن ظنوا خفاءه على المسلمين. قال تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: ٧٨].

(٣) **تذكيرهم** بأن كل شيء بقضاء الله وقدره وأنهم لن يضروا المؤمنين إن لم يرد الله لهم ذلك قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: ٥١].

(٤) **الغلظة** عليهم في معاملتهم وعدم التساهل معهم وزجرهم بشدة في كل مرة تظهر منه علامة من علامات النفاق وإقامة الحدود عليهم لأنهم أكثر من يصيبها، وإظهار عدم الرضى منهم كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التوبة: ٧٣] وهو مجموع ما قاله جماعة من السلف في جهادهم عند تفسير هذه الآية[١]. بل وقد ذهب بعض المفسرين رحمهم الله كابن كثير مثلاً إلى أن المنافقين يُقاتَلون بالسيف إذا أظهروا النفاق إذا كانت للمسلمين دولة أو قوة تحميهم، مستندين إلى ما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال بُعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف سيف للمشركين وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وسيف لأهل الكتاب وهو قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩] وسيف للمنافقين وهو قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التوبة: ٧٣] وسيف للبغاة وهو قوله: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾[٢] [الحجرات: ٩].

(٥) **ومن أساليب جهادهم** أيضاً حرمانهم من الفرص التي تفرحهم وتحقق لهم مآربهم، وعدم الاكتفاء بتكليفهم بما يطلبون من الأمور السهلة وامتحانهم بالأمور الصعبة لكشف نفاقهم وكذبهم.

(٦) **ومن العقوبات** المعنوية والطرق الناجعة لجهاد هؤلاء المنافقين

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٣٧١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٣٧١).

عدم الصلاة على موتاهم، وعدم الاستغفار لهم ورد نفقاتهم وعدم قبولها، وهو ما وضحته سورة التوبة توضيحاً جلياً من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤] وقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة: ٨٠] إلى غير ذلك من الآيات. وهكذا وبهذه الطرق والوسائل المختلفة يحارب المؤمن المحب لربه ولرسوله ﷺ هذا العدو الماكر ـ المنافقين ـ ويجاهدهم وينتصر عليهم بإذن الله وينشر دعوة الله في الأرض ليكون الدين كله لله ولو كره الكافرون.

المطلب الخامس: النوع الخامس: جهاد الظالمين والفاسقين (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

(أ) أهمية هذا النوع: إن هذا النوع من الجهاد (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من أعظم وأهم الواجبات على كل مسلم ـ بقدر استطاعته ـ، وإن القيام به على الوجه المطلوب المشروع لمن أكبر الأدلة على صدق محبة الله ورسوله ﷺ، وذلك لما يترتب عليه من الخير والنفع العميم للمسلمين. وقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين أشار إلى أن جميع أنواع الجهاد تدخل في هذا النوع من الجهاد إذا أخذ بمعناه الشامل(١). فلذلك فاضت نصوص الكتاب العزيز والسنّة المطهرة في الأمر به والحث عليه، والوعد لمن قام به بخير الجزاء، والوعيد لمن تهاون به أو تركها لأنه ـ كما هو معروف ـ خصلة من أهم خصال الإيمان، وقد وصف به عزّ وجلّ سيد البشر ﷺ فقال: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وهذا بيان لكمال رسالته وشمولها، فإنه ﷺ هو الذي قد أمر الله على لسانه بكل خير

---

(١) انظر: الحسبة في الإسلام لشيخ الإسلام، ص٦٣.

ومعروف ونهى عن كل شر ومنكر وأحلّ كل طيب وحرم كل خبيث. كما قال سبحانه في وصف عباده المؤمنين من أمة محمد ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال أيضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]. وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤] والآية كما هو ظاهر واضحة الدلالة على إيجاب هذا الجهاد ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ـ بل قد أجمعت الأمة على هذا الوجوب كما قال غير واحد من العلماء(١)، وإن اختلفوا هل الوجوب عيني أم على الكفاية، والآية مبينة أيضاً أن الفلاح مترتب على القيام بهذا الواجب العظيم.

وفي مقابل هذا الثناء على من قام بهذه الفريضة ذمّ الله عزّ وجلّ ورسوله التاركين لها أو المتهاونين بشأنها، وأخبر عزّ وجلّ أنه لعن كفار بني إسرائيل الذين تركوا هذا الواجب كما لعنهم أنبياؤهم فقال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، كما حذر الناصح الأمين ﷺ من ترك ذلك فقال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً عنه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»(٢) وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وتضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا**

---

(١) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٢/٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود بنحوه ك الملاحم باب الأمر والنهي (٤/٥٠٨) حديث (٤٣٣٦)، وأحمد (٥/٣٨٨ ـ ٣٨٩) وغيرهما.

رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[1]. فليس في الآية ما يدل على عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ـ كما قد يفهمه بعض الناس ـ وإنما فيها إخبار من الله لعباده بأنهم لا يضيرهم ضلال من ضل إذا قاموا بدعوته ونصحه، لأن عليهم الأمر والنهي وليس عليهم زرع الهداية في القلوب. وتحقيق نتائج هذا الأمر والنهي إذ هو بيد الله وحده[2]. فلا يجوز إذاً الاعتذار عن القيام بهذا الواجب بصدود الناس عنه وعدم الاستجابة، ولا التقاعس عن القيام به، ومن كان كذلك فحسبه إثماً وقوعه فيما حذر الله ورسوله ﷺ.

والمعروف في الاصطلاح الشرعي هو كل ما أمر الله به ورسوله، والمنكر هو كل ما نهى عنه الله ورسوله كما بين ذلك العلماء رحمهم الله[3]. فمن ترك أمراً من الأوامر، أو وقع في نهي من النواهي، فقد وجب على المسلمين نصحه وإرشاده وزجره عما وقع فيه من المعاصي، بدءاً بالإنكار والتغيير باليد وعند عدم الاستطاعة فباللسان فإن لم يمكن فبالقلب، كما قال رسول الله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[4] رواه مسلم والترمذي. وهذه المراتب الثلاث في هذا الجهاد إنما تكون مع العصاة والفسقة والمتبوعين من المسلمين، والحديث السابق دليل لمن أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم قادر بحسب علمه ـ وهو ما ترتاح له النفس ـ، لأن لفظ (مَنْ) عام وشامل لكل مسلم رأى منكراً، وهذا لا ينفي أن تكون هناك جماعة من المسلمين أو طائفة متخصصة للقيام بهذا الواجب، وهو ما يطلق عليهم أهل الحسبة في الفقه الإسلامي. غير أنه ينبغي للآمر والناهي أن يتحلى

---

(١) أخرجه الترمذي ك الفتن باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر وقال حديث صحيح (٤٦٧/٤) حديث (٢١٦٨)، وأحمد (٧/١).

(٢) انظر: الحسبة لشيخ الإسلام، ص٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص١٠٣، وانظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال، ص١٤، وغير ذلك.

(٤) مسلم ك الإيمان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٦٩/١) حديث (٧٨).

بآداب وواجبات كثيرة في أمره ونهيه وقد فصلها العلماء رحمهم الله تفصيلاً شافياً ولا مجال لذكرها ههنا فلتراجع في مظانها[1].

(ب) كيفية جهاد الحكام العصاة والظلمة من المسلمين: تقدم معنا من مراتب الجهاد الإنكار باليد ثم باللسان ثم بالقلب إنما يكون مع عامة وجمهور المسلمين. أما كيفية جهاد هذا النوع من المسلمين ـ وهم الحكام العصاة والظلمة ـ فيختلف اختلافاً كبيراً عما ذكرنا، لأن هذا القسم من المسلمين بيده الأمر والنهي والقوة... وتجب على الناس طاعته في غير معصية الله إلى آخر ما هناك من الأسباب المعروفة. لذلك يجب أن يكون جهادهم بالحسنى، عن طريق النصح والوعظ والتذكير بالله وبما حملوا من أمانات وواجبات، وبذكر ما يترتب على تضييعها أو التساهل فيها من خسران وضرر عليهم في الدنيا والآخرة، وبيان خطأ ما يقعون فيه من ظلم أو معصية لكونهم قدوة لغيره ومسؤولين عما استرعوا عليه أمام الله والإنكار عليهم فيما هم فيه من المحرمات وإظهار عدم الرضا بذلك. ولكن لا يجوز الخروج أو حمل السلاح عليهم لتغييرهم ما لم يقعوا في الكفر البواح أو يتركوا الصلاة. وهذا باتفاق أهل السنّة والجماعة كما قال الإمام النووي رحمه الله وغيره حاكياً هذا الإجماع[2]. وهو ما تؤيده الأحاديث الصحيحة المشهورة من ذلك ما رواه الشيخان عن جنادة[3] بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو مريض فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: «دعانا رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: على سبيل المثال كتاب الحسبة لشيخ الإسلام، والأحكام السلطانية للماوردي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال.. وغيرها.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٢٩).

(٣) هو جنادة بن أبي أمية الأزدي ثم الزهراني ويقال الدوسي أبو عبدالله الشامي وقال اسم أبي أمية كثير، مختلف في صحبته، أثبت صحبته ابن معين ونفاها ابن حبان. وقال ابن حجر هما اثنان أحدهما صحابي والآخر تابعي. توفي رضي الله عنه سنة (٨٠هـ) وقيل (٨٦هـ) وقيل سنة (٧٥هـ) انظر ترجمته: مشاهير علماء الأمصار، ص١١٢، وتهذيب التهذيب (١/١١٥ ـ ١١٦).

فبايعناه فكان فيما أخذ علينا، أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأَثَرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله قال: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[(١)]. وما رواه البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**»[(٢)]. فهذا الحديث يوضح فيه ﷺ ـ بعد أن أمرنا بالصبر على جور الأمراء ـ أن من يخرج من طاعة السلطان ـ وهي كناية عن معصيته ومحاربته بغير حق ـ مات ميتة جاهلية. وفي هذا ما لا يخفى من الخسران[(٣)]. وقال ﷺ أيضاً: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**» قالوا: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟! قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة. لا ما أقاموا فيكم الصلاة. إلا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فيكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة**»[(٤)] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب. وهنا ينبغي التنبيه إلى أنه قد أجمع العلماء على وجوب الخروج على الحاكم إذا كفر أو ترك إقامة الصلوات والدعاء لها أو استهزأ بالإسلام أو ارتكب إحدى نواقضه ووجب تعيين حاكم عادل مكانه. كما اتفقوا على أنه لا تنعقد الإمامة للكافر أبداً[(٥)]. فإلى الله نشكوا ما آل إليه حال أكثر المسلمين اليوم من تسلّط الحكام الكفرة عليهم، ومن تحكّمهم بهم وإجبارهم على الخضوع للقوانين الشيطانية الوضعية وإبعادهم عن دستورهم الرباني الكريم. فيجب عليهم أن يعملوا ليل نهار لإزاحتهم

---

(١) البخاري ك الفتن باب قول النبيّ ﷺ سترون بعدي أموراً (٥/١٣) حديث (٧٠٥٥ ـ ٧٠٥٦)، ومسلم ك الإمارة وجوب طاعة الأمراء (١٤٧٠/٣) حديث (٤٢).

(٢) البخاري ك الفتن باب قول النبيّ ﷺ سترون بعدي أموراً (٥/١٣) حديث (٧٠٥٣) ورواه بلفظ آخر ك الأحكام باب السمع والطاعة (١٢١/١٣) حديث (٧١٤٣).

(٣) انظر: فتح الباري (٧/١٣).

(٤) مسلم ك الإمارة باب خيار الأمة وشرارهم (١٤٨١/٣) حديث (٦٥ ـ ٦١).

(٥) انظر شرح النووي لصحيح مسلم (٢٢٣/١٢)، وفتح الباري (٨/١٣).

وخلعهم وتحكيم شرع الله الحكيم والتمسك بكتاب الله وسنّة رسوله وبما كان عليه السلف الصالح، ولا فوز بغير ذلك وهو تعالى وحده المسؤول في تحقيق ذلك والقادر عليه إنه سميع مجيب.

المطلب السادس: النوع السادس: جهاد المرتدين:

هذا هو النوع السادس من أنواع الجهاد التي يجب على المؤمن أن يقوم بها ليصدق في إيمانه ومحبته لله ولرسوله ﷺ وهو جهاد المرتدين. والرِدَّة: داء وخطر عظيم على الصف المسلم، لو تركت وشأنها لأصبح دين الله ألعوبة بيد كثير من أصحاب الأهواء الذين يسلمون اليوم ويكفرون غداً، إضافة إلى خطر هذا الفعل على المسلمين، لأن المرتدين سيصبحون عامل خراب وعنصر مقاومة ومجابهة لدعوة الله ولمن يسير بها وينشرها من المسلمين. من هنا أوجب الإسلام قطع هذا الشر والقضاء عليه، فقد أمرنا رسول الله ﷺ بقتل من خرج من النور إلى الظلام ومن الإسلام إلى الكفر، فقال عليه الصلاة والسلام وأفضل السلام: «**من بدل دينه فاقتلوه**» رواه البخاري[1]. وقال ﷺ: «**لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة**» متفق عليه[2]. وفي قتل المرتد من الحِكَم ما لا يعلمها إلا الله. ولو لم يكن فيها إلا حكمة الردع عن الخروج عن الإسلام لكفى. ذلك لأن الردة كالشلل المستشري في الجسم، فلا يقضى عليه إلا بقطع العضو المصاب به لئلا يعدي باقي الأعضاء، وهكذا الردة في جسم الأمة الإسلامية. ولذلك قام خليفة رسول الله ﷺ وأفضل الأمة بعد النبيّ ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه بمحاربة المرتدين والقضاء عليهم بعد وفاة النبيّ ﷺ، وقد مكّنه الله منهم ونصره عليهم ولله الحمد والمنة. ووالذي نفسي بيده لولا أن الله هيّأه لهذه الأمة الإسلامية لما صار لها من العزّ والمنعة ما صار على يديه وعلى يد من جاء بعده من الخلفاء

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

الصالحين في القرون الأولى. فجزاه الله عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء وانتقم ممن يكفِّره ويلعنه وأذلّه في الدنيا والآخرة، وما ذلك إلا لحقده وضلاله وحزنه على ما قدّمه الصدِّيق للمسلمين، ومن ذلك قتال المرتدين وما أظن من يطعن به ويكفره إلا منهم.

المطلب السابع: النوع السابع: جهاد المحاربين وقطاع الطرق:

هذا النوع من أنواع الجهاد يَنْصَبُّ ويُوجَّه ضد كل من تُسَوِّل له نفسه الشر والفساد، فيعمل على العبث بأمن المسلمين وإثارة الفتن والقلاقل وبث الذعر والخوف والدمار والقتل وفساد الأخلاق والقيم فيما بينهم. وخطر من يقوم بهذا واضح جلي على الدنيا والدين. لذلك كان جزاؤه عظيماً وعذابه أشد بأن يقتّل أو يصلّب أو تقطّع يداه أو رجلاه أو ينفي من الأرض، قال الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤]. والآية قد نزلت في قوم ارتدوا عن إسلامهم على عهد النبيّ ﷺ كما جاء ذلك في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قدم رهط من عكل ـ أو قال من عرينة ـ فأسلموا فاجتووا المدينة فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا وسمنوا، فارتدوا فقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم فأتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسَمَل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا)[١] وفي رواية (فبعث رسول الله ﷺ الطلب في آثارهم، فما ترجل النهار حتى أتي بهم فأمر بمسامير فأحميت وقطع أيديهم وأرجلهم وما حسمهم. ثم ألقوا في الحر) (يستسقون فما سقوا حتى ماتوا)[٢]. قال أبو قلابة أحد رواة

---

(١) البخاري كتاب الحدود باب المحاربين من أهل الكفر والردة (حديث ٦٨٠٢) (١٠٩/١٢).

(٢) المرجع السابق (١١/١٢) حديث (٦٨٠٤).

الحديث: «هؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله»[1] شرح بعض ألفاظ الحديث (سمل أعينهم) وفي رواية (سمر) بالراء بدل اللام، أما السمل: فهو أن يدنى من العين حديدة محماة حتى يذهب نظرها، والسمر: أن تكون الحديدة مسماراً. وفسر السمل أيضاً بأنه: فقأ العين بالشوك وليس هو المراد هنا كما وضح ابن حجر رحمه الله[2]. (ثم لم يحسمهم حتى ماتوا) (وما حسمهم) الحسم: بفتح الحاء وسكون السين الكي بالنار لقطع الدم، يقال: حسمت العرق معناه، حبست دم العرق فمنعته أن يسيل، ومن صور الحسم أن توضع اليد بعد القطع في زيت حار. وإنما ترك رسول الله ﷺ حسمهم لأنه أراد إهلاكهم[3].

وسبب نزول الآية وإن كان خاصاً بهؤلاء القوم - المرتدين - على عهد رسول الله ﷺ فلذلك بوّب البخاري رحمه الله للحديث بـ(باب المحاربين من أهل الكفر والردة)، إلا أنها تعم أيضاً المرتدين وغيرهم من المسلمين ممن اتصف بهذه الصفات وارتكب هذه الجرائم، لكن عقوبة الفريقين مختلفة، فإن كانوا كفاراً يخيّر الإمام فيهم إذا ظفر بهم. وإن كانوا مسلمين فقد قال فريق من العلماء كالشافعي وأبي حنيفة ينظر في الجناية، فمن قَتَل قُتل، ومن أخذ المال قُطع، ومن لم يَقتل ولم يأخذ مالاً نُفي وجعلوا (أو) للتنويع. وقال فريق آخر كمالك إن (أو) للتخيير فيتخير الإمام في المحارب المسلم بين الأمور الثلاثة[4]. هذا إن لم يتوبوا قبل التمكن منهم لأنهم إن تابوا عفى عنهم بنص الآية. وعلى كل حال فإن المحاربين من المسلمين يدخلون في هذه الآية كما قدمنا، ويدخل في المحاربين تجار ومهربوا المخدرات، لأن ما يهربونه ويبيحونه في المجتمع فيه محاربة لدين الله ولأوليائه، ولأنها تفتك

---

(١) فتح الباري (١١/١٢).
(٢) فتح الباري (١١١/١٢ - ١١٢).
(٣) المرجع السابق.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤٨/٢)، وفتح الباري (١١٠/١٢).

بالأسر والأخلاق والقيم. ولقد أحسنت هيئة كبار العلماء بالسعودية حفظهم الله بأن أفتت مجمعة على دخول هؤلاء في حد الحرابة، ولقد سارعت الحكومة السعودية وفقها الله للعمل بهذه الفتوى، وأصدرت القرار التاريخي بذلك، مما كان له أكبر الأثر في معالجة هذا الداء العضال، فجزاهم الله خيراً وأصلح المسلمين جميعاً ووفقهم لما يحبه ويرضاه.

المطلب الثامن: النوع الثامن: جهاد البغاة من المسلمين:

لقد حرص الإسلام حرصاً شديداً على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، وأن يسود الأمن والمحبة والألفة والوفاق فيما بينهم. لذلك حرّم القتال والبغي فيما بينهم، وكذا الشحناء وكل ما يضرهم ويزعزع صفهم. وقد مثّل رسول الله ﷺ الأمة المؤمنة بقوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[1]، لذلك أوجب عزّ وجلّ على المسلمين أن يصطلحوا فيما بينهم وأن يحكموا كتاب الله وسنّة رسوله إذا اختلفوا. قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وأوجب عزّ وجلّ على المؤمنين قتال البغاة منهم إذا لم يقبلوا بالصلح ووقف القتال ضد إخوانهم المسلمين، وإذا لم يرضوا بتحكيم كتاب الله فقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩] وهذا النوع من القتال ـ وهو جهاد البغاة من المسلمين ـ هو أحد أنواع الجهاد في سبيل الله، والذي هو من مستلزمات محبة الله ورسوله. والحكمة والهدف من هذا الجهاد ظاهرة، ألا وهي حماية الصف المسلم من التخلخل والتفكك ورد

---

(١) رواه مسلم ك البر والصلة باب تراحم المؤمنين (١٩٩٩/٤) حديث (٦٦)، واللفظ له، والبخاري ك الأدب باب رحمة الناس والبهائم (٦٠١١/٤٣٨/١٠)، وأحمد (٢٧١/٤).

المسلمين عن قتال بعضهم بعضاً ومنع حدوث العدوان أو الفتنة فيما بينهم، لأنهم أخوة في الدين. غير أن جهاد هذا النوع من المسلمين ليس كجهاد غيرهم، بمعنى أنه يجب أن يراعى في جهادهم ما يلي:

(١) عدم جواز قتالهم إذا أدبروا مع جواز ذلك في قتال المشركين والمرتدين.

(٢) لا تقتل جرحاهم وأسراهم.

(٣) لا تغنم أموالهم.

(٤) ولا تسبى نساؤهم ولا ذراريهم.

(٥) لا يستعان بكافر أو مشرك ذمياً كان أو غيره على قتالهم.

(٦) يصلى على قتلاهم لأنهم مسلمون[١].

المطلب التاسع: النوع التاسع: الجهاد بالنفس والمال:

إن هذا النوع الأخير من أنواع الجهاد هو أعظم وأفضل الأنواع وأحبها إلى الله عزّ وجلّ، لكون المجاهد يبذل ويضحّي بأغلى ما عنده في هذه الحياة الدنيا، ألا وهي روحه التي بين جنبيه وماله المحبّب إلى نفسه ابتغاء وجه رب العالمين، وطمعاً بجنته ونجاة من عذابه. إضافة إلى شمول هذا النوع - وهو الجهاد بالنفس والمال - للأنواع السابقة. وقد جاءت النصوص الكريمة من الكتاب والسنّة آمرة به ومرغبة فيه ومبينة عظم من يحققه ويقوم به ووصفته بأجمل الصفات وأطيبها. من ذلك قول الحق جلّت قدرته: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١]. فقد بينت هذه الآية الكريمة أن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال في حالة الغنى أو الفقر أو الشباب أو الشيخوخة أو غير ذلك من الأمور أن بذلك كله الخير والسادة للمؤمنين دنيا وآخرة[٢].

---

(١) انظر أحكام الجهاد في الإسلام لأبي سخيلة، ص٦٨.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/٢٩٦)، وأيسر التفاسير للشيخ الجزائري (٢/١٩١ - ١٩٢).

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٣﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣]. فقد دلت هذه الآيات المباركات، على أن التجارة الرابحة مع الله بالإيمان بالله والرسول ﷺ والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال سبب لمغفرة الذنوب ودخول الجنات العالية والتنعم بما فيها من مساكن طيبة، وحصول الفوز الأكبر بالنجاة من النار ورضا الباري جلّ في علاه على من يحقق ذلك، وهي مع هذا كله سبب ووسيلة للفرح الكبير بالنصر على الأعداء والفتح القريب ونشر دين الله في ربوع الأرض ويا لها من نعم وبشائر لا ينالها إلا المجاهدون.

وقال تعالى أيضاً مادحاً رسوله ﷺ والذين معه من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومخبراً عما أعد لهم من الأجر وما هم عليه من الفلاح بسبب قيامهم بهذا النوع العظيم من الجهاد ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٨٨﴾ [التوبة: ٨٨] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى.

أما من السنّة فإن النصوص الواردة في فضل هذا النوع كثيرة أيضاً وسنذكر حديثاً منها خشية الإطالة، من ذلك ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أي الناس أفضل؟ قال: «**مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله**»، قال: ثم من؟ قال: «**مؤمن في شعب**(١) **من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره**»(٢). فقد دل هذا الحديث الجليل على أن أفضل الناس المؤمن المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ويا لها من أفضلية جليلة ينبغي

---

(١) الشعب بكسر الشين وسكون العين الطريق إلى الجبل.

(٢) البخاري ك الجهاد باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله (٦/٦) حديث (٢٧٨٦)، مسلم ك الجهاد باب فضل الجهاد والرباط (١٣/٣٣/٣٤).

للمسلم أن يتسابق مع أخوانه من أجلها مع عدم التقصير في الواجبات الشرعية الأخرى. ثم يتبع هذا المجاهد بنفسه وماله في الأفضلية والمنزلة الرفيعة المؤمن الذي يعتزل الناس ويعبد الله ويتقيه ويدع الناس من شره، وذلك في أيام الفتن أو الحروب أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم، أو نحو ذلك كما وضح ذلك العلماء رحمهم الله، لأن الاختلاط أفضل من العزلة ما لم تكن هذه الأسباب موجودة إذ فيه من الفوائد ما لا يحصى ويكفي أنه سنّة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وعليه جماهير السلف من صحابة وتابعين وتابعيهم بإحسان[1].

هذه بعض النصوص سقتها في بيان عظم أجر هذا النوع من الجهاد وأهميته سائلاً المولى الكريم أن يجعلنا من أهل هذه الأنواع جميعها وأن يوفقنا للسير على نهج وسنّة سيد المجاهدين نبيّنا محمد ﷺ الذي كمل مراتب الجهاد وأنواعه جميعها وجاهد في الله حق جهاده من حين مبعثه حتى وفاته ﷺ، لهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله... لأنه لا عزّ ولا سعادة للمسلمين إلا بالتمسك بكتاب الله عزّ وجلّ وبسنّة رسوله ﷺ، والسير على نهجه القويم والاهتداء بهديه، وبما كان عليه من جاء بعده من سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، الذين تمسكوا بما جاء به من عند الله وعملوا به وجاهدوا في الله حق جهاده، فدانت لهم الدنيا مشرقاً ومغرباً ولن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ـ كما قال الإمام مالك رحمه الله ـ والله وحده المسؤول في تحقيق ذلك وهو القادر عليه وحده إنه سميع مجيب.

(١) انظر: فتح الباري (٦/٦) وشرح صحيح مسلم للنووي (٣٤/١٢).

الباب الثالث

أسباب وعلامات وثمرات محبة الله ورسوله

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأسباب الجالبة والمقوية لمحبة الله ورسوله.

الفصل الثاني: علامات محبة العبد لله ولرسوله ﷺ.

الفصل الثالث: ثمرات محبة العبد لله ولرسوله ﷺ.

الفصـــل الأول

الأسباب الجالبة والمقوية لمحبة الله ورسوله

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: معرفة الرب والعلم به.

المبحث الثاني: النظر في النعم والآلاء والشكر عليها.

المبحث الثالث: التقرب إلى الله بالنوافل بعد القيام بالفرائض.

المبحث الرابع: قراءة القرآن بتدبر وتفهم لمعانيه.

المبحث الخامس: التزام التقوى.

المبحث السادس: دراسة السيرة النبويّة الشريفة والتأثر بها.

المبحث السابع: متابعة النبيّ ﷺ.

المبحث الثامن: دوام ذكر الله تعالى باللسان والقلب والعمل والحال.

المبحث التاسع: الزهد في الدنيا.

المبحث العاشر: البعد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله.

المبحث الحادي عشر: انكسار القلب بكُلّيته بين يدي الله عزّ وجلّ والتذلل له.

المبحث الثاني عشر: مجالسة المحبين الصالحين ودراسة سيرهم وتاريخهم الطيب.

المبحث الثالث عشر: إيثار ما يحبه الله ورسوله على ما يحبه العبد ويؤثره.

المبحث الرابع عشر: الخلوة بالله تعالى وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كتابه والتوبة إليه واستغفاره والتأدب بأدب العبودية بين يديه.

تمهيد

إن من رحمة الله بعباده أنه أرسل إليهم رسوله ﷺ لينقذهم من الضلال إلى النور ومن الجاهلية إلى الإسلام. وقد بلغ ﷺ رسالة ربه على أكمل وجه، فما ترك خيراً إلا ودلنا عليه، ولا شراً إلا وحذرنا منه، فالأخذ بسنته ﷺ والتمسك بها وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نها عنه وزجر... سبب نجاة العبد في الدنيا والآخرة، وسبب لفوزه برضا الله ومحبته، والتي هي غاية كل مؤمن موحد، لأنه عزّ وجلّ إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لمحبته والخوف من عقابه والذل له، فهي عبادة تجمع غاية الحب له مع غاية الذل له.

ومن رحمته تعالى أنه يسّر العبادة على خلقه، وجعل لهم أسباباً ينالون بها محبته تعالى ومحبة رسوله ﷺ. ومن قرأ كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ بتدبر وفهم السلف رحمهم الله لها أمكنه معرفة هذه الأسباب ليعمل بها ويحرص عليها حتى يقوى إيمانه وتزداد محبته لربه عزّ وجلّ ولنبيّه ﷺ.

وقبل أن أذكر هذه الأسباب بشيء من الإجمال والاختصار، أحب أن أنبه إلى أن الاستجابة لله ولرسوله وطاعته تعالى ورسوله والبعد عن معصيته تعالى ورسوله تجمع الأسباب الجالبة والمقوية لمحبته تعالى ومحبة رسوله ﷺ كلها، ولكني أود أن أذكر هذه الأسباب كلاً على حده، متكلماً بما ييسره الله عن كل سبب بالشرح والتفصيل مستشهداً لذلك بنصوص الكتاب والسنّة وأقوال السلف منبهاً إلى أنني ربما لم أجمع هذه الأسباب

جميعها ولكن حسبي أن اجتهدت في ذلك، فإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله، وإن أصبت فمن الله ولله الحمد من قبل ومن بعد. ولنبدأ بذكر هذه الأسباب.

المبحـــث الأول

معرفة الرب والعلم به

إن معرفة الرب جلّ في علاه والعلم به عن طريق ما أخبر به في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من أسماء حسنى وصفات عليا، من أول وأهم الأسباب الجالية والمقوية لمحبته جلت قدرته، إذ يدرك المرء من خلال معرفته بربه عزّ وجلّ وعلمه به، كماله وعظمته وجماله وقيوميته وألوهيته، وأنه الإله الأحد الفرد الصمد، الذي يجب أن يعبد دون سواه، وأن يُشكر ولا يُكفر، وأن تكون محبته فوق محبة ما عداه، لتفرده عزّ وجلّ بصفات الكمال والجلال والجمال والعظمة، الذي لا يشبهه شيء وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وهذا العلم والمعرفة بالله عزّ وجلّ إنما ينشأ ويتجلى في قلب العبد إذا صدق وأمعن النظر وأدام الفكر في نعم الخالق جلت قدرته، لأن معرفة الرب تعالى بأنه الخالق الرازق المنعم صاحب الآلاء العظيمة، باب لمعرفة سائر أسمائه وصفاته، لأنها تجعل العبد يعيش في عبودية وخضوع للباري تعالى خالقه والمحسن إليه والمنعم عليه، ومن المعلوم أن من أجلّ أسمائه وصفاته تعالى أنه الخالق الرازق الضار النافع، الشافي المحيي المميت، المعطي المانع. فإذا تجلت للعبد معاني هذه الأسماء والصفات في قلبه أدرك العبودية التي لا تنبغي إلا للخالق العظيم الكريم الرحيم، وأدرك أنه عزّ وجلّ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه ليس كمثله شيء في سائر أفعاله وصفاته وإنعامه، وأن العقول عاجزة عن الإحاطة بشيء من أسمائه وصفاته وإحسانه وتفضله

وإنعامه على خلقه، وأدرك كذلك أن جميع أسمائه وصفاته وأفعاله كاملة، بل إنه تعالى هو وحده المتصف بالكمال المطلق والجمال الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومتى أدرك العبد هذا وعلمه فإن قلبه سيسارع إلى محبته تعالى والتعلق به، بل وإلى التفرغ إليه وإلى سائر ما يحبه ويرضاه من الأعمال والخصال. وهذا المقام لا يدركه ولا يصل إليه إلا من وفقه الله فكان سليم الطبع في بصيرته، فإن الإنسان صاحب الطبع السليم يحب الجمال لذاته، والله تعالى هو واهب الجمال، بل كل جمال في الكون فهو منه، وهو تعالى الجميل جمالاً مطلقاً والكامل كمالاً مطلقاً، فإذا كان الجمال والكمال يحبان لذاتهما، فوجب أن يكون الله تعالى محبوباً لذاته، فإنه لا شيء أجمل منه، ولا أكمل منه وأسماؤه كلها جميلة حسنى وصفاته عليا، فهو سبحانه وتعالى المحبوب المحمود على كل فعل وعلى كل أمر، إذ ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، وأوامره كلها خير وسعادة لعباده إن استجابوا لها، وكل واحد من ذلك يستوجب منهم الحمد والثناء والمحبة عليه، وكلامه كله صدق وعدل وجزاؤه كله فضل وعدل. فمعرفة ذلك وإدراكه يجلب ويقوّي محبة الله في قلب العبد، وكلما ازداد العبد معرفة وعلماً بعظيم قدرة ربه وقيوميته. . . ازداد له حباً وذلاً وعبادة، ولذلك كان الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أشد وأكثر الناس له حباً وعبادة، وكان خاتمهم وسيدهم وخليلهم محمد بن عبدالله ﷺ أشدهم حباً وعبادة وأعرف الناس بربه، وهو ﷺ أعظم من اجتمعت فيه رؤية الإحسان والإنعام مع معرفة الكمال والجمال في الخالق جلّ في علاه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللّهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1]. لقد

---

(١) رواه مسلم ك الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (١/٣٥٢) حديث (٢٢٢)، وأحمد (٦/٥٨ و٢٠١).

شغلته ﷺ محبة ربه وعظمته وعبادته عن النوم والراحة، فقام شوقاً إليه يعبده ويناجيه، ويستغفره ويثني عليه، بل ويعترف بعجزه عن تفصيل الثناء عليه «**لا أحصي ثناء عليك**...» لأنه لا يقدر أحد على بلوغ حقيقة الثناء عليه، فإنه كل ثناء أثني به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه، فقدر الله أعظم وسلطانه أعز، وصفته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ جلّ في علاه.

ولعلمه ﷺ بربه ومعرفته بعظمته وألوهيته وجلاله وما أعده للطائعين من الخير وللعصاة الفاجرين من العقوبة. كان يكثر من العبادة والطاعة، ويوصي أمته بذلك فهو القائل ﷺ: «**يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ألا هل بلغت**»(١) متفق عليه. أجل والله إن معرفة العبد بربه تعالى وعلمه به وبما أعده لمحبيه وطائعيه، وما هيأه لأعدائه وأهل معصيته، يدفعه لطاعته ومحبته وتعلق القلب به، ويبعده عن كل ما يحول بينه وبين ذلك من متاع ولهو وغير ذلك، لذا كان الأنبياء والمرسلون أعظم الناس محبة لله وطاعة له ـ كما قدمنا ـ، وكان الخليلان عليهما السلام ـ إبراهيم ومحمد ـ من بينهم أعظمهم حباً له وتعالى وأكثر الناس عبادة له تعالى، لكمال علمهما ومعرفتهما بالخالق عزّ وجلّ، وأعظم الأمة بالله أشدهم له محبة وعبادة. والناس درجات ومراتب بعد الأنبياء في هذه المحبة والطاعة، كل بحسب علمه ومعرفته، لذا كان أعداؤه أقل الناس له محبة، وكان عباده المؤمنون أشدهم له حباً كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. لأنهم عرفوا ربهم واتبعوا هديه ورسوله ﷺ ففازوا بالسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه البخاري ك الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس (٢/٥٢٩) حديث (١٠٤٤) ومسلم ك الكسوف باب صلاة الكسوف (٢/٦١٨) حديث (١).

المبحث الثاني

النظر في النعم والآلاء والشكر عليها

إن من أهم أسباب محبة الله تعالى، النظر في النعم والآلاء والتفكر في الإحسان الذي وهبه الله للعباد، فإن القلوب مفطورة على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، وقد قيل: إن الإنسان عبد الإحسان كما قال الشاعر:

أَحسِنْ إلى الناس تستعبدْ قُلوَّبَهُمُ　　　فطالما استعبدَ الإنسانَ الإحسانُ

وكلما زاد المحسن في إحسانه، ازدادت له محبة المحسن إليه، ولا أحد أعظم إحساناً وكرماً وجوداً للعباد من الله تبارك وتعالى، فإن عباده يتقلبون في نعمه وإحسانه ليل نهار، ويتمتعون بجوده وكرمه، ونعمه عليهم لا تعد ولا تحصى، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فالإنسان يعجز عن عدّ نعم الله تعالى عليه لكثرتها وضخامتها لأنها بحار من النعم والإحسان، ومن أعظمها خلقه تعالى له وإيجاده على هذا الكون على أحسن صورة وأكمل منظر وتفضيله إياه على كثير من خلقه.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

فخلق الإنسان وحده بهذه الصورة الجميلة العجيبة، آية ونعمة عظيمة

تستوجب من العبد محبة الباري وعبادته وشكره دون سواه، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١] إذ إنه تعالى قد خلقه من العدم بعد أن لم يكن شيئاً، فكان نطفة ثم علقة ثم مضغة يتنزه عنها كل إنسان، ثم صوره بشراً سوياً في أحسن تقويم، وغذاه في بطن أمه ورعاه ويسّر له الخروج منه وهيأ له الحنان والرحمة من أبويه ومن الخلق حوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ٤ ـ ١٠]، بل وسخر له كل ما في السموات والأرض من بحار وأنهار وسماء، وأباح له الطيبات والنعم التي لا تحصى قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ﴾ [لقمان: ٢٠] وقال أيضاً: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤]. وقال أيضاً: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٤ ـ ١٧]. وقال أيضاً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣]. وكفى بهذه النعم ـ وغيرها الكثير مما لم نذكره ـ دليلاً على كرم الله وجوده وإحسانه إلى عباده وبره بهم وتحببه إليهم ليعبدوه ويحبوه ويشكروه ولا يشركوا به شيئاً، فهو الذي يحفظهم ويحميهم من كل سوء ويربيهم على نعمه وآلائه، ومع ذلك فإن أكثرهم يجافونه ويتبغضون إليه بالمعاصي والمنكرات ويؤذون أولياءه وأحبابه، وهو مع ذلك يصبر على أذاهم كما قال رسول الله ﷺ: «**ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم**» متفق عليه.

وفي لفظ مسلم: (**إنه يشرك به ويجعل له الولد**)(1). ومن عظيم رحمته تعالى بعباده أنه يمهلهم لعلهم يتوبوا ولا يعاملهم بالمثل ويتكرم عليهم فيغفر للتائبين منهم مهما اجترحوا من السيئات ولو بلغت عنان السماء ليس هذا فحسب، بل ويزيدهم فضلاً وجوداً وكرماً فيبدل سيئاتهم حسنات، فالله الله، ما هذا الكرم؟! وما هذا الجود العظيم من الباري الكريم؟!.

إن نعم الله تعالى وآلائه على عباده مشهودة لا تحصى، وهم يتقلبون فيها ويتمتعون بها في الليل والنهار وبعدد أنفاسهم ولحظاتهم، وهم عاجزون عن عدها وحصرها، فعليهم أن يحبوه ويعبدونه ويشكروه عليها ـ وإن كانوا عن أداء شكرها أشد عجزاً ـ لكن من واجب المنعم عليه تجاه من أحسن إليه شكره، وقد أخبر تعالى أنهم إن شكروه على نعمه فإنه سيزيدهم وإن كفروه فإن عذابه أليم قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فإذا كان هذا فضله سبحانه، وهذه نعمه وآلائه، فحري على العباد أن يحبوه حباً لا يدانيه حب، وأن يتعلقوا به تعلقاً يفوق كل تعلق، وأن يرجوا رضاه ورحمته. وحري بهم أيضاً أن لا يصرفوا الحب الخالص إلا له سبحانه وتعالى، ولا يكون التعلق إلا به، وأن لا يحبوا شيئاً سواه إلا أن يكون تبعاً لحبه تعالى إياه كحب كلامه وكتابه ورسوله والمؤمنين وسائر ما يضاف إليه ويحبه عزّ وجلّ من أعمال وذوات... الخ. ولما كانت المحبة إنما تنشأ وتزداد بمشاهدة العبد لنعمه تعالى ودوام مطالعة آلائه وإحسانه، فعليه أن لا يفعل ولا يتكاسل قط عن النظر في النعم والآلاء، لأن الاستمرار على ذلك يزيد من محبته لربه وعبادته له فيتمكن حبه من سويداء قلبه ويحبه أكثر مما سواه، وليس للنظر ومشاهدة نعم الله والتفكر بها حد،

---

(1) رواه البخاري ك التوحيد باب قوله النبيّ ﷺ: «**إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**» (١٣/٣٦٠) حديث (٧٣٧٨)، ومسلم ك صفات المنافقين باب لا أحد أصبر على أذى من الله (٤/٢١٦٠) حديث (٤٩/٥٠).

لأن نعمه تعالى لا تحصى وتتجدد كل يوم ولا تنفد، وكلما ازداد العبد في هذا النظر وهذه المشاهدات فإن قلبه سيزداد حباً لله وتعلقاً به وطاعة له وسيوقن ويدرك مدى عجزه وتقصيره عن الوفاء بشكرها لخالقه جلّ في علاه وعن إحصاء الثناء والمدح لخالقه المنعم عليه، ولكن حسبه أنه ممن مدحهم الله في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] فنسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء الشاكرين الذاكرين المحبين إنه سميع مجيب.

المبحث الثالث

التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد القيام بالفرائض

إن تقرب العبد المؤمن إلى ربه عزّ وجلّ بالنوافل بعد أدائه للفرائض التي فرضها عليه أمر جليل، وسبب من أسباب محبة الله له ورحمته تعالى إياه ومنّه عليه برزقه ومحبته عزّ وجلّ، فهي توصل إلى درجة المحبوبية من الله للعبد بعد درجة محبة العبد لربه كما قال ابن القيم رحمه الله[1].

يشهد لذلك الحديث القدسي الجليل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه**»، رواه البخاري[2].

فلقد بين لنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث القدسي العظيم الذي يرويه عن ربه عزّ وجلّ، أنه تعالى هدّد وتوعّد وأعلم بالحرب من يؤذي له ولياً، ولا شك أن من حاربه الله تعالى فقد أهلكه، إذ لا أحد يقدر على حرب الله تعالى.

---

(١) مدارج السالكين (١٧/٣).

(٢) البخاري ك الرقاق باب التواضع (٣٤٠/١١ ـ ٣٤١) حديث (٦٥٠٢).

وولي الله، هو كل مؤمن تقي كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فقد أخبر أصدق القائلين في هاتين الآيتين الكريمتين أن أولياءهم المتقون، وكفى بهذا الإخبار بياناً للعاقلين.

وقد بين الله عزّ وجلّ حقيقة المتقين في سورة البقرة في قوله عزّ وجلّ من قائل: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]. فمن آذى لله ولياً من أوليائه فقد حارب الله تعالى ومن حارب الله فقد خسر وخاب، لأن الله سيحاربه ويهلكه ويخزيه.

كما بين لنا رسول الله ﷺ في الحديث الآنف الذكر أيضاً، أن من أسباب محبته عزّ وجلّ أداء العبد للفرائض التي فرضها الله عليه والتقرب إليه بالنوافل بعدها، وبين أيضاً أن أداء الفرائض أحب ما يتقرب إليه المتقربون عزّ وجلّ ثم بعدها النوافل، وأن العبد المحب له تعالى لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوباً له عزّ وجلّ، فإذا صار محبوباً لله تعالى وفقه الله لكل خير وجعله مسدداً في القول والعمل والنظر والسمع وكل أمر من أمور حياته، لأنه لا يعمل ولا يتكلم ولا ينظر ولا يسمع إلا ما يرضي الله منه ويحبه، فلا يقرب شيئاً حرمه الله وأبغضه، بل أعماله وأقواله ومشيه ومعاملاته كلها فيما يحب الله ويرضاه، وطلبه مقبول، ودعاؤه مستجاب من ربه عزّ وجلّ، لأنه قد وفقه الله واصطفاه، لمحبته ورضاه لتقربه إليه بما يحبه من الفرائض والنوافل.

فتبين من الحديث الشريف أن أولياء الله تعالى على درجتين، كما بين العلامة ابن رجب(١) رحمه الله:

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص٣٤٠.

١ - **درجة المقربين**: وهم الذين تقربوا إليه عزّ وجلّ بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات. وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين. وأداء الفرائض أفضل الأعمال وأحبها إلى الله كما سبق في الحديث، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله تعالى).

٢ - **درجة السابقين المقربين**: وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في النوافل والطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع. وذلك يوجب للعبد محبة الله له كما قال تعالى: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**». ومن أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له القرب منه والزلفى لديه، والحظ عنده ا.هـ.

فإذا كان السابقون المقربون هم أحباب الله لتقربهم إليه بالنوافل بعد الفرائض، فليعلم أن أفضل النوافل وأحبها إلى الله تعالى الصيام في شهر محرم وقيام الليل، كما جاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»[(١)].

فعلى المؤمن أن يكثر من ذلك ما استطاع ومن غيرها من النوافل، من صدقة وصوم وصلاة بجميع أنواعه حتى يحبه الله عزّ وجلّ ويوفقه. وأنها لغاية يسعى إليها الصالحون ويتنافس إليها المتنافسون.

وفي ختام هذا المبحث أنبه إلى أنه قد ضلّ في فهم هذا الحديث طائفة من الناس عند تفسيرهم لقوله تعالى: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها...**» الخ. زاعمين أنه دليل لهم على عقيدة الاتحاد الآثمة الكافرة التي يقولون بها والتي تنص على أن الله تعالى هو عين العبد، تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً.

---

(١) رواه مسلم ك الصيام باب فضل صوم المحرم (٨٢١/٢) حديث (٢٠٢)، وأحمد (٣٠٣/٢ و٣٢٩ و٣٤٤)، وأبو داود ك الصوم باب في صوم المحرم (٨١١/٢) حديث (٢٤٢٩) وغيرهم.

والحديث الجليل ـ بحمد الله ـ رد عليهم ـ فضلاً عن غيره من نصوص الكتاب والسنّة ـ لأنه تعالى منزه عن مثل هذه التُرَّهات والعقائد الشيطانية التي ما أنزل الله بها من سلطان، فمعتقد ذلك كافر عدو لله وللإسلام ولا حظ له في الإيمان فضلاً عن محبة الله ورسوله ﷺ.

هذا وقد بين العلماء رحمهم الله المعنى الصحيح المراد من الحديث والذي ملخصه: أن ذلك كناية عن نصرة الله للعبد المؤمن وتأييده وإعانته وتوفيقه، حتى كأنه سبحانه يُنَزِّل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها، ولهذا وقع في رواية «**فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي**» وهذا المعنى عليه اتفاق العلماء ممن يعتد بهم كما قال بعض العلماء رحمهم الله، وقال آخرون هذه المذكورة أمثال والمعنى أن الله يوفق عبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره عزّ وجلّ من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى عنه تعالى ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله[١]. ويقول العلامة ابن رجب رحمه الله: المراد من قوله تعالى: «**كنت سمعه الذي يسمع به...**» أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل، قرّبه الله إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة[٢].

ويقول أيضاً: متى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه جلّ في علاه، فحينئذٍ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش

(١) انظر: فتح الباري (١١/٣٤٤).

(٢) جامع العلوم والحكم، ص٣٤٤.

بطش به، فهذا هو المراد بقوله: «**كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**». ومن أشار إلى غير هذا، فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد والله ورسوله ﷺ بريئان منه[1].

فهذا هو المراد من الحديث لا كما فهمه الضالون المضلون ممن ينتسب إلى الإسلام من أهل الوحدة والحلول ـ قبّحهم الله ـ الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

فنسأل الله الثبات على الحق والوفاة عليه إنه سميع مجيب.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٤٤، ٣٤٥.

المبحث الرابع

قراءة القرآن وسماعه بتدبر وتفهم لمعانيه[1]

القرآن الكريم هو كتاب الله عزّ وجلّ، وكلامه المعجز الذي تكلم به وأنزله على عبده وخليله محمد ﷺ، وهو آخر الكتب المنزلة منه عزّ وجلّ على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

بل هو أعظمها والمهيمن عليها جميعها، وهو الكتاب الوحيد الذي ضمن الله حفظه فلم يحرّف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. فما زال وسيظل إلى قيام الساعة غضاً طرياً، كأنه نزل لِتَوِّه، وسيبقى المعجزة الخالدة لسيد البشر ﷺ الذي تحدى به الجن والإنس كما قال عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأنى لهم ذلك؟! وهو كلام رب العالمين الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

لذلك جاء الأمر الرباني الكريم بتدبره وتفهمه والعمل به والاستماع والإنصات إليه عند سماعه وقراءته، وذلك ليفهم القارىء أو السامع له مراد ربه الكريم فيعمل بأمره وينتهي عن نهيه، ويؤمن بمتشابهه ويعمل بمحكمه، ويتعظ بقصصه فيزداد إيمانه بربه وحبه له عزّ وجلّ، وهذا هو المقصود من

(١) مدارج السالكين (١٧/٣).

تلاوته وسماعه كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]. وكما قال أيضاً حاثاً على تدبره ومعنفاً على من غفل عن ذلك ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]. كما أمر عزّ وجلّ بالاستماع والإنصات إلى كتابه عند سماعه مبيناً أن ذلك سبب لنزول الرحمة على من يفعل ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقد أخبر عزّ عن قائل عن الكافرين أنهم يتواصون بعدم السماع للقرآن وباللغو والكلام والتشويش عند قراءة النبيّ ﷺ أو أحد من المسلمين له، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦]. وذلك لما للقرآن من تأثير عجيب في النفوس عند سماعها له بتدبره فكان الكافرون يخشون على أنفسهم وعلى بعضهم من أن يؤثر فيهم كلام الله عزّ وجلّ إذا سمعوه فيحمي عن نفوسهم الغشاوة فيؤمنوا كما آمن أصحاب النبيّ ﷺ فكان يقول بعضهم لبعض ما أخبر الله عنهم. فقراءة القرآن الكريم وسماعه بتدبر وتفهم لمعانيه... سبب عظيم من الأسباب الجالبة والمقوية للإيمان ولمحبة الله ورسوله ﷺ، وكم وكم كان لسماع هذا الكتاب الكريم وقراءته من آثار طيبة في إيمان خلق كثير من العهد الأول للنبوّة وإلى يومنا هذا، بل وإلى قيام الساعة لأنه لا شيء أنفع للقلب ـ كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله[(١)] ـ من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر. فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين، ومقامات العارفين. وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر. لاشتغلوا بها عن كل ما سواها. فإذا قرأه بتفكر وتدبر حتى مرّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه، كرّرها ولو مائة مرة ولو ليلة. فقراءة آية بتفهم وتفكر خير من قراءة ختمة بغير تدبر

(١) في مفتاح دار السعادة (١/١٨٧).

وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوته وحلاوة محبة الله، ولقد كانت هذه عادة السلف رحمهم الله فقد كان أحدهم يردد الآية حتى الصباح. فقراءة القرآن ـ إذن ـ بالتفكر هي صلاح القلب[1]. ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب. وأما من حفظه ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم[2].

ولقد صدق رحمه الله، فلقد كان صحابة رسول الله ﷺ إذا تعلم الرجل منهم آيات من كتاب الله لم يتجاوزها حتى يعرف معانيها والعمل بها، يخبرنا عن ذلك الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حيث يقول: (كان الرجل منّا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[3]. وهكذا تعلموا رضي الله عنهم العلم والعمل جميعاً، مقتدين برسول الله ﷺ الذي كان خلقه القرآن، فكانوا نماذج عملية للتطبيق القرآني بعد رسول الله ﷺ، لذا كان أحدهم ـ كالصديق رضي الله عنه مثلاً ـ إذا قرأ القرآن ابتلت لحيته من الدمع من شدة البكاء وله أنين من خشية الله والشوق إليه، وكانوا وقّافين عند كتاب الله عاملين به، ـ كما كان الفاروق عمر رضي الله عنه مثلاً ـ فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: (قدم عُيَينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه، يا ابن أخي لك وجه عند الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل[4] ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيّه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ

---

(١) المرجع السابق.
(٢) انظر: زاد المعاد (٢٢٨/١).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/١) بسند حسن.
(٤) الجزل أي الكثير وأصله ما عظم من الحطب فتح الباري (٢٥٩/١٣).

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين، قال ابن عباس: فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله[(١)] وكان رضي الله عنه وأرضاه يصلي من الليل ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم، الصلاة الصلاة ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[(٢)] [طه: ١٣٢]. لقد رأينا في الأثرين عن الفاروق عمر رضي الله عنه شدة خوفه من الله، ووقوفه عند كتابه ممتثلاً لأوامره، ومجتنباً لنواهيه عاملاً بما فيه، ففي الأثر الأول الذي يحكيه لنا ابن عم رسول الله عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وجدنا حلم الفاروق وصبره ووقوفه عند الآية القرآنية الآمرة بالحلم والعفو والإعراض عن الجاهلين بعد ما أساء عيينة رحمه الله الأدب معه وأغضبه، ولقد كاد أن يهم به لولا أن ذُكِّر بالقرآن، فامتثل له فوراً، وفي الأثر الثاني عنه رأينا أيضاً فهمه للقرآن وتطبيقه له في أمره أهله بالصلاة وتذكيره إياهم بكتاب ربهم جلّ في علاه. ويا له من فهم صحيح لكتاب الله واستجابة عميقة من القلب لله من الفاروق عمر يحتاج إليها كل مسلم. وهكذا كان صحابة رسول الله ﷺ في استجابتهم لكتاب الله وامتثالهم لأوامر ربهم عزّ وجلّ ولنبيّهم ﷺ.

وهذا الصحابي الجليل أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ـ كما يحكي عنه أنس بن مالك رضي الله عنه ـ، وقد كان أحب أمواله إليه بَيْرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طَيِّب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء وإنها صدقة لله

---

(١) رواه البخاري ك التفسير باب قوله تعالى: خذ العفو وأمر بالمعروف (٣٠٤/٨ ـ ٣٠٥) حديث (٤٦٤٢)، وك الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله (٢٥٠/١٣) حديث (٧٢٨٦).

(٢) رواه مالك في الموطأ في ك صلاة الليل باب ما جاء في صلاة الليل (١١٩/١) حديث (٥).

أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بخ[1] ذلك مال رابح، ذلك مال رابح. وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[2]. متفق عليه. فهذه بعض النماذج العملية لفهم الصحابة للقرآن واستجابتهم له. وما ذكرته إنما هو غيض من فيض، وقد أحببت ذكرها ههنا ليكون لنا فيهم قدوة حسنة بعد رسول الله ﷺ، فهم خير وأفضل من قرأ القرآن بتدبر وعمل به، بعد النبيّ ﷺ، وهم أصحابه وأحبابه عليه الصلاة والسلام الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فالتشبه بهم فيما اعتقدوه وعملوا به من الخير خير وفلاح... ولقد قال الشاعر الحكيم:

فتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

وليعلم المرء أيضاً خطأ من تشغلهم أحكام التلاوة ومخارج الحروف عن تدبر القرآن وفهم معانيه، حيث ينصرف همهم كله إلى ذلك دون التدبر والمعنى الذي يقرأون القرآن لأجله، ولا شك أن ذلك كله من الغلو والتنطعُ والخروج بالقرآن عما أنزل من أجله، ألا وهو التدبر والفهم والعمل به. وهذا كله من وساوس إبليس وتلبيساته عليهم. ولقد رأيت أناساً ممن لبس عليهم الشيطان في ذلك يبالغون في إخراج حرفي الصفير والشين والصاد حتى تظنه عصفوراً يزغرد من شدة إخراج الحرفين، ورأيتهم أيضاً يبالغون في إخراج الضاد وخاصة في (المغضوب عليهم) حتى يخرج البصاق مع إخراج الضاد لشدة مبالغتهم فيها، زاعمين أن ذلك هو العمل بأحكام

---

(١) بخ بفتح الباء وإسكان الخاء وتنوينها مكسورة، هي كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح أو الفخر أو التعظيم والتفخيم انظر المعجم الوسيط (٤٠/١).

(٢) رواه البخاري ك الزكاة على الأقارب (٣٢٥/٣) حديث (١٤٦١)، وك الوصايا باب من تصدق إلى وكيله (٨٧/٥) حديث (٢٧٥٨) الخ. ومسلم ك الزكاة باب فضل النفقة على العيال والمملوك (٦٩٢/٣) حديث (٣٨). ومالك ك الصدقة باب الترغيب في الصدقة (٩٩٦/٢) حديث (٢).

التجويد ومخارج الحروف. ولا يشك عاقل في خطأ هذا وبعده عن الصواب. صحيح أنه مطلوب من المؤمن العمل بأحكام التجويد، لكن المبالغة في العمل بها حتى تنسي القارىء معنى القرآن وتبعده عن تدبره... أمر مذموم وبعيد كل البعد عن الغاية التي وضع الشارع الحكيم هذه الأحكام من أجلها. فنسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا، وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء همنا وحزننا، وأن يجعلنا من القارئين له العاملين به إنه وحده القادر على ذلك.

المبحث الخامس

التزام التقوى

التقوى شأنها عظيم، وخيرها عميم على الفرد والمجتمع، إذ هي سبب للنجاة من النار والفوز برضا العزيز الجبار سبحانه وتعالى. وهي أيضاً سبب من الأسباب الجالبة والمقوية لمحبة الله عزّ وجلّ ورسوله. ومهما تكلم المرء عن أهميتها وعظمتها وشأنها، فإنه عاجز عن الإحاطة بخيراتها وفضلها. إذ حسبها شرفاً أنها الوسيلة الوحيدة للغاية التي خلق الله الخلق لأجلها ألا وهي عبادته عزّ وجلّ، بفعل ما أمر سبحانه وتعالى ورسوله وترك ما نهى عنه تعالى ورسوله خوفاً منه تعالى، ورجاء فيما عنده، فيجعل المرء بينه وبين عذاب الله وقاية بذلك. وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتعريف طيب حيث قال: (التقوى أن يعمل الرجل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عذاب الله. ولا يتقرب ولي إلى الله إلا بأداء فرائضه ثم بأداء نوافله)(١).

ونظراً لأهمية التقوى ومحبته تعالى لها... فقد أمر الله عزّ وجلّ بها عباده كلهم في كثير من الآيات الكريمات كقوله عزّ وجلّ آمراً المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٤٣٣).

ٱللَّهَۚ﴾ [الحشر: ١٨] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ٧٠] إلى آخر ما هنالك من الآيات الكثيرة. وقال آمراً عباده مؤمنهم وكافرهم بها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١]. وقد وصى الله تعالى بها عباده فقال: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: ١٣١]. وقد أخبر عزّ وجلّ أن خير لباس يلبسه العبد إنما هو لباس التقوى فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦]. فاللباس الحسي هو الذي يستر عورة الإنسان من ثوب وعباءة وسروال... الخ. لكن اللباس الحقيقي الذي يحفظه ويستره ويُجمّله إنما هو لباس التقوى، الذي يبعد العبد عن عذاب الله ويأخذ به إلى رضوانه ومحبته ورضاه. فعلى العاقل أن يحرص على لبسه والتحلي به كحرصه على اللباس الحسي المادي ـ لا بل أكثر ـ، لأنه هو في الحقيقة اللباس الحقيقي. كما أخبر عزّ وجلّ أن التقوى سبب لتفريج الكربات وحصول الرزق للعبد وسبب أيضاً لتيسير الأمور وتكفير السيئات وتعظيم الأجر والحسنات قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطلاق: ٥].

وقد أخبر عزّ وجلّ أن التفاضل عنده بين عباده إنما يكون بالتقوى، لا بالمال ولا بالجاه ولا بالجمال ولا بغيره... فأكرم الناس عنده وأحبهم إليه أتقاهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]. لذا أخبر أنه يحب من اتصف بها فقال: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]. موضحاً سبحانه وتعالى أن العاقبة للتقوى ولأهلها: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

وذلك لأن المتقين هم وحدهم المتعظون بكتاب الله والممتثلون لأوامره، والمجتنبون لنواهيه المطيعون لله ولرسوله ﷺ، لذا أخبر عزّ وجلّ أن القرآن هدى وموعظة لهم فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ②﴾ [البقرة: ١، ٢] وقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ⑬⑧﴾ [آل عمران: ١٣٨]. فإذا كان هذا هو شأن التقوى وعظمها فحري بالعبد أن يتخلق وأن يتحلى بها ويكون من أهلها لأنهم وحدهم السعداء في الدنيا والآخرة، وعليه أيضاً أن يتزود بها لآخرته لأنها خير زاد. وقد أمرنا الله بذلك حيث قال عزّ وجلّ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وأنه كلما ازداد العبد في تقواه لربه عزّ وجلّ ازداد له حباً وتعلقاً به، وازداد أيضاً حباً لنبيّه ﷺ واتباعاً له ـ لأنه هو الذي دلّ على رضاه تعالى ـ، ووجد أيضاً حلاوة في قلبه لا يجدها ولا يذوقها إلا المحبون المتقون، لأن حلاوة الإيمان والتقوى لا تعدلها لذة ولا حلاوة. فالمسكين والمحروم حقاً من حرمها فلم يطعمها .فللّه الحمد والمنة على هذه النعمة ونسأله الثبات والوفاة على الإيمان والتقوى. إنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

المبحـــث الســـادس

دراسة السيرة النبوية الشريفة والتأثر بها

إن مما لا شك فيه أن دراسة سيرة الحبيب المصطفى ﷺ وفهمها أمر بالغ الأهمية، لأنها تعرفنا بسيرة سيد البشرية عليه الصلاة والسلام من جميع نواحي حياته الخلقية والعملية التطبيقية للإسلام، وتبين لنا حقيقة هذه الرحمة الربانية للبشرية ﷺ والتي ستجعل المرء العاقل يحبه ﷺ من كل قلبه، ويؤمن به ويتبعه ويقتدي به عندما يدرس أو يقرأ سيرته العطرة التي تفوح طيبة وجمالاً، وخلقاً وكرماً وعفواً ورحمة، لما حباه الله تعالى من جميل الأخلاق والصفات التي لم تجتمع في غيره - بأبي هو وأمي -. وحسبه شرفاً وفضلاً أن الله فضّله على سائر البشر وقربه إليه ووصفه بهذا الوصف الجميل حيث قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

فدراسة السيرة النبويّة وتعليمها للناس أمر جليل وهام، وسبب من أهم الأسباب التي تجلب وتقوّي محبته ﷺ في القلوب. لأنه ﷺ هو المثل الأعلى للمسلم في كل أمر من أمور الحياة كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١] فعليهم إذاً أن يدرسوا سيرته ليقتدوا به. وكم كانت لدراسة سيرته ﷺ من آثار طيبة في إيمان كثير من الناس، أو تغيير مفاهيم خاطئة عن الدين الإسلامي وعن نبيّه ﷺ كان يظنها أو يعتقدها من لا يعتنق الإسلام، بل إن أحد عظماء الكفار وفلاسفتهم ألّف كتاباً سماه عظماء

العالم، وقد جعل الدرجة الأولى والعظيم الأول في التاريخ رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ بعد أن درس سيرته وتاريخ كل عظيم ممن صنفه في كتابه ذلك.

ونحن لسنا بحاجة إلى شهادة كافر بعد شهادة رب العالمين، ولكن كما يقال من فمك أدينك، أو (شهد شاهد من أهله). فإذا كانت هذه شهادة هذا الفيلسوف في رسول الله ﷺ، فما عليه هو وأمثاله من الكافرين إلا الإيمان به ومحبته واتباعه بعد أن قامت عليهم الحجة، فعلموا الحق ودرسوا سيرة سيد البشر عليه الصلاة والسلام. وإلا فأي قيمة لهذا المدح والثناء إن علم المرء الحق فلم يتبعه. من هنا يجب على المسلم أن يتفقه في دينه، وأن يقرأ ويدرس سيرة رسوله ﷺ لينهج نهجه ويقتدي به فيزداد له حباً ولسنته اتباعاً، فإن الإيمان يزيد بالطاعة والمتابعة وكذا محبة الله ورسوله، وينقصان بالمعصية.

لذا حرص السلف رحمهم الله على كتابة سيرته وسنته ﷺ وجمعها في مؤلفات وكتب كثيرة جداً لا مجال لذكرها ههنا، وذلك ليسّهلوا على الناس قراءتها ودراستها وفهمها والعمل بها والاقتداء بصاحبها رسول الله ﷺ سيد ولد آدم - ولا فخر - لعلمهم بأهمية ذلك. وقد كانوا رحمهم الله السبّاقين في العمل بما عملوا وفي الاقتداء بنبيّهم وحبيبهم محمد ﷺ فرحمهم الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. فلنحرص على دراسة السيرة النبويّة والتأثر بها والتخلق بأخلاق نبيّنا ﷺ وعلى الاقتباس من نوره وعلى تعليم ذلك لأمتنا وعلى نشر سنته ﷺ بين الناس، وخاصة في هذا الزمن الذي قَلَّ فيه المتمسكون بسنته عليه الصلاة والسلام. وكاد كثير من المسلمين أن ينسوا قول الله تبارك وتعالى في نبيّه ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وفيهم بعض الخاصة من الدعاة وغيرهم الذين زهدوا عن الاقتداء به ﷺ في كثير من هديه وأدبه وسنته، بل وجد فيهم من يُزَهِّد المتبعين لسنته في اتباعه ﷺ، بل ويُعَنِّف عليه ويصفه بالتشدّد والتحجرّ، وغير ذلك من الألفاظ الشنيعة التي ينفر منها المرء بطبعه. جاهلين أو متجاهلين أنه بالتمسك بالسنّة صغيرها وكبيرها والعض

على ذلك بالنواجذ الخير والنصر والقوة والسعادة للمسلمين في الدنيا والآخرة. وأن ما أصاب المسلمين ويصيبهم في القديم والحديث سببه ومرده لذنوبهم وعدم تمسكهم الصحيح بسنّة نبيّهم ﷺ وما كان عليه سلفهم الصالح، الذين كانوا وسيظلون نموذجاً حياً لصدق المتابعة لرسولهم عليه الصلاة والسلام. وعلى المرء أن لا ييأس ولا يحزن لقلة السالكين معه على هذا الطريق القويم، فإن أهل الحق دائماً أقل الناس، ولكن حسبهم شرفاً وتوفيقاً ورحمة أنهم هم الفائزون الناجون المرحومون.

المبحث السابع

متابعة النبيّ ﷺ
في أعماله وأخلاقه وكل أموره

إن متابعة النبيّ ﷺ في أقواله وأعماله وأخلاقه وكل أموره سبب من أسباب محبة الله ورسوله ـ إضافة إلى كونها لازماً من لوازم هذه المحبة كما قدمنا في الباب السابق ـ.

ذلك لأنه لا يمكن أن يتصور للعبد محبة لله ولرسوله بدون اتباعه لرسوله ﷺ وطاعته والاقتداء به وهو عليه الصلاة والسلام الذي دل الخلق على كل خير وحذرهم من كل شر. فمحبته وطاعته والاقتداء به... واجب ديني ودَيْن على كل عاقل يعرف الجميل لأهله. لأن شكر المنعِم والمحسِن أمر مطلوب ومرغوب وجِبِلَّة فطر الله الخلق عليها. فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله. وإن أولى الناس بالشكر لرسول الله ﷺ الذي ما ترك خيراً إلا ودلّنا عليه، ولا شراً إلا وحذّرنا منه. وشكره ﷺ إنما يكون بالإيمان به ومحبته فوق النفس والمال والأهل والناس أجمعين. ويكون أيضاً بالاقتداء به والسير على خطاه في كل أموره ﷺ لأنه القدوة الحسنة للمؤمنين. وقد اشترط الله لصدق محبة العبد له شرطاً عظيماً جليلاً ألا وهو اتباع رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. فمن لم يتبع رسوله ﷺ فليس بمحب له في الحقيقة لأن المحب لمن يحب مطيع. فمن أحب الله صادقاً أطاع رسوله واتبعه بل

وجرد المتابعة له، فنال مع محبته لله شيئاً آخر هو أعظم من الأول ألا وهو محبة الله تعالى له ومغفرته له ذنوبه كما بينت الآية الآنفة الذكر.

لذا كان المحبون الصادقون لله ولرسوله ﷺ حريصين كل الحرص على اتباعه ﷺ في كل أمر من أموره، وعلى التمسك بسنته الشريفة والعمل بها وتقديمها على قول كل حد أو مذهبه كائناً من كان، لأنهم يعلمون أنه لا قول لأحد مع قوله عليه الصلاة والسلام، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

فالمؤمن مأمور باتباعه ﷺ حتى وإن لم يفقه الحكمة من كل أمر أو فعل فعله ﷺ، إذ مجرد الأمر به أو الترغيب فيه أو فعله منه ﷺ كاف في خيريته وصلاحه للعبد ولقد فهم المحبون الصادقون هذا الأمر وعملوا به جيداً، فهذا الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه يقول مخاطباً الحجر الأسود بعد أن قبّله: (والله إني لأقبّلك وأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبيّ ﷺ يقبّلك ما قبّلتك)[1]. فهو رضي الله عنه يعلم أن الحجر لا ينفع ولا يضر ولكن لكون رسول الله ﷺ قبّله فإنه رضي الله عنه قبّله اقتداء برسول الله ﷺ وأسوة به.

وهكذا كان صحابه رسول الله ﷺ شديدي الحرص على اتباع رسولهم ﷺ في كل أموره قولية كانت أم فعلية أم تقريرية. لعلمهم أن اتباعه سبب السعادة والفوز والفلاح فرضي الله عنهم وأرضاهم وجزاهم عنا خير الجزاء.

(١) رواه البخاري ك الحج باب ما ذكر في الحجر الأسود (٤٦٢/٣) حديث (١٥٩٧) ومسلم ك الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود (٩٢٥/٢) حديث (٢٥٠).

المبحث الثامن

دوام ذكر الله تعالى على كل حال بالقلب واللسان والعمل[1] ... الخ

إن دوام ذكر العبد لله تعالى عل كل حال سبب من الأسباب المقوية لمحبته عزّ وجلّ والتي هي - كما هو معلوم - روح الإسلام، وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والتوفيق والنجاة في الدنيا والآخرة. ولهذا أمر عزّ وجلّ عباده المؤمنين بكثرة ذكره وجعل ذلك سبباً للفلاح فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] ونهى عن الغفلة عن ذكره فقال: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

كما أثنى عزّ وجلّ على الذاكرين الثناء العطر وبشّرهم بمغفرته ورضوانه حيث قال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا

(١) مدارج السالكين (٣/١٧).

﴿وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وفي مقابل ذلك حذّر عزّ وجلّ عباده المؤمنين ونهاهم عن اللهو عن ذكره مبيناً خسران من يفعل ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩]. ذلك لأن ذكر الله حياة القلوب وشفاؤها، فمتى غفل عنه العبد أو تركه فإن قلبه لا شك سيموت.

وقد نبهنا إلى ذلك الناصح الأمين نبيّنا ﷺ حيث قال فيما رواه عنه الشيخان رحمهما الله: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت**»(١) وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**»(٢). فجعل عليه الصلاة والسلام الذاكر لربه بمنزلة الحي، في حين جعل الغافل عن ذكر ربه بمنزلة الميت، كما في لفظ البخاري، وجعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل عن ذكر ربه بمنزلة بيت الميت وهو القبر، كما في لفظ مسلم. وقد تضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات. ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور كما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور(٣)

ويكفي الذاكرين شرفاً أن الله عزّ وجلّ يذكرهم إذا ذكروه، قال عزّ وجلّ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى في الحديث القدسي الذي يرويه عنه رسول الله ﷺ: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن**

---

(١) رواه البخاري ك الدعوات باب فضل ذكر الله عزّ وجلّ (٢٠٨/١١) حديث (٦٤٠٧).
(٢) رواه مسلم ك صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته (٥٣٨/١) حديث (٢١١).
(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٤٤٧/٢).

ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم...»[1] متفق عليه.

ويكفيهم شرفاً أيضاً أن الله تعالى يباهي بهم ملائكته، وينزل عليهم الرحمة والسكينة ويذكرهم فيمن عنده من الملائكة، كما بشّر بذلك رسول الله ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية - رضي الله عنه - على حلقة في المسجد. فقال: ما أَجْلَسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تُهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني. وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: **«ما أَجْلَسكم»**؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا، قال: **«آلله ما أجلسكم إلا ذاك»**؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك قال: **«أما إني لم أستحلفكم تُهمة لكم، ولكني أتاني جبريل فأخبرني أن الله عزّ وجلّ يباهي بكم الملائكة»** رواه مسلم[2]. فقد أخبر ﷺ في هذا الحديث المبارك أن الله عزّ وجلّ يباهي بالذاكرين ملائكته، أي يظهر فضلهم لهم ويريهم حسن عملهم ويثني عليهم عنده[3].

وقال رسول الله ﷺ أيضاً: **«لا يقعد قوم يذكرون الله عزّ وجلّ إلا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»** رواه مسلم[4].

كما يكفي الذاكرين شرفاً أيضاً أنهم وحدهم أهل الانتفاع بآيات الله، وأنهم أولو الألباب والعقول دون غيرهم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

---

(١) رواه البخاري ك التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (٣٨٤/١٣) حديث (٧٤٠٥)، ومسلم ك الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله (٢٠٦١/٤) حديث (٢).

(٢) رواه مسلم ك الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر (٢٠٧٥/٤) حديث (٤٠).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٣/١٧).

(٤) مسلم ك الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٢٠٧٤/٤) حديث (٣٩).

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]. فذكر الله عزّ وجلّ في كل حال أمره عظيم وشأنه جليل إذ هو ـ كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله[١] ـ للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسمك لا حياة له إلا به، وهو منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب المحبين الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً. وهو عمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطّاع الطريق، ودواء أسقامهم والسبب الواصل والعلاقة بينهم وبين ربهم عزّ وجلّ فيه يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات. إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم. وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، أنساً بربه وحباً له. فهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته، فالبذكر يصرع العبد الشيطان ويتقرب به إلى الرحمن. لأنه روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه، ا.هـ.

فذكر الله تعالى والمداومة عليه أمره عظيم إذ هو سبب من أهم أسباب محبته سبحانه وتعالى وفوائده عظيمة وكثيرة جداً لا يمكن ذكرها ههنا. وقد فصّل الحديث عنها الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم الوابل الصيب فلتراجع.

وليعلم المسلم أن أفضل الذكر ما انتفع به المسلم وازداد به إيمانه ومحبته لله تعالى، وكان من الأوراد القرآنية أو النبويّة. وليعلم أن تلاوة القرآن من أفضل الذكر.

ولا يظن ظان أن الذكر يقتصر على اللسان أو القلب فقط، بل إنه يشمل لسان المسلم وقلبه وجوارحه وكل أحواله، لأن كل عبادة وكل عمل

---

(١) في مدارج السالكين (٢/٤٤٠ ـ ٤٤١).

محبوب ومرضي لله فهو ذكر له عزّ وجلّ، فليحرص المؤمن على أن يكون دائم الصلة بربه في كل حركاته وسكناته، وأن يبقى لسانه دائماً رطباً بذكر الله، ليحظى بمحبة ربه عزّ وجلّ وليعلم أن نصيبه من هذه المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

المبحث التاسع
الزهد في الدنيا

إن الزهد في الدنيا والرغبة عنها ورجاء ما عند الله عزّ وجلّ من الخير والأجر والرحمة، سبب من أسباب محبة الله للعبد وبالتالي فهي أيضاً سبب من أسباب محبة العبد لربه، فهو يجلب ويورث للعبد المحبة لله والمحبوبية منه تعالى له. وقد أخبر عن ذلك الحبيب المصطفى ﷺ، فعن سهل[1] بن سعد رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس. فقال: **«ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»**[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس عليه، فقال له النبيّ ﷺ: **«ازهد في الدنيا يحبك الله، وأما الناس فانبذ إليهم هذا يحبوك»**[3].

---

(١) هو سهل بن سعد بن مالك بن ساعدة، الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة يقال: كان اسمه حزناً فغيّره النبيّ ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة. وهو آخر مَنْ مات بالمدينة من الصحابة سنة (٩١هـ) وقيل غير ذلك. انظر ترجمته: مشاهير علماء الأمصار، ص٢٥، والإصابة (١٤٠/٣).

(٢) رواه ابن ماجه ك الزهد باب الزهد في الدنيا (١٣٧٤/٢) حديث (٤١٠٢)، والحاكم (٣١٣/٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٢/٣) وهو حديث صحيح كما قال الألباني في صحيح الجامع (٣١٥/١) حديث (٩٣٥).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٤١/٨)، وصححه الألباني انظر صحيح الجامع (٣١٥/١) حديث (٩٣٦).

لقد تبين لنا من الحديثين الشريفين السابقين أن الزهد في الدنيا والرغبة عنها وعدم تعلق القلب بها يجلب المحبة والمحبوبية للعبد من الله تعالى، وتبين أيضاً أن الزهد فيما عند الناس والاستغناء والرغبة عنهم سبب في محبتهم للعبد الذي تكون فيه هذه الخصال الحميدة.

والزهد في الدنيا خُلُقٌ من خُلُق المحبين الصادقين لله ولرسوله ﷺ، الذين لم تفتنهم زخارف الدنيا ومتعها عما عند الله من ثواب ورضوان، لأنهم يدركون أن متاع الدنيا زائل وما عند الله باق. فأخرجوا الدنيا من قلوبهم، وإن قُدِّر لهم أن تكون في أيديهم. لأن حقيقة الزهد في الدنيا أن يُخْرِجَ العبد حُبَّها والتعلق بها وبمتاعها من قلبه بالكلية، فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكن قلبه وإن كانت في يده، وليس الزهد فيها كما يظنه بعض الجهلة بأن يترك المرء كل ما في يده ويخرجه ويقعد صفر اليدين يتكفف الناس، لأن هذا خلاف ما أَمرنا به، لأنه على المرء المسلم أن لا يسأل إلا الله، وأن لا يذل نفسه لغيره، وأن يأكل بعرق جبينه، وأن يستغني عن الناس، لأن من احتجت إليه فأنت أسيره وذليله كما قال بعض السلف.

كما أن الزهد في الدنيا يكون بالرغبة عن الحرام والبعد عنه، وهذا واجب على كل مسلم، وكذا يكون بالرغبة عن المكروهات وعن التفنن بالشهوات المباحة. ولا يكون بتحريم الحلال الذي أباحه الله، ولا بإضاعة المال. بل بالسير على منهج الله القويم وبالاقتداء بسيد الزاهدين محمد ﷺ الذي فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ولكن لم يزده ذلك إلا زهداً فيها، وهكذا فهم صحابته الكرام رضي الله عنهم الزهد فساروا على هديه ﷺ في ذلك وقد ضربوا لنا أروع الأمثلة في الزهد، كالحال في الخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم بإحسان، الذين ملكوا الدنيا شرقاً وغرباً، ودانت لهم العباد وسيقت إليهم الأموال ولكن ما زادهم ذلك إلا تواضعاً لله وشكراً له وزهداً في الدنيا ورغبة عنها، لعلمهم أن ما عند الله باق وأن الدنيا دار الغرور.

والذي يصحح هذا الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء: كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله[1].

الأول: علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر وأنها كما قال الله فيها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] وكما قال سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وقد سماها سبحانه: ﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين بها، وحذّرنا من مصارعهم، وذمّ من رضي بها واطمأن إليها في غير موضع من كتابه[2].

كما نفّر رسول الله ﷺ من الدنيا وزهّد فيها ونهى المؤمنين عن الاغترار بها مبيناً حقيقتها الدنيئة بقوله: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء**»[3]. وقوله: «**ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم**»[4].

ومرّ رسول الله ﷺ بالسوق ذات يوم داخلاً في بعض العالية (أي

---

(١) في طريق الهجرتين، ص٢٥٢ ـ ٢٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٣) رواه الترمذي ك الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا على الله (٥٦٠/٤) حديث (٢٣٢٠) وقال: هذا حديث صحيح.

(٤) رواه الترمذي (٥٦١/٤) حديث (٢٣٢٢) وحسنه. وابن ماجه ك الزهد باب مثل الدنيا (١٣٧٧/٢) حديث (٤١١٢).

العوالي) والناس حوله فمر بِجدْيٍ أَسَكّ[1] ميت فتناوله، فأخذ بأذنه ثم قال: **«أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟»** فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: **«أتحبون أنه لكم؟»** قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أَسَكّ، فكيف وهو ميت، فقال: **«فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»**[2]. ودخل عمر الفاروق رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو على حصير قد أثّر في جنبه فقال: يا نبيّ الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال: **«ما لي وللدنيا؟! ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صاف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها»**[3].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً لا مجال لذكرها ههنا.

ومما يصحّح الزهد في الدنيا أيضاً:

الثاني: علم المرء أن وراءها داراً أعظم منها قدْراً وأجلّ خطراً وهي دار البقاء. وأن نسبة الدنيا إليها كما قال النبيّ ﷺ: **«والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع»**[4][5].

الثالث: معرفة العبد أن زهده في الدنيا لا يمنعه شيئاً كتبه الله له منها، وأن حرصه عليها لن يجلب له ما لم يكتب له منها. فمتى تيقن العبد من هذا وصار له به علم يقين، هان عليه الزهد فيها. فهذه الأمور الثلاثة، تسهل على العبد الزهد في الدنيا وتثبت قدمه في مقامه والله الموفق لمن يشاء[6]. هذا وللزاهد في الدنيا ثلاث علامات تدل على صدق زهده:

---

(١) أسك أي: صغير الأذنين شرح النووي على صحيح مسلم (٩٣/١٨).

(٢) رواه مسلم ك الزهد (٢٢٧٢/٤) حديث (٢).

(٣) رواه أحمد (٣٠١/١)، والحاكم (٣٠٩/٤ ـ ٣١٠) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه بنحوه ك الزهد باب مثل الدنيا (١٣٧٦/٢) حديث (٤١٠٩).

(٤) رواه مسلم ك الجنة باب فناء الدنيا (٢١٩٣/٤) حديث (٥٥)، وأحمد (٢٢٩/٤)، والترمذي ك الزهد (٥٦١/٤) حديث (٢٣٢٣)، وابن ماجه ك الزهد (١٣٧٦/٢) حديث (٤١٠٨).

(٥) طريق الهجرتين، ص٢٥٣.

(٦) المرجع السابق.

العلامة الأولى: أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود، كما قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

العلامة الثانية: أن يستوي عنده ذامه ومادحه.

العلامة الثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه وحلاوة الطاعة، وأن يكون همه رضا مولاه عنه، فيجتهد في العمل لرضاه ولا ينشغل عنه بسواه(١).

فالزهد في الدنيا أمر جليل وخلق عظيم من خصال المحبين الصادقين، لأنه يجلب الرضا والمحبة من رب العالمين، ويسعد القلب المؤمن في دنياه وأخراه، ويفرغه لعبادة مولاه وحبه، ويبعد عنه التشتت والهم والغم والحزن، وتبدد الشمل والأرق الذي يعيشه المتكالبون على الدنيا اللاهثون على متاعها الزائل، وكذا يذهب الوحشة التي بين العبد وبين ربه، ويجلب الأنس به ويذيقه حلاوة معرفته بربه ومحبته له، وإنها لنعمة عظيمة جليلة لا يذوق طعمها إلا المحبون الزاهدون. فما أحوج الأمة إلى الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، وإلى العودة إلى الله عودة صادقة في زمن أصبحت الدنيا أكبر همّ وغاية أكثر البشر، لتصحو من كبوتها وتسعد بدنياها وآخرتها. والموفق من وفقه الله تعالى.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٢٢٤) ط دار القلم - بيروت.

المبحث العاشر

البعد عن كل سبب يحول يبن القلب وبين الله[1]

إن إصلاح القلب وتربيته التربية الطيبة بزرع نبات الخير والطهر والعفاف والإيمان والمحبة فيه، وتجليته من شوائب الشرك والقذارة والشر والفساد، لمن أوجب الواجبات على كل عبد، ذلك لأنه هو الملك على سائر الأعضاء والمهيمن عليها، فهي تصلح بصلاحه وتفسد بفساده. وقد نبه إلى ذلك صاحب أطيب قلب عرفته البشرية ألا وهو الحبيب المصطفى ﷺ حيث قال: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[2].

فهو إذاً صاحب الشأن في الإنسان، ومن خلاله يحكم على صاحبه بالصلاح أو الفساد.

ولحكمة يعلمها الله تعالى استأثر وحده بعلم ما في القلوب فلم يطلع عباده على معرفة أسرار بعضهم بعضاً أو ما تحمله قلوبهم من الخير والشر، بل جعل كل فرد منهم يعلم ما في قلبه هو فقط دون غيره.

---

(١) مدارج السالكين (١٨/٣).

(٢) رواه البخاري ك الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه (١٢٦/١) حديث (٥٢). ومسلم ك المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣) حديث (١٠٧).

من هنا لزم على العبد أن يهتم بقلبه فيصلحه ويملأه بما يحب الله تعالى من الخير والطاعة، ويجنبه ما يبغضه تعالى من الشر والمعصية والمنكرات والخبائث، لأنها إذا دخلته تغطي عليه فتعميه وتفسده وتميته وتبعده عن ربه عزّ وجلّ. لأنه إذا صلح القلب وسقي بماء المتابعة لرسول الله ﷺ وأبعد عما يغضب الله، قرب من الله وازداد حباً له تعالى.

وفي مقابل ذلك فإنه إذا أُهمل القلب وترك للشيطان يلعب به ويغذيه بالسماع المحرم والقول والعمل الفاجر المبغوض لله، فإنه سيقضي عليه ويضعف فيه محبته لربه ويميته حتى لا ينكر منكراً ولا يعرف معروفاً بل ما تزال الفواحش والمنكرات بقلب العبد حتى تجعله كالحجارة بل أشد لا خير فيه. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]. وأي قيمة للعبد إذا كان بهذه المثابة ـ نسأل الله السلامة ـ. فوضح إذن أن الطاعة والقول الطيب والعمل الصالح الذي يحبه الله بجميع أنواعه من ذكر الله وصلاة وصيام وخلق طيب وزهد في الدنيا وغير ذلك... سبب لصلاح القلب وقربه من الله ومحبته له، وكلما زاد المرء في ذلك زادت محبته لربه وطاعته له وقربه منه. والعكس بالعكس فإنه كلما بَعُدَ المرء عن طاعة ربه وتمادى في المعاصي والمنكرات والشرور والآثام، فإن قلبه سيموت ويخرب ويضعف فيه حب الله بل قد يزيله. لأنه كما هو معلوم أن الإيمان والمحبة يزيدان بالطاعة وينقصان بالمعصية. فعلى المرء المؤمن أن يحول بين قلبه وبين ما يغضب الله تعالى من الأقوال والأعمال والصفات، فيبتعد عنها لأن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد من المعاصي والمنكرات، فعليه أن يجلي قلبه دائماً بذكر الله وتلاوة كتابه وطاعته واتباع رسوله ﷺ، والبعد عما يميت قلبه من الأقوال والأعمال والصفات القبيحة المحرمة المذمومة، وذلك ليسمو بقلبه ويزيده حباً لله ولرسوله ويملأه بذلك فيكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وآنس لقلبه من كل ما عداهما.

المبحث الحادي عشر

انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات[1]

إن خضوع القلب بكليته لله تعالى وانكساره وتذلله وفقره واستسلامه لربه عزّ وجل أحب شيء إليه وأسعد شيء يحس به، لأن القلوب مفطورة على حب من أحسن إليها وشكره والخضوع له، فكيف بأكرم الأكرمين الذي أعطى الخلق من بحار جوده وكرمه وفضله من النعم ما هم عاجزون عن عدها وهم أكثر عجزاً عن شكرها.

لذا كان حبه تعالى والذلة له والخضوع والاضطراح بين يديه أحب شيء إلى هذه القلوب، لأن فيها فراغاً شاسعاً لا يملؤه إلا حبه، ولا يسعدها إلا الذلة والخضوع والعبودية له عزّ وجلّ. وهذا الانكسار والخضوع والذلة من القلب لله تعالى هو المقصود والهدف من العبودية له عزّ وجلّ وهو أحب شيء إليه. لأن العبودية له تعالى تكون بغاية الحب له مع غاية الذل. بل إن العبودية لا تكمل ولا تحصل إلا بتكميل مقام الذل للعزيز الرحيم سبحانه وتعالى ـ كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله[2] ـ فإن الله عزّ وجلّ يحب من

---

(١) مدارج السالكين (١٨/٣).

(٢) انظر: طريق الهجرتين، ص٢٣٤.

عبده أن يكمل مقام الذل له وهذه هي حقيقة العبودية، واشتقاقها يدل على ذلك، فإن العرب تقول طريق معبد أي مذلل بوطء الأقدام.

والذل أنواع:

أولها: ذل المحب لمحبوبه.

الثاني: ذل المملوك لمالكه.

الثالث: ذل الجاني بين يدي المنعِم عليه المحسِن إليه المالك له.

الرابع: ذل العاجز عن جميع مصالحه وحاجاته بين يدي القادر عليها التي هي في يده وبأمره.

فإن المحب ذليل بالذات لربه عزّ وجلّ، وعلى قدر محبته لربه يكون ذله له. فالمحبة أسست على الذلة للمحبوب وليس شيء أحب إلى الباري تعالى من هذا الذل والكسرة والخضوع والتذلل والإخبات والانطراح والاستسلام له من عبده[1].

وتحت هذا قسمان:

أحدهما: ذل له في أن يجلب له ما ينفعه.

والثاني: ذل له أن يدفع عنه ما يضره على الدوام، ويدخل في هذا ذل المصائب كالفقر والمرض وأنواع البلاء والمحن. فهذه خمسة أنواع من الذل إذا وفّاها العبد حقها وشهدها كما ينبغي وعرف ما يراد به منه وقام بين يدي ربه مستصحباً لها شاهداً لذله من كل وجه، ولعزة ربه وعظمته وجلاله، كان قليل أعماله قائماً مقام الكثير من أعمال غيره. وهذه أسرار لا تُدْرَك بمجرد الكلام، فمن لا نصيب له منها فلا يضره أن يخلي المطي وحاديها ويعطي القوس باريها كما قال الشاعر:

فللكثافة أقوام لها خلقوا   وللمحبة أكباد وأجفان[2]

---

(١) طريق الهجرتين، ص٢٣٤، ومدارج السالكين (٢٠٧/١).

(٢) طريق الهجرتين، ص٢٣٤.

فالخلاصة أن ذلة القلب وانكساره لربه وافتقاره له وازدراءه لنفسه ورؤيته إياها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم.. سبب من أسباب محبة الله تعالى، وباب من أبواب الرحمة والعبودية التي يتقرب بها العبد إلى الله وترفعه بها عند الله درجات. بل إن العبد (لا ينال رضا المحبوب وقربه والابتهاج والفرح بالدنو منه والزلفى لديه، إلا على جسر الذلة والمسكنة وعلى هذا قام أمر المحبة، فلا سبيل إلى الوصول إلى المحبوب إلا بذلك)[1]. وعلى المرء أن لا يمل من قلة السالكين على هذا الطريق، فإن القليل من عباد الله الشكور والناجي، فحسب المرء أنه على صراط مستقيم.

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢٤/١).

المبحث الثاني عشر

مجالسة المحبين الصالحين ودراسة سيرهم وتاريخهم الطيب والتأثر بهم

إن من أهم الأسباب الجالبة والمقوية لمحبة الله ورسوله مجالسة المحبين الصالحين الصادقين ومصاحبتهم ودراسة سيرهم وتاريخهم الطيب، وانتقاء أقوالهم ونصائحهم المفيدة والمؤثرة في النفس، لأن الإنسان شديد التأثر بمن يصاحب أو يعاشر، فكم من أناس قد بلغوا الدرجات العلى في التقي والصلاح والجود... بفضل الصحبة الطيبة التي هيأت لهم، وأقرب وخير مثال على ذلك أصحاب وحواريو الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، الذين آمنوا بهم فاستقوا من ينابيع خيراتهم ومحبتهم فانقلبوا رأساً على عقب من ضلال إلى نور، وأصبحوا نجوماً يُهتدى بها، ولآلىء نور وهدى يُستضاء بهديها، ونماذج حية للطهر والمحبة والعبودية بعد الأنبياء، وفي مقدمة ذلك صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين. وفي مقابل ذلك كم ضَلّ أناس بعد هدى وفسدوا بعد صلاح، وانحطوا واحتقروا بعد علو وارتقاء، بسبب صحبة السوء ومجالسة أهل السوء والبدعة والضلال.

ولهذا حرص الإسلام الحنيف كل الحرص على بناء أبنائه وتربيتهم التربية الصالحة الطيبة المتمثلة بالقدوة الصالحة، وحضّهم على الصحبة الصالحة الناصحة، التي تذكّر عند النسيان وتصلح عند الفساد، وحذّرهم من

القدوة السيئة والصحبة الضارة المفسدة. وقد أرشد إلى ذلك الناصح الأمين والقدوة الحسنة للعالمين نبيّنا محمد ﷺ ممثّلاً ومشبّهاً بتشبيه دقيق حكيم الجليس الصالح والجليس السوء، حيث شبّه الأول بحامل المسك والثاني بنافخ الكير في قوله ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير**[1]. **فحامل المسك إما أن يحذيك**[2]، **وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة**» متفق عليه[3].

لذا على المسلم أن يختار لصحبته من يخاف الله تعالى ويذكّره به فيقوّمه إذا اعوجّ، ويرشده إذا أخطأ لأنه لا يصلح للصحبة كل أحد، بل لا بدّ أن يتميز المصحوب بصفات وخصال حميدة طيبة يتأثر بها المرء ويستفيد منها، وتتلخص هذه الخصال في العقل السليم، وحسن الخلق واتباع السنّة وترك الابتداع والفسوق وترك الحرص على الدنيا.

وأما العقل: فهو رأس المال ولا خير في صحبة الأحمق، لأنه يريد أن ينفعك فيضرك، والعاقل هو من يفهم الأمور على ما هي عليه.

وأما حسن الخلق: فهو جماع الأمر بعد تقوى الله، إذ رب عاقل يغلبه غضب أو شهوة هواه فلا خير في صحبته.

وأما الفاسق: فإنه لا يخاف الله، ومن كان كذلك فلا يوثق به ولا تؤمن غائلته.

وأما المبتدع: فيخاف من صحبته بنشر وسراية بدعته وكذا الفاسق. قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء. وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يقليك منه، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا

---

(١) الكير هو الذق الذي ينفخ فيه الحداد.

(٢) يحذيك أي: يعطيك انظر المعجم الوسيط (١/١٦٣).

(٣) رواه البخاري ك الذبائح باب المسك (٩/٦٦٠) حديث (٥٥٣٣)، ومسلم ك البر والصلة باب استحباب مجالسة الصالحين (٤/٢٠٢٦) حديث (١٤٦).

الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى)[1]. والحريص على الدنيا ـ كما هو معلوم ـ لا خير فيه لإخوانه لأن همه الدنيا فيخشى منه غشهم وخيانتهم من أجلها.

وليحرص العبد على أن تكون صحبته وزياراته وجلوسه وإعطاؤه ومنعه كله لله حتى يتأثر ويصلح قلبه ويزداد حباً لله ولرسوله ﷺ ويتشرف ويسعد بمحبة ربه له، فإنه تعالى يحب من عباده من كان كذلك، كما بشّر بذلك رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه حيث قال: «**قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ**»[2]. وليحرص كل مسلم على أن تكون مجالسه ربانية خالصة لوجه الله الكريم، مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والإكثار من العلم والذكر لله تعالى والاستغفار والتعاون على ذلك، وأن تكون بعيدة عن اللغو وسفساف الكلام وما يبغضه الله من اللمز والهمز والغيبة والنميمة وكثرة الجدل. . . الخ.

وليحرص أيضاً على دراسة سير وتاريخ المحبين الصادقين، وفي مقدمة ذلك الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم بإحسان ـ وخاصة في هذه الأزمنة التي قَلّ فيها المصلحون ـ وليقتطف من ثمرات كلامهم ونصائحهم وأحوالهم ما يقوّي به إيمانه ومحبته، فإن ذلك يساعده على الاقتداء بهم والسير على خطاهم في تحقيق صدق المحبة ولرسوله ﷺ.

وإن مما يثلج الصدر أن تاريخنا الإسلامي المجيد مليء بأمثال هؤلاء النماذج الفذّة من المحبين الصادقين من العلماء والزّهاد والصالحين من هذه الأمة المجيدة المباركة الذين ضربوا أروع الأمثلة في صدق محبتهم لله ولرسوله ﷺ. فما على المرء إلا الاجتهاد والاقتداء. والله وحده هو الموفق والمعين.

---

(١) راجع: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، ص٩٩ ـ ١٠٠.
(٢) تقدم تخريجه في الباب الأول.

المبحث الثالث عشر

إيثار ما يحبه الله ورسوله على ما يحبه العبد ويؤثره

إن من أهم الأسباب التي تجلب للعبد محبة الله ورسوله وتقويها، محبته لما يحبه الله ورسوله ﷺ من الأعمال والخصال، والعمل والتخلق بها وإن كانت لا توافق نفسه أو هواه، وإيثار رضاه تعالى ومحبته ومحبة رسوله على ما تؤثره النفس من الراحة والدعة والانفلات من العمل بأوامر الله ورسوله، والتي هي ثقيلة وصعبة إلا على النفوس المؤمنة التي جاهدها أصحابها وهذّبوها وسيّروها على منهج الله والعمل بما يرضاه ويحبه وكبحوا جماحها، لعلمهم أنها أمّارة بالسوء وأنها إن تُركت وشأنها، وأعطيت كل ما تشتهيه وتحبه فإنها ستودي بصاحبها إلى الهاوية والخسران المبين - والعياذ بالله -. فمجاهدتها في الله وإيثار العبد لما يحبه الله ورسوله على ما تحبه نفسه وتؤثره عمل جليل وجهاد كبير جزاؤه أن يفوز العبد برضا ربه تعالى ومحبته ومحبة رسوله ﷺ. وهذا الأمر ليس بالأمر اليسير، ولكنه سهل على من يسره الله له واصطفاه لرضاه ومحبته.

وهذا الإيثار والحب يقوى في نفس العبد شيئاً فشيئاً ويأخذ منه الوقت والجهاد الطويل. فعلى المرء أن لا يمل من إصلاح نفسه وتهذيبها وتسييرها وفق منهج الله وحبه وإيثاره على كل ما عداه. وعليه أن يعلم أن جهادها

والفوز عليها بذلك وكذا جهاد الشيطان من أحب الأعمال إلى الله والتي تقربه عنده زلفى. فنسأل الله أن يطهّر قلوبنا ونفوسنا وأن يجعلها تبعاً لما جاء به رسول الله من عند ربه ومؤثرة له على كل ما عداه وأن يعيننا على نفوسنا وأعدائنا وأن ينصرنا عليهم إنه جواد كريم.

المبحث الرابع عشر

الخلوة بالله تعالى وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كتابه والتوبة إليه واستغفاره والتأدب بأدب العبودية بين يديه[1]

إن من رحمة الله بعباده ولطفه بهم، أنه يسّر لهم الهداية وفتح لهم أبواب الرحمة والتوبة والمحبة ليدخلوها فيطهّروا أنفسهم من رجس الذنوب والمعاصي والآثام، فشرع لهم العبادات من فرائض ومستحبات ونوافل ليزكّي بها نفوسهم، ويطهّر بها قلوبهم، فتسمو بأهلها وتقربهم إليه سبحانه وتعالى، وكان من رحمته بهم أيضاً أن جعل لهم من أيام دهرهم نفحات يعظم فيها سبحانه عليهم الأجر والثواب والرحمة والحنان. من ذلك شهر البركة رمضان والحج والشهر المحرم... الخ. ومن ذلك أيضاً نزوله عزّ شأنه في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل ودعوته عباده للتوبة والاستغفار والسؤال، وإجابته لهم وإعطاؤهم سؤلهم إن هم استجابوا لذلك وطلبوه منه، كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ حيث قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» متفق

(١) مدارج السالكين (١٨/٣).

عليه[1]. أحب أولاً أن أنبه إلى أن هذا الحديث من أحاديث الصفات العظيمة التي يجب على المؤمن إثباتها كما وردت على المعنى المراد منها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. فعليه أن يرد زيغ المبطلين الضالين من الفلاسفة والمتكلمين الذين ضلوا في هذا الباب فخالفوا منهج السلف رحمهم الله فعطّلوها وحرّفوها ظلماً وعدواناً وجهلاً وضلالاً، وكل خير في اتباع المنهج السلفي الصحيح.

ثم أقول: إن هذا الحديث العظيم يدلنا على باب عظيم وسبب هام من أسباب فوز العبد بمحبة ربه عزّ وجلّ ألا وهو الخلوة به عزّ وجلّ في الثلث الأخير من كل ليلة والانطراح بين يديه ومناجاته، والتقرب إليه بما يحبه من الأذكار الجامعة والإنابة والتوبة الصادقة، والدعاء الجامع، والاستغفار المخلص النصوح، فإنه تعالى لا يرد من سأله في هذا الزمن ولا يخيب أمل من قصده صادقاً مخلصاً تائباً. لأنه تعالى أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

لذا حرص عباده المحبون الصادقون على اغتنام هذه الفرص التي لا تعوض، فتركوا الراحة والنوم والأحبة، وقاموا يناجونه ويدعونه ويذكرونه ويستغفرونه لأنه أحب إليهم من ذلك كله، بل ومن الخلق كلهم وحتى من أنفسهم التي بين جنوبهم، فاستحقوا بذلك حبه لهم ورضاه عنهم وثناءه عليهم حيث قال في حقهم ووصفهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] وقال أيضاً فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٨] وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم**

---

(١) رواه البخاري ك التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (٤٦٤/١٣) حديث (٧٤٩)، ومسلم ك صلاة المسافرين باب الترغيب في الذكر والدعاء في آخر الليل والإجابة (٥٢١/١) حديث (١٦٨).

الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عزّ وجلّ، فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي كيف صبر لي بنفسه، والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب سهروا ثم هجعوا فقام من السحر في سراء وضراء»[١].

فعلى المؤمن أن يحرص على قيام الليل ومناجاة ربه تعالى فيه والخلوة به وخاصة في وقت السحر، فإنه من أحب الأعمال والنوافل إليه تعالى لأن العبد بعيد فيه عن السمعة والرياء، صادق في قيامه لمولاه وتمرغه بين يديه، بل إن ذلك يقربه إليه تعالى ويضفي عليه من خزائن رحمته وكرمه وجوده ومحبته. فهو سبب عظيم من أسباب محبته عزّ وجلّ والقرب منه، كما أخبر عن ذلك النبيّ المصطفى ﷺ حيث قال: «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**» رواه الترمذي[٢] والنسائي وزاد «**فإن الصلاة محضورة مشهودة إلى طلوع الشمس...**»[٣]. فليحرص كل منّا على التزوّد للآخرة ما استطاع، فإن العمر أيام وساعات وما ذهب منها فلن يعاد. وليحرص أيضاً على العمل بكل سبب يقربه إلى ربه ويجلب له محبته ومحبة رسوله ويقويهما، فإن السعيد حقاً من حظي بهذه المحبة ونالها. والشقي حقاً من أغفل عنها وحرمها. فاللّهم خذ بأيدينا لما فيه رضاك واملأ قلوبنا بحبك وحب حبيبك ﷺ واجعلنا عندك من المقربين المحبوبين إنك مولانا سميع الدعاء يا رب العالمين.

وبعد: (فمن هذه الأسباب وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن وانفتاح البصيرة.. وبالله التوفيق)[٤].

---

(١) تقدم تخريجه في الباب الأول.

(٢) رواه الترمذي ك الدعوات باب في دعاء الضيف (٥/٥٧٠) حديث (٣٥٧٩).

(٣) النسائي ك المواقيت باب النهي عن الصلاة بعد العصر (١/٢٧٩ ـ ٢٨٠) حديث (٥٧٢).

(٤) مدارج السالكين (٣/١٨).

الفصـــل الثانـــي

علامات محبة العبد لله تعالى ولرسوله ﷺ

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: الإكثار من ذكر الله وذكر رسوله ﷺ والصلاة عليه.

المبحث الثاني: الانقياد والاستسلام لأمر الله ورسوله.

المبحث الثالث: التعلق بكل ما ينسب إلى الله ورسوله والإقبال عليه.

المبحث الرابع: السعي في إرضاء الله ورسوله وإيثارها على من سواهما.

المبحث الخامس: الإنس بالله عزّ وجلّ وبمناجاته وتلاوة كتابه.

المبحث السادس: الغيرة لله ولرسوله ﷺ.

المبحث السابع: محبة ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغض الله ورسوله.

المبحث الثامن: حب لقاء الله في الجنة.

المبحث التاسع: محبة رؤيته ﷺ.

المبحث العاشر: المناصحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

المبحث الحادي عشر: التأسف على ما يفوت العبد من طاعة الله ورسوله.

المبحث الثاني عشر: الصبر على ما يصيبه في سبيل الله والرضا بذلك.

المبحث الثالث عشر: الإنابة إلى الله والخوف منه والرجاء فيما عنده.

تمهيد

إن لمحبة الله ورسوله ﷺ لوازم وأسباباً وعلامات لا تصدق المحبة إلا بتحققها، ولا يلتفت إلى ادعاء المرء لها ما لم تجتمع فيه هذه اللوازم والأسباب والعلامات، لأنه يدّعي هذه المحبة أكثر الخلق، وهم عن تحقيق شروطها بعيدون. إذ ما أسهل الدعوى وأعز المعنى والعمل؟! فلا ينبغي للمرء أن يغتر بادعاء هذه المحبة ما لم يمتحنها بالعلامات الدالة على صدقها والبراهين الصادقة عليها. فإذا وجد ذلك متحققاً في محبته فليبشر بصدقها وليحافظ عليها من الخلل والضعف والضياع، لأنه كم من محب قد نقصت محبته وضعفت أو اختفت وضاعت بسبب تفريطه في جنب الله، وعدم مبالاته بما يحفظها له ويزيدها ويرفعه بها عند مولاه.

هذا والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح، وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار، ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة[1]. سنوجزها في المباحث الآتية.

(١) إحياء علوم الدين (٢/٣٠٢).

المبحث الأول

الإكثار من ذكر الله وذكر رسوله ﷺ والصلاة عليه

أ ـ الإكثار من ذكر الله تعالى:

إنه مما لا شك فيه أن الإكثار من ذكر الله تعالى بالليل والنهار علامة من علامات محبته، لأنه مما لا خلاف فيه بين الخلق أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره. والله تعالى هو أعظم محبوب للمؤمنين فذكره حياة قلوبهم وسبب من أسباب محبتهم له ـ كما تقدم معنا ـ وهو في الوقت ذاته دليل وعلامة على صدق محبتهم له. وقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين والمؤمنات المحبين والمحبات بذلك فقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فمن أحب الله صادقاً كان مولعاً في ذكره، ممتلئاً به قلبه، رطباً به لسانه، فإذا فتر اللسان عن الذكر لأمر ما فإن القلب لا يخلو عنه أبداً. كيف يخلو عنه وهو حياته التي يعيش بها ونسيم روحه التي يتنسمها؟! فالمحب الصادق لله تعالى دائم الذكر لربه في ليله ونهاره وعند الرغب والرهب.

فهو لا ينام إلا على ذكره ومناجاته، فيشتغل لسانه وقلبه بذكره ذلك حتى يكون آخر عهده بالدنيا قبل نومه ذكر محبوبه الأعظم ومناجاته فتقبض

روحه وهو على هذه الحالة الطيبة. فإذا قدر الله له الحياة بعد نومه كان ذكر الله تعالى هو أول شيء يبدأ به يومه مقتدياً بإمام المحبين ورسوله الكريم محمد ﷺ الذي علّمه الأوراد الطيبة عند النوم وعند الاستيقاظ وفي كل وقت. فيكون ذكر المحبوب تعالى عند العبد المؤمن الصادق آخر عهده بدنياه وأول عهده بها. في حين يكون غيره ممن أحب غير الله وتعلق به مهموماً ومشغولاً بذكر ما يحبه عند نومه وعند قيامه، فينام وهو يجمع ويطرح ويبيع ويشتري... ويفكر بمحبوبه من دون الله... ويقوم وهو على هذه الحالة فشتان بين هذا وذاك.

والمؤمن المحب الصادق لربه إذا نزلت به مصيبة أو بلوى، فإنه يلجأ إلى أغلى شيء يحبه ويأنس إليه ألا وهو الله تعالى، فيذكره ويدعوه ويسلم أمره إليه فلا يزيده ذلك إلا صبراً وعزيمة ورضا وتسليماً ومحبة. قال تعالى في حق المحبين الصادقين: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

فالمحب الصادق دائم الذكر لله تعالى في سرائه وضرائه وفي ليله ونهاره. فهو إذا أنعم الله عليه شكر ربه وذكره فزاده ذلك إيماناً ونعماً، وإذ نزلت به بلوى ذكره وصبر على قضائه فخرج من مصيبته أشد حباً لربه وأكثر إيماناً وصبراً. وهو إذا التقى بعدوه في ساحات الوغى أكثر من ذكره ربه ودعائه ممتثلاً لأمر ربه في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

وهو أيضاً كثير التلاوة والسماع لكتاب ربه عزّ وجلّ، لأنه لا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: (لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم) وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من أحب القرآن أحب الله ورسوله)[١].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص٣٤٢، ٣٤٣.

والمحب الصادق أيضاً إذا ذكر الله خالياً وجل قلبه وخاف وفاضت عيناه بالدمع من خشية ربه عزّ وجلّ. قال تعالى في وصف المحبين الصادقين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

وقد أخبر رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح أنه من بين السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»(١).

فذكر الله تعالى في كل حال والإكثار منه في السرّ والعلن والعسر واليسر علامة من علامات محبته وسبب من أسبابها. فعلى المحب أن يكثر من ذكر ربه دائماً ليسعد ويصدق بحبه.

ب ـ الأكثار من ذكر رسول الله ﷺ والصلاة عليه:

إن من علامات محبة رسول الله ﷺ الإكثار عن ذكره، والذي يشمل قراءة حديثه الشريف وسيرته العطرة للعمل بسنته والتخلق بأخلاقه ﷺ، كما يشمل كثرة الصلاة والسلام عليه. وقد أمرنا عزّ وجلّ في محكم كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] فبدأ تعالى بنفسه بالصلاة عليه أولاً ثم ثنّى بملائكته ثم ثلّث بأمره عباده بهذه الصلاة. فيا لها من شيء عظيم يحبه الله، ويدلل على صدق محبة رسول الله ﷺ. لذا أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الله من فوق سبع سماواته يصلي على من صلّى على نبيّه عليه الصلاة والسلام فقال: «**من صلّى عليّ مرة صلّى الله عليه بها عشراً**»(٢). وصلاة الله على عباده معناه مغفرته لهم. فالمحبون الصادقون

---

(١) رواه البخاري ك الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة (١٤٣/٢) حديث (٦٦٠)، ومسلم ك الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة (٧١٥/٢) حديث (٩١).

(٢) رواه أحمد (١٦٨/٢ و٣٧٣)، والنسائي، ك السهو باب الأمر بالصلاة على النبيّ ﷺ (٥٠/٣) حديث (١٢٩٦ ـ ١٢٩٧) وهو حديث صحيح كما قال الألباني في صحيح الجامع (٣١٦/٥) حديث (٦٢٣٤ ـ ٦٢٣٥).

يكثرون من الصلاة والسلام عليه لينالوا رحمة ربهم ومغفرته إضافة إلى حبه وحب نبيّه ﷺ. كما يكثرون من قراءة حديثه وسيرته لحبهم إياه وشوقهم له، لأنهم بذلك إن لم يصحبوا شخصه الكريم إلا أنهم قد صحبوا أنفاسه الكريمة، فذكره ﷺ دائماً على ألسنتهم وفي قلوبهم ويتمثل ذلك باتباعهم وطاعتهم له ثم بدعوتهم إلى سنته المطهرة وحفظهم لها عملاً وتطبيقاً ودعوة وحباً. لأن محبته ﷺ لا تنال بمجرد الادعاء بل بطاعته ومتابعته والتمسك بسنته والعمل بما جاء به من عند الله ـ كما أسلفت ـ.

المبحث الثاني

الانقياد والاستسلام لأمر الله ورسوله

إن محبة الله عزّ وجلّ إذا باشرت بشاشة القلوب، حملت صاحبها على محبة ما يحبه وبغض ما يبغضه والإيمان بما أراده منه، والانقياد والطاعة والامتثال لكل ما أمره به ومحبته والبعد عن كل ما نهى عنه وحرمه وتجنبه وبغضه. وهذا من أشد وأكبر الأدلة والعلامات على صدق محبته لمولاه. غير أنه لا يتحقق له ذلك إلا بمتابعته لرسوله ﷺ على ما يحبه الله ويرضاه، والمحذِّر مما يبغضه الله ويكرهه، والذي كان القدوة العملية الصادقة الحية للامتثال لأمر ربه عزّ وجلّ، فقد جعل الله سبحانه وتعالى متابعة نبيّه ﷺ وطاعته ركناً من أركان محبته وسبباً ولازماً لها وعلامة على صدقها. قال عزّ شأنه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] لأنه لا سبيل ولا طريق للوصول إلى محبة الله غير هذا الطريق، فهو ﷺ المبيِّن لما يحبه الله من الأوامر وما يبغضه من النواهي، فلا طريق لرضا الله ومحبته والسعادة غير طريقه واتباعه وطاعته والتسليم له عليه الصلاة والسلام. فلا المنامات والرؤى ولا الشطحات ولا المكاشفات المزعومة من المتصوفة وغيرهم طريقاً لمعرفة ما أراده الله وأحبه وما لم يرده وكرهه وأبغضه. ومن ظن أن هناك طريقاً للوصول إلى محبة الله عن غير طريق رسوله واتباعه والانقياد له. . . فهو مخطىء ضال خاسر - وأن ادعى الإسلام والولاية والعلم -.

فاتباعه ﷺ والتسليم والانقياد له دليل على صدق محبته تعالى ومحبة رسوله ﷺ ـ فضلاً عن كونها لازماً من لوازمها ـ لأن الطاعة للمحبوب عنوان المحبة له كما قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فالمؤمن المحب الصادق ممتثل لأمر الله ورسوله ومحب لطاعته تعالى ولرسوله، ومبتعد عن كل ما يبغضه الله ورسوله، فإن نزغه نزغ من الشيطان فعصى ربه ورسوله ﷺ سارع إلى التوبة والاستغفار والندم على ما حصل منه فتاب، فتاب الله عليه وغفر له. لأن المعصية لا تضاد المحبة ولا تذهبها إن لم تكن عن نفاق، بل تنفي كمالها، لأن المرء قد يكون محباً لله ولرسوله وواقعاً في بعض المعاصي والمحرمات ـ كما هو المذهب الصحيح لأهل السنّة والجماعة ـ. يؤيد ذلك ما ورد في الصحيح أن رجلاً كان يلقب حماراً وكان يشرب الخمر فجلده رسول الله ﷺ ثم أتى به أكثر من مرة وهو كذلك فلعنه بعض الصحابة فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: «**لا تلعنوه فوالله أنه يحب الله ورسوله**»[1]. هذا مع لعنه ﷺ لشارب الخمر وحاملها وعاصرها ومعتصرها. . . الخ. فثبت إذاً أن المعصية لا تضاد المحبة، لكن على المرء أن يسارع بالتوبة والاستغفار إذا مسه طائف من الشيطان، كما أخبر الله بذلك عن عباده المؤمنين المحبين حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١]. لأن المعاصي قد تجتمع على القلب فتكثر تجعل عليه غشاوة إن لم يتب منها فتعمي عليه. وعندها لا تنفعه ذكرى ولا تذكير. فنسأل الله أن يجعلنا من المحبين الصادقين الممتثلين لأوامره والمجتنبين لنواهيه إنه جواد كريم.

---

(١) رواه البخاري وقد تقدم تخريجه.

المبحث الثالث

التعلق بكل ما ينسب إلى (المحبوب) الله ورسوله

إنه من المعلوم أن المحبة إذا تمكنت من قلب العبد وتغلغلت فيه واستقرت في سويدائه، فإنها تتحدى حينئذٍ من حبه إلى حب كل ما ينسب ويضاف إليه أن كل ما ينسب إلى المحبوب فهو محبوب. لذا كان المحبون الصادقون يحبون القرآن الكريم لأنه كلام ربهم ومحبوبهم عزّ وجلّ، ويحبون رسول الله ﷺ لأنه خليله ونبيّه وسيد خلقه، كما يحبون سائر الأنبياء والمرسلين الذين هم صفوته من خلقه وأحبابه، كما يحبون ملائكته الكرام، وبيته الحرام الذي فيه الكعبة المشرفة ويتلهفون لزيارته والصلاة فيه، وكذا إلى مسجد نبيّهم ﷺ ويسترخصون كل غال ونفيس ويستسهلون الصعاب والعذاب في سبيل الوصول إليهما. كما يحبون المساجد بيوت الله لأنها أحب الأماكن إليه تعالى. ويحبون صحابة رسولهم ﷺ وآل بيته الكرام وزوجاته الطاهرات المطهرات رضي الله عنهم أجمعين لنسبتهم إلى حبيبهم عليه الصلاة والسلام ولحبه لهم، بل ويحبون كل ما ينسب إلى محبوبهم (الله ورسوله) حتى ولو كان جماداً أو حجراً أو لباساً أو غير ذلك فهم يحبون جبل أُحد من بين سائر الجبال لأن حبيبهم ﷺ يحبه، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طلع له أُحد فقال: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**» متفق

عليه[1]. كما يحبون الحجر الأسود دون غيره ويقبّلونه، لأن حبيبهم محمداً ﷺ كان يحبه ويقبّله، كما يحبون الخيل ولبس القميص لأن رسولهم ﷺ كان يحب ذلك. وبالجملة فهم يحبون كل ما ينسب إلى محبوبهم (الله ورسوله).

فيكثرون مثلاً عن تلاوة القرآن الكريم ويحبونه لأنه كلام ربهم، ويحبون حديث رسول الله ﷺ لأنه كلام حبيبهم. لأن المحب لا شيء أحب إليه من كلام محبوبه، فتجدهم يقبلون على القرآن الكريم تلاوة وسماعاً مع خشوع وتدبر واستماع وإنصات، ويبتعدون عن الأغاني والطبول والرقص والمجون، لأن ذلك مما لا يحبه الله بل هو مما يبغضه الله. فالعجب ممن يدّعي محبته تعالى وهو عن كتابه معرض، وإلى لهو الحديث ومزمار الشيطان مقبل، كما هي حال الصوفية وغيرهم من أدعياء المحبة. فعلامة المحبين ودأبهم إذاً، أنهم يقبلون على حب كل ما ينسب إلى الله ورسوله ويتعلقون به، لأنهم آثروا ما أحب الله ورسوله على ما أحبته نفوسهم وآثرته، فصدقوا والله في حبهم، فهنيئاً لهم من حب عظيم ومن نعمة عظمى.

---

(١) رواه البخاري ك الإعصام بالكتاب والسنّة باب ما ذكر النبيّ ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم (٣٠٤/١٣) حديث (٧٣٣٣)، ومسلم ك الحج باب فضل المدينة (٩٩٣/٢) حديث (٤٦٢).

المبحث الرابع

السعي في إرضاء الله ورسوله وإيثارهما على غيرهما

إن من أبرز علامات المحبة الصادقة لله ولرسوله سعي المحب بكل جهده لإرضاء محبوبه، بحيث لا يحب إلا ما يحب محبوبه ولا يفرح إلا بما يفرح محبوبه، ولا يعمل أو يفعل شيئاً إلا إذا أحبه محبوبه، ولا يرتكب شيئاً يكرهه، وهو يحب ما أحب الله ورسوله ويعمله ويؤثره، ولو كانت نفسه لا ترغبه، ويترك ما يبغض الله ورسوله ويبغضه، ولو كانت نفسه تحبه أو تميل إليه، فهو يروض نفسه ووجدانه وأحاسيسه وجوارحه لتعيش وتعمل بما يحبه محبوبه وتترك ما يبغضه محبوبه، فإذا أحب أحب لله، وإذا أبغض أبغض لله، وإذا أعطى أو منع أو وصل أو قطع فللّه وحده لا شريك له، حتى يصير مراده موافقاً لمراد الله. وهكذا تكون حياته وحركاته وسكناته كلها لله وفي الله، مؤثراً إياه على كل ما عداه حتى يرضى عنه ويفوز بمحبته ورحمته وثوابه. وعلامات هذا الإيثار لله ولرسوله والصدق فيه، أن يحب العبد ما يحبه الله ورسوله، ويفعله ولو كانت نفسه تكرهه أو تهرب منه ولا ترغب فيه، وكذا أن يترك ويبغض ما يبغضه الله ورسوله، وكذا أن يواظب ويستمر على ذلك حتى يلقى ربه تعالى.

فبهذا يصدق العبد في حبه وإيثاره لله ولرسوله. ولا شك أن هذا الأمر صعب وشديد على النفوس، والمحنة فيه عظيمة وخاصة على النفوس

الضعيفة، ولكنه لا سعادة للعبد ولا فلاح له ولا تتحقق عبوديته لله إلا بهذا الإيثار وأنه ليسير على من يسره الله عليه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالسعيد والصادق في حبه من آثر ربه ورسوله وسعى في مرضاة الله ورسوله، مهما شق ذلك عليه ومهما كلفه من ثمن، لأن الله عزّ وجلّ قد عنّف على من ادّعى الإيمان ولم يسع لذلك فقال: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة: ٦٢]. وقال تعالى أيضاً متوعداً ومهدداً من قدّم حب غير الله ورسوله، وآثره على حب الله ورسوله وعلى حب ما يحبه تعالى ورسوله من الجهاد، سواء كان هذا المقدَّم والمحبوب ولداً أو أباً أو زوجة أو عشيرة أو مسكناً أو مالاً وغير ذلك من متاع الدنيا الزائلة فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

وعلى العبد المحب أن يقتدي بالمحبين الصادقين الأولين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، الذين بذلوا كل غال ونفيس في سبيل مرضاة ربهم وآثروا الله ورسوله وما يحبه الله ورسوله على الأهل والمال والولد والناس أجمعين، والذين ضحوا بأرواحهم وأنفسهم وأموالهم وبكل ما بأيديهم، وهجروا الأوطان والأحباب في سبيل تحقيق العبودية لله تعالى والدعوة إليها ليخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ويا لها من غاية عظيمة وهدف منشود لا فوز للخلق إلا بتحقيقه.

المبحث الخامس

الأنس بالله عزّ وجلّ وبمناجاته وتلاوة كتابه وبالخلوة به[1]

إن من أهم علامات صدق محبة العبد لربه أنسه به تعالى ولذته بطاعته وعبادته ومناجاته والخلوة به، وسروره وراحته واطمئنانه بذكره وبتلاوة كتابه. قال عزّ وجلّ مادحاً عباده المؤمنين المحبين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]. فالعبد المحب لله لا راحة ولا سكون ولا لذة له إلا بقربه من ربه وطاعته له ومناجاته إياه وذكره له. وكلما كانت محبته لربه أقوى كانت لذته وراحته وسكونه أكمل وأتم - كما قال الإمام ابن القيم -[2]، لأن اللذة تابعة للمحبة تضعف بضعفها وتقوى بقوتها. فكلما كانت الرغبة في المحبوب والشوق إليه أقوى، كانت اللذة بالوصول إليه أتم[3]:

ولهذا تعظم لذة الظمآن بشرب الماء البارد بحسب طلبه للماء وكذلك الجائع، وكذلك من أحب شيئاً كانت لذته على قدر حبه إياه، ولهذا قال النبيّ ﷺ: «**وجعلت قرّة عيني في الصلاة**»[4]، ومن كانت قرّة عينه في

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص٣٥٠.

(٢) في طريق الهجرتين، ص٣٢١.

(٣) الفوائد لابن القيم، ص٧٠.

(٤) حديث صحيح تقدم تخريجه.

شيء وأنسه به فإنه يتمنى أن لا يفارقه ولا يخرج منه، فإن قرّة عين العبد نعيمه وطيب حياته به، ومن قرّت عينه بعبادته وبصلاته في الدنيا قرّت عينه بقربه من ربه في الدنيا والآخرة. قال بعض المحبين من السلف: (إني لأفرح بالليل حين يقبل لما يلتذ به عيشي وتقرّ به عيني من مناجاة من أحب وخلوتي بخدمته وتذللي بين يديه، وأغتم للفجر إذا طلع لما أشتغل به بالنهار عن ذلك)[1].

وهذه اللذة والسرور والأنس بالله تعالى وبعبادته وطاعته ومناجاته إنما تحصل للعبد بالمصابرة والمجاهدة والتعب، فإذا صبر وصدق وجاهد أحس بهذه اللذة وبهذا السرور والأنس، ولا يزال العبد عرضة للآفات والفتور والانتكاس... الخ حتى يصل إلى هذه الحالة، فحينئذٍ يصير نعيمه في سيره ولذته في اجتهاده، وعذابه في فتوره ووقوفه، فيرى أشد الأشياء عليه ضياع شيء من وقته ووقوفه عن سيره إلى ربه وعبادته وطاعته له، ولا سبيل إلى هذا إلا بالحب المزعج[2].

فليزن العبد إيمانه ومحبته لله تعالى بهذا الميزان، ولينظر هل هو متلذذ ومسرور ومستأنس بطاعة ربه وعبادته له... أم أنه بخلاف ذلك متكره لها ومتضايق منها يأتي بها على السآمة والملل والكراهة؟؟، فإن هذا محك إيمان العبد ومحبته لربه[3].

ولينظر أيضاً هل يكون أنسه ولذته وراحته بالنوم وبالحديث والقيل والقال والأكل والشرب والزوجة وغيرها من شهوات النفس ومتع الدنيا...، أعظم وأكبر من لذته بطاعة ربه ومناجاته وعبادته، أو أنه لا يجد في هذه العبادة والمناجاة والطاعة لذة ولا سروراً أصلاً، بل إذا أداها فإنه يؤديها على كسل وضيق ـ والعياذ بالله ـ فإن كان كذلك،

---

(١) انظر: طريق الهجرتين، ص٣٢١، ومفتاح دار السعادة (٨٧/١) والوابل الصيب، ص٤١.

(٢) انظر: طريق الهجرتين، ص٣٢١.

(٣) المرجع السابق.

فليراجع إيمانه ومحبته، إذ كيف تصح محبته - وإن زعمها - وهو كذلك؟!

فالمحب الصادق إذاً هو من لا يطمئن إلا إلى محبوبه عزّ وجلّ ولا يسكن ولا يأنس ولا يلتذ إلا بطاعته ومحبته ومناجاته وذكره له. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن اتصف بهذه الصفات، إنه جواد كريم.

المبحث السادس

الغيرة لله ولرسوله ﷺ

إن غيرة العبد لله ولرسوله وغضبه إذا انتهكت محارم ربه عزّ وجلّ أو محارم رسوله أو ضيعت حقوقه تعالى أو حقوق رسوله... لمن أهم وأعظم وأكبر الأدلة على صدق حبه لله ولرسوله ﷺ، لأنه إذا صدق المحب في محبته فانقاد لمحبوبه وصدق في العمل بما يرضاه ويحبه منه محبوبه وآثره على كل ما عداه، وصدق أيضاً في بغض ما يبغضه محبوبه، فإنه يدور بقلبه وجوارحه فيما يرضي ربه عزّ وجلّ ورسوله ﷺ. فيوالي الناس ويعاديهم على هذا الأساس، فيوالي أولياء الله وأحبابه وأحباب رسوله من المؤمنين المطيعين ويحبهم، ويبغض ويعادي أعداء الله ورسوله من المشركين والملحدين والعصاة الفاجرين، فيتولى كل ما فيه مرضاة ربه ورسوله، ويتبرأ مما فيه سخطه وغضبه تعالى ورسوله.

وهذا الولاء والبراء، وهذه الغيرة لله ولرسوله أصل عظيم من أصول الإسلام وقاعدة متينة من قواعده، بل إن الدين كله ينطوي تحتها، لأنه لولاها لما كان هناك جهاد في سبيل الله ومقاتلة لأعداء الله، ولا أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر، ولا دعوة إلى دين الله.. فهذه الغيرة لله ولرسوله هي أصل الجهاد والولاء والبراء والحاملة على ذلك، فلو خلت من قلب العبد لما جاهد ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر لأنه إنما يعمل ذلك حباً لله وطمعاً فيما عنده وغيرة منه لربه ولنبيّه ﷺ.

ولذلك جعل الله تبارك وتعالى الجهاد والولاء والبراء دليلاً وعلامة على محبته ومحبوبيته في قوله جلّ شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

فالمحب الصادق لا يطيب له عيش ولا يهدأ له بال حتى يرى حرمات الله ورسوله ﷺ مصانة معظّمة، وحقوق الله ورسوله محفوظة مكرّمة، وشريعة ربه وأحكامه مطبّقة منفّذة. وحتى يرى الامتثال والطاعة والانقياد لله ولرسوله، والعز والنصر والتمكين لأوليائه عزّ وجلّ، والذلة والصَغار والهزيمة لأعدائه تعالى ورسوله، فإنه إذا رأى تقصيراً في ذلك أو إهمالاً، قام غيرة لله تعالى ورسوله آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يتقاعس أو يمل أو يخاف. لأن غايته أن تتحقق العبودية الصادقة لربه ومحبوبه عزّ وجلّ والمتابعة لحبيبه محمد ﷺ مهما كلفه ذلك من جهد وثمن، بل حتى ولو كلفته هذه الغاية حياته وأهله وماله، فإنه يسترخصها في سبيل محبوبه ويهبها له طيّبة بها نفْسُه. ولا شك أن الناس يتفاوتون في تحقيقهم لهذه الغاية وقيامهم بمستلزمات هذه الغيرة، فكلما قويت محبة العبد لله ولرسوله قويت في قلبه غيرته لهما، فأقوى الناس محبة وإيماناً أعظمهم غيرة، وإذا خلى القلب من هذه الغيرة، فهو خال من محبة الله ورسوله وإن زعم أنه من المحبين. فهي علامة تميز بين المحبين الصادقين وبين أدعياء المحبة الكاذبين، ذلك لأن الغيرة إنما تظهر على الجوارح في غالب الأمر.

فمن ادعى محبة الله ورسوله وهو يرى الناس من حوله ينتهكون حرمات الله ورسوله ويقعون في معاصيهما، ويضيّعون حقوقهما ويستهترون ويستخفّون بأوامرهما وهو مع ذلك قرير العين هانىء البال غير منكر لذلك، فلا شك أنه كاذب في حبه، لأن الغيرة للمحبوب علامة وشرط من شروط محبته.

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في صدق محبته لربه

عزّ وجلّ وغيرته له، - كيف وهو إمام المحبين وقدوة الغيورين والخلق أجمعين! - فكان ﷺ شديد المحبة والغيرة لربه، فكان يغضب لربه إذا انتهكت حرماته أشد الغضب حتى أثر ذلك على وجهه المشرق المنور الكريم، ولم يكن يغضب ﷺ لنفسه قط. وقد رأى صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين منه ذلك رأي العين، وعايشوه فاقتدوا به حق الاقتداء، واتبعوه حق الاتباع. وقد ضربوا لنا الأمثال المشرقة النيِّرة من بعده في صدق محبتهم لله ولرسوله، فقاموا بحمل الأمانة حق القيام ونشروا دين نبيّهم ﷺ شرقاً وغرباً، وطبّقوه قولاً وعملاً، وذادوا عن حماه بأرواحهم وأموالهم وأهليهم حباً لله ولرسوله وغيرة لهما، فدانت لهم ممالك الدنيا وخضعت لعدلهم المملوك والجبابرة، وارتفعت راية التوحيد عالية خفاقة، وهوت ألوية الكفر والشرك والبدعة ذليلة حقيرة، بفضل الله ثم بفضل إخلاصهم لله وصدق محبتهم له ولرسوله ﷺ. وقد جاء بعدهم من خلفهم مَنْ المحبين الصادقين من سلف هذه الأمة الصالح رحمهم الله من التابعين وتابعيهم بإحسان فنهجوا نهجهم واقتفوا أثر نبيّهم ﷺ وصحابته الكرام، فقاموا بمحاربة أهل الباطل من المبتدعين والمنحرفين والكافرين ونشروا سنّة رسولهم ﷺ وأحيوا معالمها وعلّموها للناس، وردوا على أهل الأهواء والبدع والضلال من أدعياء المحبة، وردودهم وكتبهم ومواقفهم في ذلك أكثر من أن تحصى في القديم والحديث. وقد قاموا بذلك كله حباً لله ولرسوله وغيرة له تعالى ولرسوله، فصدقوا والله في محبتهم وعبوديتهم لربهم ومتابعتهم لرسوله ﷺ واقتدائهم بصحابته الكرام، ولنا فيهم جميعاً القدوة الحسنة والمثل الطيب. فرحمهم الله ورضي عنهم أجمعين وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

فأين أولئك الموحدون المحبون الصادقون ممن يزعم حب الله ورسوله ويتبجح بعبارات المحبين ويتفنن في إظهارها ويدّعي أنه من شدة محبته يرضى بكل قضاء الله وقدره في خلقه، فيرضى باسم المحبة بالكفر والمعاصي والبدع، زاعماً من فرط حماقته وزندقته أنه يوالي الناس جميعاً كافرهم وملحدهم ومبتدعهم وعاصيهم لأنهم خلق الله، ويعملون بما قضاه الله

عليهم وقدره لهم، ويزعم أنه يدعو الله لهم أن يدخلهم الجنة لأنه تعالى غني عن تعذيبهم. فهل لمثل هؤلاء الزنادقة محبة لله ولرسوله إذا كانوا يرضون بالكفر والشرك والبدعة والمعصية ويبررونها ويحبون أهلها ويوالونهم؟! كلا وربي.

أم هل لمن يرضى بمن يطعن بالإسلام وبنبيّه ﷺ وبصحابته الكرام وزوجاته الطاهرات ويكفرهم - كفعل الرافضة مثلاً قاتلهم الله - ثم هو يحبه ويواليه مع ذلك كله ولا ينكر ولا يرد عليه، فهل لمن كان كذلك محبة لله ولرسوله إذا كان يوالي من ينتهك حرمات الله ورسوله ﷺ ويبغض أحباب الله وأحباب رسوله وأحب الناس إليه عليه الصلاة والسلام؟ لا وألف لا. إذ أي قيمة لمحبة يرضى صاحبها بانتهاك حرمة محبوبه ثم هو لا يغار عليه ولا يحرك لذلك ساكناً؟!.

ألا فلينتبه كل امرىء إلى هذه العلامة والدليل - ألا وهي الغيرة للمحبوب - على صدق محبته لله ولرسوله ولينظر في نفسه هل يحققها أم لا؟ فإن كان كذلك فليبشر وليطمئن، وإن كان غير ذلك فليعلم أن محبته كاذبة إذ لا يتصور محبة لمحبوب بدون الغيرة له. فنسأله تعالى أن يجعلنا من الصادقين في محبتنا له ولرسوله الغيورين له ولرسوله إنه جواد كريم.

المبحث السابع

محبة ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله

إن من علامات محبة العبد الصادقة لله ورسوله، أن يحب ما يحبه ربه عزّ وجلّ ورسوله من الأعيان والأعمال والأخلاق والصفات، وأن يبغض ما يبغضه عزّ وجلّ ورسوله. لأن محبة الحبيب تقتضي محبة ما يحبه ومحبة ما يعين على حبه، كما تقتضي بغض ما يبغضه وما يعين على بغضه، فالمحب الصادق يحب الأعيان التي يحبها الله ورسوله من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام جميعاً - وفي مقدمتهم إمامهم وسيدهم وخاتمهم محمد ﷺ - لأنهم ﷺ أجمعين أئمة البشر في العبودية لله تعالى والطاعة والانقياد له وفي صدق محبتهم لربهم عزّ وجلّ.

كما يحب الملائكة الكرام عليهم السلام الذين خلقهم الله لعبادته والذين لا يعصون له أمراً بل يمتثلون أوامره جميعها ولقد مدحهم الله بقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]. ويحب أيضاً المؤمنين الصالحين الطائعين الممتثلين لأوامر الله ورسوله والمجتنبين لنواهي الله ورسوله، وفي مقدمة أولئك الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وصحبوا رسوله ﷺ ونصروه وآووه وجاهدوا معه ونشروا دعوته وشريعته واتبعوه حق الاتباع فرضي الله عنهم ورضوا عنه ورضي عنهم

رسولهم، وبشرهم عزّ وجلّ بالجنات والفوز العظيم وأثنى عليهم الثناء العطر في كتابه الكريم كما أثنى عليهم رسوله ﷺ في سنته المطهرة، فحب هؤلاء الأبرار من محبة الله ورسوله وبغضهم من بغض الله ورسوله.

وهذا الحب لعباد الله المؤمنين الصالحين هو ما يسمى (الحب في الله) وهو من أعظم القربات إلى الله ومن أكبر الأدلة على صدق محبته عزّ وجلّ، وهو أيضاً يجلب محبوبية الرب تعالى لصاحبه قال ﷺ: «**يقول الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ**»[1]. كما يجلب للعبد أيضاً استكمال الإيمان والاستظلال في ظل عرش الرحمن يوم القيامة. قال ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، فقد استكمل الإيمان**»[2]، وقال أيضاً: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[3]. وهو ـ أي: الحب في الله ـ يجلب للعبد أيضاً حلاوة الإيمان قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله**»[4].

فعلى المؤمن أن يخلص نيته لربه في حبه وبغضه فلا يحب إلا لوجه الله عزّ وجلّ، ولا يبغض إلا لله عزّ وجلّ لا لغرض أو مصلحة زائلة. بل يكون حبه للمؤمنين من أجل الله. وبغضه للفاجرين وللفاسقين والعاصين لله... الخ، لينال هذا الخير العظيم الذي أخبرنا عنه الرسول ﷺ في الأحاديث السابقة. كما أن على المحب الصادق لربه ولرسوله أن يحب الأعمال الصالحة والخصال الحميدة التي يحبها الله ورسوله لأنها مما تعين

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم تخريجه في الباب الأول.

(٢) رواه أبو داود ك السنّة باب الدليل على زيادته ونقصانه (٥/٦٠) حديث (٤٦٨١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥/٢٢٩) حديث (٥٨٤١).

(٣) رواه مسلم ك البر والصلة باب فضل الحب في الله (٤/١٩٨٨) حديث (٣٧)، وأحمد (٢/٢٢٧ و٢٣٨ و٣٧٠).

(٤) رواه أحمد (٢/٢٩٨ و٥٢٠) والحاكم (٤/١٦٨) وصححه وهو حديث حسن انظر صحيح الجامع (٥/٢٢٧) حديث (٥٨٢٤).

على حبه تعالى ورسوله، كالصلاة والصوم والحج والصدق والكرم وحسن الخلق والصبر... الخ. وعليه أيضاً أن يبغض ما يبغضه الله ورسوله من الأعيان والأعمال والخصال، فمن الخصال المبغوضة الكفر والنفاق والكبر والبخل واللؤم والفحش والبذاءة والخيانة، والفساد... الخ والأعمال المبغوضة هي المعاصي والمنكرات كالزنا وشرب الخمر واللواط والسرقة وشهادة الزور... الخ والأعيان المبغوضة هم الكافرون والمنافقون والمفسدون والمتكبرون والمسرفون والخائنون... الخ.

وبغض ما ذكرنا مما يبغضه الله ورسوله يجب أن يكون لله لا لغرض دنيوي أم مصلحة شخصية. وهذا البغض يسمى (البغض في الله) وهو - كما تقدم معنا - علامة من علامات الإيمان ودليل على صدق محبة الرحمن ورسوله ﷺ، وقد تقدم معنا في الحديث السابق ثمرة وفضل الحب في الله والبغض في الله بكون صاحبه يستكمل الإيمان به ويجد حلاوته، كما ورد في الحديث الصحيح «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» متفق عليه[1].

فليحرص كل محب على هذه العلامة الصادقة لحبه لربه ورسوله ألا وهي محبته لما يحبه الله ورسوله وبغضه لما يبغضه الله ورسوله إن أراد الصحة والقبول لمحبته والفوز برضا ربه وجنته، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) تقدم تخريجه.

المبحث الثامن

حب لقاء الله تعالى في الجنة(1)

إن العبد إذا أحب ربه عزّ وجلّ وأحس بحلاوة ذلك، فإنه يشتاق للقائه وتهفو نفسه لمشاهدته والنظر إليه تعالى والفوز بجنته ورضاه، بل إنه ينتظر ذلك بفارغ الصبر. وهو يعلم أنه لا يحبسه عن رؤية محبوبه والظفر بلقائه والتمتع بالنظر إليه في جنته إلا خروجه من هذه الدنيا وانقطاعه عنها بالموت، لذا فإن نفسه وقلبه لا يلقيان أي أهمية أو قيمة لهذه الفانية لتيقنهما من أنها زائلة وأنها دار ممر وعمل لا تدوم لأحد وليست بدار قرار أو خلود، وأنها تحجب العبد عن اللقاء بمحبوبه عزّ وجلّ فكيف يعلق قلبه بها؟ أو يأنس لها أو يفرح بها؟ وهو الذي شغله حب مولاه وسيده عزّ وجلّ وعبادته له وطاعته وشوقه إليه عن كل ما عداه؟. فلذا تجده دائم الذكر للموت لأنه موعد لقاء حبيبه ومولاه وسيده جلّ في علاه، فهو لا ينسى موعد لقاء الحبيب، ويتمنى أن يخطفه الموت ويأتيه بسرعة ليتخلص من هذه الدنيا الفانية، ويفوز بلقاء ربه ورضوانه وجنته الخالدة الأبدية في الآخرة وينعم بجوار ربه والنظر إليه، فإنه ما أعطي العبد المؤمن بعد الجنة شيئاً أحب إليه من النظر إلى مولاه ومحبوبه والفوز برضاه، وهي الزيادة على الجنة المذكورة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فإن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله عزّ وجلّ كما قال

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص٣٤٩.

أكثر السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان[1] رضي الله عنهم.

فحب العبد للقاء الله عزّ وجلّ والشوق إليه، علامة ودليل على صدق محبته لربه وهي إضافة إلى ذلك تجلب له محبوبية الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»** متفق عليه[2].

لكن من المؤمنين من يكره الموت ولا يعني ذلك أنه يكره لقاء الله تعالى، لكنه لضعف في محبته أو لكونها مشوبة بحب شيء من الدنيا، أو لأنه يرى ذنوبه وتقصيره في الطاعة فيحب أن يبقى في دنياه ويتوب ويكثر من الطاعات، أو لكونه يرى نفسه في ابتداء مقام المحبة فيكره عجلة الموت قبل أن يستعد للقاء الله تعالى، فهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد إلى لقائه على وجه يرضاه، فارغ القلب من الشواغل خفيف الظهر عن العوائق، فالكراهة للموت لهذه الأسباب لا تنافي كمال المحبة، وعلامة هذا أن يكون دؤوباً في العمل للآخرة مستغرق الهم في الاستعداد لربه، وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا[3].

هذا وإن المؤمن ليزداد شوقه وحبه للقاء ربه عند وفاته عندما يبشر برحمة الله وبرضوانه ومغفرته، أما الفاجر والكافر فيكرهان الموت لما اقترفا من إثم ومنكرات وجرائم وشرك... الخ ولتيقنهما من شدة العقاب على ذلك. ويشتد هذا الكره عندما تحضره الوفاة كما أخبر عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»** فقالت عائشة رضي الله عنها ـ أو بعض أزواجه ـ إنا لنكره الموت، قال: **«ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه.**

---

(١) انظر: تفسير الإمام ابن كثير (٢/٤١٤)، وتفسير البغوي (٢/٣٥١).

(٢) رواه البخاري ك الرقاق باب من أحب لقاء الله (١١/٣٥٧) حديث (٦٥٠٨)، ومسلم ك الذكر باب من أحب لقاء الله (٤/٢٠٦٥) حديث (١٤).

(٣) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص٣٢٠ و٣٧٩ و٣٨١ ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

وأن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه» متفق عليه[1]. فعلى العبد المؤمن أن يبقى دائم الاستعداد للموت وللقاء الله وأن يتمنى الموت على الشهادة ويحرص عليها فإنها خير ختام يختم به، كما عليه أن لا يأنس للدنيا ولا يركن إليها فإنها دار الفناء والغرور.

---

(١) البخاري ك الرقاق (٣٥٧/١١) حديث (٦٥٠٧)، ومسلم ك الذكر (٢٠٦٥/٤ ـ ٢٠٦٦) حديث (١٥).

المبحث التاسع

محبة رؤيته ﷺ

إن من علامات محبة النبيّ ﷺ الصادقة أن يتمنى وأن يحب المرء المحب رؤيته ﷺ مهما كلفه ذلك من ثمن حتى ولو كان ذلك الثمن أهله وماله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**» رواه مسلم[1]. فهؤلاء المحبون الصادقون لرسول الله ﷺ يتمنى أحدهم - كما أخبر النبيّ ﷺ - أن يراه - بأبي هو وأمي - ولو ضحّى بماله وأهله، ذلك لأنهم درسوا سيرته العطرة، وعرفوا أخلاقه العالية، واتبعوا سنته، وعلموا فضل صحبته، فتغلغل حبه في قلوبهم، وتمكّن من سويداء أفئدتهم، فهم لا يزالون في شوق لرؤيته وحب الجلوس معه والتأدب بين يديه - إن أمكنهم ذلك -، ليسارعوا إلى امتثال أمره واجتناب نهيه، لأن الحبيب لا تقرّ عينه إلا برؤية حبيبه، ولا يطمئن قلبه إلا بسماع كلامه والتلذذ به وطاعته، لأنه لا شيء أحب إليه من رؤيته وكلامه، فهؤلاء المحبون الصادقون يتمنون أن يحقق الله لهم ذلك، وإن كان لا يمكن أن يتحقق هذا الحلم لوفاته ﷺ ولمرور السنين الفاصلة بينهم وبينه... لذا فهم يودون رؤيته في نومهم في الدنيا، لأنه من رآه ﷺ في المنام على الصورة التي خلقه الله عليها، فقد رآه حقيقة لأن الشيطان لا يتمثل بصورته كما صح بذلك الحديث عنه ﷺ. كما

(١) مسلم ك الجنة وصفة نعيمها باب فيمن يود رؤية النبيّ ﷺ (٢١٧٨/٤) حديث (١٢).

يعملون بسنته ويعضون عليها بالنواجذ ويحققون العبودية لله تعالى والمتابعة له ﷺ ليفوزوا برضا ربهم وجنته ومرافقة حبيبهم ﷺ فيها، لأن من حقق ذلك صادقاً فسينال رضا ربه وجنته ومرافقة أحبابه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. قال أصدق القائلين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

وقد روي في سبب نزول هذه الآية الكريمة أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ جاء ذات يوم إلى النبيّ ﷺ ـ وكان رضي الله عنه شديد الحب له قليل الصبر عنه ـ وقد تغير لونه والحزن على وجه ظاهر. فقال له رسول الله ﷺ: **«ما غيّر لونك»**؟ فقال: يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إن لم أركَ استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً. فلم يرد عليه النبيّ ﷺ حتى نزلت هذه الآية. وجاء في سبب نزولها أيضاً، أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ وكيف نراك؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ. . .﴾[١] الآية.

لقد كان المحبون الصادقون من الصحابة رضي الله عنهم لا يطيقون البعد عنه ﷺ لحبهم الشديد له وأنسهم في قربه، وكانوا رضي الله عنهم يخشون أن لا يرافقوه في الآخرة كما رافقوه في الدنيا فيحرموا من رؤيته وكلامه العذب الطيب. . . فطمأن قلوبهم وأراح بالهم وبشّرهم ـ كما بشّر كل محب مؤمن صادق جاء من بعدهم ـ بمرافقته ﷺ وإخوانه النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. . . ويا لها والله من

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٢٢ ـ ٥٢٣)، وتفسير البغوي (١/٤٥٠).

رفقه طيبة وصحبة حبيبه على قلب كل مؤمن موحد.

لذا كان المحبون الصادقون من سلف هذه الأمة ومن جاء بعدهم يقولون عندما يأتيهم الأجل غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

فنسأل الله أن يجعلنا من المحبين الصادقين، وأن يرزقنا مرافقة سيد المرسلين وصحابته الكرام الصالحين إنه جواد كريم.

المبحــث العاشــر

النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم

إن المؤمن الصادق إذا عشعش حب الله ورسوله في قلبه وتمكن من سويدائه، عمل بما يحبه منه مولاه تعالى ورسوله وترك ما يبغضه تعالى ورسوله، فسار على النهج القويم والصراط المستقيم مستهدياً بنور الكتاب والسنّة، ولم يقف عند هذا الحد بل قام يدعو إلى ما يعتقده بحب وإخلاص وشجاعة، لينقذ من ضلّ عن هذا الطريق القويم ويرشده إلى سبيل السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة لأنه يعلم أن هذا من متطلبات إيمانه ومن علامات محبته الصادقة لربه ولنبيّه ﷺ، فهو يحمل النصيحة في قلبه ويبلغها للعباد ولا يحمل لهم إلا الخير والرحمة.

وهذا لا شك أمر جليل وخلق عظيم يطلبه الإسلام من كل فرد من أبنائه، لأن أهم أصل من أصوله أن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، ولن تحقق هذه العبودية إلا باتباع رسوله ﷺ الذي نصح وبلّغ البلاغ المبين. فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيّاً عن أمته. وقد أمرنا عليه الصلاة والسلام ببذل النصيحة والإرشاد لإخواننا المسلمين والأخذ بأيديهم إلى ما فيه سعادتهم وخيرهم في الدنيا والآخرة، مبيناً ﷺ أن ذلك عماد الدين وقوامه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**الدين النصيحة**» فقال الصحابة رضي الله عنهم لمن؟

قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(١). والنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له(٢).

والنصيحة لله تعالى معناه: منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عن جميع النقائض وإخلاص العبودية والطاعة له واجتناب معصيته... الخ وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه لنفسه لأنه تعالى غني عن نصح الناصحين.

أما النصيحة لكتابه فمعناها: الإيمان بأنه كلامه وتنزيله الذي أنزله على عبده ورسوله ﷺ، وأنه لا يشبهه شيء من كلام الخلق، وكذا العمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، وتعظيمه وتلاوته حق التلاوة، وتحسين الصوت به...

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فتكون بتصديقه فيما أخبر، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، وتوقيره، وإعظام حقه وتجريد المتابعة له، ومحبة أحبابه وهم صحابته وزوجاته وآل بيته رضي الله عنهم جميعاً، وكذا محبة المتبعين له ممن جاء بعد هؤلاء وبغض من عاداهم أو آذاهم، وبغض المبتدعين في دينهم ﷺ ومهاجرتهم في الله... الخ.

أما النصيحة لأئمة المسلمين: فتكون بطاعتهم في الحق ومعاونتهم عليه وأمرهم به، وتذكيرهم وتنبيههم بلطف ولين، وعدم الخروج عليهم إن جاروا ولم يكفروا، والدعاء لهم... الخ.

والمراد بهم: الخلفاء والأمراء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين من أصحاب الولايات ويدخل فيهم العلماء العاملون لأنهم ورثة الأنبياء.

---

(١) رواه مسلم ك الإيمان باب أن الدين النصيحة (٧٤/١) حديث (٩٥) وأبو داود ك الأدب باب في النصيحة (٢٣٣/٥) حديث (٤٩٤٤) وغيرهما.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (٣٧/١).

وأما النصيحة لعامة المسلمين: وهم من عدا ولاة الأمور، فتكون: بإرشادهم ودلالتهم على ما يسعدهم في الدنيا والآخرة وكَفّ الأذى عنهم والحلم بهم، والستر على عوراتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.. الخ[1]. فقد جمع هذا الحديث العظيم الإسلام كله فينبغي حفظه وشرحه والعمل به وتعليمه لأن عليه مدار الدين. فمن لم يعلمه ويعمل به فليس له حظ من العلم أو الدين.

ومما جاء في النصيحة العظيمة أيضاً قوله الصحابي الجليل جرير[2] بن عبدالله البجلي رضي الله عنه (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) متفق عليه[3].

وفي رواية لمسلم وغيره قال جرير: بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فلقنني **«فيما استطعت والنصح لكل مسلم»**[4]. وهكذا يجب أن يكون كل مسلم ناصحاً لإخوانه المسلمين رحيماً بهم مرشداً إياهم لما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والدين، وأن يتجنب غشهم أو ترك نصيحتهم، لأن ذلك خيانة لهم وتقصير في حقهم وإثمه عظيم عند الله عزّ وجلّ.

فما أجدر المسلمين أن يأخذوا بهذه النصائح والوصاية النبويّة العظيمة ليكمل إيمانهم وتصدق محبتهم وتعلو رايتهم ويفوزوا بجنات النعيم.

---

(١) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١/٣٧ ـ ٣٩)، ومعالم السنة للخطابي بحاشية سنن أبي داود (٥/٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٢) هو جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن خزيمة بن حرب البجلي، الصحابي المشهور، يكنى أبا عمرو وقيل أبا عبدالله، أسلم قبل سنة عشر، كان رضي الله عنه جميلاً للغاية سكن الكوفة واعتزل الفتنة بين عليّ ومعاوية ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين توفي سنة (٥١هـ) وقيل (٥٤هـ) انظر ترجمته الإصابة (١/٢٤٢).

(٣) البخاري ك الإيمان باب قول النبيّ ﷺ **«الدين النصيحة»** (١/١٣٧) حديث (٥٧)، ومسلم ك الإيمان باب الدين النصيحة (١/٧٥) حديث (٩٧).

(٤) مسلم ك الإيمان باب أن الدين النصيحة (١/٧٥) حديث (٩٩)، وأبو داود ك الأدب باب في النصيحة (٥/٢٣٤) حديث (٤٩٤٥) بنحوه، والنسائي ك البيعة على النصح لكل مسلم (٧/١٤٠) حديث (٤١٥٧) بنحوه.

المبحث الحادي عشر

التأسف على ما يفوت العبد من طاعة الله ورسوله[1]

إن أعظم شيء ضياعاً على نفس المحب الصادق لله ولرسوله أن يذهب وقته سدى أو يفوته شيء من طاعة محبوبه (الله ورسوله) لأنه يعلم أن عمره محدد، وأن وقته مسؤول ومحاسب عنه يوم القيامة، فلذا يعمل جاهداً على أن يملأه بطاعة الله ورسوله وبما يعود عليه بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فهو بخيل بوقته من أن يذهب سدى بغير فائدة دنيوية أو أخروية عليه أو على إخوانه، وهو حريص أن يملأ وقته بطاعة الله ورسوله وأن يدوم على ذلك، فإن طرأ عليه طارىء ففاته شيء من ذلك، فإنك تجده متألماً أشد الألم وحزيناً، أكثر من تألم البخيل الحريص على فقد ماله أو فواته منه. لذا يسارع إلى قضاء هذه الطاعة من ورد أو صلاة أو غير ذلك فور تيسر الوقت عنده، لعلمه أن أحب الأعمال إلى الله ورسوله أدومها وإن قلَّت، مقتدياً برسول الله ﷺ إمام المحبين الصادقين الذي كان كما تقول زوجته وحبيبته أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما: (إذا عمل عملاً أثبته، (أي داوم عليه)، وكان إذا نام من الليل

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص٣٥١.

أو مرض صلّى من النهار اثنتي عشر ركعة)[1].

فعلامة المحب الصادق أن يتأسف على ما يفوته من طاعة الله ورسوله وما يقربه إلى ربه عزّ وجلّ وأن يحافظ على العمل الصالح، فإن قدر عليه شيء فأضاع أو فوت عليه القيام به بادر إلى الزيادة من الصالحات تعويضاً لنفسه عما فاته من الخير، لأن التساهل في العمل أو عدم الملازمة عليه يعرضه لضياع وبالتالي إلى حرمان الأجر والخير، كما أن عدم قضاء العمل أو التساهل في قضائه عند موته يؤدي بصاحبه إلى التساهل في المحافظة عليه حتى يسوّل الشيطان للعبد فيتركه، وفي هذا ما لا يخفى من الضياع والحرمان للأجر والمثوبة والخير للعبد الذي هو بأمس الحاجة إلى ذلك.

---

(١) رواه مسلم ك صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل (٥١٥/١) حديث (١٤١) وأحمد (١٠٩/٦).

المبحث الثاني عشر

الصبر على المكاره
والرضا بما يصيب المحب في سبيل الله

إن من أهم العلامات الدالة على المحبة الصادقة لله تعالى من العبد، صبره على ما يصيبه من المكاره من ألم أو مصيبة أو مشقة وغير ذلك، ورضاه وتسليمه لربه تعالى بذلك دون انزعاج أو اعتراض منه على ما يصيبه من الله تعالى. ويكون هذا بأن يحبس نفسه عن الجزع والتسخط، ولسانه عن الشكوى والضيق وقول ما لا يرضي محبوبه عزّ وجلّ، وكذا يحبس جوارحه عن فعل ما لا يحبه الله ولا يرضاه، فيسلم أمره كله لله تعالى، ويعلم أن كل ما قدره عليه مولاه فهو خير له. لأنه تعالى لا يريد ولا يقدر له إلا الخير والسعادة، فكل مصيبة أو بلوى أو مشقة مما يصيب العبد مما قدره الله علينا، وإن كانت مكروهة صعبة على النفس... إلا أنها تنزل على قلب المحب الصادق كالماء البارد على قلب العطشان، فيتقبلها بقلب مؤمن صابر محتسب الأجر من الله وموقن بثوابه وخيره وفضله على عباده المؤمنين الصابرين، فهو قلب طيب صالح صابر على أقدار ربه، راضي بحكمه مسلم لأمره، مستسهل ومستصغر كل الصعاب والمكاره في سبيل محبته تعالى ومرضاته، بل إن ألذ الأشياء عنده وأحبها إلى قلبه، ما فيها رضا محبوبه عزّ وجلّ عنه حتى ولو كان في ذلك هلاك نفسه وضياع ماله وأهله. ولا شك أن هذا لا يكون إلا للنفوس المؤمنة الطيبة المطمئنة، وللقلوب المحبة

الصادقة التي تصبر على ما يصيبها وترضى به وتسلم لخالقها وبارئها عزّ وجلّ بذلك في سبيل مرضاته ومحبته.

وهذا الصبر وهذا التسليم والرضا من آكد المنازل في طريق المحبة وألزمها للمحبين، وهم أحوج إلى منزلتيهما من كل منزلة، وهما من أعرف المنازل في طريق التوحيد وأبينها، وحاجة المحب إليهما في غاية الضرورة، فبهما يعلم صحيح المحبة من معلولها، وصادقها من كاذبها، لأنه بقدر قوة الصبر على المكاره في مراد المحبوب، وبقدر رضاه بما يناله في سبيله عزّ وجلّ، يعلم صحة محبته، فمن لم يصبر على أقدار المحبوب ولم يرض بما يصيبه في سبيله، فلينزل عن المحبة وليتأخر فليس من ذا الشأن[1].

لهذا كانت محبة أكثر الناس كاذبة لأنهم ادعوا محبة الله تعالى، فحين امتحنهم بالمكاره انخلعوا عن حقيقتها فلم يثبت معه إلا الصابرون، لأنه لولا تحمل المشاق وتجشّم المكاره بالصبر لما ثبتت صحة محبتهم. ولهذا وصف تعالى خاصة أوليائه وأحبابه بالصبر فقال في وصف نبيّه وحبيبه أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ [ص: ٤٤]. ثم أثنى عليه بقوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤]. وأمر أحب الخلق إليه رسوله محمداً ﷺ بالصبر لحكمه وأخبر أن صبره به فقال له: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]. وقال أيضاً: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٧، ١٢٨]. وأثنى على الصابرين أحسن الثناء من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧] وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. والآيات في ذلك كثيرة جداً، وقد ضمن عزّ وجلّ لهم أعظم الجزاء وجعل أجر غيرهم محسوباً وأجرهم بغير حساب من ذلك قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦] وقوله:

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١٦٩/٢ ـ ١٧٠ و٣٣٢/٢).

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وقد جمع تعالى للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم، وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته بهم، وهدايته إياهم فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(١) [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

فالصبر أمره جليل وثوابه عظيم عند الله عزّ وجلّ، فلا يمكننا أن نعطيه حقه من الكلام عنه في هذه العجالة(٢)، ولكن حسب الصابرين شرفاً ورفعة أن الله تعالى يحبهم ويرضى عنهم، وأن ملائكته تسلم عليهم في الآخرة وأنهم هم الصادقون في محبتهم لربهم عزّ وجلّ.

فالصبر والرضا إذاً علامتان من علامات المحبة الصادقة، وبهما يجد المحب حلاوة إيمانه بربه ومحبته له، بل إن فيهما مستراحه وراحته وحياة قلبه ونعيم روحه وقرّة عينه.

فهنيئاً للمتخلفين بهما، فما أسعدهم وما أهنأهم وما أكبر وأشد راحة بالهم.

فنسأل الله أن يجعلنا من المحبين الصابرين الصادقين إنه جواد كريم.

---

(١) انظر: المرجع السابق (٢/١٥٩ ـ ١٦٢)، وعدة الصابرين، ص٩٨ ـ ١٠٣.

(٢) للإمام ابن القيم رحمه الله كتاب فريد في هذا الباب سماه (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) وقد جمع فيه جل ما ورد في ثواب الصبر وفضل أهله وما أعد الله لهم من الخير فليراجع.

المبحث الثالث عشر

الإنابة إلى الله والخوف منه والرجاء فيما عنده

إن من علامات المحب الصادق لله عزّ وجلّ ورسوله أن يكون منيباً إلى ربه تعالى خائفاً منه، راجياً لعفوه ومغفرته وكرمه طامعاً في جنته ورضوانه غير يائس من رحمته. ولا شك أن هذا أمر جليل عظيم، وهو في الوقت نفسه علامة صادقة على صدق الإيمان والمحبة، بل إن العبد لن ينال طعم ذلك ولا يكون عبداً لله حقاً ولا محباً له في الحقيقة إلا بالإنابة إليه تعالى والخوف منه وتعظيمه والرجاء فيما عنده عزّ وجلّ.

قال عزّ وجلّ مثنياً على أهل ذلك مبشراً لهم بالجنات والمغفرة ﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٣ ـ ٣٥] فجعل تعالى في هذه الآيات جنته لمن خشيه وخافه ورجع إليه فتات إليه وأناب. وقد أمر تعالى عباده بالإنابة إليه فقال: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] وأثنى على خليله إبراهيم عليه السلام بذلك فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥] كما أثنى على حبيبه ونبيّه داود بقوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]. وهذه الإنابة لألوهيته عزّ وجلّ والتي هي من سمات المحبين الصادقين (تتضمن أربعة أمور: محبته تعالى والخضوع له والإقبال عليه، والإعراض عما سواه. فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه

الأربع وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك. وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم، فالمنيب إلى الله: المسرع إلى مرضاته الراجع إليه كل وقت المتقدم إلى محابه)[1].

كما أمر عزّ وجلّ عباده المؤمنين بالخوف منه وحده وبين أن ذلك شرط في إيمانهم فقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] ونهاهم عن خشية غيره فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] إن كنتم مؤمنين. والخشية أخص من الخوف فهي خوف مقرون بمعرفة، لذلك وصف الله بها العلماء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2] [فاطر: ٢٨].

والخوف أمر مطلوب وركن من أركان المحبة الصادقة لله والعبودية الحقة له تعالى، والمحمود منه ما حال بين صاحبه وبين محارم الله تعالى، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، فلذلك لا بدّ من توفر شق معه (الرجاء) والذي هو الركن الآخر من أركان المحبة والعبودية لله. قال تعالى مخبراً عن خواص عباده المحبين الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقربون إلى الله بهم وأنهم كانوا راجين له عزّ وجلّ خائفين منه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]. فأمر الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله، إن هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله لا يملكون كشف الضر عنكم لا بالكلية ولا بأن يحولوه إلى غيركم لأن الله هو وحده القادر على ذلك، وأن هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله هم عباد مربوبون لله يتقربون إليه بطاعته ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فلماذا تدعونهم من دون الله؟ فأثنى عليهم سبحانه بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء، لأنه لا تتم العبادة إلا بذلك،

---

(١) مدارج السالكين (٤٦٧/١).
(٢) مدارج السالكين (٥٤٩/١).

فبالخوف ينكف العبد عن المعاصي، وبالرجاء يكثر من الطاعات[1].

وقال تعال مثنياً على خواص أحبابه أيضاً من الأنبياء عليهم السلام واصفاً إياهم بالمسارعة في الخيرات وبالعبادة له خوفاً ورجاء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. كما أثنى عزّ وجلّ على عباده المؤمنين المحبين الصادقين ووصفهم بأنهم يعبدونه خوفاً منه ورجاء فيما عنده وأنهم يذرون النوم والراحة فيقومون للتهجد والتذلل بين يديه في الليل وقد بشّرهم بالبشارة الطيبة فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

فأين هؤلاء المحبون الصادقون من أدعياء المحبة لله ورسوله، الذين يزعمون أنهم يعبدون الله بالحب فقط لا خوفاً من عذابه وناره ولا طمعاً ورجاء في رحمته وجنته، مخالفين بهذا الزعم والادعاء صفوة الخلق من المحبين الصادقين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الصادقين فهل هذا الحب المزعوم مقبول عند الله؟ لا وألف لا. إن كل طريق إلى الله من غير طريق الأنبياء - وفي مقدمتهم إمامهم وخاتمهم محمد ﷺ - طريق مقطوع ولن يوصل إلى العبودية والسعادة الدنيوية والأخروية، وبالتالي فهو مردود على صاحبه لأنه طريق ضلال وخسران في الدنيا والآخرة.

(ولهذا كان بعض السلف رحمهم الله يقولون: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن. لأنه ما حفظت حدود الله عزّ وجلّ ووصل الواصلون إليه تعالى بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فساداً لا يرجى صلاحه أبداً، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحبه)[2]. لأنها

(١) انظر: المرجع السابق (٤٣/٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦/٣ - ٤٧).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١/١٥).

(أي المحبة والخوف والرجاء) كما قال ابن القيم رحمه الله هي رحى العبودية وعليها دارت رحى الأعمال، وضرب رحمه الله لذلك مثلاً جميلاً حيث بيّن أن القلب في سيره إلى الله تعالى بمنزلة الطائر. فالمحبة رأسه. والخوف والرجاء جناحاه. فمتى سلم الرأس والجناحان، فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر. ومتى فقد الجناحان أو أحدهما عجز عن الطيران وأصبح عرضة لكل صائد وكاسر[1] (وقد استحب السلف رحمهم الله أن يقوّي العبد في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا استحبوا أن يقوّي جناح الرجاء على جناح الخوف، واستحب بعضهم اعتدال الخوف والرجاء وغلبة الحب. فالمحبة هي المركب، والرجاء حادٍ لها، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه)[2]. نسأل الله من فضله.

وبعد: فهذه هي العلامات الدالة على صدق محبة العبد لربه ولرسوله ﷺ أحببت ذكرها في المباحث السابقة من هذا البحث الهام، ليعلم الصادق في محبته من الكاذب، وليتحلى وليعمل بها من أراد النجاة لنفسه والسعادة لها في الدارين، فإنه لا طريق إلى ذلك إلا بحب الله ورسوله ﷺ أكثر مما سواهما والمستلزم لتحقيق العبودية لله تعالى والمتابعة لرسوله ﷺ. فنسأل الله أن يأخذ بنواصينا لما فيه محبته لنا ورضاه عنا إنه أهل الجود والكرم.

(١) مدارج السالكين (١/٥٥٤ و٣/١٣٩).

(٢) المرجع السابق (١/٥٥٤).

الفصـــل الثالـــث

ثمرات محبة العبد لربه تعالى ولرسوله ﷺ

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: كمال الإيمان.

المبحث الثاني: النجاة من عذاب الله والفوز بجنته ورضاه.

المبحث الثالث: الرضا بقضاء الله وقدره.

المبحث الرابع: المحبة من الله والفوز برضاه والأنس بقربه والنظر إليه.

المبحث الخامس: التوفيق في القول والعمل والقبول في الأرض.

المبحث السادس: مرافقة المحبين من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة.

تمهيد

إن محبة الله تعالى ورسوله ﷺ عظيم أمرها، كبير فضلها، جليل شأنها، وإنها إذا تمكنت من قلب العبد المؤمن الصادق وعشعشت في سويداء فؤاده أضفت عليه حلل السعادة والهناء، والرضا وسعة الصدر. وإن العبد المؤمن إذا أحب ربه عزّ وجلّ ورسوله أعظم الحب، وقام بما تقتضيه وتستلزمه هذه المحبة العظيمة تجاه خالقه ورسوله من تحقيق العبودية لله تعالى والمتابعة لرسوله، والولاء والحب لأهل الإيمان، والبراءة والمعاداة لأهل الشرك والعصيان، وإذا أخذ بأسباب وعلامات هذه المحبة فعمل بها وتخلق بخلق أهلها وتحلى بما يدل على صدقه فيها... إنه إذا قام بذلك كله، أثمرت محبته ثماراً لا ينفذ، وآتت أكلها في قلبه وحياته وآخرته بشكل لا يوصف من اللذة والهناء والفوز، بل إنه لا فوز ولا سعادة فوق فوزه وسعادته بهذه الثمار، ولا ألذ ولا أطيب ولا أهنأ على قلبه من الحصول على هذه الثمرات العظيمة التي نالها بصدق حبه لله ولرسوله ﷺ.

وتتلخص هذه الثمرات في المباحث الآتية:

المبحث الأول

كمال الإيمان وذوق حلاوته

إن من أعظم وأجل الثمرات التي تتحقق للمحب الصادق لله ولرسوله ﷺ كمال الإيمان له، وسروره ولذته بذوق حلاوته، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» متفق عليه[1]. فقد دل هذا الحديث العظيم على أن من اتصف بهذه الأمور الثلاثة وكُنَّ فيه فقد وجد حلاوة الإيمان في قلبه، ومن المعلوم أن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له ـ كما قال شيخ الإسلام[2] رحمه الله ـ، فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك.

واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهي، فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور، تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها. فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب، بل لا بدّ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٠/٢٠٥ ـ ٢٠٦) والعبودية، ص١٢٦.

وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار.

فتبين من الحديث أن من كملت محبته لله تعالى ولرسوله بأن كان يحبهما أكثر مما سواهما فقد وجد حلاوة الإيمان، وهذا لا يحصل إلا لمن كمل إيمانه، فإن الناس يتفاوتون في هذه المحبة تفاوتاً عظيماً. فمنهم من أخذ منها بالحظ الأوفى فعمل بشروطها فاستكمل الإيمان، ومنهم من أخذ منها بحظ قليل، ومنهم من أخذ بحظ أكبر... وهكذا.

ويؤيد هذا ما رواه البخاري رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبيّ ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال له عمر: الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبيّ ﷺ: «**الآن يا عمر**»[1] فقد شهد النبيّ ﷺ في هذا الحديث لعمر رضي الله عنه بكمال محبته له، وهذا هو كمال الإيمان لأن محبته ﷺ إنما هي من محبة الله وتابعة لها. فمن أحب الله ورسوله ﷺ المحبة التامة أكثر من كل شيء فقد كمل إيمانه وصدقت محبته فذاق طعم الإيمان وحلاوته. وهذا شيء في غاية الكمال بل هو غاية كل عاقل موحِّد. وفي الصحيح أيضاً عنه ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» متفق عليه[2]. فمن لم يكن رسول الله ﷺ أحب إليه من الولد والوالد والناس أجمعين فإيمانه ناقص وضعيف، ومحبته غير كاملة، لأن محبته من محبة الله وتابعة لها، بخلاف من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن إيمانه كامل ومحبته كاملة صادقة. وهذا ما يفهم من مفهوم المخالفة لهذا الحديث الشريف.

هذا وينبغي التنبيه إلى أن بعض الناس يظنون أن المنفي هنا هو الكمال المستحب للإيمان، وليس كما قالوا. بل المنفي هو الكمال الواجب

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة، لأن معنى الحديث **«لا يؤمن أحدكم»** أي لا يحصل له الإيمان الذي تبرأ به ذمة العبد ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من أهله وولده ووالده والناس أجمعين بل ومن نفسه أيضاً كما في حديث عمر المتقدم[١]. فهنيئاً لمن صدقت محبته لله ولرسوله ﷺ، وبشرى له بالإيمان الكامل والحب الصادق والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص٤٧٣ ـ ٤٧٤.

المبحث الثاني

النجاة من عذاب الله والفوز بجنته ورضاه

إن أكبر فوز يحصل عليه العبد يوم القيامة وأكبر سعادة يهنأ بها، هو نجاته من عذاب الله وغضبه وعقابه، وفوزه بجنته ورضاه ورحمته. قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وكفى والله بهذا الفوز نصراً، وبحصول العبد عليه نعمة وشهادة وجائزة. وهذا الفوز العظيم إنما هو ثمرة من ثمرات محبة الله ورسوله ﷺ، ولو لم يكن لهذه المحبة العظيمة سوى هذه الثمرة لكفت العبد المؤمن المحب سعادة وفرحاً. ولكفت العاقل أيضاً حرصاً عليها وعملاً بمقتضاها وموجباتها وحرصاً على التمسك بها والعض عليها بالنواجذ، وعدم تعويضها بأي بدل أو عوض مهما كان. كيف وإن ثمار هذه المحبة المباركة لا يزال ينعم بها المحبون الصادقون ويرتعون فيها ويسعدون في دنياهم وأخراهم بسبب تحقيقهم لها. فهنيئاً لهم من فوز عظيم وسرور دائم. قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كنّ فيه حرم على النار وحرمت عليه النار: إيمان بالله، وحب الله، وأن يلقى في النار فيحرق أحب إليه من أن يرجع في الكفر**»(١).

ولا شك أن هذه الأمور الثلاثة المذكورة في الحديث توجد في

(١) رواه أحمد (١١٤/٣)، بسند جيد.

المحب الصادق لله ولرسوله ﷺ، فهذه بشرى عظيمة له من الصادق المصدوق ﷺ بأن يحرمه على النار ويحرم النار عليه. ذلك لأن الله تعالى لا يعذب أحبابه الصادقين. يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨]. فقد كذّب الله تعالى مقالة هؤلاء الكاذبين من اليهود والنصارى واحتج عليهم بأنه يعذبهم، فتعذيبهم ينفي كونهم أحبّاء الله. لأنه سبحانه لا يعذب أحبابه. بل إنه عزّ وجلّ يكره مساءة عبده المؤمن المحب حتى في قبض روحه، كما جاء ذلك في الصحيح عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: «... **وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه... (وفيه) وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[١] فإذا كان الله عزّ وجلّ يكره مساءة عبده المؤمن المحب الصادق بقبض روحه لأنه يكره ذلك ـ ولكن لا بدّ منه ـ، فمن باب أولى كرهه عزّ وجلّ لتعذيبه إياه في جهنم ـ وما أدراك ما جهنم ـ؟ فلا شك أن الله عزّ وجلّ ينجيه منها بصدق إيمانه ومحبته. وقد أمره عزّ وجلّ بكل ما فيه إبعاده عن دار الشقاء وأخذه إلى دار السعادة والهناء، وفي مقدمة ذلك توحيده عزّ وجلّ ومتابعة رسوله ﷺ المبنيان على المحبة الكاملة الصادقة له تعالى ولحبيبه المصطفى ﷺ.

فعلى المرء المحب الصادق أن يفرح بهذه الثمرة، وأن يَعضَّ على صدق محبته واتباعه بالنواجذ، فإنه في نعمة عظمى وسعادة لا توصف ولا يعرفها إلا من ذاقها، وأكثر الناس عنها غافلون.

---

(١) تقدم تخريجه.

المبحث الثالث

الرضا بقضاء الله وقدره

إن الرضا بقضاء الله وقدره وتسليم الأمر إليه تعالى فيما يحل أو ينزل بالعبد من هموم أو مصائب أو بلايا في هذه الحياة الدنيا وَرَدِّ الأمر إليه، . . . لمن أكبر الأدلة على صدق محبته تعالى بل وهي أيضاً ثمرة من ثمراتها.

ذلك لأن الحب يورث الرضا بجميع أفعال المحبوب وأقواله وأوامره ونواهيه، والله تعالى يفعل ما يريد، ولا يريد لعبده المؤمن ولا منه إلا ما ينفعه ويسعده في دنياه وأخراه. لذلك يتقبل العبد المحب ما يُقَدِّره الله عليه بنفس راضية مطمئنة وصدره منشرح بدون أي اعتراض أو تَضَجُّر، ويرد الأمر إليه تعالى وحده. فهو يستقبل كل بلاء ونَصَب ومصيبة في هذه الدنيا بعين الرضا والثقة بالله، فلا يتزعزع إيمانه عند المصائب، ولا تجزعه نفسه عند البلايا، بل على العكس من ذلك فإنه يجد سلواه ومؤنسه بمحبته الصادقة لربه عزّ وجلّ وبثقته به وصبره على أقداره، لعلمه أن ذلك يزيد في إيمانه وحبه ويقربه إلى محبوبه عزّ وجلّ، ويذهب عنه ما هو فيه من غمّ وهمّ، فمتى سلّم العبد ذلك لمحبوبه هانت عليه المصائب، لأنه يتسلى بمحبوبه عن كل مصيبة تصيبه دونه ودون رضاه. ولا شك أن هذا من أعظم فوائد وثمرات المحبة، لأن المرء لا بدّ أن تدركه المصائب والابتلاءات في هذه الدنيا، بل إنه عزّ وجلّ إذا أحب عبداً ابتلاه، فلذا لا سبيل إلى دفع ذلك إلا بهذه المحبة.

من هنا كان المحبون الصادقون ـ وحدهم ـ هم أهل السعادة والنعيم والراحة دون غيرهم في الدنيا والآخرة، فإنهم إذا أنعم الله عليهم شكروه وازدادوا له حمداً وحباً وذلاً، فزادهم تعالى من فضله. وإذا ابتلاهم عزّ وجلّ بالضراء من مصيبة أو ألم أو غمّ... الخ صبروا واتقوا ورضوا بما قضاه عليهم وتسلّوا بحبهم له وإيمانهم به على مصائبهم وبلائهم فكان ذلك خيراً لهم وزيادة في حبهم له ورضاه عنهم ورضاهم عنه.

وقد أخبر عن ذلك الحبيب المصطفى ﷺ حيث قال: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»[1] فالله ما أعظم هذه الثمرة، وما أجمل شأنها، وما أتعس من لم يذق حلاوتها! فإنه لو علم ما عليه المحبون من السعادة والأنس والاطمئنان لمات كَمَداً وحسرة على نفسه التعيسة المحرومة من هذا النور والخير الذي يلقاه ويعيشه غيره من المحبين الصادقين. ولا عجب في ذلك فإن أكبر دليل على ما نقول هو ما آل إليه كثير من الملاحدة واللادينيين والماديين الذين ينتحرون بالآلاف ويتخلصون من حياتهم الدنيا لما يلاقونه ويقاسونه من آلام نفسية وفراغ روحي عميق لا يسدّه إلا الإيمان والمحبة، ظانين أن التخلص من آلام الحياة وهمومها ومشاكلها يكون عن طريق السُّكر والمخدرات والانتحار... الخ، جاهلين أو متجاهلين أن السعادة الحقة والراحة العظمى تكمن في الإيمان بالله تعالى وعبادته حق العبادة، وحبه كل الحب، والسير على نهج رسوله الكريم ﷺ. ولقد صدق الله عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥] فاللّهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ونسألك الثبات عليها حتى نلقاك بها وأنت راض عنا يا رحمان يا وهّاب يا أرحم الراحمين.

---

(١) رواه مسلم ك الزهد باب المؤمن أمره كله خير (٤/٢٢٩٥) حديث (٦٤).

المبحـــث الرابـــع

المحبة من الله والفوز برضاه والأنس بقربه والنظر إليه

إن أعظم وأجل ثمرات محبة العبد لربه ولرسوله ﷺ، تشرفه بحب الله تعالى له وفوزه برضاه وأنسه بقربه والنظر إلى وجهه الكريم. وهذا الفوز والحب والأنس والنعيم لا يعادله شيء البتة، حتى ما يجده المحب من نعيم الجنة. لأنه لا نعيم ولا لذة أعظم عنده من فوزه بمحبة الله له وتمكنه من رؤيته تعالى ومشاهدته بعد طول شوقه له، ولا سرور ولا سعادة تضاهي سروره بأُنسه بقربه وسعادته برضوان ربه جلّ في علاه، وقد أخبر عن ذلك الحبيب المصطفى ﷺ حيث قال: «**إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب قد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: هل: أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلّ**(١) **عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**» متفق عليه(٢). الله الله ما أعظم هذا الفضل للمحبين الصادقين!؟ يتمتعون بجنات

(١) أحل بضم الهمزة وكسر الحاء أي أنزل.

(٢) رواه البخاري ك التوحيد باب كلام الرب مع أهل الجنة (٤٨٧/١٣) حديث (٥٧١٨). ومسلم ك الجنة وصفة نعيمها باب إحلال الرضوان على أهل الجنة (٢١٧٦/٤) حديث (٩).

النعيم ويفوزون برضا محبوبهم الكريم جلّ في علاه، ويأنسون بقربه... فهل على قلب المحب شيء ألذ وأطيب من هذا؟!. ولا يقتصر فضله تعالى عليهم بهذا فحسب، بل إنه يزيدهم فضلاً على فضل، ونعيماً على نعيم، ولذةً على لذة، فيحبهم تعالى ويحبّبهم إلى أفضل خلقه من الملائكة وفي مقدمتهم جبريل عليه السلام.

كما جاء في الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(١). وفي الحديث الآخر يقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...**» الحديث(٢). وليس الغاية والشأن أن يحب العبد ربه فقط، بل الشأن والغاية أن يحبه ربه قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فجعل سبحانه اتباع نبيّه ﷺ سبباً لمحبته تعالى لعباده. وهذا أعظم من محبتهم هم له. ولا يقتصر فضله تعالى على المحبين الصادقين على ما ذكرنا من رضاه عنهم ومحبته لهم وتحبيبه عباده المقربين لهم... الخ فحسب، بل إنه تعالى يزيدهم من بحار جوده وكرمه وفضله فيبيّض وجوههم وينجّيهم من عذابه وناره، ويكشف الحجاب بينهم وبينه فينظرون بأم أعينهم إلى وجهه العظيم، فتهنأ أرواحهم وقلوبهم بالنظر إليه تعالى بعد طول شوقهم له، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من ذلك.

يقول إمام المحبين ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتنجّنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من**

(١) البخاري ك التوحيد باب كلام الرب مع جبريل (٤٦١/١٣) حديث (٧٤٨٥)، ومسلم ك البر والصلة باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده (٢٠٣٠/٤) حديث (١٥٧).

(٢) تقدم تخريجه.

النظر إلى ربهم عز وجلّ، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية [يونس: ٢٦]»، رواه مسلم وغيره[١]. الله أكبر ما هذا الفضل، وما هذا العطاء، وما هذا الجود والكرم من الله لأحبابه المحبين الصادقين، والذي لا يخطر ببال ولا يدور بالخيال، ولا سيما عند فوزهم بمعيته ومحبته ورضوانه وجنته.

فأي نعيم، وأي لذة، وأي قرّة عين، وأي فوز يداني نعيم تلك المعية ولذتها وقرّة العين بها، وهل فوق نعيم قرّة العين بمعية المحبوب الذي لا شيء أجلّ منه ولا أكمل ولا أجمل: قرّة عين البتة؟. إن هذا والله هو العلم الذي شمّر إليه المحبون الصادقون، واللواء الذي أمّه المتقون، وهو روح مسمى (الجنة) وحياتها، وبه طابت الجنة وعليه قامت. فكيف يقال لا يعبد الله طلباً لجنته ولا خوفاً من ناره[٢]. فالله ما أعظم هذه الثمرة التي يقطفها المحبون، وما أهنأ عيشهم مع ربهم ومحبوبهم في جنات النعيم، وما أجدر العاقلين لأن ينقذوا أنفسهم فيحبوا ربهم وخالقهم ونبيّهم محمداً ﷺ، ويعملوا بمقتضى هذه المحبة لينالوا ما ناله المحبون الصادقون الفائزون.

اللّهم إنا نسألك من فضلك يا جواد يا كريم.

(١) مسلم ك الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٦٣/١) حديث (٢٩٧)، وأحمد (٣٣٢/١ و٣٣٣)، والترمذي ك صفة الجنة باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى (٦٨٧/٤) حديث (٢٥٥٢)، وابن ماجه في المقدمة (٦٧/١) حديث (١٨٧) بنحوه.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٨٣/٢ ـ ٨٤).

المبحث الخامس

التوفيق من الله في القول والعمل والقبول في الأرض

إن من أعظم الثمرات التي يجنيها المحبون الصادقون لله ولرسوله ﷺ توفيق الله لهم، وتسديده إياهم في القول والعمل، وتثبيته لهم على الحق والمنهج القويم الذي أنزله على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ. إذ لولا حبه تعالى لهم وتوفيقه إياهم ما دخل الإيمان قلوبهم، ولما شرحت صدورهم وأفئدتهم بحبه وعبادته عزّ وجلّ. فهي نعمة من الله جليلة يمن بها على من يشاء من عباده ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] لذا تجد هؤلاء المحبين الصادقين متمسكين كل التمسك بمنهج الله القويم المتمثل بهدى الكتاب والسنّة عاضين عليه بالنواجذ. فلا يفعلون ولا يقولون إلا ما يحبه الله ويرضاه، ولا يقولون ولا يفعلون ما فيه سخطه وغضبه عزّ وجلّ، فيعملون الطاعات ويتركون المحرمات ولا يكتفون بهذا فقط بل يزيدون على ذلك فيتقربون إليه تعالى بالنوافل ويدعون المكروهات، ولا يبالغون بالمباحات، لعلمهم أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الدنيا دار الغرور، فيقربهم الله إليه ويحبهم ويحبّبهم إلى ملائكته ويوفقهم ويسدد خطاهم وأقوالهم وأعمالهم، فإن قالوا: فللّه، وإن عملوا فللّه، وإن أعطوا أو منعوا فللّه، فحياتهم كلها له تعالى، وهمهم الأكبر هو رضاه عنهم

ومغفرته لهم. يوضح ذلك الحديث القدسي الجليل الذي يرويه رسول الله ﷺ عن ربه: **«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضه عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشي بها، ويده التي يبطش بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. . .»**[1].

إنه والله لتوفيق وتسديد من الله عظيم للعبد المحب الصادق، حيث إن الله عزّ وجلّ يحبه ويقربه إليه، فيحفظ تعالى سمعه عن سماع الباطل أو الاستماع إليه، وبصره عن رؤية الحرام وما لا يرضي الرب، كما يحفظ رجله عن المشي إلى ما حرم الله، ويده عن أخذ أو فعل شيء يبغضه الله، فهل بعد هذا من توفيق للعبد إذا كان قلبه وسمعه وبصره وجوارحه كلها تعمل في الطاعة ومرضاته وتبتعد وتتجنب ما يبغضه محبوبها؟ إنه والله لتوفيق ما بعده توفيق، وهداية ما بعدها هداية، وفوز عظيم وثمرة عظيمة من ثمرات محبة العبد الصادقة لربه، نال بها جنته ورضوانه ومحبته ومحبة ملائكته الكرام وأولهم الأمين جبريل عليه السلام، ووضع له القبول في الأرض كما مر معنا الحديث الجليل عن الرسول ﷺ: **«إذا أحب الله عبداً نادى جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»**[2].

فما أجملها من ثمرة، وما أعظمه من جزاء يناله العبد المحب المحبوب الذي يمشي على هذه الدنيا وذكره في السماء، واسمه بين ملائكة الرحمن، فهو محبوب إلى الله وإلى عباد الله في أرض الله وفي سمائه، وإنما نال هذه المرتبة العظيمة وهذا الشرف العظيم بصدق محبته لله ورسوله وصدق تحقيقه العبودية لربه والمتابعة لرسوله ﷺ.

فالله المسؤول أن يجعلنا من المحبين المحبوبين إنه جواد كريم.

---

(١) رواه البخاري وتقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

المبحث السادس

مرافقة المحبين من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة

لا تقتصر ثمرات العبد لربه ولرسوله على ما ذكرنا بل إن من أعظمها وأحبها إلى قلب المحب الصادق فوزه يوم القيامة بمرافقة المحبين الصادقين وخير خلق الله أجمعين الأنبياء والمرسلين - وفي مقدمتهم حبيبنا المصطفى ﷺ - والصديقين والشهداء والصالحين من سلف المؤمنين من أتباع الأنبياء وفي مقدمتهم صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

وهذه الصحبة والمرافقة المباركة الطيبة يحلم بها ويتمناها كل محب صادق، بل ويجد حلاوة إيمانه بها، لأنه يحب هؤلاء الطيبين لله وفي الله. والمرء لا يأنس إلا لمن يحب، ولا يطيب باله إلا برؤيته ومرافقته، فكيف إذا كان هذا المحبوب هم الصفوة المختارة من الخلق الذين حققوا العبودية الصادقة لله، وكانوا قدوة لمن جاء بعدهم ولمن أراد نجاة نفسه والفوز برضا الباري جلّ في علاه.

ولقد بشّر الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز كما بشّر رسوله الكريم ﷺ بهذه المعية الطيبة والمرافقة الحبيبة للمحبين الصادقين المطيعين لله ورسوله فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠] وقد جاء

في سبب نزول هذه الآية أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ جاءه يوماً وقد تغيّر لونه والحزن يُعْرَفُ في وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما غيّر لونَك»**؟ فقال: يا رسول الله، ما بي مرض ولا وجع غير أني إن لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك، لأنك ترفع مع النبيّين، وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً فنزلت هذه الآية. وقال قتادة رحمه الله: قال بعض أصحاب النبيّ ﷺ له: كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك وكيف نراك فأنزل الله هذه الآية(١).

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أشد الناس حباً له وأنساً وسروراً بقربه، وأكثر الخلق طاعة له وامتثالاً لأمره وكانوا من شدة تعلقهم به يودون لو أنهم لا يفارقونه أبداً، وما قصة ثوبان رضي الله عنه سوى دليل على ذلك، وكانوا رضي الله عنهم يظنون أنهم لن يروه ولن يصاحبوه ﷺ في الجنة ـ كما تشرّفوا بصحبته في الدنيا ـ لعلو منزلته عند ربه فأحزنهم ذلك. فطمئن الله قلوبهم وبشّرهم بهذه البشارة العظيمة، ألا وهي مرافقته ﷺ ومرافقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، بشرط امتثال أمر ربه وطاعته تعالى ومتابعته ﷺ. وهذه البشرى تعم كل مؤمن موحِّد صادق إلى قيام الساعة. وقد امتدح عزّ وجلّ هذه المرافقة الطيبة والصحبة المباركة حيث قال: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾. أجل والله ما أحسن صحبة هؤلاء الأبرار ومرافقتهم، وما أسعد من تشرف بذلك!.

ولقد بشّر رسول الله ﷺ أيضاً المحبين الصادقين بهذه البشارة العظمى وأثلج صدورهم بها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: **«ما أعددت لها؟»** قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٢٢ ـ ٥٢٣) وتفسير البغوي (١/٤٥٠).

ورسوله، قال: «**فأنت مع من أحببت**» متفق عليه. زاد مسلم أن أنساً رضي الله عنه قال: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبيّ ﷺ: «**فإنك مع من أحببت**»، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم[1]. وأنا أقول ما قاله أنس رضي الله عنه، فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر - وجميع الصحابة والتابعين رضي الله عنهم - فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم؟. فقال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**» متفق عليه[2].

أجل والله إن من أحب الله تعالى وصدق في هذه المحبة فحقّق العبودية له تعالى وسار على صراطه المستقيم، وأحب رسوله ﷺ بحب الله وجرد المتابعة له، وأحب صحابته ﷺ جميعاً مهاجرين وأنصاراً ومن تبعهم وسار على نهجهم بإحسان، فإن الله تعالى يحشره معهم ويدخله معهم الجنان، ويكون مع من أحب في ذلك النعيم الأبدي المقيم، فالله نسأل أن يوفقنا إلى طاعته والصدق في محبته ومحبة رسوله ﷺ والصدق في الحب فيه، وأن يحشرنا مع الذين أنعم عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يثبتنا على الحق المبين حتى نلقاه به إنه جواد كريم.

---

(١) البخاري ك الأدب باب علامة الحب في الله (٥٥٧/١٠) حديث (٦١٧٠)، ومسلم ك البر والصلة باب المرء مع من أحب (٢٠٣٢/٤ - ٢٠٣٣) حديث (١٦٣).

(٢) البخاري ك الأدب (٥٥٧/١٠) حديث (٦١٦٩)، ومسلم ك البر والصلة (٣٤/٤) حديث (١٦٥).

الباب الرابع

محبة الله ورسوله عند الصوفية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في تعريف الصوفية ونشأتهم وأطوارهم.

الفصل الثاني: حقيقة محبة الله ورسوله عند الصوفية.

تمهيد

أحببت أن أنبه في هذا الباب إلى المفهوم الخاطئ والمنحرف لمحبة الله ورسوله عند الصوفية، مفرداً إياهم بالذكر في هذا المجال، لأنهم أكثر من تشدّق بهذه المحبة وادعى الحصول عليها والعمل بمقتضاها والوصول إلى ما لم يصل إليه غيرهم بسببها...، ولكن الحقيقة أنهم من أبعد الناس عنها، وأقلهم عملاً بمستلزماتها وشروطها، إذ إن المتتبع لحال الصوفية وما كتبوه أو قالوه في هذا الشأن، يدرك عن كثب حقيقة انحراف هؤلاء وغلوهم في الدين وبعدهم عن النبع الصافي العذب للإسلام المتمثل بالكتاب والسنّة. ذلك لأن مبدأهم بُني على انحراف وغلو، وما زال هذا الأمر يزيد فيهم، والشيطان يُسّول لهم حتى أضلهم عن سواء السبيل، وأبعدهم عن منهج الله القويم ـ والعياذ بالله ـ، فأصبحت الصوفية عنواناً على الخرافة والجهل والبدع والضلالات والعقائد الفاسدة الغريبة عن الإسلام. لذا أصبح من الضروري للغاية الرد على هؤلاء وتعرية شبههم وضلالاتهم وبيان زيف ما ادعوه وما نهجوه من منهج باطل بعيد عن الحق والصواب كل البعد. ولا شك أن الرد على مثل هؤلاء مما تمليه علينا عقيدتنا السلفية الصحيحة، ومما تستلزمه منا محبتنا وغيرتنا الصادقة لله ولرسوله.

ونظراً لكثرة الضلال الذي تاهوا فيه، فإنني سأقتصر الحديث عنهم بما له تعلق بموضوعي (محبة الله ورسوله)، مبيناً بشيء من التفصيل ضلالهم في هذا الجانب الهام، وذلك بضرب بعض الأمثلة وذكر بعض النقول عن بعض كتبهم المعتمدة حتى لا يظن أحد بأننا نفتري عليهم، منبّهاً في الوقت نفسه

إلى أنني لن أستطيع أن أوفّي هذا الموضوع حقه، لأنه شائك ومتشّعب جداً فلا يوفيه حقه باب أو فصل، بل يحتاج لرسالة خاصة تستقصي آراءهم واتجاهاتهم وشبهاتهم وتفندها وترد عليها على ضوء الكتاب والسنّة، ولكن حسبي أني اجتهدت وبذلت جهداً لا بأس به في الرد على هؤلاء لأنبه على ضلالهم وانحرافهم في محبة الله ورسوله، ـ إضافة إلى انحرافهم في غير ذلك ـ ولعلي بذلك أكون قد بيّنت المحبة الصادقة المتمثلة بالمنهج السلفي ـ كما سبق بيان ذلك ـ، وما يضادها ويخالفها من المحبة الكاذبة المتمثلة بالمنهج البدعي الخلفي، والذي يتزعمه الصوفية المنحرفون المفرطون ـ هداهم الله ـ، الذين يظنون ويعتقدون أن محبته تعالى ومحبة رسوله ﷺ تكون بمخالفة شرعه، وبالابتداع في دينه وإدخال العقائد والخرافات الضالة المنحرفة فيه، وتكون بالشرك به تعالى وسوء الأدب معه، وعدم تقديره تعالى حق قدره، كإطلاق العشق في حقه، واعتقاد الاتحاد به أو حلوله عزّ وجلّ في خلقه ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ، وكذا سوء أدبهم مع رسول الله ﷺ وغلوهم به، ووصفه بصفات الألوهية والربوبية التي لا تجوز إلا للباري عزّ وجلّ، وعدم تقديرهم له عليه الصلاة والسلام حق قدره وعدم توقيرهم له بإطلاقهم العشق في حقه مثلاً، زاعمين أن ذلك هو عنوان المحبة ودليلها العظيم، إلى آخر ما فهمه هؤلاء واعتقدوه في حقيقة المحبة لله ولرسوله ـ كما سنبينه إن شاء الله في الصفحات الآتية ـ.

ولكن قبل أن أبدأ بالحديث عن المحبة الكاذبة المنحرفة عندهم أرى من الأهمية بمكان أن أُعرِّف بهم، وأبيّن اختلافهم في سبب تسميتهم ومذهبهم، لنعلم مدى اختلافهم وانحرافهم عن الجادة، لأنهم لم يعرفوا أنفسهم أصلاً ولا لتسميتهم سبباً، لأن مذهبهم قائم على الجهل والضلال، ومستند لغير الكتاب والسنّة. فمصدرهم ما تهواه أنفسهم، وما تمليه عليهم شياطينهم من الجن والإنس، ـ نسأل الله السلامة ـ وأنى يكون لهؤلاء محبة ومنهج سليم إذا كان هذا حالهم وهذه صفتهم؟! كما سيأتي تفصيل لك.

الفصـــل الأول

في تعريف الصوفية ونشأتهم وأطوارهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في تعريف الصوفية وسبب تسميتهم بهذا الاسم.

المبحث الثاني: في نشأة الصوفية وأطوارهم.

محبة الله ورسوله

المبحـــث الأول

تعريف الصوفية
وسبب تسميتهم بهذا الاسم

أ ـ تعريفهم: تعددت دلالة كلمة (صوفية) أو (تصوف) عند الصوفية أنفسهم في القديم والحديث واختلفت معانيها بينهم اختلافاً كبيراً، مما يدل على مدى تخبُّطهم وضلالهم في هذا المذهب الذي اعتقدوه. وقد حاولت جاهداً أن أجد في كلامهم تعريفاً جامعاً مانعاً يعطي فكرة كاملة عن حقيقة مذهبهم فلم أستطع، بسبب الاختلاف الكبير في تعريفهم لمذهبهم والكثرة الهائلة لهذه التعاريف عندهم. فقد ذكر أحد علمائهم القدامى وهو القشيري[١] في رسالته[٢] أكثر من خمسين تعريفاً عن الصوفية المتقدمين. وذكر آخر[٣] أن التعريفات تتجاوز مائة تعريف. بل بلغت كما قال أحد مشاهيرهم وهو ـ السهروردي[٤] ـ

---

(١) القشيري: هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، شيخ خراسان في عصره، من أشهر كتبه الرسالة القشيرية ولطائف الإرشادات. ولد سنة (٣٧٦هـ) وتوفي سنة (٤٦٥هـ) انظر ترجمته الأعلام (٥٧/٤).

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ص١٢٦ ـ ١٢٨.

(٣) هو الطوسي في كتابه اللمع، ص٤٧.

(٤) السهروردي: هو أبو حفص عمر بن محمد بن عموية القرشي التميمي البكري السهروردي، فقيه شافعي واعظ من كبار الصوفية، نادى بمذهب الحلول، وجعل الذكر سبيلاً إلى هذا الهدف. من كتبه عوارف المعارف، وبغية البيان إلى تفسير القرآن. توفي ببغداد سنة (٦٣٢هـ) انظر ترجمته: الأعلام (٦٢/٥).

أكثر من ألف قول[١]، بل بلغت ألفين كما ذكر أحد علمائهم[٢].

ولعل الذي ذكروه من تعاريف لا تعدو كونها تعاريف ناقصة يوضح كل منها جانباً من جوانب الصوفية، أو صفة من صفاتها، أو حالاً من أحوال أهلها... الخ فقد عبّر كل منهم بما وقع له في أثناء سلوكه أو بما فهمه هو عن حقيقة ما يعتقده في هذا المذهب.

وهذه بعض الأقوال التي قالوها في ذلك:

فقد قال الجنيد عندما سئل عن التصوف (أن تكون مع الله بلا علاقة)[٣] وقال أيضاً: (أن يميتك الحق عنك ويحييك به)[٤].

وقال بعضهم عندما سئل عنه (التصوف): (هو الخروج عن كل خُلُق رديء، والدخول في كل خُلُق سني)[٥].

وقال أبو الحسين النوري[٦]: (التصوف ترك كل حظ للنفس)[٧]. وقال أيضاً: (الصوفية هم الذين صفت أرواحهم فصاروا في الصف الأول بين يدي الحق)[٨].

---

(١) عوارف المعارف، ص٥٧.

(٢) انظر: التصوف المنشأ والمصادر، ص٣٧.

(٣) اللمع للطوسي، ص٤٥، والرسالة القشيرية (٥٥٢/٢) وعوارف المعارف، ص٥٣.

(٤) الرسالة القشيرية (٥٥١/٢)، وعوارف المعارف، ص٥٥.

(٥) اللمع، ص٤٥، والرسالة القشيرية (٥٥١/٢).

(٦) النوري: هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، ولد ونشأ ببغداد وأصله من خراسان ويعرف بابن البغوي، كان من أقران الجنيد توفي سنة (٢٩٥هـ). انظر ترجمته: طبقات الصوفية ١٦٤، والرسالة القشيرية (١٢٣/١) وكشف المحجوب (٢٤٢/١).

(٧) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص٣٤، والرسالة القشيرية (١٢٣/١)، وكشف المحجوب (٢٣٢/١).

(٨) كشف المحجوب (٢٣٢/١).

وقال أيضاً: (الصوفي هو الذي لا يَمْلِك ولا يُمَلَّك)[1] وبنحو هذا قال سمنون[2][3].

وقال معروف الكرخي[4] لما سئل عن التصوف: (الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف)[5].

وقال الشبلي[6]: (الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق)[7] وقال أيضاً: (الجلوس مع الله بلاهَمّ)[8].

وقال رويم[9] بن أحمد البغدادي: (التصوف استرسال النفس مع الله على ما يريده)[10]. وقال أيضاً: (التصوف بني على ثلاث خصال: التمسك

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سمنون: هو سمنون بن حمزة الخواص أبو الحسن أو أبو بكر، صوفي ناسك من الشعراء ومن أهل البصرة، سكن بغداد وتوفي بها سنة (٢٩٠هـ) انظر ترجمته: حلية الأولياء (٣٠٩/١٠) والرسالة القشيرية (١٣٣/١) وكشف المحجوب (٣٤٣/١).

(٣) الرسالة القشيرية (٥٥٢/٢) واللمع، ص٤٥.

(٤) معروف الكرخي: هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، من كبار الصوفية المتقدمين، ولد في كرخ ببغداد وتوفي بها عام (٢٠٠هـ) انظر ترجمته: الحلية (٣٦٠/٨)، وكشف المحجوب (٣٢٥/١)، والأعلام (٢٦٩/٧).

(٥) عوارف المعارف، ص٥٣ والرسالة القشيرية (٥٥٢/٢).

(٦) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، ناسك أصله من خراسان، كان في مبدأ أمره والياً فترك الولاية وعكف على العبادة وسلك مسالك المتصوفة، توفي ببغداد سنة (٣٣٤هـ) انظر ترجمته: في طبقات الصوفية، ص٣٣٧، والحلية (٣٦٦/١٠)، وكشف المحجوب (٢٦٧/١).

(٧) الرسالة القشيرية (٥٥٤/٢)، وعوارف المعارف، ص٥٤.

(٨) المرجع السابق.

(٩) رويم: هو رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم البغدادي، صوفي شهير من جلة مشايخ بغداد ومن أصحاب سر الجنيد فقيه على مذهب داود الظاهري توفي سنة (٣٣٠هـ). انظر ترجمته: الرسالة القشيرية (١٢٧/١)، وكشف المحجوب (٢٤٧/١)، والأعلام (٣٧/٣).

(١٠) اللمع، ص٥.

بالفقر والافتقار إلى الله، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار)[1].

وقال ذو النون[2] المصري عن أهل التصوف: (هم قوم آثروا الله عزّ وجلّ على كل شيء، فآثرهم الله عزّ وجلّ على كل شيء، فكان من آثارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم وإرادة الله على إرادة نفوسهم)[3].

وقال بعضهم: (الصوفي من صفا من الكَدَر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله تعالى من البشر، واستوى عنده الذهب والمَدَر)[4].

وقال بعضهم: (الصوفي وحداني الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحدا)[5]... الخ ما هناك من أقوال. وبعد سرد هذه الأقوال عن أئمتهم في تعريف الصوفي والتصوف أقول: إن هذه التعاريف قد تنطبق - أو بعضها - على التصوف في عهده الأول وقبل أن يتعرض للأفكار والمبادىء والعقائد الخارجة عن الإسلام، حيث كان رجال الصوفية الأول يركّزون على الزهد ومحاربة النفس وترويضها حتى تتصل بالملكوت الأعلى، مُعرضة عن كل ما يسمى كوناً - حسب زعمهم -. ولا شك أن شيئاً من هذا صحيح إلى حد ما، حيث إن الإسلام قد دعا إلى الزهد في الدنيا وترك التعلق بها، لأنها دار الغرور، وحضّ أبناءه على العمل للباقية بدون إغفال الدنيا قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٢٨].

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/٥٥٥)، وعوارف المعارف، ص٥٦.

(٢) ذو النون: هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل مصر، وهو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية فأنكر عليه واتهمه المتوكل بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه ثم أطلقه، توفي سنة (٢٤٥هـ). انظر ترجمته: الرسالة القشيرية (١/٥٨)، والحلية (٩/٣٣١)، وكشف المحجوب (١/٣١١).

(٣) الرسالة القشيرية (٢/٥٥٥)، وعوارف المعارف، ص٥٦.

(٤) عوارف المعارف، ص٥٧.

(٥) الرسالة القشيرية، (٢/٥٥١).

إلا أن الصوفية الأول غلوا في ذلك فخالفوا منهج الرسول ﷺ وصحابته الكرام الذين كانوا أزهد الناس وأتقاهم لله. وقد ظهرت هذه الظاهرة - أعني الغلو - في العصر النبويّ حين قدم النفر الثلاثة فسألوا عن عبادة رسول الله ﷺ فكأنهم تَقَالّوها فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم ولا أفطر، وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**» متفق عليه(١).

فقد بادر ﷺ إلى إطفاء هذه الفتنة - الغلو - لأن أمره خطير، وهو مذموم في كل شيء لكونه خلاف سنّة النبيّ ﷺ. بل إن رسول الله تبرأ وغضب منه.

كما تقدم معنا في الحديث السابق، وكما روت عنه عائشة رضي الله عنها حيث قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم - أي الصحابة - أمرهم من الأعمال بما يطيقون، قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**» رواه البخاري(٢).

فلا شك إذن أن من يغلو في العبادة أو غيرها فإن فعله مذموم وعمله غير مرضي، لأن رسول الله ﷺ قد غضب ممن حاول الازدياد، فكيف بمن زاد وجعل ذلك نهجه وطريقه وادّعى أن هذه هي الطريقة الموصلة إلى الله تعالى - كما يدعي ذلك الصوفية وغيرهم -.

وعليه نقول إن الصوفية قد بدأت بالدعوة إلى المبالغة في الزهد والعبادة وهضم حقوق النفس... الخ - كما هو ظاهر أقوال أئمتهم القدامى

---

(١) البخاري ك النكاح باب الترغيب في النكاح (١٠٤/٩) حديث (٥٠٦٣)، ومسلم ك النكاح باب استحباب النكاح (١٠٢٠/٢) حديث (١٤٠١).

(٢) البخاري ك الإيمان باب قول النبيّ ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله**» (٧٠/١) حديث (٢٠).

كما تقدم بعض ذلك معنا ـ هذا بالرغم من أنها قد وقعت بذلك في الغلو المحظور الممنوع ـ بقصد أو غير قصد ـ، وزاد فيها هذا الانحراف على مرور الزمن، حتى حولها من دعوة للزهد والمبالغة في العبادة، إلى مذهب له مظاهر وحركات وطقوس وخرافات خالية من الروح والعبادة. فأصبح التصوف خروجاً عن شريعة المصطفى ﷺ، ومعولاً لهدم الإسلام وتفتيت عقائده وإبطال شرائعه وأحكامه، وستاراً يتستّر به الزنادقة والباطنية والحاقدون على الإسلام من يهود ومجوس ونصارى. . . الخ لبث سمومهم بين المسلمين وإخراجهم من الدين الحنيف. فهو أسلوب من الاحتيال والنصب والتدجيل ـ لأكثر المنسبين إليه ـ يبتدىء بذكر الله وينتهي بالكفر والعياذ بالله، أوله اتباع وآخره ابتداع، ظاهره التقوى والطهر وباطنه الفجور والخبث والعهر، فأصبح لا يعني إلا الحلول والاتحاد والجبن والبدع والخرافة ـ والعياذ بالله ـ كما سنستعرضه في الكلام عن نشأة الصوفية وتطورها.

ب ـ **سبب تسميتهم بالصوفية**: إنه من المعلوم أن على الدارس للفرق أو الذي يريد أن يدرس أي فرقة أو مذهب ما، عليه أن ينظر إلى أصل هذا المنشأ الذي ظهر فيه وأصل هذا الاسم الذي تميز به عن غيره من المذاهب أو الفرق، إذ إن لكل فرقة مؤسساً وأصلاً لمنشئها، ولها قواعد وأسس تميزها عن غيرها، سواء كانت هذه الفرق أو المذاهب تنتسب إلى الإسلام أو لا.

ولكن عند النظر إلى الصوفية وتعريفها ونشأتها ومؤسسها، نجد في ذلك الاختلاف الواسع والبون الشاسع بين الأقوال الكثيرة والمتضاربة والتي ليس لها أي مستند يصح الاستناد أو الاعتماد عليه إلا التكلفات والتعسفات المفضوحة. إذ إن أهل التصوف أنفسهم قد اختلفوا في أصلهم ونشأتهم، فلم يعرفوا لأنفسهم أصلاً ولا لتسميتهم سبباً. وهذا ما يجعلنا نجزم بأن الصوفية ليست على هدى من الله ورسوله، إذ لو كانوا كذلك لما تاهوا، فالكتاب والسنّة والآثار معروفة متواجدة متوافرة وطريق السلف من الصحابة والتابعين واتباعهم بإحسان واضح لا يزيغ عنه إلا هالك ـ نسأل الله السلامة ـ.

ولكي نرى مدى تخبطهم لا بدّ لنا من عرض ما قيل في سبب تسميتها واشتقاقها لكي ندخل بعد ذلك في صلب الموضوع ألا وهو المحبة عندهم.

وقبل أن أعرض الأقوال ـ أو بعضها ـ أحب أن أنبه لما قاله علم من أعلامهم المتقدمين ألا وهو القشيري في رسالته، لنعرف أنه ليس لتسميتهم أصل في اللغة العربية، فقد قال بما نصه: (هذه التسمية ـ أي الصوفية ـ غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوِّف، وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب)[1]. ونبدأ الآن بذكر الأقوال:

١ ـ **قيل**: إن الصوفية منسوبة إلى **الصفاء** وهذا مردود من حيث الاشتقاق لأن النسبة إلى الصفاء تكون الصفائية، قال القشيري: (فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد من مقتضى اللغة)[2].

٢ ـ **وقيل**: إن الصوفية منسوبة إلى أهل الصفة لجامع الشبه بينهما في الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ وملازمة الفقر[3].

وهذه النسبة باطلة من أربعة أوجه:

أ ـ أن هذه النسبة لا تستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ـ وهذا ما اعترفوا به أنفسهم[4] ـ لأنه لو كانت النسبة للصفة لقيل صُفي[5].

ب ـ أن أهل الصفة كانوا يكثرون مرة ويقلون أخرى، وهؤلاء إنما قعدوا في المسجد ضرورة، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة، فلما فتح الله

(١) الرسالة القشيرية، ص١٢٦.
(٢) المرجع السابق.
(٣) كشف المحجوب، ص٢٢٧ وتلبيس إبليس، ص١٦٢ وعارف المعارف، ص٦١.
(٤) انظر: كشف المحجوب، ص٢٢٧، وعوارف المعارف، ص٦١.
(٥) انظر: تلبيس إبليس، ص١٦٣، ومجموع الفتاوى (٦/١١).

على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا، ولم يكونوا ناساً بأعيانهم بل كانوا من جنس سائر الناس[1].

جـ ـ أن أهل الصفة لم يكن لهم مزية خاصة، ولم يكن لهم منهج يتبعونه فيما بينهم، بل إن منهم من ارتدّ عن الإسلام وقتله النبيّ ﷺ كالعُرنيين.

د ـ أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وأبا عبيدة وغيرهم ممن شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة وممن هم من أفاضل الصحابة ومن أكابرهم لم يكونوا من أهل الصفة، فلِمَ لا يُقتدى بهم من دون أهل الصفة؟! بل لِمَ لا يُقتَدى بمنهج رسول الله ﷺ؟! لا سيما وأن أهل الصفة كانوا متبعين لهديه، ولم يستقلوا عن ذلك بمنهج خاص له قوانينه وطقوسه.

من هنا نعرف أن نسبتهم إلى أهل الصفة غير صافية وغير جائزة لأنهم خالفوهم في كل شيء. إذ إن من أهل الصفة من انقطع إلى طلب العلم كأبي هريرة رضي الله عنه، بخلاف هؤلاء فإنهم انقطعوا عن طلب العلم وأصبحوا من أجهل الناس حتى لبس عليهم الشيطان تلبيساته.

٣ ـ **وقيل**: نسبة إلى رجل يقال له **صوفة** واسمه الغيث بن مر. وسمي بهذا الاسم لأنه لم يكن يعيش لأمه ولد، فنذرت لئن عاش ولدها هذا لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة. ففعلت فقيل له صوفة ولولده من بعده[2]. وقيل هي قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة[3].

وهذا يدل على أن فعلهم هذا ليس من الإسلام في شيء ـ إن رضوا بالنسبة لهذا الرجل ـ، لأن هذا ميراث جاهلي لا يجوز اتباعه. لذا ردّ شيخ

---

(١) تلبيس إبليس، ص١٦٢، ١٦٣.
(٢) تلبيس إبليس، ص١٦٢، ومجموع الفتاوى (٦/١١).
(٣) حلية الأولياء (١٧/١).

الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا القول بقوله: هذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف أيضاً. لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النُساك، ولأنه لو نسب النساك إلى هذا لكان هذا النسب إلى زمن الصحابة التابعين أولى، ولأن غالب من تكلم باسم (الصوفي) لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية ولا وجود لها في الإسلام[(١)]. ولكن من الصوفيين من جعلها من الاحتمالات كأبي نعيم رحمه الله بل ورضيها، كما سبق.

٤ - **وقيل**: نسبة إلى صوفانة وهي بقلة زغباء قصيرة ونسبوا إليها لاكتفائهم بنبات الصحراء[(٢)]. وهذا أيضاً غلط لأن النسبة إلى (صوفانة) صوفاني[(٣)].

٥ - **وقيل**: نسبة **لصوفة القفا** وهي الشعرات النابتة في متأخره، كأن الصوفي عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق[(٤)]. وهذا أيضاً مردود لأن فيه ادعاء لمحبة الله لهم وأنى لهم معرفة ذلك؟ فإن الغيب لله، فضلاً عن كونه فيه تزكية للنفس وهي مما كرهه الله لنا.

٦ - **وقيل**: نسبة إلى **الصوف المعروف** على ظهور الضأن، لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق، ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام - حسب زعمهم -[(٥)]. يقال تَصوّف إذا لبس الصوف، كما يقال تَقَمّص إذا لبس القميص، وقد ردّ القشيري هذا الرأي بقوله: (ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف)[(٦)]. ولكن الراجح - والله أعلم - أن نسبتهم إلى الصوف - كما رجح ذلك شيخ الإسلام رحمه الله وغيره من العلماء

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/١١).

(٢) انظر: حلية الأولياء (١٧/١)، وتلبيس إبليس، ص١٦٣.

(٣) تلبيس إبليس، ص١٦٣.

(٤) حلية الأولياء (١٧/١)، وتلبيس إبليس، ص١٦٣.

(٥) المرجع السابق وكشف المحجوب، ص٢٢٧، ومجموع الفتاوى (٦/١١).

(٦) الرسالة القشيرية، ص١٢٦.

والباحثين وكثير من علماء الصوفية[(١)]، لأنه أول ما ظهرت الصوفية في البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وهو من أصحاب الحسن البصري رحمه الله، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار، ولذا قال الإمام الحافظ محمد بن سيرين[(٢)] رحمه الله لما بلغه أن قوماً يفضّلون لباس الصوف: إن قوماً يتخيرون الصوف، يقولون إنهم متشبهون بالمسيح ابن مريم وهدى نبيّنا ﷺ أحب إلينا، وكان النبيّ ﷺ يلبس القطن وغيره، أو كلاماً نحوه من هذا[(٣)].

٧ ـ **وقيل**: نسبة للصف الأول، لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عزّ وجلّ بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله[(٤)]. وهذا مردود لأنه لو كان كذلك لقيل صَفّي[(٥)].

قلت: لا يكون في الصف الأول بين يدي الله تعالى من يخالف طريقه وطريق نبيّه ﷺ، ثم كيف يجترؤون على الله تعالى ويجعلون أنفسهم المقربين!! أليس هذا من تزكية النفوس بغير حق؟ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء: ٤٩، ٥٠] ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧٠٦/١١)، ومقدمة ابن خلدون، ص٤٦٧، ٤٦٨، واللمع ص٤١، للصوفي الكبير الطوسي، والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي، ص٣٠ ـ ٣٤، وعوارف المعارف للسهروردي، ص٦٤، ٦٥، وغيرها.

(٢) محمد بن سيرين: هو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري، مولى أنس بن مالك رضي الله عنه، إمام فقيه ثبت، كان من أورع التابعين وأجلائهم ومن فقهاء أهل البصرة وعُبّادهم رأى ثلاثين صحابياً. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه ومات بالبصرة سنة (١١٠هـ) انظر ترجمته: مشاهير علماء الأمصار، ص٨٨، والسير (٦٠٦/٤)، وتهذيب التهذيب (٢١٤/٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/١١ ـ ٧).

(٤) عوارف المعارف، ص٦١، وكشف المحجوب، ص٢٢٧.

(٥) مجموع الفتاوى (٦/١١).

٨ ـ **وقيل**: أصل هذا الاسم **صفوى**، فاشتغل ذلك وجعل صوفياً[١].

٩ ـ **وقيل**: مأخوذ من الاستصفاء لأن الصوفي من استصفاه الحق لنفسه تودداً[٢].

وقريباً منه: أن التصوف مأخوذ من الصَفْوة[٣]. وهذا أيضاً مردود لأنه لو كان كذلك لقيل صَفْوى[٤].

١٠ ـ **وقيل**: إن أصل كلمة (الصوفية) هي (سوفيا) اليونانية فإن (سوف) باليونانية الحكمة وبها سمي الفيلسوف (بيلاسوبا) أي محب الحكمة[٥].

ولا يبعد ذلك عليهم فإن المنهج الصوفي متأثر تأثراً عميقاً بالمنهج الأفلاطوني، مما حدا ببعض العلماء إلى ترجيح هذا الرأي. كما رأى ذلك البيروني، وغيره...[٦].

وبعد أن سردنا هذه الأقوال ـ وربما يكون هناك غيرها ـ يظهر لنا الاختلاف الواقع في أصل التصوف واشتقاقه. ولذلك اضطر بعض أئمة الصوفية مثل الهجويري[٧] والقشيري إلى الاعتراف بـ(أن اشتقاق هذا الاسم لا يصح من مقتضى اللغة في أي معنى، لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه)[٨] وبمعناه قال القشيري كما تقدم معنا.

---

(١) عوارف المعارف، ص٦١.
(٢) مجموع الفتاوى (٦/١١).
(٣) المرجع السابق.
(٤) التصوف المصدر والمنشأ، ص٣٢.
(٥) انظر: المرجع السابق، ص٣٢، ٣٣.
(٦) التصوف المنشأ والمصدر، ص٣٢.
(٧) الهجويري: هو أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري نسبة إلى الهجوير بمدينة غزنة بأفغانستان عاصر القشيري وسمع منه آرائه، له كتاب كشف المحجوب في التصوف ألفه بالفارسية وقد ترجم له الإبجليزية ثم ترجمته إلى العربية الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل توفي سنة (٤٦٥هـ). انظر ترجمته: في كشف المحجوب، ص٣٩ وما بعدها.
(٨) كشف المحجوب (٢٣٠/١).

المبحث الثاني

في نشأة الصوفية وأطوارهم

أ ـ **نشأتهم**: اختلف الناس في بدء ظهور اسم الصوفية ـ كما اختلفوا في تعريفهم وسبب تسميتهم بذلك ـ فقال شيخ الإسلام[(١)] رحمه الله: إن لفظ (الصوفية) لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما تكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وأبي سليمان الداراني وغيرهما، وقد روى عن الإمام سفيان الثوري أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري.

غير أن الإمام ابن الجوزي يرى أن الصوفية ظهرت قبل سنة مائتين، فإن القوم لما أظهر أوائلهم هذا الاسم (التصوف) تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، حالها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والصدق... الخ. ثم قال: وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبّس عليهم إبليس في أشياء ثم لبّس على مَنْ بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من

(١) مجموع الفتاوى (٥/١١).

المتأخرين غاية التمكن[1]. ولا خلاف ـ والله أعلم ـ بين الرأيين، لأن شيخ الإسلام رحمه الله يقصد ـ والله أعلم ـ بنفيه وجود اسم التصوف قبل المائة الثالثة، التصوف كمذهب له مصطلحاته الخاصة وكتبه ومواجيده وتعاليمه وضوابطه وأصوله ورجاله... فإن هذا لم يظهر إلا في أواخر القرن الثالث وما بعده، فإن المتصوفة الأول كان يطلق عليهم الزهاد أو العُبّاد أو النُّساك. هذا ويتفق كثير من أعلام الصوفية الذين كتبوا في التصوف مع غيرهم ممن خالفهم على أن التصوف مُحْدَث ولم يكن في عصر النبوّة، ولا في عصر الصحابة كما صرح بذلك السراج الطوسي[2]، وكما صرح بذلك السهروردي حيث قال: (وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله ﷺ وقيل كان في زمن التابعين، ثم قال: وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة النبوية)[3].

كما صرح القشيري أيضاً بذلك حيث قال: (اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة)[4]. أما الهجويري ـ أحد أعمدتهم ـ فيزعم أن التصوف كان على عهد رسول الله ﷺ وباسمه، وقد استدل لهذا بحديث موضوع وهو (من سمع صوت أهل التصوف فلم يؤمّن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين)[5].

كما زعم أحد أئمتهم[6] أن التصوف كان على عهد الصحابة رضي الله عنهم، ولم يستح ـ كما يقول ابن الجوزي ـ أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حاكياً العجب عنهم، كما زعم أن سفيان الثوري والحسن البصري

(١) انظر: تلبيس إبليس، ص١٦٣.
(٢) في كتابه اللمع، ص٤٢، ٤٣.
(٣) عوارف المعارف، ص٦٣.
(٤) الرسالة القشيرية (١/٥٣).
(٥) كشف المحجوب، ص٢٢٧.
(٦) هو أبو نعيم الأصبهاني صاحب كتاب الحلية.

وشريح القاضي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين من الصوفية[١].

أما مكان ظهور الصوفية: فهو البصرة بالعراق، كما نص على ذلك شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: (فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار، ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية)[٢].

فالخلاصة أن الصوفية بدأت باسم الزهد والورع والمبالغة في العبادة في القرن الثاني، ولم يزل الانحراف فيها حتى جعلها مذهباً وعقيدة لها أصولها ومصطلحاتها وضوابطها... وكان ذلك في أواخر القرن الهجري الثالث وأوائل القرن الرابع.

ب ـ أطوارهم: قسّم الدكتور عمر فروخ في كتابه التصوف في الإسلام[٣]، أطوار الصوفية إلى خمسة أطوار ـ أو أدوار ـ بدءاً من عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى أواسط القرن العاشر للهجرة.

١ ـ الدور الأولى: دور التسامي عن الحياة المادية: وهو يتناول القرنين الأولين للهجرة على وجه التقريب، قلت: ولكن الإمام الشافعي رحمه الله في القرن الثاني والثالث يقول: (تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يسمونه السماع ـ أو التعبير ـ يشغلون به الناس عن القرآن)[٤]. والزنادقة الذين عناهم الشافعي رحمه الله هنا هم الصوفية، والسماع هو

---

(١) انظر: تلبيس إبليس، ص١٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٦ ـ ٧).

(٣) ص٥٩ ـ ٩٣.

(٤) انظر: تلبيس إبليس، ص٢٢٠.

الغناء والمواجيد والمواويل، وهذا يدل على أن الانحراف ظهر في أواخر القرن الثاني.

٢ ـ الدور الثاني: دور التشبه بالسابقين والقصد إلى الزهد والتقشف: ويمتد هذا الدور نحو قرن ونصف من الدهر، من مطلع القرن الثالث إلى أواسط القرن الرابع للهجرة. ويأتي على رأس هذا الدور أبو سليمان الداراني توفي (**٢١٥هـ**)، ويبدأ هذا الدور عملياً بأبي نصر بشر بن الحارث الحافي (ت **٢٢٧هـ**)، وهو أول من صنف للصوفية، وكذا ذو النون المصري (ت **٢٤٥هـ**) وفي هذا الدور ظهر القول بالفناء، ولعل أول من قال به هو أبو يزيد البسطامي (ت **٢٦٠ ـ ٢٦٤هـ**).

٣ ـ الدور الثالث: دور الخروج من الإغراق في الزهد والتقشف إلى الكلام وإلى التحرر من التكليف في العبادة وادعاء الخيالات الصوفية، ويملأ هذا الدور القرن الرابع الهجرة، وينتمي أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج (ت **٣٠٩هـ**) والذي كان يقول بالحلول إلى الدور الثاني من حيث الزمن، ولكنه من حيث الاتجاه يدخل في هذا الدور. وظهر فيه أيضاً أبو بكر محمد بن موسى الواسطي (ت **٣٣١هـ**)، وعلي بن المزين (ت**٣٢٨هـ**) وكان يقول بالمشاهدة، والشبلي (ت **٣٣٤هـ**) ولقد أوغل في الرمز. وفي أواسط هذا الدور بدأ التأليف الصوفي يتبلور وبدأ الصوفية يحاولون إيجاد نظم خاصة وطرق خاصة لعبادتهم، وظهر في هذا الدور محمد بن عبد الجبار النفري من أهل المعرفة والوصول عند القوم، (ت بين **٣٥٤** و**٣٦١هـ**) وكان يقول بالوقفة، وهي مقام فوق المعرفة، والمعرفة فوق العلم، والواقف أقرب إلى الله من العارف، ذلك لأن الواقف يتخلى عن بشريته، ويرى النفري أن رؤية الله في الحياة الدنيا ممكنة، ذلك لأن رؤية الله في الدنيا استعداد لرؤيته تعالى في الآخرة، هذا وتأثر النفري بالحلاج ظاهر لا شك فيه.

٤ ـ الدور الرابع: دور تنظيم التصَوف وادعاء الكرامات وتبلور الطرق الصوفية: ويبدأ هذا الدور من أواسط القرن الخامس الهجري. ومن رجالاته

أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، وأبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني (ت ٥٣٥هـ)، وأبو سعيد بن أبي الخير الخراساني (ت ٤٤٠هـ) وكان يقول بوحدة الوجود، وعدي بن مسافر (ت ٥٥٨هـ)، وعبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، وأحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ).

٥ ـ **الدور الخامس: دور المجذوبين**: وقد كثر هذا الدور في القرنين التاسع والعاشر للهجرة بين المتصوفين، والمجذوب في عُرْفهم: (الذي جُنَّ بربه الذي خلقه) فأخذت تظهر عليه عوارض الجنون حيناً بعد حين، وهم يسمون هذه العوارض التي تأتي مرة بعد مرة (غلبة الحال)، فإذا استمرت من غير انقطاع كان صاحبه (مجذوباً). ورجالات هذا الدور كثيرون جداً لا يبلغهم الحصر، مثل عبدالقادر السبكي، وسلمان الحانوتي، وأبو الخير الكليباتي (ت ٩١٠هـ)، وأحمد المجذوب (ت ٩٢٠هـ)، وشعبان المجذوب وعمر المجذوب، وإبراهيم ابن عصيفير (ت ٩٤٢هـ)، الذي كان إذا غلب عليه الحال خاصم الذباب الذي يقع على وجهه وكان يتشوش من قول المؤذن الله أكبر، ثم إنه ترك الصلاة وغسل نفسه فإذا غسلوا ثوبه وجدوا فيه العذرة (النجاسة) كثوب الأطفال... والمجاذيب عند الصوفية كثيرون جداً لا يبلغهم العد. وقد بالغ في مدحهم والثناء عليهم وذكرهم الشعراني في طبقاته فلتراجع.

وبعد هذا الاستعراض الذي تقدم معنا عن الصوفية ونشأتهم وأطوارهم، يظهر بوضوح لكل عاقل أن التصوف نشأ على المبالغة في الزهد والعبادة المنهي عنها، وغلا به أصحابه شيئاً فشيئاً إلى أن صارت الصوفية تعني عقيدة الاتحاد والحلول والشرك والضلال والخرافة والبدع وترك العلم، وعنواناً على الرجعية والتخلف ومحاربة الإسلام وأهله من أهل العقيدة الصحيحة.

فنسأل الله أن يقي الإسلام وأهله شرهم وأن يهديهم إلى سواء السبيل إنه جواد كريم.

الفصـــل الثانـــي

حقيقة محبة الله ورسوله عند الصوفية

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: حقيقة محبة الله عندهم وفيه:

أ ـ تفسير هذه المحبة كما يراها الصوفيون.

ب ـ أقسام المحبة ومتعلقاتها عند الصوفية.

جـ ـ أنواع محبة الله عند الصوفية والرد عليهم في ذلك.

د ـ مقامات محبة الله كما يراها الصوفيون والرد على بعض منها.

المبحث الثاني: حقيقة محبة الرسول ﷺ عند الصوفية: وفيه:

أ ـ الحقيقة المحمدية عندهم.

ب ـ استغاثتهم وتوسلهم به ﷺ وادعاؤهم أنه يعلم الغيب.

جـ ـ شدهم الرحال إلى قبره الشريف بدعوى أن ذلك من أقرب القربات إلى الله.

د ـ احتفالهم بمولده ﷺ وإنشاد الأناشيد المحظورة فيه مع آلات الطرب والرقص.

المبحث الثالث: الشرك في المحبة والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله.

محبة الله ورسوله

المبحث الأول

حقيقة محبة الله عندهم

أ ـ تفسير هذه المحبة كما يراها الصوفيون:

تقدم معنا فيما سبق المفهوم الصحيح لمحبة الله تعالى ورسوله عند الطائفة الناجية (أهل السنّة والجماعة) والذي يتلخص في تحقيق العبودية لله والمتابعة لرسوله ﷺ وتقديم حبهما وطاعتهما على كل ما سواهما، . . . الخ وتقدم معنا أيضاً ضلال وانحراف الناس في هذه المحبة بين أهل الإفراط (أي الغلو) ـ وهم الصوفية ـ وأهل التفريط (أي التقصير) وهم العصاة والمذنبون ويدخل فيهم المرجئة. وقد تكلمنا عن أهل التفريط بما فيه الكفاية، وههنا نكمل الحديث عن أهل الإفراط وهم الصوفية، لنبين انحرافهم في هذا الواجب العظيم وضلالهم وبعدهم عن منهج الله القويم، وعدم تقديرهم لله عزّ وجلّ حق قدره وعدم محبتهم له المحبة الصادقة، وسوء أدبهم معه تعالى بتفسيرهم هذه المحبة على غير المعنى المراد منها وادعاؤهم القيام بحقها والوصول بها إلى ما لم يصل إليه غيرهم. فهذا ابن الدباغ[1] ـ أحد أعمدتهم ـ يقول مفسراً حقيقة

---

(١) هو عبدالرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ مؤرخ القيروان كتب كتاباً في تراجم أهلها هو أساس كتاب (معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان) للقاسم بن عيسى الناجي المتوفى سنة (٨٣٧هـ) توفي ابن الدباغ سنة (٦٩٦هـ) قال المستشرق هـ. ريتر لم أقفل على مظان ترجمة ابن الدباغ انظر: مقدمة مشارق أنوار القلوب، ص(و).

محبة الله تعالى عند الصوفية: (اعلم أنه قد اختلف الأولون والآخرون في حد هذا المقام ـ يعني مقام محبة الله تعالى ـ وتباينوا في العبارة عن حقيقته، إذ كل منهم إنما يعبر على حسب ذوقه منه وينطق بمقدار حاله، وكل قاصر لعجزه عن الإحاطة بحقيقته، ومن وصل إلى شيء منه من أهل التحقيق لم يخاطب الجمهور به إلا رمزاً وتلويحاً، فإنه أعظم من أن تشرح حقيقته بالنطق وحسب المعبر عنه الإيماء، فأما شرح الحقيقة باللفظ الصريح فمتعذر جداً. . .)[1]، ويقول أيضاً: (وأيضاً فإن المحبة لا يعبر عنها حقيقة إلا من ذاقها، ومن ذاقها استولى عليه من الذهول عن ما هو أمر لا يمكنه معه العبارة، كمثل من هو طافح سكراً إذا سئل عن حقيقة السكر الذي هو فيه لم يمكنه العبارة في تلك الحال لاستيلائه على عقله.

والفرق بين السكرين أن سكر الخمر عَرَض يمكن زواله ويعبر عنه في حين الصحو، وسكر المحبة ذاتي ملازم لا يمكن من وصل إليه أن يصحو عنه حتى يخبر فيه عن الحقيقة، كما قيل:

يصحو من الخمر شاربوها   والعشق سكر على الدوام[2]

هكذا يصور هذا الصوفي الكبير حقيقة محبة الله تعالى، بأن المحب من سكره لا يستطيع أن يعبر عنها لأنه لا يمكن لمن ذاقها أن يصحو من سكره. وهكذا يقارنون بين شارب الخمر السكران وبين من أحب الله تعالى، لأن الاثنين ـ على زعمهم ـ في سكره إلا أن سكرة المحب دائمة لا تزول.

والسكر عندهم من أعظم مقامات المحبة ـ كما سيأتي معنا ـ وقد عبر عنه القشيري بقوله: (والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر، وطاب الروح وهام القلب)[3]. هذا ويحد

---

(١) مشارق أنوار القلوب، ص٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢١.

(٣) الرسالة القشيرية (٢٣٦/١).

ابن الدباغ المحبة فيقول: (وأما حَدُّها على ما تعطيه العبارة اللفظية فهو ابتهاج يحصل للنفس عن تصور حضرة ذات ما، فهذا من أجود ما تحد به المحبة).

ثم يعلل بتعليلات عجيبة فيقول: (إن النفوس مراتب وكل نفس يظهر عنها ما يناسبها)، ثم يقول: (فإذا كان يظهر بتوسط قوى النفس الحيوانية هذا الأمر فما ظنك بتصورات النفس الإلهية! فإنها إذا تصورت قرب الحق تعالى ولذة مشاهدته التي هي غاية كل كمال ونهاية كل حال، فلا تقدر اللذة الواردة على العارف في تلك الحال ولا تحرر العبارة عن شدة طربه الروحاني وابتهاجه القدسي... ولو أنا وجدنا عبارة عن اللذة الحاصلة للمحب عند تصوره حضرة محبوبه بلفظ هو أعظم من الابتهاج لشرحنا به معنى المحبة) ثم يقول: (فهذا ما حضرنا من شرح حقيقة المحبة على الإجمال)[1].

فهذه هي حقيقة المحبة عند الصوفية سكر في حب الله، وتصور للذات العلية حتى يسكر فيها صوفيهم ولا يعود يميز غيرها. ولا أدري من أشد الناس محبة لله تعالى ـ عندهم ـ أرسول الله ﷺ وصحابته أم من تأخر عنهم من هؤلاء الصوفية وغيرهم؟! لأننا لم نجد ولم نسمع أن رسول الله ﷺ قد سكر في حب الله وهام ولم يعرف أحداً إلا الله، ولم ينكر الخلق عندما عرف الحق، وكذلك صحابته الكرام رضي الله عنهم لم يحصل معهم شيء مما حصل مع هؤلاء القوم، ولا حتى التابعين لهم بإحسان. فهذا يكفي وحده للتنبيه على ضلال القوم وأنهم ليسوا على هدى المصطفى ﷺ.

إذ لو كانوا على هديه وسنته لما ابتدعوا في دينه ولما خالفوا نهجه ونهج صحابته الكرام ومن سار على نهجهم بإحسان.

وحتى يصل المحب عند الصوفية إلى هذه المرحلة ـ السكر والفناء ـ

---

(١) مشارق أنوار القلوب، ص٢٢، ٢٣.

فلا بدّ له أن يمر بمراحل وهذا ما نجده في تقسيمات الذين تكلموا عن المحبة عند القوم، الصوفية - فإنهم يجعلون للمحبة مراتب ومراحل فإن المحب عندهم يحب محبوبه تعالى لإحسانه إليه ثم يتدرج في حبه حتى يحبه لجماله وكماله ثم لذاته، وهذه غاية المحبة عندهم. فلا يصير المريد من الواصلين حتى يصل إلى هذه المرحلة - مرحلة الحب للذات - فهم يجعلون السكر أعلى من الغيبة، لأن الغيبة قد تكون من خوف ورهبة ورجاء بينما السكر لا يكون إلا من المحبة. (وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوي سكره، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في غيبته من صاحب السكر، إذا كان متساكراً غير مستوف، والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة، ومقتضيات الخوف والرجاء، والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد)[1].

ولا شك أن جعلهم حب الله تعالى وعبادته بدون خوف من عقابه ولا رجاء لثوابه - والذي هو السكر عندهم - أعلى مرتبة من الحب مع الخوف والرجاء - والذي هو الغيبة عندهم -، ضلال مبين وجهل مركب، لأنه يخالف الفطرة كما يخالف الكتاب والسنّة وفهم المحبين الصادقين من السلف الصالح، لأنه لا تتصور عبادة بدون خوف ولا رجاء.

كما سيأتي تفصيل ذلك في الرد عليهم فيما بعد.

ب - أقسام محبة الله تعالى ومتعلقاتها عندهم:

قسّم ابن الدباغ المحبة إلى قسمين:

أحدهما بحسب جنسها، والثاني بحسب ما في نفسها.

وتنقسم بحسب جنسها إلى:

١ - ذاتية.

٢ - عرضية.

---

(١) الرسالة القشيرية (١/٢٣٦).

فالذاتية: هي التي يحب المحبوب فيها لذاته.

والعرضية: هي التي يحب المحبوب فيها لغيره.

أ ـ أما العَرَضية: فمنها محبة الإحسان، وذلك كمن يحب من أحسن إليه، وما في معنى الإحسان، من جلب المنافع ودفع المضار والإعانة على الأغراض وتيسير الأمور والمطالب، فالإنسان مجبول على هذه المحبة لأنها مركوزة في طباعه وإذ حاصلها يرجع إلى محبته لنفسه التي جبل عليها، ولا يشك إنسان أن محبة الإنسان لنفسه وكمال وجوده ودوامه أمر متحقق، فجميع ما يعينه على ذلك من صحة جسم أو صلاح حال، أمر محبوب عنده مندرج في ضمن محبته لنفسه، ومن هناك كانت محبة الإنسان لولده لأن فيه نوع خلف منه عند فناء جسده، إذ في بقاء النوع ضرب من بقاء الشخص، وولد الإنسان أقرب نوعه شبهاً به، ولهذا قالوا: (الولد سر أبيه)، وكذا محبة الصديق من أجل أنه معين على جلب المنافع ودفع المضار... وجميع ما في هذا المعنى... فهذه المحبة كلها عَرَضية، وكلما كانت هذه الصفة المحبوبة في شخص أتم وأدوم، كانت محبته لأجلها أدوم وأكمل، وبقدر نقصانها فيه تنقص فيه المحبة له.

وليست هذه مطلوب الصوفية إذ حاصلها يرجع إلى محبة الأجسام وبقائها ولكن قصدهم صرف النفس عن ذلك إلى ما هو أشرف فهي ضد مقصودهم ـ كما قال ابن الدباغ[(1)].

ب ـ وأما المحبة الذاتية: وهي التي تراد لذاتها فهي تنقسم إلى قسمين:

١ ـ ما يعقل سببه.

٢ ـ ما لا يعقل له سبب.

فالتي لا يعقل لها سبب هي محبة المناسبة الخفية عن الأذهان.

---

(١) انظر: مشارق أنوار القلوب، ص٣٠، ٣١.

والتي يعقل سببها هي: محبة الجمال والكمال الذاتية للمحبوب. يقول ابن الدباغ: (وقد انحصر مقصودنا من المحبة إلى ثلاثة أقسام: محبة الجمال، ومحبة الكمال، ومحبة المناسبة الروحانية، أما محبة الكمال: فهي مزادة للجمال إذ الكمال مظهر للجمال. وأما محبة المناسبة: فهي أيضاً خارجة عن مقصودنا من السلوك إذ لا يتوصل إليها بسبب مكتسب، وإنما هي شيء وضع في الجملة بحسب القسمة الأزلية فلا يفتقر فيها إلى طلب ولا رياضة[1].

فهذا الصوفي الخرافي الكبير يجعل المحبة الذاتية لله تعالى هي الغاية والهدف عنده، دون ما تستلزمه هذه المحبة من ذلّ وعبادة وطاعة وشكر له عزّ وجلّ. ظاناً أنه قد وصل في هذا الباب إلى ما لم يصل إليه غيره. وعنه نقول له: من أين لك هذا التقسيم الذي ما ورد به كتاب ولا سنّة ولا قال به أحد من السلف؟ إذ لو كانت الغاية هي حب الله لذاته دون ما تستلزمه هذه المحبة من ذلّ وعبودية وخوف ورجاء... لما كان لها طعم ولا لذة ولما كان هناك ضرورة ولا داعي للجنة والنار، ولكان أيضاً ـ هؤلاء الصوفيون الكاذبون ـ أعلم بمحبة الله من الرسل والملائكة والصالحين من المؤمنين، وهذا لا يقول به عاقل.

وهذا تقسيم آخر للمحبة عند الصوفية ـ وهو للقشيري ـ فقد قسمها إلى خمسة أقسام:

١ ـ حسية، ٢ ـ ونفسية، ٣ ـ وقلبية، ٤ ـ وعقلية، ٥ ـ وروحية.

١ ـ **فالحسية**: حقيقتها امتثال الأوامر.

٢ ـ **والنفسية**: حقيقتها الميل بلا نيل.

٣ ـ **القلبية**: حقيقتها هي نار من في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب.

---

(١) انظر: هذه التقسمات في مشارق أنوار القلوب، ص٣٠، ٣١.

٤ ـ **العقلية**: حقيقتها مراقبة الحبيب في الشهود والغيبة.

٥ ـ **الروحية**: وهي (محبة الأرواح) حقيقتها بذلها في المحبوب.

غايات هذه الأقسام: غاية الحسية الحظ، وغاية النفسية التواجد، وغاية القلبية الوجد، وغاية العقلية الوجود، وغاية الروحية الإحاطة[1].

متعلقات المحبة: قال القشيري: ومتعلقات المحبة خمسة والحصر معلوم بالاستقرار:

الأول: وجود النفس، فالإنسان يحب وجود نفسه وكماله وبقاءه.

والثاني: حبه لمن أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ودفع المهلكات عنه.

والثالث: حب من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه.

والرابع: حبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو من المعاني الباطنة.

والخامس: حبه لمن بينه وبينه مناسبة حقيقية في الباطن، فلو اجتمعت هذه الأسباب في واحدة تضاعفت محبته لا محالة، كما لو كان لإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الناس ومحسن إلى الوالدين، كان محبوباً لا محالة غاية المحبة، ولا يقوم بالنفس محبة كاملة تجمع جميع الأسباب إلا في حق الله تعالى، فإنه محبوب لجماله وكماله في ذاته وصفاته وأفعاله[2].

وهذه المتعلقات تشبه إلى حد ما أقسام المحبة عند الدباغ والتي سبق ذكرها.

---

(١) انظر: حياة القلوب بحاشية قوت القلوب (٢/١٦٧، ١٦٨).

(٢) انظر: حياة القلوب (٢/١٦٧، ١٦٨).

جـ ـ أنواع محبة الله تعالى عند الصوفية والرد عليهم في ذلك.

قسّم الصوفيون محبة الله تعالى إلى ثلاثة أضرب أو أنواع:

١ ـ محبة للإحسان.

٢ ـ محبة للصفات.

٣ ـ محبة للذات.

فالمحبة الأولى: هي **محبة المؤمنين**، وقد يكون هذا الإحسان في الدنيا والآخرة، فهؤلاء المؤمنون يحبون الله تعالى لإحسانه. فمتعلق محبتهم على الحقيقة هو الإحسان.

والمحبة الثانية: محبة الخواص وهي محبة تتعلق بالصفات التي تصدر منها هذه الأفعال، وهذا فوق الأول لأن المحب قد رقى من النعمة إلى المنعِم وأنه أهل أن يُعْبد وأن يُتذلل له.

والمحبة الثالثة: هي محبة خواص الخواص وهي المحبة للذات، أي حب الله تعالى لذاته، فهو حب يتعلق بالذات العلية لا يبعثه على هذا الحب شيء، وإنما هو حب قد أشرب قلبه فلا يلتفت فيه إلى عطائه ومنعه وضره ونفعه، بل حبه له إنما هو لكمال ذاته وصفاته وقدسه وجلاله وعظمته وبراءته من النقائص والآفات، فصاحب هذا الحب الثالث قد رقى من الأفعال إلى الصفات، ومن الصفات إلى الذات، فمحبته حينئذٍ غير معلَّلة بشيء، وهذا النوع الثالث من المحبة هو أول أودية الفناء والعقبة التي يجوز بها صاحبها إلى منازل المجد وأدونها أعراض لا أعواض، للعوام منها شرب وللخواص منها شرب، قد علم كل أناس مشربهم، ونهاية عوام الطريق هي بداية العارفين، فنهاية العوام في المحبة وهي الحب للإحسان هي بداية الخواص في المحبة، والمحبة التي هي لغير إحسان هي أول أودية الفناء، ولها أول ووسط ونهاية، **فأولها**: أن يحبه ولا يشوب محبته بحظ من الحظوظ. فحظه محبوبه وهو الحظ الأعلى. **وأوسطها**: أن يرى المحب المحبوب ونفسه ولا يحبه للحظ الذي هو الثواب، فقد رقى في هذا عقبة ما سلكها صاحب المحبة الأولى.

ونهايتها: أن صاحب هذه المحبة يشرف من هذه العقبة على منازل المحو، وهي منزلة المحب المستهلك الذي غاب عنه الثواب وغابت عنه نفسه وتعلق حبه بالذات وصار مغموراً به. وما دون هذا الحب أعراض لا أعواض يطلبون عليها عوضاً. وهؤلاء الطوائف الثلاثة لكل طائفة منهم شرب، فشرب العام حظهم. وشرب الخواص نظرهم إلى الصفات. وشرب خاصة الخاصة حال لا يقدر أحد على وصفه. وفي المحبين من غلب عليه الاستغراق في المحبة فغابوا عن الفعل كله، وأهل هذا المقام متفاوتون فمنهم من يعتريه جميع أوقاته، ومنهم من يعتريه في بعضها على قدر ما رزقه الله تعالى من القرب وهم أصحاب قرّة العين كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1] [السجدة: ١٧]. فأعلى درجة لمحبة الله عند الصوفية هي درجة خواص الخواص وهم الذين أحبوا الله لذاته لا طمعاً في ثوابه ولا خوفاً من عقابه. فهؤلاء في نظرهم هم أعظم المحبين وأسماهم ولا أحد فوقهم في الحب والعبادة.

وقد تكلموا كثيراً بهذا لكلام وأطنبوا فيه وغلوا، وادعوا أنهم هم وحدهم الذين وصلوا للقمة في محبة الله، وأن ما عداهم دونهم بدرجات كثيرة. ووصل الأمر والوقاحة بهم إلى أن وصفوا من يحب الله ويعبده خوفاً منه وطمعاً في ثوابه بأنه من عوام المحبين، ويدخل في ذلك ولا شك على هذه القاعدة الأنبياء والصالحون بل والملائكة، لأنهم كما أخبر الله عنهم ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] فقد قال ابن الدباغ بما نصه: (أما الخوف والرجاء فهما مقامان من مقامات عوام المحبين السالكين)[2].

بل قد افترى بعضهم[3] على نبيّ الله وكلمته عيسى ابن مريم عليه السلام أنه مرّ على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن عباد، قال لأي شيء تَعَبّدتم؟ قالوا:

---

(١) انظر: حياة القلوب ٢/١٧١ ـ ١٧٣.
(٢) مشارق أنوار القلوب، ص٧٧.
(٣) هو أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب ٢/٥٦.

خوفنا الله من النار فخفنا منها، فقال: حق على الله أن يؤمنكم ما خفتم، ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم، فقال: لأي شيء تَعبّدتم؟ قالوا: شوّقنا الله إلى الجنان وما أعد فيه لأوليائه فنحن نرجو ذلك، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم، ثم جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال: ما أنتم؟ قالوا: نحن المحبون لله لم نعبده خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته، ولكن حباً له وتعظيماً لجلاله، فقال: أنتم أولياء الله حقاً، معكم أُمرت أن أقيم فأقام بين أظهرهم. وفي لفظ آخر أنه قال للأولين: مخلوقاً خفتم ومخلوقاً أحببتم، وقال لهؤلاء: أنتم المقرّبون.

وحكي أيضاً عن أحد أوليائهم[1] ـ كما يزعمون ـ أنه رأى في النوم كأنه أدخل الجنة فرأى رجلاً قاعداً على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل. ورأى رجلاً قائماً على باب الجنة يتصفح وجوه القوم فيدخل بعضاً ويرد بعضاً، فجاوز ذلك إلى حظيرة القدس فرأى في سرادق العرش رجلاً قد شخص ببصره ينظر إلى الله عزّ وجلّ لا يطرف، فسأل رضوان ـ ملك الجنة ـ من هذا؟ فقال له: هذا معروف الكرخي عَبَد الله لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته بل حباً له، فقد أباحه تعالى النظر إليه إلى يوم القيامة، فسأله عن الآخرين فقال له رضوان: هذان أخواك بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل، وهذا مقام الأبدال من الصديقين، لا يقامون مقام أبدال الأنبياء ولا يعطون منازل الشهداء حتى تغلب محبة الله على قلوبهم في كل حال، فيتهالون إليه ويذهلون به عن غيره، وينسون في ذكره من سواه فيعبدونه لأجله صرفاً، وهم المقربون ونعيمهم في الجنان صرف ويمزج لأهل المزج وهم أصحاب اليمين[2].

فانظر كيف يحكمون لأوليائهم بأعلى الجنان؟ والنظر إلى وجه الله العظيم ببدعتهم تلك؟ ويجعلون من المنامات الشيطانية حججاً وبراهين على ما يعتقدونه وكأنها نصوص قرآنية. ولا يخجلون ولا يستحون

---

(١) وهو علي بن الموفق.

(٢) انظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/٥٦ ـ ٥٧).

من الله بهذا الكلام القبيح فنسأل الله السلامة.

لذا يعظم هؤلاء الصوفيون إمامتهم ـ رابعة العدوية[1]، ـ لأنها قد حققت هذه المحبة (محبة الله لذاته)، وضربت أروع الأمثلة لهم في ذلك، بل وعلّمت الناس وأئمة المسلمين هذه المحبة العظيمة الصادقة ـ بزعمهم ـ، فرووا عنها أن الإمام الثوري، وكان من أئمة السلف يقعد بين يديها ويقول علِّمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة، فكانت تقول له: نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا، وقد كان رحمه الله زاهداً في الدنيا عالماً جليلاً إلا أنها كانت تجعل إيثار كتب الحديث والإقبال على الناس من أبواب الدنيا. وقد قال لها رحمه الله يوماً: لكل عبد شريطة، ولكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فقالت: ما عبدت الله خوفاً من الله فأكون كالأمة السوء إن خافت عملت، ولا حباً للجنة فأكون كأمة السوء إن أعطيت عملت، ولكني عبدته حباً له وشوقاً إليه. وقد كانت تقول: إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسأله من لا يملكها، وقد كان هذا جواباً لرجل قال لها أذكري لي حوائجك حتى أقضيها. وقد خطبها رجل فقالت له: يا شهواني اطلب شهوانية مثلك أي شيء رأيت فيَّ من آلة الشهوة. وقد قالت في معنى المحبة التي تحبها لربها هذه الأبيات مخاطبة الباري جلّ جلاله:

أحبك حُبَّين حُبَّ الهوى ... وحُبَّ لأنك أهل لذاكَ
فأما الذي هو حُبّ الهوى ... فَشُغْلي بذكرك عَمَّن سِواكَ
وأما الذي أنت أهلٌ له ... فَكَشْفُكَ للحجب حتى أراكَ
فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك ... ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكَ[2]

---

(١) رابعة هي: رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، مولاة آل عتيك من زهاد القرن الثاني، كانت كثيرة الحزن والبكاء، إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زماناً، وكانت أسبق زهاد عصرها حديثاً عن المحبة الإلهية، فهي أول من تغنَّى بالحب الإلهي نثراً وشعراً، ولذا يقال أن بذور التصوف الحقيقي زرعت في زمانها. توفيت سنة (١٣٥هـ) وقيل (١٨٥هـ).
انظر: ترجمتها كشف المحجوب (٢/٦٠٣)، والشذرات (١/١٩٣).

(٢) انظر: قوت القلوب ٢/٥٧.

فيا سبحان الله كيف يستدل بقول راهبة راغبة عن سنّة رسول الله ﷺ في الزواج - فضلاً عن غيره - في باب محبة الله تعالى؟! وهل يُصَدِّق أن تابعياً جليلاً كسفيان الثوري يجلس بين يدي امرأة ضالة تائهة؟! تقول على الله بغير علم ويعتذر إليها ويصدقها؟ ويقول لها: علمينا مما علمك الله؟ وهي التي تحتقر العلم الشرعي وعلم الحديث بالذات لأنه كان إماماً فيه؟ فهل يصدق أن إماماً مشهوراً بشدة تمسُّكه بالسنّة ومحاربته للبدع كسفيان رحمه الله يدع علم الحديث لجنون وضلال امرأة كرابعة، كلا وألف لا إن هذا لمن الكذب عليه.

فقد تبين لنا مما سبق ذكره عن هؤلاء الصوفية أنهم يجعلون أعلى مقام لمحبة الله مقام خاصة الخاصة وهو حب الله لذاته لا خوفاً من عقابه وناره ولا طمعاً ورغبة في جنته وثوابه.

والرد عليهم في ذلك: من عدة وجوه:

أولاً: أن هذا التقسيم تقسيم باطل ما أنزل الله به من سلطان فهو مردود.

ثانياً: ادعاؤهم أن المؤمنين وهم - العامة بنظرهم - يحبون الله تعالى فقط لإحسانه عليهم ادعاء مرفوض، لأن المؤمن يحب الله ورسوله أكثر مما سواهما ويفتديهما بنفسه وماله والناس أجمعين، وهو يزداد حباً لربه وتسليماً له حتى في المصائب - والتي هي في ظاهرها إيذاء للعبد كما يظنها بعض الناس -، فالمؤمن يحب الله لأنه تعالى خالقه ورازقه وربه ومعبوده الذي لا غنى له عنه طرفة عين. وهو مع محبته تلك يعلم أنه مُقصِّر في حقه تعالى لأنه لن يستطيع أحد أن يشكر ربه على نعمه كلها التي أنعم عليه بها بل لا يستطيع عدها.

ثالثاً: ادعاؤهم أن محبة خواص الخواص عندهم هي أعظم المحبات لله والتي تتضمن محبته تعالى لذاته لا خوفاً منه ولا طمعاً في جنته، ادعاؤهم هذا مرفوض ومبتدع لأنه مخالف لنصوص الكتاب والسنّة ولفهم السلف من المحبين الصادقين من هذه الأمة وغيرها من الأمم السابقة، وهو

في الوقت نفسه افتراء على الله وقول عليه بلا علم بل بمجرد هوى النفس فقد قال إمام المحبين الصادقين وسيد ولد آدم أجمعين وأعلم الناس بربه محمد ﷺ: «**فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**» متفق عليه[1] وفي رواية «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**» رواه البخاري[2]. وقال أيضاً في قصة النفر الثلاثة «**إني والله أتقاكم لله وأشدكم له خشية**» متفق عليه[3]، فكان ﷺ أشد الناس خوفاً من الله وأتقاهم لله، ولم يكن يعبد الله بالحب فقط، ولم يكن يحبه لذاته فقط بدون خوف منه وطمع في جنته ـ كما هي حال هؤلاء الصوفية ـ. فمن يا ترى أعلم بالله وأشد خشية وتقوى له تعالى أرسول الله ﷺ الصادق المصدوق أم هؤلاء؟!! الذين يزعمون أنهم وصلوا إلى ما لم يصل إليه ﷺ ولا غيره من البشر ممن سار على نهجه بإحسان.

وكذلك كان صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين، وهم أفضل البشر بعد هذا النبيّ ﷺ لم يكونوا يعبدون الله بالحب فقط بل بالخشية والرهبة والرغبة، فهل هؤلاء الصوفيون أعلم بهم وأتقى منهم لا وألف لا.

إنه لا يمكن أن يخشى الله عبد وهو لا يتقيه، لأنه ـ كما هو معلوم ـ أن التقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بالأعمال الصالحة وبالرجاء بالدخول إلى الجنة، وبالخوف منه تعالى بترك ما حرم عليك عزّ وجلّ ليبعدك عن النار. وهذا كله لا يتأتى على فهم الصوفية للمحبة التي هي لذاته تعالى فقط. لأنه على حبهم هذا فسوف نلغي كل المصطلحات القرآنية من آيات التقوى والوعد والوعيد، إذ إن قمة العبادة والإيمان والمحبة ـ بزعمهم ـ أن نعبد الله ونحبه لذاته لا طمعاً في ثوابه ولا خوفاً من عقابه، وعليه فأي قيمة للجنة والنار؟! وأي فائدة من ثنائه تعالى على عباده المؤمنين من الأنبياء وغيرهم ووصفه إياهم أنهم يخافونه ويخشونه وأنهم يحبونه ويرجون ثوابه؟!، كقوله تعالى مادحاً خواص أنبيائه بعد أن تكلم عنهم

---

(١) البخاري ك الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب (١٠/٥١٣) حديث (٦١٠١). ومسلم ك الفضائل باب علمه ﷺ بالله وشدة خشيته (٤/١٨٢٩) حديث (١٢٧ ـ ١٢٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] كما أثنى على عباده المؤمنين الصادقين بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة جداً في هذا الباب.

لذا لم تأت حتى آية واحدة ولا حديث واحد يدل على أن من يعبد الله بالحب فقط ـ كما يظن هؤلاء ـ فإنه يصل إلى أعلى من مرتبة الأنبياء والصالحين. بل إنه تعالى يصف ملائكته المقربين الذين لا يشك عاقل ـ فضلاً عن مسلم ـ أنهم أعظم الخلق وأشدهم له طاعة ومحبته وخشية، ـ يصفهم عزّ وجلّ بأنهم يخافونه ويخشونه ولا يعصون أمره كما قال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]. كما أخبر عزّ وجلّ عن أصحاب الجنة بأن الله قد رضي عنهم، وهل يكون الرضا إلا بعد الحب وأنهم رضوا عنه وأحبوه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧، ٨] فوصفهم سبحانه بأنهم يخشون ربهم، ووصفهم بأنهم خير البرية.

فهل بعد هذه الخيرية من خيرية؟ وهل بعد هذا التفضيل من تفضيل؟

وهل الذي يخشى ربه ويتقيه ـ الذي هو خير البرية ـ خير أمَنّ لا يخشاه ولا يحبه لثوابه ولا يعبده خشية من عقابه؟. إن قول الصوفية هذا لهو الضلال المبين، وإنه مخالف لصريح القرآن ولفعل خيرة عباد الله من الملائكة والأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان. لذلك أنكر السلف على من يقول هذا القول أشد الإنكار ورموه بالزندقة. فقد أثر عن بعضهم رحمهم الله أنهم كانوا يقولون ـ كما روى عنهم شيخ الإسلام رحمه الله ـ (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده

بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن، لأنه ما حفظت حدود الله عزّ وجلّ ووصل الواصلون إليه تعالى بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فساداً لا يرجى صلاحه أبداً، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحبه، وذلك لأن الحب المجرد تنبسط النفوس فيه حتى تتوسع في أهوائها إذا لم يزعها وازع الخشية لله حتى قالت اليهود والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] ويوجد في مدّعي المحبة من مخالفة الشريعة ما لا يوجد في أهل الخشية، ولهذا قرن الخشية بها في قوله: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق: ٣٢ ـ ٣٤]، ولهذا كان المشايخ المصنفون في السنّة يذكرون في عقائدهم مجانبة من يكثر دعوة المحبة الخوض فيها من غير خشية لما في ذلك من الفساد الذي وقف فيه طوائف من المتصوفة)(١).

فاللّهم نسألك أن لا تزيغ قلوبنا وأن تثبّتها على الحق والهدى يا رب العالمين.

د ـ مقامات محبة الله تعالى كما يراها الصوفيون والرد على بعض منها:

إن لمحبة الله عزّ وجلّ عند الصوفية مقامات(٢) متعددة لا يبلغها المحب بسهولة ويسر، بل لا بدّ له من مجاهدة وصبر كبيرين حتى يترقاها جميعها ويفوز بمقاماتها كلها والتي لا يبلغها إلا القليل من الناس، إذ البشر في هذه المقامات متفاوتون، فمنهم من أخذ ببعضها، ومنهم من أخذ وعمل

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢١/١٥ و٨١/١٠ ـ ٨٢)، وجامع الرسائل (١١٢/١ ـ ١١٣).

(٢) **المراد بالمقامات** عند الصوفية: هو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب، مما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف. فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك ـ أي عند اكتساب ما يوصل إليه ـ وما هو مشتغل بالرياضة له. **وشرطه**: أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام. انظر الرسالة القشيرية (٢٠٤/١ ـ ٢٠٦) وعوارف المعارف ص٢٣٥ ـ ٢٣٧، وكشف المحجوب (٢٠٨/٢ ـ ٢١١).

بأكثرها، ومنهم من حازها كلها، فأصبح عاشقاً هائماً بالله محبوبه بلا إرادة ولا اختيار له في ذلك، بل إنه يتحد بمحبوبه اتحاد الروح بالروح والجسد بالجسد بتحقيقه لهذه المقامات فتسمو بها روحه ويكشف له بسببها حتى يصير هو محبوبه كما يزعمون. ولئلا يظن بأننا نفتري عليهم فإننا ننقل عنهم بعض النصوص في ذلك من كتبهم نفسها ـ وإن كان المقام لا يسمح للتوسع في ذلك ـ.

فهذا أحد أعلامهم المعتبرين ابن الدباغ يقول: (وأما أقسام المحبة بحسب ذاتها فإنها تنقسم بحسب المبادىء والغايات إلى عشرة أقسام: خمس منها **مقامات المحبين السالكين**. فأولها الأُلفة ثم الهوى ثم الخُلّة ثم العِشْق ثم الوَجْد. وأما **مقامات العشاق** فأولها الغرام ثم الافتتان ثم الَولَه ثم الدَهَشْ ثم الفناء، واسم المحبة يشتمل الكل إلا أن المحب لا يخلو إما أن يستعمل المحبة أو تستعمله، فإن استعملها وكان له فيها كسب واختيار سمي محباً اصطلاحاً، وإن استعملته المحبة بحيث لا يكون فيها كسب ولا اختيار ولا نظر لنفسه بما تصلحه فهو العاشق، فالمحب مريد والعاشق مراد)[1]. ثم بدأ يشرح كل مقام، وعندما وصل إلى مقام، الوجد بدأ بشرحه قائلاً: **وأما مقام الوجد فمعناه**: وجود ذات المحبوب وسائر صفاته الحقيقية منطبعة في ذات المحب انطباعاً بحيث لا يمكن زواله، ولا يتصور انفصاله، وإذا بلغ المحب إلى هذا الحد فقد ذهب عنه الكسب والاختيار واستوى في حقه الإعلان والإسرار، ودخل في أودية المحبة وسكر من صفو مدامها سكراً دوامه بدوامها، إلى أن صار السكر يهيم به في كل واد، ويسلك به في الأغوار والأنجاد لا يقر قراره ولا يطمئن به داره (من الكامل):

خذ نصح قولي في المحبة أو دع — إن لم تمت وجداً فإنك مدعي
ليس الغرام نحول جسمك دائماً — كلا ولا طول البكا بالأدمعِ
الحب ما أفناك منه قليلُه — فذهلت حتى لا تجيب ولا تعي

(١) مشارق أنوار القلوب، ص٣١، ٣٢.

ثم إن المحب إذا تحقق في مقام وجد الموجود، وظهرت عليه آثار الشهود، يشهد محبوبه في سائر الذوات وصفاته مع سائر الصفات، فلا يرى الوجود سواها، ولا يراها سواه وإذا نظر نظراً قويماً، وسلك في الاعتبار طريقاً مستقيماً، رأى الكل في ضمن حقيقته الإلهية، وبلغ إلى مقام الفردانية (من الطويل):

وطارحني غنج اللّحاظ معانياً … أغار عليها أن تلم بمسمعي
فكررت طرفي في الوجود بأسره … فلم أر فيه غير معناك مقنعي
وطالعت في سر الهوى فإذا التي … أطوف عليها في معالمها معي

وهذه العبارة إنما هي بحسب الاعتبارات وما توجبه الأحوال من الجمع والافتراق، إذ الحقيقة تجمع والحق يفرق، فإذا غلبت على المحب الغيبة في الشهود، ذهب عن خاطره حقيقة الوجود، فلم ير غير مشهوده لفنائه عن رسومه وحدوده، وإذا رجع إلى النظر إلى ذاته، واختلاف أحواله وصفاته، غلبت عليه أشعة الجلال فيرى ذاته مفتقرة على كل حال. وهذا هو آخر مقامات المحبين، وأول مقامات العشاق الذين أسكرهم شراب القرب وغابوا عن ذواتهم في شهود الرب، سلبوا عن اختيارهم وإرادتهم وأخرجوا في المحبة عن مستقر عادتهم[1]. لقد صرح هذا الصوفي الكبير عن عقيدة القوم في الفناء في محبة الله والاتحاد به أوضح تصريح، وتكلم عن هذه العقيدة الخبيثة مادحاً لها ولأهلها، زاعماً أنها آخر مقامات المحبين، وأول مقامات العشاق الذين أسكرهم شراب القرب وغابوا عن ذواتهم في شهود الرب. وهذا مقام للمحبة عندهم لا يصل إليه إلا القليل.

وهو في الحقيقة مقام الكفر الأعظم والإلحاد الأكبر، وليس مقام محبة الله عزّ وجلّ ـ كما يزعم من يعتقد هذا في الله ـ فإنه تعالى أَجَلُّ وأعظم من أن يَحُلَّ الخلق أو كُلَّ الخلق به، وأعظم أيضاً من أن يتحد بخلقه أو يتحد الخلق به، لأنه تعالى ليس كمثله شيء، فهو بائن من خلقه

---

(١) انظر مشارق أنوار القلوب، ص٣٦، ٣٧.

مستو على عرشه، له العظمة والكبرياء رب العالمين الذي كان ولم يكن شيء معه، ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ. فكيف يوصف سبحانه بالاتحاد والحلول في خلقه وهو خالقهم وربهم الذي لا يموت ولا يزول؟ ثم إذا كان هذا الشيء متعذراً وغير واقع في الخلق أنفسهم، فكيف يقع ويتصور وقوعه مع قيوم السموات والأرض ـ سبحانك هذا بهتان عظيم؟ إن مجرد تصور هذه العقيدة الفاسدة المنتنة ـ والتي هي عند القوم أعلى مقامات المحبة ـ يبطل إمكانيتها وفسادها وضلال وزندقة وكفر معتنقها ـ والعياذ بالله ـ. فهل لمثل من يعتقد في الله هذه العقيدة محبة لله أو حتى إيمان به وإسلام؟ كلا وربي.

ولئلا يظن أحد بأن ما قاله ابن الدباغ ليس من عقائد الصوفية بل هو ما يعتقده وحده فقط، فإنني سأنقل بعض النصوص عن بعض أئمتهم المشهورين وأقطابهم المعروفين ـ الذين لا ينكرونهم ـ ما يؤيد معتقد ابن الدباغ، لنعلم علم اليقين أن هذه هي عقيدة القوم وإن حاول بعضهم كذباً وزوراً نفيها عنهم.

فهذا شاعر الصوفية المشهور ابن الفارض(١) الملقب بسلطان العاشقين ـ عندهم ـ يعبر عن هذه العقيدة المنتنة من الاتحاد والحلول ووحدة الوجود بأبيات خسيسة زاعماً أن الله حل حتى بالفاجرة من النساء فيقول:

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم ... بمظهر حوا قبل حكم الأمومة
فهام بها كيما يكون بها أبا ... ويظهر بالزوجين حكم البنوة
وكان ابتداء حب المظاهر بعضها ... لبعض ولا ضد يصد ببغضة
وما برحت تبدو وتخفى لعلة ... على حسب الأوقات في كل حقبة

---

(١) هو: أبو حفص عمر السعدي الهاشمي المعروف بابن الفارض، من أشعر المتصوفين ويلقب بسلطان العاشقين عندهم. في شعره فلسفة تتصل بالاتحاد ووحدة الوجود، كان يكثر العزلة في واد بعيد في مكة وقد نظم أكثر شعره في تلك الحال، روى أنه كان يرقص ويتواجد عندما يغني له النساء بالدف والشبابة. ولد بالقاهرة سنة (٥٧٦هـ) وتوفي سنة (٦٣٢هـ) انظر ترجمته: الأعلام (٥/٥٥ ـ ٥٦).

وتظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففي مرة لُبْنى وأخرى بُثَيْنَةٍ وآونة تدعى بِعَزَّةَ عزتِ
ولسن سواها لا ولا كن غيرها وما أن لها في حسنها من شريكة
كذاك بحكم الاتحاد بحسنها كما لي بدت في غيرها وتزيت[1]

يزعم ـ هذا الصوفي الكبير ـ أن ربه ظهر لآدم في صورة (حواء)، ولقيس في صورة (لُبنى)، ولجميل في صورة (بثُينة)، ولكُثَيِّر في صورة (عَزَّة). فما حواء أم البشر إلا الحقيقة الإلهية ـ عنده ـ، وما أولئك العشاق اللاتي سكرت على شفاههن خطايا القُبل المحرمة، وتهاوت بهن اللهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشاق، ما أولئك جميعاً سوى رب الصوفية تَجَسّد في صور غوان تطيش بهداهن نزوة وَلْهى، أو نشوة سكرى، أو رغبة تتلظى في عين عاشق!!.

ويسرف ابن الفارض في توكيد أنوثة ربه وتجلّيه أبداً في صورة جسد امرأة يزل بها موعد الليل، فيقول:

ولسن سواها لا، ولا كن غيرها وما أن لها في حسنها من شريكة

فقد خشي أن يتوهم أحد في ربه أنه يغاير حقيقته أو تتباين صفاته، وهو يتجلى مرة بعد مرة في صورة غانية، أو يظن أن هؤلاء الغانيات (لُبنى وبُثَيْنة وعَزّة) تغاير حقائقهن. حقيقة ربه في شيء ما، فاستدرك ذلك على الأوهام بما يحيلها يقيناً ثابتاً في أنوثة ربه فقال: (ولسن سواها لا، ولا كن غيرها) وهكذا صدق فيهم قول الله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: ١١٧] ماذا يحدث للشباب المسلم ومنه لو أنه آمن بهذه الصوفية؟[2].

ويقول أيضاً مستدلاً لعقيدته المنتنة من وحدة الوجود والاتحاد:

---

(١) ديوان ابن الفارض، ٣٨.

(٢) انظر هذه هي الصوفية، ص٣١، ٣٢.

وجاء حديث في اتحادي ثابت روايته في النقل غير ضعيفة
يشير بحب الحق بعد تقرب إليه بنفل أو أداء فريضة
وموضوع تنبيه الإشارة ظاهر بكنت له سمعاً كنور الظهيرة
تسببت في التوحيد حتى وجدته وواسطة الأسباب إحدى أدلتي[(١)]

ففي هذه الأبيات يزعم ـ كعادته ـ أن الله يتحد بعبده إذا تقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض مستدلاً بحديث: «**وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**...»[(٢)]. الحديث زاعماً أن هذا دليل له كنور الظهيرة في عقيدته الاتحاد التي يؤمن بها هو ومن شاكله، وقد تقدم الرد على من يزعم ذلك بما لا داعي لتكراره ههنا.

وعابد الصنم والوثن والنار والشمس عند ابن الفارض إنما هو عابد الله وحده في الحقيقة، لأن كل شيء هو الله، فلا وجه للإنكار على من يفعل ذلك، لأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، وهو ما يعبر عنه بوحدة الوجود ومما قال في ذلك:

وإن خرّ للأحجار في البد عاكف فلا وجه للإنكار بالعصبية
فقد عبد الدينار معنى منزه عن العار بالإشراك بالوثنية
وما زاغت الأبصار من كل ملة وما راغت الأفكار في كل نحلة
وما أختار مَنْ للشمس عن غرة صبا وإشراقها من نور أسفار غرتي
وإن عبد النارَ المجوسُ وما انطفت كما جاء في الأخبار في ألف حجة
فما قصدوا غيري وإن كان قصدهم سواي وإن لم يظهروا عقد نية[(٣)]

ومثل هذا الكفر والزندقة لا يمكن تأويله، ولا يشك مسلم في كفر معتقدِ ذلك والعياذ بالله.

---

(١) ديوان ابن الفارض، ص٦٦.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) ديوان ابن الفارض، ص٦٧.

وهذا الطاغوت الأكبر والزنديق الخاسر، ابن عربي[1] الإمام الأكبر والكبريت الأحمر عند الصوفية وقدوة أهل وحدة الوجود يعتقد ما يعتقده ابن الفارض وابن الدباغ من العقائد الإلحادية المخرجة من الإسلام، فانظر كيف يفسر حديث رسول الله ﷺ: «**حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة**»[2] فيقول: اشتق الله من الإنسان شخصاً على صورته سماه امرأة فظهرت بصورته، فحنَّ إليها حنين الشيء إلى نفسه، وحنَّت إليه حنين الشيء إلى وطنه، فحُبّبت إليه النساء، فإن الله أحب من خلقه على صورته وأسجد له ملائكته النورانيين على عظم قدرهم ومنزلتهم وعلو نشأتهم الطبيعية، فمن هناك وقعت المناسبة والصورة أعظم مناسبة وأجلّها وأكملها فإنها زوج أي شفعت وجود الحق، كما كانت المرأة شفعت بوجودها الرجل فصيرته زوجاً، فظهرت الثلاثة، حق ورجل وامرأة، فحنّ الرجل إلى ربه الذي هو أصله حنين المرأة إليه، فحببت إليه ربه النساء كما أحب الله من هو على صورته، فما وقع الحب إلا لمن تكون عنه، وقد كان حبه لمن تكون (الرجل) منه وهو الحق. فلهذا قال: (حُبّب) ولم يقل أحببت من نفسه لتعلق حبه بربه الذي هو على صورته حتى في محبته لامرأته، فإنه أحبها بحب الله إياه تخلقاً إلهياً. ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة، أي غاية الوصلة التي تكون في المحبة، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح، ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها، ولذلك أمر بالاغتسال منه فعمت الطهارة كما عمّ الفناء فيها عند حصول الشهوة. فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره، فطهره (أو فطهر) بالغسل ليرجع بالنظر إليه فيمن فني فيه، إذ لا يكون إلا ذلك فإذا شاهد (أو شهد) الرجل الحق في المرأة كان شهوده في منفعل، وإذا شاهده في نفسه ـ من

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية، قدوة القائلين بوحدة الوجود، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة ولد بالأندلس سنة (٥٦٠هـ) وتوفي بدمشق سنة (٦٣٨هـ) وهو صاحب الشطحات الكثيرة انظر ترجمته: الأعلام (٦/٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٢) حديث صحيح تقدم تخريجه.

حيث ظهور المرأة عنه ـ شاهده في فاعل، وإذا شاهده (أو شهده) في (أو من) نفسه من غير استحضار صورة ما تكون عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة. **فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل. ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة** فلهذا أحب ﷺ **النساء لكمال شهود الحق فيهن**، إذاً لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً، **فشهود الحق في النساء أعظم** الشهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح وهو نظير التوجه الإلهي على من خلقه على صورته ليخلفه فيرى فيه نفسه فسواه وعدله ونفخ فيه من روحه الذي هو نفسه ـ إلى أن قال ـ فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حب إلهي[1]. فهذا الكلام من هذا الطاغوت الأكبر واضح ضلاله بين كفره لا يشك مؤمن في زندقته وارتداد معتقده، فلا يحتاج هذا الكلام إلى تعليق معلق ولا شرح شارح، إذ روح الشرك والحلول والاتحاد فيه نعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر الوسواس الخناس.

فهذه صورة من صور الحب الإلهي المزعوم عند هؤلاء الاتحاديين والحلوليين، وهم من أئمة التصوف وممن يُدافع عنهم في كل مجلس وديوان، ويؤول كلامهم ويُنَزّه مرامهم عن كل شرك وعصيان، ولكن لا حجة لمؤول، ولا دليل لمدافع إلا التعصب الأعمى لرجالات الطريقة المقدَّسين، إذ هم المنشؤون وهؤلاء التابعون بل بالأحرى ـ المقلدون المتعصبون ـ أعاذنا الله من كل شر ونسأله أن يعصمنا من كل زلل.

وليت الأمر اقتصر في مقامات المحبة عند القوم على ما ذكرنا بل إنهم زادوا الضلال ضلالاً والفساد والزندقة، وغلوا في ذلك فانتقلوا إلى مقام آخر لا يقل إثماً وزندقة عن سابقه بل ربما يزيد عليه ألا **وهو مقام العشق**: فقد قال فيه صاحبه مشارق أنوار القلوب[2] (فأما العشق فأول مقاماته الغرام، وهو الانتشار في خمر المحبة ثم الافتتان وهو خلع العذار

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي (٢١٦/١ ـ ٢١٨).
(٢) مشارق أنوار القلوب، ص٣٨.

وعدم المبالاة بالخلق، ثم الوَلَه وهو مقام الحيرة، ثم الدهش وهو الذهول ثم الفناء عن رؤية النفس، وهو أن يكون العاشق لا يسمع إلا بمحبوبه، ولا يبصر إلا به، ولا يدرك إلا به، وله ومنه فناء به عن نفسه وعن الأشياء). ويتكلم عن حده فيقول: (وأما حدُّ هذا المقام فقد عجز الناس عن حدّه كما عجزوا عن حدّ المحبة التي هي بعضه وموصلة إليه. ولهذا لما سئل بعض الحكماء عن حقيقة العشق قال: (دَقَّ عن الأفهام مسلكُه، وخَفي عن الإدراك موقُعه، وحارت العقول في كيفية تمكنه) وقال بعض العلماء: (حدُّ العشق امتزاجُ ظل الجمال بملكوتية الأوصال). وقال غيره: (العشق شدة الشوق إلى الاتحاد). ولا شك أن معناه اتحاد ذات المحبوب بذات المحب اتحاداً عقلياً يوجب غفلة المحب عن الشعور بجملته شغلاً عنها بشهود محبوبه في ذاته بذاته. وقال بعض المتقدمين: (العشق جنون إلهي)[(١)] ثم يبين أن العالم كله قائم على العشق فيقول: (ولا شك أن نسبة العشق هي أم جميع النِسَب العلوية والسفلية، ولولاها لم يكن في العالم حركة ولا متحرك ولا كامل ولا مكمل، فإن كل جوهر نوراني في العالم العلوي إما عاشق أو معشوق، فسرت من ذلك نسبة العشق في جميع الكائنات حتى في الأجسام الحجرية، فإنا نجد بعضها يجذب بعضاً بقوة عشقية خفية عن أذهان البشر، كما قيل (من الطويل):

فواعجباً للدهر لم يخل مهجة ... من العشق حتى الماء يعشقه الخمر[(٢)]

أما عن أهمية العشق وعظمته ودرجته عند الصوفية فاسمع ماذا يقولون فيه: قال ابن الدباغ: (اعلم أن العشق هو أقصى درجات المحبة ومجاوزة الحدّ فيها، وسائر مقامات المحبة كلها مندرجة فيه مثل الشوق والوجد والغرام والافتتان والدهش والفناء، لأنه مشتمل على جميعها، ولذلك قالوا: (كل عاشق محب، وليس كل محب عاشقاً)[(٣)].

---

(١) المرجع السابق، ص٩٦.
(٢) مشارق أنوار القلوب، ص٩٦، ٩٧.
(٣) المرجع السابق، ص٩٦.

ويقول أيضاً: (ومقام العشق أقصى مقامات الذهول والغيبة عن الحسّ والاتصال بالعالم الروحاني، فإذا وصل الإنسان إلى هذا الحدّ من الغيبة عن نفسه اطلع على أسرار الغيوب وأخبر بها معاينة لا على سبيل الحدس وغلبات الظنون، بل على الكشف والمشاهدة، إذ لا مانع للنفس من مشاهدة الغيب إلا الاشتغال بشغل الحواس وتصرفها في العالم الأسفل. ونحن نجد الحواس الظاهرة إذا حبست بالنوم شاهدت النفس الأمور الغيبية لتفرغها عن الشغل بما تورده عليها الحواس، فإنها حجب مانعة من الإدراك الغيبي على أن تفرغها عند النوم عارض، فما ظنك بفراغها إذا كان دائماً مستمراً فلا محالة يكون اطلاعها على الغيب أدوم وإخبارها عنه أصفى، وهذا تابع لصحة الاتصال بالعالم العلوي وهو يختلف، فإذا كان الاتصال بالأنوار القدسية كان الإخبار بالغيب الكلي، وإن كان الاتصال بالنفوس الجزئية كان الإخبار عن الغيب الجزئي، وهو غيب المحبوب لاتصال النفس، كما قيل (من الرمل):

روحه روحي وروحي روحه   إن يشأ شئت وإن شئت يشأ

واتصال النفسين هو اتحادهما حتى لا يكون بينهما فرق إلا بالجسم، والجسم زائد على ماهية النفس، والإنسانية تعقل في الذهن دون الجسم. والنفوس إذا صفت ورقت تشبهت بالملأ الأعلى وانقشعت فيها أمثلة الكائنات، واطلعت على المغيبات وأثرت في السفليات... وكلما أشرق عليها النور ازدادت صفاء حتى تصير كلها نوراً قدسياً، فينكشف لها عن جمال الحضرة العلية الإلهية، وترفع لها حجب الجلال عن سبحات الجمال فتعاين من جمال الحضرة الإلهية (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وكيف يطمع في فهم حقيقة ما لم يخطر على قلب بشر أو كيف يمكن العبارة عن ذلك؟ وعند ذلك يحصل لها من اللذة والسرور والابتهاج والحبور ما يشغلها عن النظر إلى ذاتها، فضلاً عن غيرها فتغني عن نفسها ثم تفنى عن رؤية فنائها فتصل بذلك بقائها السرمدي الذي هو البقاء بربها... فإذا تمت هذه الحالة التي تسمى الفناء وعدم عن النفس الميل إلى الخلق بالكلية وتجلى لها الحق بصفة جلاله وجماله وشهدته على

الحقيقة موصوفاً بالصفة التي تليق بكماله، فحينئذٍ يصح الوصول، وتكمل السعادة القصوى. فإذا شهد العارفون الحق على ما هو عليه بعدم ذواتهم من غير حجاب. إذاً الحجب إنما هي صفات الأجسام، وإلا فالحق ليس عليه حجاب في ذاته ولا يليق بجلاله، وإنما الحجب على الخلق من ذواتهم، فإذا ارتفعت عنهم الحجب المنوطة بهم المانعة لهم تجلت لهم جميع صور الموجودات فيرون العالم كله بالله، إذ رؤيتهم لله مشتملة على جميع المرئيات فيستدلون عليها به كما استدل غيرهم عليه بها...[1] الخ.

ما هنالك من كلام الإلحاد والاتحاد وغيره من الشرك الصريح الذي لا يحتمل التأويل. فتبين من هذا أن العشق هو آخر الفناء، وهو سبيل الوصول إلى الله تعالى بمشاهدته الحقيقية بجماله وكماله.. وكلام ابن الدباغ الذي نقلناه لا يحتمل التأويل أبداً. وهكذا كلام كثير من الصوفية، وإن كان في بعض كلامهم ما يحتمل التأويل ولكن الكثير منه لا يحتمله. ونجد كثيراً من يؤول كلامهم الموهم بتفلسفات وتُرّهات يتنزه عن تفسيرها الصغير. كل ذلك ليظهروا أنهم ـ أي الصوفية ـ لم يتكلموا بالشرك الصريح أو بغيره من المنكرات، وإنما لهم حالات خاصة يصلون فيها فيتكلمون بكلام لا يفهمه إلا الخواص. ولا شك أن هذا غير صحيح، كما أنه ليس صحيحاً ما يقوله بعضهم تأويلاً للكلام الذي ظاهره المشاهدة الحقيقية أنهم أرادوا بذلك اليقين، أو مرتبة الإحسان التي هي (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، لأن كلام كثير منهم مهما حاولنا تأويله فلا يمكن أن يؤول ولا أن يستساغ. وسنضرب على ذلك مثلاً بنقل بعض العبارات من أحد عظمائهم للتدليل على ما نقوله. فهذا الهجويري يقول: (وحينما يغمض المحب عينه عن الموجودات فإنه يرى الموجد بقلبه لا محالة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] (أي أبصار العيون عن الشهوات وأبصار القلوب عن المخلوقات)، فكل من ينيم بالمجاهدة عين الرأس عن

(١) مشارق أنوار القلوب، ص٩٦ ـ ٩٩، ١٠٠.

الشهوة فإنه لا محالة يرى الحق بعين السر (فمن كان أخلص مجاهدة، كان أصدق مشاهدة) (فمشاهدة الباطن مقرونة بمشاهدة الظاهر)[(١)].

ثم يقول كلاماً يشبه كلام ابن الدباغ: (فإرادتنا هي حجابنا الأعظم عن رؤية الحق تعالى، لأن وجود الإرادة في المحبة مخالفة والمخالفة حجاب، وإذا انقطعت الإرادة في الدنيا حصلت المشاهدة، وإذا أثبتت المشاهدة صارت الدنيا مثل العقبى)[(٢)] أي بالنسبة لرؤية الله تعالى. ويزيد القول وضوحاً فيقول: (فالمشاهدة في الدنيا تكون بالرؤية في العقبى، ولما كانت الرؤية بإجماع جميع الصحابة، تجوز في العقبى، فإن المشاهدة تجوز أيضاً في الدنيا)[(٣)]. فهل بعد هذا التصريح من تأويل؟ نسأل الله العصمة من الضلال والثبات على الهدى إنه جواد كريم.

فهذه هي عقيدة القوم بالله سكر به، وعشق له، واتحاد وحلول... الخ - والعياذ بالله -، فهم والله لا يقدرون الله حق قدره ولا يعظمونه حق تعظيمه، إذ لو كانوا كذلك لما اعتقدوا فيه ما اعتقدوه، ولا استعملوا لفظ العشق في حقه سبحانه وتعالى والذي هو متعلق بالوطء والشهوة الجنسية. وهذا المقام العظيم - العشق - عندهم له مرتبة عظيمة كما تقدم معنا في كلام ابن الدباغ فهو يعني: التجليات الغيبية سواء الجزئية منها أو الكلية وهذا لا يخفى فساده ولا كفر وضلال ممن يعتقده، لأن علم الغيب مما اختص به عزّ وجلّ وحده ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦] إلا أن القشيري - أحد كبارهم القدامى - نفى إطلاق العشق على الله عزّ وجلّ ومنعه[(٤)]. وما ذاك إلا لأنه من أهل الكلام، فلم يعتبره صفة لأنه معلوم

---

(١) كشف المحجوب، ص٥٧٦.
(٢) المرجع السابق، ص٥٧٧.
(٣) المرجع السابق، ص٥٧٨.
(٤) الرسالة القشيرية، ص١٤٥.

قول أهل الكلام بالصفات وإثباتهم العدد القليل منها، ومعلوم أن العشق ليس مما أثبتوه.

الرد على من يدّعي العشق في حق الله:

وعلى كلٍ فإطلاق العشق في حق الله انتقاص له عزّ وجلّ وضلال مبين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

وذهب طوائف من أهل العلم والدين إلى إنكار ذلك ـ أي العشق ـ في حق الله تعالى، ولا ريب أن هذا اللفظ ليس مأثوراً عن أئمة السلف. والذين أنكروه لهم من جهة اللفظ مأخذان ومن جهة المعنى مأخذان:

١ ـ **أما من جهة اللفظ**: فإن هذا اللفظ ليس مأثوراً عن السلف، وباب الأسماء والصفات يتبع فيها الألفاظ الشرعية فلا تطلق إلا ما يرد به الأثر.

٢ ـ **المأخذ الثاني**: إن المعروف من استعمال هذا اللفظ في اللغة إنما هو في محبة جنس النكاح مثل حب الإنسان الآدمي مثله ممن يستمتع به من امرأة أو صبي، فلا يكاد يستعمل هذا اللفظ في محبة الإنسان لولده وأقاربه ووطنه وماله ودينه وغير ذلك. لكن استعماله في محبة الله: إما أن يفهم أو يوهم المعنى الفاسد، وهو أن الله يُحِبّ ويُحَبّ كما تحب صور الآدميين التي نستمتع بمبارتها ووطئها، وكما تحب الحور العين التي في الجنة. وهذا المعنى من أعظم الكفر. وإن كان قد بلغ إلى هذا الكفر الاتحادية الذين يقولون: (إنه عين الموجودات) ويقولون: (ما نكح سوى نفسه، وهو الناكح والمنكوح. . .) ومن هؤلاء من يعشق الصور الجميلة ويزعم أنه تعالى يتجلى فيها، وأنه إنما يحب مظاهر جماله، فمن زعم أن الله يحب أو يعشق وأشار إلى هذا المعنى فهو أعظم كفراً من اليهود والنصارى.

أما المأخذ اللغوي: فهو أن العشق: هل هو فساد في الحب والإرادة أو فساد في الإرادة والمحبة؟ قيل: إن العشق هو الإفراط في الحب حتى يزيد على القصد الواجب، فإذا أفرط كان مذموماً فاسداً مفسداً للقلب

والجسم كما قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فمن صار مفرطاً صار مريضاً كالإفراط في الغضب والإفراط في الفرح وفي الحزن. . . وهذا الإفراط قد يكون في محبة الإنسان لصورته، وقد يكون في محبته لغير ذلك، كالإفراط في حب الأهل والمال، والإفراط في الأكل والشرب وسائر أحوال الإنسان وهذا المعنى ممتنع في حق الله من الجهتين. فإن الله تعالى لا يحب محبة زيادة على العدل. ومحبة عباده المؤمنين له ليس لها حدّ ينتهي إليه، حتى تكون الزيادة إفراطاً وإسرافاً ومجاوزة للقصد. وقيل إن العشق هو فساد الإدراك والتخيل والمعرفة، فإن العاشق يخيل إليه المعشوق على خلاف ما هو به، حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق، ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حدّ العشق، وإن حصل له محبة وعلاقة. ولهذا يقول الأطباء: العشق مرض وسواسي شبيه بالمالنخوليا، فيجعلونه من الأمراض الدماغية التي تفسد التخيل كما يفسده المالنخوليا. وإذا كان الأمر كذلك امتنع في حق الله تعالى من الجانبين، فإن الله بكل شيء عليم وهو سميع بصير مقدّس منزّه عن نقص أو خلل في سمعه وبصره وعلمه(١).

وكذلك فإن العشق مأخوذ من التغيرُ، كما يقال للشجرة عاشقة ولا يطلق ذلك على الله تعالى(٢). ورغم هذه المحاذير كلها من إطلاق العشق في حق الله فإننا نجد الصوفية تعظمه تعظيماً عجيباً ـ كما مر معنا بعض من الأقوال في ذلك ـ وتجعل أهله هم أهل الله وخاصته المقربين، وتحكي في ذلك القصص والحكايات الغريبة المشجعة على هذا المنكر العظيم وسأكتفي بكتابة حكاية واحدة عند القوم في هذا الباب لتكون مجرد مثل فقط وإلا فالحكايات عندهم لا تُعَدّ.

حكي أن ذا النون المصري دخل المسجد الحرام فرأى شاباً عرياناً

(١) انظر: جامع الرسائل (٢/٢٣٨ ـ ٢٤٤).

(٢) انظر: روضة المحبين، ص٢٨، ٢٩.

مطروحاً مريضاً تحت إسطوانة ـ أي عمود ـ وله أنين من قلب حزين قال: فدنوت منه وسلّمت عليه وقلت: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا غريب عاشق فعلمت عما يقول، قلت: وأنا مثلك، فبكى وبكيت أنا لبكائه، قال: أتبكي أنت؟ فقلت: أنا مثلك، فبكى بأعلى صوته، وصاح صيحة عظيمة عالية، فخرجت روحه من ساعته فطرحت عليه ثوبي، وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريته ورجعت إليه فلم أجده مكانه، فقلت: سبحان الله، فسمعت هاتفاً يقول: يا ذا النون إن هذا الغريب طلبه الشيطان في الدنيا فما وجده، وطلبه مالك فلم يره، وطلبه رضوان في الجنة فما وجده. قلت: فأين هو؟ قال: فسمعت هاتفاً يقول: في مقعد صدق عند مليك مقتدر بسبب محبته وكثرة طاعته وتعجيل توبته[1].

فانظر كيف يجعلون من التعرّي الوقح في أقدس البقاع ـ بحجة العشق لله ـ قمة وذروة في المحبة لنيل أقصى الدرجات العلى؟ ولا يخجلون من الله رب السموات، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

هذا باختصار هو مفهوم محبة الله عند الصوفية، فهل لمثل من يعتقد هذه التُرهات في الله عزّ وجلّ ولا يقدره حق قدره ولا ينزهه عن الشبيه والمثيل والشريك... الخ هل له محبة؟! لا وألف لا.

(١) مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب للغزالي، ص٤٢، ٤٣.

المبحث الثاني

حقيقة محبة رسول الله ﷺ عند الصوفية

تقدم معنا أن محبة رسول الله ﷺ من لوازم شهادة (أن محمداً رسول الله) وهذه تقتضي طاعته ﷺ فيما أمر واجتناب ما عنه نهى وزجر، وتصديقه فيما أخبر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع الله وما جاء على لسانه ﷺ، لا بالأهواء والبدع. قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وقال أيضاً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. وقال أيضاً: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[(١)]. وقال أيضاً: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[(٢)].

هذا هو الاعتقاد السليم والمنهج السديد في محبته ﷺ، ولا شك أن من حاد عنه واتبع هواه فهو من أهل البدع والزيغ. وهذه البدع إما أن تكون

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

مكفِّرة أو مفسِّقة نسأل الله السلامة. وإذا نظرنا إلى حال الصوفية مع رسول الله ﷺ وجدناها حال غلو فيه ﷺ إلا من رحم ربي، وذلك أنهم يدّعون محبته ﷺ ويفعلون البدع والمنكرات التي يخرج كثير منها عن ملة الإسلام وهم يزعمون أنهم يتقربون بها إلى الله سبحانه.

وسوف نعرض في هذا المبحث المتواضع بعض النقاط التي يتمثل فيها غلوهم في رسول الله ﷺ وهي عندهم قمة المحبة له وأكبر الأدلة عليها.

١ - **الحقيقة المحمدية**: ذهب كثير من أئمة الصوفية إلى القول والاعتقاد بهذه الحقيقة المحمدية، كابن عربي والجيلي وغيرهما.

وحقيقتها عندهم: أن محمداً ﷺ هو أول الموجودات، وأن حقيقته هي التي استوت على العرش الإلهي، وأن الله تعالى خلق من نور هذه الذات الخلق جميعاً بعد ذلك، فالملائكة والسموات والأرض كل ذلك قد خلق من نور الذات الأولى. وهي الذات المحمدية.

قال شارح فصوص الحكم لابن عربي(١): (إن محمداً - ﷺ - هو أول التعينات التي هي عين به الذات الأحدية قبل كل تعين، فظهر به ما لا نهاية من التعينات فهو يشمل جميع التعينات، فهو واحد فرد في الوجود لا نظير له. إذ لا يتعين من يساويه في المرتبة، وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت، فله الفردية المطلقة، ومن هذا يعلم أن الاسم الأعظم لا يكون إلا له دون غيره من الأنبياء ومن فرديته يعلم سر قوله: **«كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»**(٢)

---

(١) هو: القاشاني، عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد بن أبي الغنائم محمد الكاشي أو الكاشاني أو القاشاني، من علماء الصوفية ومفسريهم، له كتب عديدة منها، كشف الوجوه، العز في شرح تائية ابن الفارض، واصطلاحات الصوفية، وشرح منازل السائرين، وشرح فصوص الحكم وغير ذلك. توفي سنة (٧٣٠هـ). انظر ترجمته: كشف الظنون، ص٢٦٦ - ٣٣٦، والأعلام (٣/٣٥٠).

(٢) حديث صحيح بلفظ **«كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»** انظر صحيح الجامع (١٨٧/٤) حديث (٤٤٥٧) وأما الحديث باللفظ الذي أشار إليه القاشاني فظاهره الوضع لمخالفته للحديث الصحيح الذي نقلته وقد بيّن أنه حديث موضوع أكثر من=

كونه خاتم النبيين وأول الأولين يعلم سرّ الآخرين، ومن أوليته وجمعيته سرّ قوله: «**أوتيت جوامع الكلم**»[1]، وكونه أفضل الأنبياء فإنهم في التصاعد وسعة الاستعداد والمرتبة ينتهون إلى التعين الأول ولا يبلغونه والتعين الأول هو محمد الذي يرجع إليه جميع التعينات، فهو البرزخ بين الذات والأحدية وبين سائر الموجودات..)[2]. يقول الشيخ عبدالرحمن بن عبد الخالق حفظه الله[3]: معنى أول التعينات: أي أول موجود مُعَيّن له ذات وجسم، وقبله لم يكن هناك أي ذات لا عرش ولا كرسي ولا سموات ولا أرض. وقول شارح الفصول: (وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت... الخ) يعني أنه ليس فوق مرتبة الرسول ﷺ ـ شيء إلا الذات الإلهية التي لا توصف بأي صفة بتاتاً، لأن ذات الله عنده مطلقة عن كل قيد، ـ في زعمه ـ منزهة عن أن تكون ذات معينة محدودة، مثلاً كأن يكون لله وجه أو يد أو ساق أو أنه استوى على العرش، أو يأتي يوم القيامة.. لأن الذات الإلهية في العقيدة الصوفية هي المطلقة عن كل هذه القيود لأنها كل الموجودات. ويشرح ابن عربي نفسه عقيدته هذه بقوله: (بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي)[4].

= واحد من العلماء فقد ذكره السيوطي في الموضوعات. انظر: ذيل الأحاديث الموضوعة، ص٢٠٣، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على البكري،ص٩ (لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن معناه باطل لأن آدم لم يكن بين الماء والطين قط). وقد بيّن العلامة الألباني أيضاً أنه حديث موضوع في ضعيف الجامع (٣١٦/١) حديث (٣٠٢).

(١) هذا طرف من حديث رواه البخاري في صحيحه.

(٢) شرح القاشاني على فصوص الحكم، ص٢٦٦، ٢٦٧، بواسطة الفكر الصوفي، ص١٠٧.

(٣) في كتابه الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص١٠٨.

(٤) الفتوحات المكية لابن عربي (١٥٢/١) بواسطة الفكر الصوفي، ص١٠٨.

ويقول **عبدالكريم الجيلي**[1]: (الباب الثامن والخمسون في الصورة المحمدية وأنها النور الذي خلق الله منه الجنة والجحيم والمحتد الذي وجد منه العذاب والنعيم) ثم يقول: (اعلم وفقك الله لمعرفته وجعلك من أهل قربته: أن الله خلق الصورة المحمدية من نور اسمه البديع القادر، ونظر إليه باسمه المنّان القاهر، ثم تجلّى عليها باسمه اللطيف الغافر، فعند ذلك تصدّعت لهذا التجلي صدعين، فصارت كأنها صارت نصفين، فخلق الله الجنة من نصفها المقابل لليمين وجعلها دار السعادة للمنعمين، ثم خلق النار من نصفها المقابل للشمال وجعلها دار الأشقياء أهل الضلال)[2]. يقول العلامة الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله بعد أن سرد بعض أقوالهم في الحقيقة المحمدية نجمل ما قدمناه فيما يلي فنقول: **معتقد المتصوفة في النبيّ ﷺ على ثلاث درجات:**

١ - **من يقول: بوحدة الوجود** وأن الله هو ذات الموجودات فيجعلون الرسول ﷺ هو المخلوق الأول، ومنه صدرت الموجودات جميعاً، وهو الإله المستوي على العرش. وهذا هو معتقد ابن عربي ومن على شاكلته.

٢ - **من يقول: إن نور الرسول هو أول موجود فعلاً**، ومنه انقشعت الأنوار وخلق الخلق جميعاً. لكن لا يقولون بأن ذات الرسول مستوية على العرش.

٣ - **من يقول: بأن نور الرسول ﷺ أول موجود وهو أكرم الخلق**، ومن أجله خلق الله الكون جميعاً دون أن يصرِّحوا بأن العوالم قد خلقت من نوره، وإنما يقولون خلقت لأجله[3].

---

(١) الجيلي: هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم الجيلي بن سبط الشيخ عبدالقادر الجيلاني، من علماء الصوفية وأصحاب الاتحاد ووحدة الوجود. له كتب كثيرة أشهرها الإنسان الكامل، والمناظر الإلهية، وشرح مشكلات الفتوحات المكية وغيرها، توفي سنة (٨٠٥هـ) انظر ترجمته الأعلام (٤/٥٠ ـ ٥١).

(٢) الإنسان الكامل للجيلي، ص٤٦، ٤٧، وهذا الكتاب كله كفر وضلال وإلحاد.

(٣) الفكر الصوفي، ص١١٦.

فهذه هي الحقيقة المحمدية عند الصوفية، وقد خصصتها بالذكر ههنا ليظهر مدى الغلو الذي يكمن في نفوسهم، والذي جعلهم يرفعونه ﷺ إلى مقام الألوهية، ولا يخفى ما في كلامهم واعتقادهم الذي تكلمنا عنه من ضلال بعيد بأنواعهم الثلاثة. والأمران الأولان كفرهما يغني عن الرد عليهما إذ إن الرسول ﷺ بشر مثلنا ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] ويكفي في رده قول الرسول ﷺ - الصادق المصدوق - «**أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء**»[1] وقوله ﷺ في الحديث الذي في الصحيح: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء**»[2].

ويكفي أيضاً في الرد على النوع الثالث قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

ب - استغاثتهم وتوسلهم به ﷺ وادعاؤهم أنه يعلم الغيب: إن هذه الأمور مشهورة جداً عند الصوفية قديماً وحديثاً، ولا تحتاج لتدليل إذ عمدة أذكارهم في نومهم وقيامهم الاستغاثة به ﷺ ويعتبرون ذلك أقرب القربات إلى الله تعالى، لأنه ﷺ الجاه العظيم عند ربه، وأنه حي في قبره ويعلم الغيب - كما يزعمون -، ونجد ذلك في كتبهم وأقوالهم وأشعارهم. وأعظم قصيدة اشتهرت على ألسنة المتصوفة - وهي من عيون الشعر الصوفي - قصيدة البردة والتي جاء فيها:

يا أكرمَ الخلق ما لي من ألوذُ به ... سواكَ عند حُلول الحادث العَممِ
ولن يضيقَ رسولَ اللهِ جاهُك بي ... إذا الكريمُ تحلّى باسمِ مُنتقمِ

وفيها:

(١) حديث صحيح رواه ابن أبي عاصم في السنّة (١/٥٠) حديث (١٠٨) وعبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة (٢/٣٩٣).

(٢) رواه البخاري ك التوحيد باب (وكان عرشه على الماء) (١٣/٤٠٣) حديث (٧٤١٨).

فإن من جُودك الدنيا وضرَّتَها ومن علومك علمُ اللّوح والقَلمِ[1]

فهل بعد هذا الشرك من شرك وهل بعد هذا الضلال من ضلال؟ إنه والله لعين الإشراك بالله حيث نسب الملك لغير الله تعالى وادعى بأنه ﷺ يصرِّف الدنيا والآخرة، وأنه علام الغيوب، وأن من علمه علم اللوح والقلم، والذي هو مما اختص الله به. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. إنه ﷺ لا يملك من الأمر شيئاً. بل الأمر كله لله قال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن: ٢١ ـ ٢٣] وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦﴾ [المائدة: ٧٦] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾ [الزمر: ٨]. وقال أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

لقد كان مشركو العرب يدعون غير الله في الرخاء وعند المصائب يتوجهون إلى الله تعالى منيبين إليه، وأما هؤلاء ففي الشدة والرخاء يدعون غير الله ويعبدونه كقول بعضهم[2] مستغيثاً برسول الله ﷺ ومخاطباً له:

وحُلَّ عُقدَة كَربي يا محمدُ من هم على خَطَرات القلب مطرّدِ
أرجوك في سَكَرات الموت تَشهدُني كيما يهونَ إذا الأنفاس في صُعُدِ
وإن نزلتُ ضريحاً لا أنيسَ به فكنْ أنيسَ وحيدٍ فيه منفردِ

(١) ديوان البوصيري، ص٢٣٨.

(٢) هو عبدالرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني، شاعر صوفي من سكان (النيابتين) في اليمن أفتى ودرّس، له ديوان شعر أكثره في المدائح النبويّة، نسبته إلى (بُرَع) (كعمر) وهو جبل بتهامة، توفي سنة (٨٠٣هـ ـ ١٤٠٠م). انظر ترجمته: الأعلام (٣٤٣/٣).

وارحم مؤلفَها عبدَ الرحيم ومَنْ ... يليه من أجله وأنْعشه وافتقدِ
وإن دعا فأجِبْه واحمِ جانبَه ... من حاسدٍ شامتٍ أو ظالمٍ نَكِدِ

وقال أيضاً:

يا رسول الله يا ذا الفضل يا ... بُهْجَةً في الحشرِ جاهاً ومقاما
عُذْ على عبد الرحيم المرتجي ... بحمى عِزّكَ يا غوثَ اليتامى
وأَقِلْني عثرَتي يا سيّدي ... في اكتسابِ الذّنب في خمسينَ عاما

ويقول أيضاً:

واسمِعْ دعائي واكشفْ ما يساورني ... من الخُطوب ونَفّسْ كلَّ أحزاني
فأنت أقربُ مَنْ تُرجى عواطِفُه ... عندي وإن بَعُدت داري وأوطاني
إني دعوتُك من (نيابتي برع) ... وأنت أسمعُ مَنْ يدعوه ذو شانِ
فامنعْ جنابي وأكرمني وصِلْ نسبي ... برحمةٍ وكراماتٍ وغُفرانِ

هذا والله هو الذي ادعته النصارى في عيسى ابن مريم، إلا أن أولئك أطلقوا عليه اسم الإله، وهذا الضال لم يطلقه ولكن أتى بباب دعواهم وخلاصتها وترك الاسم(١).

هذه بعض الصور من الغلو في حق النبيّ ﷺ التي وقع فيها كثير من الصوفية وما الذي ذكرنا سوى مثال على ذلك وهو عين الشرك الأكبر والعياذ بالله تعالى.

جـ ـ شدهم الرحال إلى قبره الشريف بدعوى أن ذلك من أقرب القربات إلى الله: يزعم الصوفيون كلهم ـ إلا من رحم ربي ـ أن شدّ الرحال إلى قبر رسول الله ﷺ من أعظم الأدلة على محبته، ومن أقرب القربات التي يتقربون بها إلى الله تعالى.

ولا شك أن هذا الفعل من البدع والمنكرات التي خالفوا فيها

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص٢٢٤، ٢٢٥.

رسول الله ﷺ في قوله ناهياً عن شدّ الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة: «**لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**» متفق عليه[(١)]. وكما في الموطأ والسنن عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري[(٢)] أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه وقد أقبل من الطور: لو أدركتُك قبل أن تخرج إليه لَمَا خرجتَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تُعمَل المُطيُّ إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[(٣)].

ففي هذا الحديث الجليل النهي الصريح عن شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، المسجد الحرام والمسجد النبويّ والمسجد الأقصى للعبادة فيها، فمن خالف هذا النهي عن غير اجتهاد بل عن علم وإصرار وأجاز شدّ الرحال إلى غير هذه المساجد كشدها إلى زيارة قبره ﷺ لا إلى زيارة مسجده للصلاة فيه، وادعى أن عمله هذا مشروع لا بل من أقرب القربات، لا شك أن من تكون حاله هكذا فإنه مخالف لرسول الله ﷺ عاصي له، غير صادق في محبته إذ كيف يعصيه ـ بل يتعمّد مخالفته ـ وهو موقن من نهيه ﷺ عن هذا الفعل، وليت الأمر يقتصر على الزيارة فقط ولا يكون فيها من الشركيات والطامات التي لا يعلمها إلا الله، كمن يشدّ الرحال لأجل أن يكشف ﷺ عنه كربه، أو يفرج همه وغمه، أو يعيد أسيره وضائعه، أو يشفي مريضه... الخ. ما هنالك مما هو عين الشرك بالله، فيكون من كان كذلك قد جمع بين معصيته ومخالفته ﷺ وبين الشرك به مع الله. نسأل الله العافية. فهل يصح أن يقال لمن منع شدّ الرحال إلى

---

(١) البخاري ك فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب مسجد بيت المقدس (٧٠/٣) حديث (١١٩٧)، ومسلم ك الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (٧٥/٢ ـ ٧٦) حديث (٤١٧).

(٢) هو بصرة بن أبي بصرة الغفاري، له ولأبيه صحبة معدود فيمن نزل مصر، أخرج مالك وأصحاب السنن حديثه، وإسناده صحيح انظر ترجمته الإصابة (١٦٧/١).

(٣) رواه مالك ك الجمعة باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة (١٠٨/١ ـ ١٠٩) حديث (١٦) وأحمد (٧/٦).

قبره ﷺ أنه يكره رسول الله ﷺ؟ أو أنه لا يعظم حرمته؟! كما هي اتهامات الخرافيين للمحبين الصادقين لرسول الله ﷺ المتبعين أمره والمحاربين للبدع التي تخالف سنته؟![1].

إن مما لا شك فيه أنه لمن أكبر التلبيس على الناس أن يدّعي المدعون أن شد الرحال لقبره الشريف ﷺ هو من شدة حبهم لرسول الله ﷺ. والحقيقة أن ذلك هو من غلوهم فيه ومن مخالفاتهم له ﷺ وقد قال ﷺ محذراً من الغلو فيه: **«لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»**[2].

ولا شك أن مخالفة الأمر لا تدل على المحبة، بل تدل على عكس ذلك، لأن المحب لمن يحب مطيع. كما أنه ﷺ نهانا عن الغلو بشتى صوره لأن عاقبته وخيمة فهو سبب هلاك من كان قبلنا فقد قال ﷺ: **«إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»**[3].

ولا شك أن الضلال الذي أصاب الأمم التي قبلنا كان في الشرك الناتج عن الغلو حيث جعلوا لله أنداداً وأبناء. لذا لعنهم الله على لسان نبيّه ﷺ، فقد قال عليه الصلاة والسلام محذراً أمته من التشبه بهم فيما روته عنه زوجته عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً[4]. فهذا

(١) راجع: مبحث الغلو في رسول الله ﷺ في الباب الأول، فقد تكلمت عن هذا الموضوع بما فيه الكفاية وبما لا داعي لتكراره ههنا.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أحمد (١/٢١٥ و٣٤٧)، والنسائي ك مناسك الحج باب التقاط الحصى (٥/٢٦٨) حديث (٣٠٥٧)، وابن ماجه ك المناسك باب قدر حصى الرمي (٢/١٠٠٨) حديث (٣٠٣١).

(٤) رواه البخاري ك الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (٢/٢٠٠) حديث (١٣٣٠)، ومسلم ك المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/٣٧٦ ـ ٣٧٧) حديث (٢٠ و٢١).

الغلو الذي أدى إلى هلاك الأمم السابقة إنما كان سببه اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد إلى غير ذلك من صور البدع الشركية.

فعلم من ذلك أن محبته ﷺ تكون بمتابعته حق المتابعة وعدم الابتداع في دينه، لأنه لو كان الغلو هو الدليل على محبته لكان أحق الناس بالحب اليهود والنصارى، لأنهم جعلوا أنبيائهم آلهة من دون الله، كما فعل بعض من لا خلاق لهم ممن ينتسب إلى الإسلام، ولا فرق بين الاثنين إلا بكون الأول أصله نصرانياً، أو يهودياً والآخر ينتسب إلى الإسلام. إذ الكل يجتمعون على المحبة والتعظيم لأنبيائهم وعلى جعلهم آلهة من دون الله، فاجتمع الشرك ـ والعياذ بالله ـ في الجميع، والتسميات لا تسمن ولا تغني من جوع. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (ومن أعظم مكايد الشيطان التي كاد بها أكثر الناس والتي لم ينج منها إلا من لم يرد الله فتنته، ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من فتنة بالقبور، حتى آل الأمر إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل، ثم جعلت أصناماً، وعبدت مع الله تعالى)[1].

لذلك على المسلم أن يعلم أن (من الأمور التي يجب التنبه عليها أن من مكايد الغلاة التي كادوا بها العوام أنهم يقولون: إن الاستغاثة بالأموات ونداءهم في المهمات وشدّ الرحال لزيارة قبورهم وتقديم قرابينهم إليها ونذورهم.. هو من علامات محبتهم والتقرب بقربتهم، ومن أنكر ذلك وأبى ما هنالك ونهى عن آخرتها وإيقاد السرج عليها وبناء المساجد عليها وقصد أهلها في طلب الحاجات والالتجاء إليها في المهمات، فهو من المبغضين الضالين والمنكرين لكرامات الأولياء والصديقين، إلى غير ذلك من أقوالهم المناسبة لضلالهم، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، فإن من أنكر مثل تلك البدع والضلالات هم المحبون لهم، والمحافظون على هديهم وطريقتهم، وأما هؤلاء الغلاة وأعداء الهداة فقد أفسدوا الدين، وسدوا طريق الموحدين، يعرف ذلك من وقف على أحوالهم)[2].

(١) رسالة في أمراض القلوب لابن القيم، ص١٨٢، ١٨٣.
(٢) راجع: غاية الأماني في الرد على النبهاني للألوسي (٣٧/١).

وقال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأهل البدع والجهل يفعلون ما هو من جنس الأذى لله ورسوله، ويدعون ما أمر الله به من حقوقه، وهم يظنون أنهم يعظمونه، كما تفعل النصارى بالمسيح فيضلهم الشيطان كما أضل النصارى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، والذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويحجون إليها ليدعوهم ويسألوهم، أو ليعبدوهم ويدعوهم من دون الله، هم مشركون، وهم إذا قالوا نحن نحبهم فهم إن كانوا صادقين فهم يحبونهم مع الله، لا يحبونهم لله كمحبة أهل الشرك للأنداد قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. والحب لله أن يكون الله هو المحبوب لذاته، ويحب أنبياءه لأنه يحبهم وعلامة محبتهم متابعتهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فمن اتبع الرسول الذي يحبه الله فهو الذي يحبه الله وأما من قال: إنه يحبه ـ وإن غلا فيه وأشرك به ـ إذا لم يتبعه فإن الله لا يحبه، بل إذا خالفه أبغضه بحسب ذلك ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف: ١٩] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾)[1] [فصلت: ٤٦].

ولا يستلزم كوننا نمنع الزيارات البدعية ـ شدّ الرحال وما شابهها ـ أننا بذلك ننتقص من قدر الرسول ﷺ أو من قدر صاحب القبر ـ نعوذ بالله من ذلك ـ بل إننا من حبنا لرسول الله ﷺ وللصالحين نمنع ذلك كما منع هو ﷺ من شدّ الرحال لئلا يُشرك بهم، أو يُغالى بهم فيضل بذلك من يفعل ذلك. وقد نبه إلى هذه المسألة الإمام ابن تيمية فقال: (فإذا تكلم العلماء في الصلاة على النبيّ ﷺ، هل هي واجبة في الصلاة أو غير واجبة في الصلاة ـ كقول الجمهور ـ، لم يقل أحد إن من لم يوجبها فقد تنقّص الرسول ﷺ أو سبّه أو عاداه، والذين لم يوجبوها في الصلاة منهم من أوجبها خارج الصلاة، ومنهم من لم يوجبها بحال)[2].

---

(١) الرد على الأخنائي، ص٥٢، ٥٣.

(٢) الرد على الأخنائي، ص٦٧.

قلت: فكيف يُعَدُّ من وافق حديث رسول الله ﷺ بمنع شدّ الرحال لغير المساجد الثلاثة منتقصاً له أو مبغضاً أو غير محب له؟ وكيف يكون المخالف لرسول الله ﷺ أشد حباً له ﷺ من ذاك الموافق المطيع؟ إن هذا لشيء عجاب.

هذا وقد ابتلى الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بلاءً حسناً من أجل هذه المسألة، حيث عاداه أهل البدع في زمانه وألبوا عليه الحُكّام، ولكنه صبر واحتسب فنصره الله على الباطل، وكان له الباع الطويل في الرد عليهم. جزاه الله خيراً. وكان ممن عاداه تقي الدين السبكي الذي صنف كتاباً سماه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) جمع فيه الواهيات والمنكرات والأحاديث الضعيفة والموضوعة ليستدل بذلك على مذهبه الفاسد في شدّ الرحال، ولم يكتف بذلك، بل عقد فصلاً أجاز فيه التوسل والاستغاثة والاستعانة برسول الله ﷺ بعد موته. ويشاء الله الحكيم القدير أن يظل منبر الحق عالياً، وصوته مرتفعاً، فقيّض سبحانه حافظاً من تلاميذ الإمام ابن تيمية رحمه الله فرد على السبكي رداً جميلاً بكتابه الفذّ (الصارم المنكي في الردّ على السبكي) فقطع به دابر ضلالاته وبيّن افتراءاته على شيخ الإسلام وردّ الحق إلى نصابه، ودافع عن الإمام المظلوم شيخه شيخ الإسلام رحمهما الله، فجاء كتاباً حافلاً من حافظ صغير مات دون الأربعين من عمره، ألا وهو الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي رحمه الله.

د ـ احتفالهم بمولده ﷺ وإنشاد الأناشيد المحظورة التي فيها مع آلات اللهو والطرب والرقص: ومن المظاهر التي يزعم الصوفية إنها من علامات محبة الرسول ﷺ احتفالهم وإقامتهم الموالد للرسول ﷺ وإنشادهم الأناشيد والتواشيح المادحة له، والتي فيها من الاستغاثة به ودعاؤه والغلو به ما لا يعلمه إلا الله تعالى، هذا بالإضافة إلى آلات اللهو والطرب التي تعزف وإلى صفوف (المريدين) من الصوفية التي ترقص وتتأرجح يميناً وشمالاً سكراً ووجداً. إذ إن إقامة الموالد عندهم تعني شيئاً عظيماً جداً، لأنها تكون ـ عادة ـ في اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، فلا بدّ للتعبير عن الفرح بهذا اليوم بإقامة الموالد ـ كما يزعمون ـ، فمن لم يحتفل بذلك أو لم يقم

مولداً أو لم يحضره فلا يعد فرحاً بهذا اليوم الذي أشرق فيه نوره ﷺ على وجه الأرض، وبالتالي فهو لا يحب رسول الله ﷺ ـ كما يدعي القوم ـ. ونحن نقول لهم هل محبته ﷺ والفرح بقدومه إلى الدنيا يكون بشرع شيء لم يشرعه ﷺ، ولم يعمله أصحابه الكرام، ولا التابعون لهم بإحسان، ولا من جاء من بعدهم من المؤمنين على مدى ستة قرون، حتى جاء الباطنيون والخرافيون فابتدعوا هذه البدعة متشبهين في ذلك بالنصارى الذين كانوا يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام، فهل التشبه بالنصارى وأعداء الله، وهل الابتداع في دين رسول الله يُعَدّ من محبته ﷺ؟ لا وألف لا، إن إقامة الموالد والاحتفال بها أمر محدث لم يكن على عهد رسول الله ولا على عهد خيرة هذه الأمة، وقد شرعه القوم متقربين به إلى الله ـ بزعمهم ـ، ومعلوم أن الدين لا يؤخذ بالعقل وأن الوحي قد انقطع بوفاة الرسول ﷺ، ومعلوم أيضاً أن الرسول ﷺ قد بلّغ رسالة ربه على أتم وجه، فكل ما جاء بخلاف ما بلّغه ﷺ من هذا الدين، وكل ما زيد مما يتقرب به إلى الله، وزُعِمَ أنه مشروع فلا شك في بدعيّته، لأن رسول الله ﷺ يقول: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(١)]، وهو إضافة إلى ذلك اعتداء على الله بتشريع شيء لم يشرعه عزّ وجلّ، لأن التشريع من حقه عزّ وجلّ وحده قال سبحانه وتعالى محذراً من ذلك: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١]، فما لم يكن على عهد رسول الله وصحابته ديناً فلن يكون اليوم ديناً، ـ كما قال الإمام مالك رحمه الله ـ والمرء يعجب كيف يجترىء هؤلاء المبتدعون والمجيزون للموالد وغيرها، على أن يشرّعوا عبادة يتقربون بها إلى الله ويدّعون أنها قربة عظمى أو بدعة حسنة ونبيّ الرحمة ﷺ يقول: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»[(٢)]. نعوذ بالله من غضبه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

ومن العجيب أن يلتمس بعض العلماء المشهورين بالعلم والتآليف لبدعة المولد أصلاً من الدين كقولهم: إن أبا لهب يُخفَف عنه العذاب في يوم مولده رسول الله ﷺ مستندين على رؤيا له لا تثبت، وبقولهم: إن اليهود كانت تصوم يوم عاشوراء لأن الله نجا فيه موسى عليه السلام وأغرق فرعون وجنده، لذا صامه النبيّ ﷺ، وأنه ﷺ كان يصوم الاثنين لأنه ولد فيه فهو يفرح لذلك... الخ ما هناك من الحجج الواهية[1]. وكل هذه الأوهام وغيرها - والتي هي عند القوم أدلة وبراهين لا جدال فيها - لا دليل فيها البتة على جواز الموالد بحال من الأموال لعدة أمور:

١ - أن النبيّ ﷺ أمر المسلمين بصيام عاشوراء وصيام يوم قبله أو يوم بعده مخالفة لليهود، كما ورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢ - أن النبيّ ﷺ صام يوم الاثنين ولكنه لم يحتفل بمولده، فهل هؤلاء يصومون يوم الاثنين مقتدين به ﷺ؟ وهل تركوا الاحتفال بمولده لأنه لم يحتفل به؟ الجواب لا.

٣ - أن قصة رؤيا أبي جهل وأنه يخفف عنه العذاب يوم الاثنين، لأنه يوم مولد الرسول ﷺ هذه القصة واهية غير صحيحة، وعلى فرض صحتها فإن الدين لا يؤخذ بالمنامات والأحلام، بل بما قال الله وقال رسوله، وما كان عليه صحابته رضي الله عنهم.

٤ - أن العبادة لا تقاس على غيرها، إذاً الأصل فيها الحظر والمنع ما لم يرد دليل عليها.

٥ - أن تخصيص يوم لعبادة معينة يحتاج لدليل ثابت، وإلا فهو مردود على صاحبه.

٦ - أن الاحتفال بالمولد لو كان مستحباً أو واجباً - كما يزعم هؤلاء - أو حتى مباحاً لما تركه أصدق المحبين وأفضل الأمة صحابة

---

(١) كما زعم ذلك السيوطي في حسن المقصد في عمل المولد، ص٥٥، وما بعدها وغيره من المتقدمين والمتأخرين من الصوفية والذين لا يبلغهم الحصر.

رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان حتى يأتي الفاطميون ـ أفراخ اليهود ـ ليعلّموا الناس هذه القربة ـ بزعمهم ـ إذ لو كان خيراً لسبقنا السلف إليه.

٧ ـ أن الذين يحتفلون بمولده ﷺ متناقضون في واقع أمرهم، إذ لو كانوا بحق يحبون رسول الله لما احتفلوا بهذا اليوم (الثاني عشر من ربيع الأول) وهو اليوم الذي توفي فيه ﷺ أيضاً، فلماذا يفرحون بمولده ولا يحزنون على وفاته؟ وأيهما أشق وأصعب، فراقه ﷺ لأمته أم قدومه عليهم؟ لذلك كان وفاته ﷺ صدمة كبرى ومصيبة عظمى على أحبابه الكرام ألا وهم الصحابة رضي الله عنهم، الذين كان أحدهم إذا نزلت به أو بأخيه مصيبة صعبة يقول: من نزلت به مصيبة فشقت عليه فليتذكر مصيبته بموت رسول الله ﷺ. وإنها والله لأكبر مصيبة نزلت على الأحباب الكرام الذين فارقهم حبيبهم ورسولهم ﷺ، فحصل لهم ما حصل من الحزن والهمّ والغمّ. فلماذا لا يتذكر الصوفيون وفاته، وهي أعظم مصيبة بل يتذكرون مولده ويحتفلون به؟ أليس هذا من العجب العجاب؟.

٨ ـ أنا لو أردنا أن نحتفل بمثل غرق فرعون ـ كما يقول هؤلاء ـ لكان يجب علينا أن نحتفل بموت أبي جهل وأبي لهب ومسيلمة وسقوط عرش كسرى وقيصر، وفتح القسطنطينية والمناسبات السعيدة التي لا تنتهي، إذ في كل يوم تظهر مناسبة تاريخية نحتفل بها فيصبح ديننا وأيامنا احتفالات ومهرجانات وأكل وشرب... وو... بدون تطبيق واتباع. وهو ما يحصل اليوم في كثير من بلادنا الإسلامية، فهناك احتفال بالمولد ثم بالهجرة ثم ببدر ثم بأُحد ثم بخيبر ثم بفتح مكة وبالإسراء والمعراج وبموالد الأولياء والأقطاب والأوتاد ـ بزعمهم ـ كالبدوي والجيلاني والدسوقي والتيجاني... إلى آخر الأسماء المحفوظة في صدور القوم، فأصبح الدين ألعوبة في أيدي العابثين يشرّعون ما شاؤوا ويعبدن الله كما شاؤوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهناك من الناس من جعل للمولد أصلاً وخرّجه على أصل مشروع وهو أن النبيّ ﷺ عقّ عن نفسه بعد ما بعث. وهذا الحديث لا يثبت[1] وحتى لو ثبت فلا حجة فيه لأن العقيقة مشروعة ومستحبة، وهل معنى ذلك أنه يحتفل بمولد كل مولود كما يفعل ذلك النصارى واليهود الآن ومن تشبه بهم من المسلمين.

٩ - ثم إن الاحتفال بالمولد من التشبه بالنصارى، حيث إنهم يحتفلون بكنائسهم بميلاد عيسى عليه السلام، وقد ذكر غير واحد أن الاحتفال بالمولد إنما أخذ عنهم. ويكفي في الرد على ذلك قوله ﷺ: «**من تشبّه بقوم فهو منهم**»[2] فلا حاجة لديننا أن نأخذه عن هؤلاء النصارى الضالين بنص الكتاب المبين. ومما يزيد الطين بَلاًّ أن هذه الموالد لا يكون أكثرها خالياً من المنكرات الأخرى، ففيها الضرب على الدفوف، وقراءة الأناشيد والتواشيح الشركية والبدعية وكذا التغني بها، كما أن فيها الرقص الصوفي - وغير الصوفي - وربما يكون فيها من اختلاط الرجال بالنساء وإطفاء الأنوار على ذلك. . . الخ.

وهذا لا يخفى تحريمه على ذوي العقول السليمة والقلوب المستقيمة. فهل هكذا تكون المحبة لرسول الله ﷺ؟.

هذا بعض من صور المخالفات لرسول الله ﷺ والتي يفعلها الصوفية - أدعياء المحبة - ذكرتها ههنا ليعلم المرء ما هم عليه من ضلال. نسأل الله الهداية والتوفيق للجميع إنه سميع مجيب.

---

(١) أخرج هذا الحديث البيهقي في السنن الكبرى (٩/٣٠٠) وقال قال عبدالرزاق الصنعاني: إنما تركوا عبدالله بن محرر وهو الراوي عن قتادة عن أنس هذا الحديث - لحال هذا الحديث - وقال الذهبي في الميزان (٢/٥٠٠) في ترجمة عبدالله بن محرر ومن بلاياه وذكر هذا الحديث.

(٢) تقدم تخريجه.

المبحث الثالث

الشرك في المحبة
والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله

تقدم معنا في المبحث السابق بعض الصور من محبة الرسول ﷺ عند الصوفية ورأينا ما فيها من الغلو برسول الله ﷺ وأن كل ذلك مخالف لهديه ﷺ. وبيّنا أن طلبهم العون والغوث من رسول الله من الشرك ولو كانوا يحبونه ﷺ، لأنهم أحبوه مع الله ولم يحبوه لله. فمحبة الأنبياء والرسل والأولياء تبع لمحبة الله وجالبة لمحبته ولا تضاهي محبة الله. ولكن جعلهم شركاء يُدْعون ويُعبدون من دون الله فهذه محبة مع الله، كما أن النصارى يفعلون ذلك مع عيسى عليه السلام حتى جعلوه نداً لله. وكذلك اليهود وبعدهم مشركو العرب الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا﴾ [البقرة: ١٦٥]. ولقد (أخبر الله تعالى من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ندّ في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا النِدّ بخلاف نِدّ المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحُب والتعظيم)[١].

من هنا نعلم أن من عَظّم غيرَ الله كتعظيم الله أو كالتعظيم الواجب له سبحانه فقد جعل هذا المعظم نداً لله تعالى.

---

(١) التفسير القيم، ص١٤٠.

فالذي يدعو غير الله كما يدعوه ويخاف غير الله كما يخاف الله بل أشد ـ كما هو الحال عند كثير من المبتدعة ـ، فإنهم إن خُوّفوا بالولي الفلاني والفلاني فإنهم يخافونه أكثر مما يخافون الله تعالى، فالذي يفعل ذلك لا شك أنه قد جعل لله نداً، والله قد خلقه. فالواجب أن يحب ما يحبه الله من أنبياء ومرسلين وصالحين لله. لأن حبهم يجذب حب الله تعالى. قال ابن تيمية رحمه الله: (فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوبك الحق فأحببته فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النبيّ ﷺ والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابهم الصالحين وتصورتهم في قلبك، فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم وبهم إذا كنت تحبهم لله، فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصاً لله فإن الله هو محبوبه، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله)(١)، ويقول أيضاً: (وإنما ينفع العبد الحب لله ما يحبه الله من خلقه كالأنبياء والصالحين لكون حبهم يقرب إلى الله، ومحبة هؤلاء هم الذين يستحقون محبة الله لهم)(٢). والله سبحانه قد وصف المؤمنين بخلاف صفات الكافرين والمشركين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ووصف رسول الله ﷺ من وجد حلاوة الإيمان بقوله: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يقذف في النار**»(٣).

فمن صفات المؤمنين أنهم يحبون الله ويخلصون المحبة له فلا يخالطها محبوب غير الله تعالى، وليس معنى ذلك أن لا تحب رسول الله كما ورد ذلك عن بعض الصوفية بل نحبه ولكن لله، ولا نحبه مع الله.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٠).

(٣) تقدم تخريجه.

أورد القشيري في رسالته قصة تنبىء عن عدم فهمهم لحقيقة محبة الله ورسوله ﷺ فقد حكى عن أبي سعيد الخراز[1] أنه قال: «رأيت النبيّ ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله تعالى شغلتني عن محبتك، فقال: يا مبارك من أحب الله تعالى فقد أحبني»[2]. فنحن لا تشغلنا محبة الله تعالى عن محبة رسوله ﷺ، بل محبة رسوله من محبته تعالى وتابعة لها، ولكن حب الصوفيين لله تعالى والذي هو السكر والغناء جعلهم ينسون محبة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وهل محبة الله تشغل عن محبة رسوله؟؟!!.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: (لا يجوز أن يُحَبَّ شيء من الموجودات لذاته إلا الله سبحانه وبحمده، فكل محبوب في العالم إنما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته، والرب هو الذي يجب أن يحب لنفسه وهذا من معاني إلهيته ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فإن محبة الشيء لذاته شرك فلا يحب لذاته إلا الله، فإن ذلك من إلهيته فلا يستحق ذلك إلا الله وحده، وكل محبوب سواه إن لم يحب لأجله أو لما يحب لأجله فمحبته فاسدة... وإنما تحب الأنبياء والصالحون تبعاً لمحبته فإن من تمام حبه حب ما يحبه وهو يحب الأنبياء والصالحين ويحب الأعمال الصالحة، فحبها لله هو من تمام حبه، وأما الحب معه فهو حب المشركين الذين يحبون أندادهم كحب الله. فالمخلوق إذا أحب لله كان حبه جاذباً إلى حب الله، وإذا تحاب الرجلان في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا كان لكل منهما جاذباً للآخر إلى حب الله، كما قال تعالى: **«حقّت محبتي للمتحابين فيّ، وحقّت محبتي للمتجالسين فيّ، وحقّت محبتي للمتباذلين فيّ، وإن لله**

---

(١) هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من أهل بغداد صحب ذا النون المصري وبشر الحافي والسري السقطي وغيرهم من الصوفية وهو من أئمة القوم، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء ت: (٢٧٩هـ) وقيل (٢٧٧هـ). انظر ترجمته: الرسالة القشيرية (١/١٤٠)، وكشف المحجوب (١/٣٥٥) والأعلام (١/١٩١).

(٢) الرسالة القشيرية، ص١٤٧.

عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء ويغبطهم الأنبياء والشهداء بقربهم من الله، وهم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال يتباذلونها، ولا أرحام يتواصلون بها إن لوجوههم لنوراً وإنهم لعلى كراسي من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»(١) . ففي كلام شيخ الإسلام السابق يعرف الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله، ويعرف أن ما يفعله عباد القبور والذي يدعون غير الله من أنبياء وأولياء - وإن كانوا يحبونهم فهو حب مع الله وليس حباً لله - كما قال رحمه الله - (والذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويحجون إليها ويدعوهم ويسألوهم أو ليعبدوهم ويدعوهم من دون الله هم مشركون، وهم إذا قالوا نحن نحبهم فهم إن كانوا صادقين فهم يحبون مع الله لا يحبونهم لله كمحبة أهل الشرك لأندادهم). قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] والحب لله أن يكون الله هو المحبوب لذاته ويحب أنبياءه لأنه يحبهم، وعلامة محبتهم متابعتهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فمن اتبع الرسول فهو الذي يحبه الله، وأما من قال إنه يحبه وإن غلا فيه وأشرك به إذ لم يتبعه فإن الله لا يحبه، بل إذا خالفه أبغضه بحسب ذلك: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف: ١٩] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾)(٢) [فصلت: ٤٦] ويزيد رحمه الله الأمر تفصيلاً فيقول في موضع آخر: (والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله ظاهرة، فأهل الشرك يتخذون أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله، وأهل الإيمان يحبون، وذلك أن أهل الإيمان أصل حبهم هو حب الله، ومن أحب الله أحب من يحبه الله ومن أحبه الله أحب الله، فمحبوب المحبوب محبوب لله يحب الله، فمن أحب الله أحبه الله فيحب من أحب الله)(٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى (٦٠٨/١٠) والحديث تقدم تخريجه.

(٢) الرد على الأخنائي، ص٥٢، ٥٣.

(٣) مجموع الفتاوى (٣١٦/١٨).

وهكذا وبهذه التوضيح والكلام النفيس من هذا الحبر الهمام رحمه الله يظهر الفرق جلياً واضحاً بين المحبتين الإيمانية والشركية، والفرق عند أهل الحق من الموحدين ظاهر وجلي ولله الحمد، وهو بعكسه عند أهل الزيغ والضلال. فإنهم يخلطون بين المحبتين حتى وقعوا في الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة فنسأل الله الهداية. للجميع إنه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الخاتمة

جرياً على عادة الباحثين في ذكر النتائج التي توصلوا إليها في نهاية أبحاثهم، ونظراً لأهمية ذلك في الرسائل العلمية فإنني ألخص النتائج التي توصلت إليها في بحثي بما يلي:

١ ـ إن محبة الله ورسوله ﷺ ليست مجرد أماني وأحلام، أو دعوى تنال بالكلام، بل إن لها مستلزمات وشروطاً لا تصح بدونها. وأهم هذه اللوازم والشروط تحقيق العبودية لله تعالى، والمتابعة لرسوله ﷺ، والبراء من أهل الشرك والفجور، والولاء لأهل الإيمان والصلاح، والجهاد في سبيل الله بشتى أنواعه.

٢ ـ تبين لنا عظم وأهمية ومنزلة محبة الله ورسوله في الدنيا، بكونها أهم الواجبات وأسمى الغايات، وسعادة الخلق في الدنيا والآخرة.

٣ ـ تبين لنا أنه لا تتنافى المعصية مع وجود محبة الله ورسوله في القلب ما لم تكن عن نفاق، إذ إنه قد يعصي المؤمن ربه أو رسوله ﷺ وهو محب لهما حباً جمّاً، كما هو المذهب الصحيح عند أهل السنّة والجماعة.

٤ ـ كما تبين لنا أنه يجب على المسلم الحب في الله والبغض في الله، وأن المرء قد يُحَبّ من وجه ويُبْغض من وجه، فيُحَبّ على ما فيه من طاعة، ويُبْغَضُ ما فيه من معصية.

٥ ـ كما تبين لنا أهمية معرفة ما يحبه الله ورسوله لكي يحبه المؤمن

ويتخلق بما يحبه منه محبوبه، لأن من شروط وعلامات محبة المحبوب حب ما يحب وبغض ما يبغض.

٦ - كما تبين معنا أن المعرضين عن هدى الكتاب والسنّة والمتعصبين لغير الحق من المبتدعة وأهل الأهواء والزيغ وغيرهم، هم من أبعد الناس عن محبة الله ورسوله، وبالتالي فهم من المعرَّضين لسخط الله وعقابه ما لم يسرعوا إلى الله بالتوبة.

٧ - كما تبين معنا أن محبة الله ورسوله تنتقص في قلب العبد وتزيد، وأن الناس فيها متفاوتون، وإن أعظمهم إيماناً أكثرهم حباً وطاعة وعبادة. وتبين أيضاً أن لهذه المحبة أسباباً تجلبها وتقويها، وأن على المرء معرفتها ليعمل بها ويحققها.

٨ - كما تبين معنا كذلك أن هناك علامات كثيرة تدل على صدق محبة العبد لربه ولرسوله ﷺ، فمتى فقدت فقد دل ذلك على كذب دعوى المحبة.

٩ - وتبين معنا أيضاً أن الصوفية هم من أبعد الناس عن تحقيق لوازم محبة الله ورسوله، وبالتالي فهم من أكثر الخلق ادعاء لها وبُعداً عنها وضلالاً في فهمها بسبب فهمهم الأعوج لها وشطحاتهم الكبيرة في تفسيرهم لحقيقتها.

١٠ - وتبين معنا كذلك الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله، والتي ضلّ في التفريق بينهما أدعياء المحبة من المتصوفة وغيرهم، بكون المحبة لله تعني حب ما يحبه الله تعالى من الأنبياء والصالحين والأعمال والخصال والذوات وأن محبتهم تكون لأجل الله وبسبب محبة الله لهم، وأن هذه المحبة من أوثق عرى الإيمان ومن أعظم القربات إلى الله ومن علامات المحبة الصادقة. بخلاف المحبة مع الله والتي هي شرك بالله، لأنها تسوِّي غير الله بالله في المحبة والتعظيم. وتبين أن المؤمنين أعظم الخلق حباً لله وأنهم وحدهم الذين أخلصوا المحبة له تعالى.

١١ - وتبين معنا أخيراً عظم ثمرة محبة العبد لله تعالى ولرسوله حيث إنها تكمّل إيمانه، وتُذيقه حلاوته، وتنجيه من عذاب الله، وتسعده بالفوز الأكبر عند الله بجنات النعيم، كما أنها تُضفي على صاحبها رضا الرب تعالى وتوفيقه ومحبته وتقربه إليه وتمنحه مرافقه خيرة خلق الله أجمعين من المحبين الصادقين من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ويا له من فوز ما بعده فوز ومن سعادة ما بعدها سعادة.

فاللّهم إنّا نسألك أن تجعلنا من المحبين الصادقين وأن تميتنا على دينك الحق يا كريم وأن ترزقنا رحمتك ورضوانك وجناتك ومرافقة أحبابك وفي مقدمتهم سيدنا محمد ﷺ وصحابته الكرام إنك جواد كريم.

وبالله التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس

فهرس الأحاديث الشريفة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الأحاديث الشريفة

أول الحديث	رقم الصفحة

ـ آ ـ

ـ أ ـ

أول الحديث	رقم الصفحة

أول الحديث	رقم الصفحة

ـ ب ـ

ـ ط ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

- ق -

- ك -

- ل -

أول الحديث	رقم الصفحة

- م -

ـ هـ ـ

- و -

- لا -

أول الحديث	رقم الصفحة

- ي -

فهرس المصادر والمراجع

- أ -

١ - **القرآن الكريم**.

٢ - **الإبداع في مضار الابتداع**، الشيخ علي محفوظ، دار الاعتصام، مصر، ط: السابعة.

٣ - **الاتباع**، للعلاَّمة الشيخ ابن أبي العز الحنفي، تحقيق وتعليق: محمد عطا الله حنيف و د.عاصم القريوتي، شركة المطابع النموذجية، عمان، الأردن، ط: الثانية (١٤٠٥هـ).

٤ - **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة.

٥ - **الإحكام في أصول الأحكام**، للإمام أبي محمد علي بن حزم الظاهري، الناشر: مكتبة عاطف، القاهرة، ط (١٩٧٨م).

٦ - **أحكام الجهاد في الإسلام**، د.محمد عبدالعزيز أبو سخيلة، مطابع الخط، الأردن.

٧ - **إحياء علوم الدين**، لأبي حام محمد الغزالي (صوفي)، دار القلم، بيروت.

٨ - **الاحتجاج**، لأبي منصور أحمد بن طالب الطبرسي (شيعي)، مطبعة سعيد، مشهد المقدسة، الناشر: منشر المرتضى، إيران، ط (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٩ - **الإخوة الإسلامية وآثارها**، للشيخ عبدالله بن إبراهيم الجار الله، طبع: دار الإفتاء، السعودية، ط (١٤٠٦هـ).

١٠ ـ **إرشاد الطالب**، للشيخ سليمان بن سحمان، مطبعة المنار، مصر، ط: الأولى (١٣٤٠هـ).

١١ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، الإمام يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، بتحقيق: البيجاوي.

١٢ ـ **أصول الدعوة**، للدكتور عبدالكريم زيدان، ط: الثالثة (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).

١٣ ـ **الإصابة في تميز الصحابة**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤ ـ **الاعتصام**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، بتحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

١٥ ـ **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، بتعليق ومراجعة: طه عبدالرؤوف سعد، مطبعة مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

١٦ ـ **إعلام السنة المنشورة**، للشيخ حافظ حكمي، طبع: دار الإفتاء، السعودية، ط: الثالثة (١٣٩٩هـ).

١٧ ـ **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، للشيخ خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: السادسة (١٩٩٤م).

١٨ ـ **الاعتقاد على مذهب السلف وأهل السنّة والجماعة**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: حديث أكاديمي، باكستان، المطبعة العربية، لاهور.

١٩ ـ **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزي، بتحقيق وتصحيح: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٢٠ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ط: الثانية (١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م).

٢١ ـ **الإنسان الكامل**، لعبدالكريم الجبلي (صوفي)، مطبعة الحلبي، مصر، ط: الرابعة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

٢٢ ـ **الأنوار الوضية في العقائد الرضوية**، (شعيي)، تصنيف: حسين بن محمد البحراني الدرازي، بتحقيق وتعليق: أبو أحمد بن أحمد بن العصفور البحراني، ط: الأولى (١٣٠٤هـ).

٢٣ ـ **آيات الجهاد في القرآن الكريم**، د.كامل سلامة الدقس، دار البيان، الكويت، ط (١٣٩٢هـ).

٢٤ ـ **أيسر التفاسير لكلام العلي القدير**، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، مطبعة دار الشروق، جدة، ط: الثانية (١٤٧٨هـ).

٢٥ ـ **إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار**، للشيخ صالح بن محمد العمري المعروف بالفلاني، دار المعرفة، بيروت، الناشر: دار الباز، مكة، ط (١٩٧٨م).

٢٦ ـ **الإيمان: حقيقته ـ أركانه ـ نواقضه**، د.محمد نعيم ياسين، جمعية عمال المطابع، الأردن، ط: الأولى (١٣٩٨هـ).

ـ ب ـ

٢٧ ـ **بدعة التعصب المذهبي**، محمد عيد عباسي، المكتبة الإسلامية، الأردن، ط: الثانية (١٩٨٦م).

٢٨ ـ **البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها**، د.عزت علي عيد عطية، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٢٩ ـ **البداية والنهاية**، للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط: الثانية.

ـ ت ـ

٣٠ ـ **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: د.أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط: الثانية (١٤٠٥هـ).

٣١ ـ **تاج العروس**، لمحمد بن عبدالرزاق الزبيدي.

٣٢ ـ **التبيان في أقسام القرآن**، لابن قيم الجوزية، تعليق: يوسف شاهين، مكتبة القاهرة، مصر.

٣٣ ـ **التحفة العراقية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط: الثانية (١٣٩٩هـ).

٣٤ ـ **تحفة المريد على جوهرة التوحيد**، إبراهيم بن محمد البيجوري (أشعري)، مطبعة الحلبي، ط: الأخيرة (١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م).

٣٥ ـ **تذكرة الحفاظ**، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣٦ ـ **الترغيب والترهيب**، للحافظ عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٧ ـ **التصوف المنشأ والمصادر**، إحسان إلٰهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط: الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٣٨ ـ **التصوف في الإسلام**، د.عمر فروخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

٣٩ ـ **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

٤٠ ـ **التفسير القيم**، للإمام ابن قيم الجوزية، بتحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٧٨م).

٤١ ـ **تلبيس إبليس**، للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمٰن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢ ـ **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مكتبة المثنى، بغداد، ط: الثانية (١٣٨٨هـ).

٤٣ ـ **تهذيب التهذيب**، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، طبع: مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند (١٣٢٦هـ).

٤٤ ـ **التوسل والوسيلة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع ونشر: دار الإفتاء، السعودية، الرياض.

٤٥ ـ **التوسل أنواعه وأحكامه**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية (١٣٩٧هـ).

٤٦ ـ **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الخامسة (١٣٠٢هـ).

- ج -

٤٧ - **جامع الرسائل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المدني للنشر والتوزيع، جدة، ط: الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م).

٤٨ - **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، للعلاّمة زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، لبنان، بيروت.

٤٩ - **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبدالبر، الناشر: المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٥٠ - **الجامع الفريد**، لمجموعة من علماء الدعوة، مطبعة المدينة، الرياض.

٥١ - **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي**، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، بتحقيق وشرح: أحمد شاكر، مطبعة الحلبي، مصر، ط: الثانية (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

٥٢ - **الجرح والتعديل**، للإمام الحافظ أبي محمد عبدالرحمٰن بن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣ - **الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه**، د.أحمد محمد جمال، رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة دعوة الحق، ط (١٤٠١هـ)، العدد: ٢.

٥٤ - **الجهاد في الإسلام**، للمودودي والبنا وسيد قطب، الاتحاد الإسلامي العالمي والمنظمات الطلابية، ط: الثانية (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م).

٥٥ - **الجهاد في الإسلام حقيقته وغايته**، د.عبدالله أحمد القادري، دار المنارة، جدة، ط: الأولى (١٤٠٥هـ).

٥٦ - **الجهاد ميادينه وأساليبه**، د.محمد نعيم ياسين، دار الفرقان، الأردن، ط: الثالثة (١٤٠٦هـ).

- ح -

٥٧ - **حجة الله البالغة**، للشيخ أحمد المعروف شاه ولي الله الدهلوي، تحقيق: سيد سابق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد.

٥٨ - **الحسبة في الإسلام**، شيخ الإسلام ابن تيمية، طبع: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٥٩ ـ **حسن المقصد في عمل المولد**، للإمام جلال الدين عبدالرحمٰن السيوطي، بتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٦٠ ـ **الحكم الجديرة بالإذاعة**، لابن رجب الحنبلي (ضمن مجموعة)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة، مصر.

٦١ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفيات** ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (صوفي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الخامسة (١٤٠٧هـ).

٦٢ ـ **حياة القلوب وكيفية الوصول إلى المحبوب**، لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب.

ـ د ـ

٦٣ ـ **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، لمجموعة من علماء نجد، جمع: عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم النجدي، مطبعة أم القرى، السعودية، ط: الأولى (١٣٥٦هـ).

٦٤ ـ **دراسات إسلامية في الأصول الأباظية**، بكير بن سعيد أعوشت، طبعة الجزائر، ط: الثانية.

٦٥ ـ **دعوة التوحيد**، للشيخ محمد خليل هراس، مطبعة الإمام، القاهرة.

٦٦ ـ **ديوان ابن الفارض**، لعمر بن أبي الحسن المعروف بابن الفارض (صوفي)، المكتبة الثقافية، بيروت.

٦٧ ـ **ديوان البوصيري**، لمحمد بن سعيد بن حماد البوصيري (صوفي)، تحقيق: سيد كيلاني، مطبعة الحلبي، القاهرة (١٣٩٣هـ).

ـ ر ـ

٦٨ ـ **الردّ على الأخنائي**، شيخ الإسلامي ابن تيمية، بتصحيح العلاّمة الشيخ عبدالرحمٰن المعلمي اليماني، طبع ونشر: دار الإفتاء، السعودية، الرياض (١٤٠٤هـ).

٦٩ ـ **رسالة في أمراض القلوب**، لابن قيم الجوزية، بتحقيق: محمد حماد الفقي، دار طيبة، الرياض.

٧٠ - **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع: الجامعة الإسلامية، ط: الخامسة.

٧١ - **الرسالة التدمرية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة السنة المحمدية، مصر (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م).

٧٢ - **الرسائل المفيدة**، الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، بتصحيح: عبدالرحمٰن الرويشد، دار العلوم، القاهرة (١٣٩٨هـ).

٧٣ - **الرسالة**، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، دار التراث، مصر، ط: الثانية (١٣٩٩هـ).

٧٤ - **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، لعبدالكريم بن هوزان القشيري وعليه هوامش للشيخ زكريا الأنصاري (صوفي)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٥ - **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، للقشيري، بتحقيق: د. عبدالحليم محمود وآخر، دار الكتب الحديثة.

٧٦ - **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، للإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ز -

٧٧ - **زاد المعاد في هدي خير العباد**، للإمام ابن قيم الجوزية، بتحقيق: شعيب وعبدالقادر أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثالثة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

- س -

٧٨ - **سبل السلام شرح بلوغ المرام**، للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني، تعليق وتصحيح: محمد عبدالعزيز الخولي، الناشر: مكتبة عاطف، القاهرة.

٧٩ - **السلفيون والأئمة الأربعة**، الشيخ عبدالرحمٰن عبدالخالق، الدار السلفية، الكويت، ط: الأولى (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

٨٠ - **السنة**، للإمام أحمد بن حنبل، بتصحيح: الشيخ إسماعيل الأنصاري، طبع وتوزيع: الإفتاء، السعودية.

٨١ - **السنة**، للحافظ أبي بكر عمر بن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٠هـ).

٨٢ ـ **سنن ابن ماجه**، للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، بترقيم وتحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العلمية، أو مطبعة الحلبي، مصر.

٨٣ ـ **سنن أبي داود**، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني، ومعه كتاب معالم السنن، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، مطبعة دار الحديث، حمص، سوريا.

٨٤ ـ **سنن النسائي**، للإمام الحافظ أبي عبدالرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي، بشرح السوطي ومعه حاشية السندي، بترقيم وفهرسة: عبدالفتاح أبو غدة، مطبعة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٨٥ ـ **سنن الدارمي**، للإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمٰن الدارمي السمرقندي، بتحقيق وتخريج: فواز زمرلي وآخر، دار الكتاب العربي، بيروت، الناشر: دار الريان للتراث، القاهرة.

٨٦ ـ **السنة**، للإمام عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق: محمد سعيد القحطاني، الناشر: دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية، ط: الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٨٧ ـ **السنن الكبرى**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد البيهقي، دار المعرفة، بيروت.

٨٨ ـ **السنن والمبتدعات**، للشيخ محمد عبدالسلام الشقيري، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

٨٩ ـ **السيرة النبوية**، لعبدالملك بن هشام المعافري، بتحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة الحلبي، مصر، ط: الثانية (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م).

٩٠ ـ **سير أعلام النبلاء**، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد وشعيب أرناؤوط وغيرهما، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية (١٤٠٢هـ).

ـ ش ـ

٩١ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، للمؤرخ ابن عماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٢ - **شذرات البلاتين**، لمجموعة من العلماء، بتحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، مصر، ط: الأولى (١٣٧٥هـ).

٩٣ - **شرح العقيدة الطحاوية**، للعلاَّمة ابن أبي العز الحنفي، بتحقيق ومراجعة: جماعة من العلماء، وتخريج: العلاَّمة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة الدعوة الإسلامي، شباب الأزهر.

٩٤ - **شرح السنة**، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م).

٩٥ - **الشريعة**، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، بتحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: حديث أكاديمي فيصل، باكستان، مطابع الأشراف، لاهور، ط: الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٩٦ - **شعب الإيمان**، للإمام البيهقي، بتحقيق: عبدالعلي عبدالحميد، الدار السلفية، الهند، ط: الأولى.

٩٧ - **الشيعة وأهل البيت**، إحسان إلٰهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط: السابقة (١٤٠٤هـ).

٩٨ - **الشريعة الإلٰهية لا القوانين الوصفية**، د.عمر سليمان الأشقر، دار الدعوة، الكويت، ط: الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

٩٩ - **شفاء السقام في زيارة خير الأنام**، للعلاَّمة تقي الدين السبكي (صوفي)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط: الثانية (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م).

- ص -

١٠٠ - **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، شيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة الحرس الوطني السعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد.

١٠١ - **صحيح مسلم**، بشرح الإمام النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢ - **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، بترقيم وتصحيح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

١٠٣ - **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية (١٤٠٢هـ).

١٠٤ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**، للمنذري، اختيار وتحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٢هـ).
١٠٥ ـ **الصحاح**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط: الثانية (١٤٠٢هـ).
١٠٦ ـ **صفة الصلاة على النبيّ ﷺ**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: العاشرة (١٤٩١هـ ـ ١٩٨١م).

- ض -

١٠٧ ـ **ضعيف الجامع الصغير وزياداته**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية (١٤٠٩هـ).

- ط -

١٠٨ ـ **طبقات المفسرين**، للحافظ جلال الدين عبدالرحمٰن السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مطبعة الحضارة، مصر، الناشر: مكتبة وهبة، ط: الأولى (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).
١٠٩ ـ **طبقات الحفاظ**، للسيوطي، بتحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة (١٣٩٣هـ).
١١٠ ـ **طبقات المفسرين**، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، بتحقيق: علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، الناشر: مكتبة وهبة، ط: الأولى (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م).
١١١ ـ **طبقات الصوفية**، لأبي عبدالرحمٰن السلمي (صوفي)، طبع: نور الدين شريبة، القاهرة (١٩٥٣م).
١١٢ ـ **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، للإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٢هـ).

- ع -

١١٣ ـ **العبودية**، شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الخامسة (١٣٩٩هـ).

١١٤ ـ **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ابن قيم الجوزية، بتحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتب العربي، ط: الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

١١٥ ـ **العقائد السلفية شرح الدرر السنية**، أحمد بن حجر آل بوطامي، طبعة بيروت (١٩٧٠م).

١١٦ ـ **عقيدة التوحيد في القرآن**، محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي، منشورات دار ابن تيمية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط: الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

١١٧ ـ **عوارف المعارف**، لعبدالقاهر بن عبدالله السهروردي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

ـ غ ـ

١١٨ ـ **غاية الأماني في الردّ على النبهاني**، العلاَّمة محمد شكري الألوسي، طبع: المطبعة العربية، لاهور (١٤٠٣هـ).

ـ ف ـ

١١٩ ـ **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، بتصحيح: عبدالعزيز ابن باز، دار الفكر، بيروت، ط: السابعة (١٩٧٩م).

١٢٠ ـ **الفتاوى السعدية**، الشيخ عبدالرحمٰن بن سعدي، دار الحياة، دمشق، ط: الأولى (١٣٨٨هـ).

١٢١ ـ **الفتوى الحموية الكبرى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط: الرابعة (١٤٠١هـ).

١٢٢ ـ **الفتوى الحموية الكبرى**، لشيخ الإسلام، بتحقيق: محمد عبدالرزاق حمزة، مطبعة دار نشر الثقافة، الإسكندرية، مصر، ط: الخامسة.

١٢٣ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٢٤ ـ **فصوص الحكم**، محمد بن محمد بن عربي أبو العلا عفيفي (صوفي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

١٢٥ ـ **فقه السنة**، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢٦ ـ **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، الشيخ عبدالرحمٰن عبدالخالق، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط: الثانية.

١٢٧ ـ **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات**، محمد عبدالحي بن عبدالكبير الإدريسي الكتاني، طبع: فاس المغرب (١٣٤٧هـ).

١٢٨ ـ **الفوائد**، للإمام ابن قيم الجوزية، دار النفائس، بيروت.

١٢٩ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، عبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت.

ـ ق ـ

١٣٠ ـ **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المطبعة الميرية، بولاق، مصر، ط: الثالثة.

١٣١ ـ **القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته**، دراسة مقارنة لمحمد بن ناصر بن عبدالرحمن الجعوان، طبع: وزارة المعارف، السعودية، ط: الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٣٢ ـ **القصيدة النونية لابن القيم**، بشرح محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٦هـ).

١٣٣ ـ **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف مقام المريد إلى مقام التوحيد**، لأبي طالب المكي (صوفي)، دار صادر، بيروت.

ـ ك ـ

١٣٤ ـ **الكافي في الأصول**، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي الكليني (شعيي)، ط طهران.

١٣٥ ـ **كشف المحبوب**، لأبي الحسن علي بن عثمان الجلابي الهجويري الغزنوي (صوفي)، دراسة وترجمة: دكتورة سعاد قنديل، مراجعة: أمين بدوي، دار النهضة العربية، بيروت (١٩٨٠م).

١٣٦ ـ **كلمة الإخلاص وتحقيق معناها**، لابن رجب الحنبلي، المكتب الإسلامي، تحقيق: زهير الشاويش، تخريج الألباني، ط: الرابعة (١٣٩٧هـ).

١٣٧ ـ **الكلمات النافعة**، الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط: الثانية.

ـ ل ـ

١٣٨ ـ **لسان العرب**، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرمل منظور، دار صادر، بيروت.

١٣٩ ـ **اللمع**، لأبي نصر السراج الطوسي (صوفي)، تحقيق: عبدالحليم محمود وطه سرور، طبع ونشر: دار الكتب الحديثة، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م).

ـ م ـ

١٤٠ ـ **مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب**، بتحقيق: جماعة من العلماء، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٤١ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب: عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، تصوير الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ).

١٤٢ ـ **المجموع شرح المهذب**، للإمام أبي زكريا محي الدين النووي، تحقيق وتعليق: محمد نجيب المطيعي، طبع: مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية.

١٤٣ ـ **مجمع الزائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين الهيثمي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤٤ ـ **محاسن التأويل**، محمد جمال القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط: (١٣٧٦هـ).

١٤٥ ـ **محيط المحيط**، المعلم بطرس البستاني، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت.

١٤٦ ـ **مختصر منهاج القاصدين**، للإمام أحمد بن عبدالرحمٰن بن قدامة المقدسي، بتعليق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، مؤسسة علوم القرآن (١٩٧٨م).

١٤٧ ـ **مدارج السالكين بين منازل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾**، للإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٤٨ ـ **مسند الإمام أحمد وبهامشه كنز العمال**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الرابعة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٤٩ ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري المشهور بالحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥٠ ـ **مشاهير علماء الأمصار**، للإمام محمد بن حبان البستي، بتصحيح المستشرق: فلا يشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥١ ـ **المصباح المنير**، أحمد بن محمد المقري الفيومي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٣٩٨هـ).

١٥٢ ـ **معارج القبول في شرح سلم الوصول**، للشيخ حافظ حكمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٣هـ).

١٥٣ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، جمع: فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا (١٩٨٨م).

١٥٤ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، لجماعة من المستشرقين، مطبعة دار الدعوة، استانبول (١٩٨٦م).

١٥٥ ـ **المعجم الوسيط**، د.إبراهيم أنيس وزملاؤه، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول، تركية.

١٥٦ ـ **مفتاح دار السعادة**، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٧ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، بتحقيق: محمد محي الدين عبدالحمي، طبع ونشر: مكتبة النهضة المصري، القاهرة، ط: الثانية (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م).

١٥٨ ـ **مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب**، في علم التصوف، أبو حامد محمد الغزالي (صوفي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٥٩ ـ **الملل والنحل**، للإمام أبي الفتح محمد عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني، بتحقيق: عبدالعزيز محمد الوكيل، دار الفكر، بيروت.

١٦٠ ـ **منزلة الصحابة في القرآن الكريم**، محمد صلاح محمد الصاوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

١٦١ ـ **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**، الشيخ ربيع بن هادي مدخلي، الدار السلفية، الكويت، ط: الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

١٦٢ ـ **منهج الإسلام في الحرب والسلام**، عثمان جمعة ضميرية، نشر وتوزيع: دار الأرقم، الكويت، ط: الأولى (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).
١٦٣ ـ **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، بتصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية للحلبي، مصر.
١٦٤ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

ـ ن ـ

١٦٥ ـ **النبوات**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة الرياض الحديثة.
١٦٦ ـ **نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد (شيعي)، د.صبحي الصالح، دار الكتاب العربي، بيروت (١٩٨٧م).

ـ هـ ـ

١٦٧ ـ **هذه هي الصوفية**، الشيخ عبدالرحمٰن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الرابعة (١٩٨٤م).

محبة الله ورسوله

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة